THE CHURCH OF THE EAST

By : Joseph HABBI

Baghdad 1989

1

$15

مطبعة واوفسيت المشرق

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ
ܐܘ ܦܫܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܟܚܐ ܒܝܬ ܚܘܒ̈ܢܐ
ܘܢܘܕܐ ܡܢ ܟܬ̈ܒܐ ܗܠܟܝܢ ܘܫܕܪܐ ܕܢܫܩܘ ܢܩܠ ܐܘ
ܠܟܠ ܠܗ ܗܕܪܐ ܟܠ ܢܫܩܘ ܢܗܘܐ ܠܗ ܗܕܪܐ ܒܝܬ
ܟܬ̈ܒܘܗܝ ܕܝܢܐ ܕܢܬܦܩ ܠܗ ܠܚܘܒܠܗ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

كنيسة المشرق

ܥܕܬܐ ܕܡܕܢܚܐ

١

الفجـر الاصيـل

الأب الدكتور يوسف حبي

بغـداد ١٩٨٨

Church History:
Chaldean Church
Beth Mardutho Library

"ان كنت لا تعرف ما حدث قبل ولادتك ، فذلك يعني انك ستبقى طفلا"

(شيشرون ١٠٦ـ٤٣ ق٠م)

مقدمة

لايدرك الانسان الحياة بمعناها الاحق والاعمق الا بفضل التاريخ ،
ولايترك المبدعون مايخلد ، على كل صعيد ، الا في التاريخ ،
ولا تكشف الاجيال عظماءها ، واحداثها الخطيرة ، وروائع منجزاتها ، الا من خلال التاريخ.
التاريخ علم ، وخبرة ، وحياة ، وحق ،
التاريخ تراث ، وحضارة ، ومدرسة ، وفلسفة ، ونبوءة .

وقد قال ابن خلدون (ت ١٣٧٨م) : "التاريخ في ظاهره لايزيد على اخبار من الايام والدول والسوابق من القرون الخوالي ، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، وعلم كيفيات الوقائع واسبابها عميق ، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق ، وجدير ان يعد من علومها وخليق" (المقدمة) . وقال فولتير (١٧٧٨ م) : "ان حوادث التاريخ تعوزها الحكمة ، ومساره ينقصه ادراك المغزى او المعنى ، وهذا ما أغفله المؤرخون ، واهتم به الفلاسفة" ، ويقصد فولتير مؤرخي العصور الغابرة ، عادة ، وفلاسفة القرون الماضية ، أصحاب النهج القديم . والتاريخ النقدي الحديث يستمد عمقه من الحكمة ، والفلسفة في نهاية المطاف حكمة خالدة لذا كانت فلسفة التاريخ من صلب الحكمة الفلسفية .
أما نحن فمع (فلسفة التاريخ) لا مع التاريخ التقريري السردي والفرق كبير بين "ناقد" و "ناقل" ، وعالم وناسخ، وحكيم ومسجل .. ونحن مع النقد والعلم والحكمة .
وتتميز الفلسفة التاريخية بصفات عامة هي :
اولا ، الكلية : ترفض النظر في احداث التاريخ وكأنها شتات لاترابط فيها .

ثانيا ، السببية : وفق نظام العلة والمعلول ، بعيدا عن النظرة التي تريد التاريخ احداثا فوضوية ، ثمرة صدف وحظوظ ، سعيا لاختزال العلل الجزئية ، ووصولا الى قوانين كلية تتجاوز الزمان والمكان ، وحتى تفسير التاريخ بمنطق معتدل ٠

ثالثا : المستقبلية ، وفيها من الامل والتفاؤل والتنبؤ ، لان احداث التاريخ لاتتوقف على الماضي فتجعل المرء يعيش تحت وطأة الانكسار ، بل تحثه نحو مستقبلٍ مشرق ، وذلك بتوحيد الابعاد الزمنية الثلاثة : الماضي والحاضر والمستقبل في عصارة خبرة واقعية صحيحة ، وتحفزه لكي يسعى جادا نحو تحقيق اهدافه وطموحاته ، راميا نحو هدفه الاسمى : التكامل ، وحاملا شعارا ابديا : لا تقل أبدا كفى ٠

وقد كان ولعي بالتاريخ منذ حداثتي المبكرة ٠ وازداد حبي للتاريخ بقدر تعمقي فيه ، حتى بت لا اقيم وزنا كبيرا ، لعلم ، ومبدأ ، وانسان ، ان لم يكن التاريخ ركيزة اساس بنيته ونظرته ، ووجوده الحياتي ٠

وكانت لي محاولات في تدبيج صفحات وبحوث تاريخية ، حتى بلغت سن الاربعين ، فشعرت بان الوقت قد حان لكي اخصص وقتا اكبر لتدبيج مااكتسبت من تجارب حياة تاريخية ، وعشت تاريخ حياة هي زبدة اثار خالدة ، تؤهل صاحبها ان يدون التاريخ بنظرة ، عميقة ، علمية ، متزنة ، انسانية ، وعصرية ، لكي تكون الصفحات الموصوفة اشارات ضوئية نافعة ، وآيات مُثل واهداف سامية ، وما أحوجنا اليوم الى علامات وأمثلة ومشاعل وآفاق ٠

ولا أخفي على القاريء الكريم ، انّ ما ابغيه يفوق طاقة فرد ، بل افراد ومجاميع ، غير ان هذا الطموح نابع عن قناعة " ان

فينا اكثر مما نتصور " ، واننا نستطيع اكثر ، ويجب ان نكون اكثر .. وهذا مايدفعني الى خوض غمار بحوث لا قرار لها ، كالبحر والسماء .

كم كنت اود لو فعلت ماقام به ارنولد توينبي وغيره ممن كتبوا تاريخا عالميا شاملا ، ومن يدري ، فلعلي افعل يوما ، على صعيد فكري ، وانساني شامل ، على الاقل .

ولعل شأني في هذا الامر شأن العلامة والصديق الدكتور جواد علي . فقد تناول شريحة مهمة في مجلداته (المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام) ، واجاد فيما فعل . اذ ليس العبرة في ماتتناول ، انما في ماتقدمه ، وكيف تقدمه .

والمعنيون بالبحوث التاريخية في بلادنا يعرفون كم يعاني المؤرخ من شحة المصادر والمراجع فنضطر الى الانفاق والسفر وصولا الى هدف هو في الصميم من الحياة ومقتضياتها .

اني اليوم ، أتناول شريحة واحدة ، هي صغيرة وبسيطة ، من شرائح مجتمعنا وبلادنا . لكنها كانت أكبر حجما ، واوسع ابعادا ، وهي عينة من عينات مجتمعات واديان وحضارات شاملة ، فهي ليست "خاصة" بأي حال من الاحوال ، واي معنى من المعاني ، في مفهوم التاريخ العميق . وكل شريحة وعينة وحالة بوسعها ان تكون محدودة وضيقة وعلى الهامش ، وبوسعها ان تغدو حدثا شاملا ، وزبدة تجارب ، وحالة نموذجية ان عرفنا ان نضعها في اطارها العام الشمولي ، مع الحفاظ على خصوصيات البيئة الطبيعية ، الجغرافية ، البشرية ، والحضارية ، والكشف عن اقصى التأثيرات والاشعاعات التي كانت لها في مناطق واسعة مكانا وزمنا ، بحيث يصح تعميم العديد من قضاياها وتجربتها على اي مجتمع ، واية كنيسة ، واي دين ، وأي بلد ، وأية حضارة ، وأي انسان .

وهذا هو سر التاريخ وعظمته ..

كنيسة المشرق واحدة من كنائس الله · وبلاد الرافدين واحدة من بلاد العالم · وتاريخ كنيسة المشرق الرافدية البنهرية خبرة انسانية تلتقي فيها خبرات أقوام وأديان وحضارات، سوف نرى كم هي كثيرة ومتنوعة، كما تتسم بخصائص لا بد ان تثير تساؤلات مشروعة · وما أجمل التسال الابدي : "من انا"، ويرى المرء ذاته، كما في مرآة، واكثر، ويعي الوجود بعمق، فيحقق مصير أفضل، لنفسه، للاخرين، للكون ·

ولا يسعني هنا الا ان اسجل شكري لكل من طالعت كتاباتهم واستعنت بها، ولمن علموني ان اسير في نهج علمي بحثا عن الحقيقة التاريخية، والقائمة طويلة، اكتفي بذكر استاذ التاريخ في الجامعة الاوربانية، وكتابات الاب حنا فيي، ومناقشات لجنة التراث العلمي في المجمع العلمي العراقي، فقد كانت خير عون للنهج بسلامة الفكر والعلم ·

عسى ان أوفق في كتابتي هذا التاريخ، فاكون قد اديت خدمة أتمنى ان اقدمها لشعبي، وكنيستي، وبلادي والناس، والعالم، والتاريخ

ولا سعادة اعظم من الدخول في رحاب التاريخ ·

ي · ح ·

الموصل ١-١٠-١٩٨٤

دهوك ٢٠-١٢-١٩٨٦

الموصل نيسان ١٩٨٨

المخطط العام للمشروع الحالي

ان المشروع الذي نوهنا به في المقدمة اكبر من أن يستوعبه مجلد أو مجلدان • لاننا لا نود تسجيل أهم أحداث هذه الكنيسة واخبار رؤسائها ، وحسب ، انما نريد رصدا للاحداث وتحليلا للاسباب ، وكشوفا عن الجوانب المؤثرة ، وذلك في بيئة عرفت أقدم الحضارات واعظمها ، وفي منطقة تعاقبت فيها اكبر التحولات العالمية ، فعرفت الشرائع كلها ، ومنها شريحة (كنيسة المشرق) ، مسيرة مشرقة ، زاهرة ،معطاء ، كما عرفت فترات غيوم ، وضباب ، وظلام •

وقد كنت من المؤمنين على الدوام بان الحياة مغامرة • لذا أسمح لنفسي بخوض غمار ميدان يتبارى فيه الفرسان، شرط ان لا يكلوا ، تسعفني قناعة لا التواء فيها ، مفادها ان المجال متسع لفرسان كثر ، وان الصولات عديدة ، ولن ينفرد بقصب السباق فرد واحد او نفر قليل ، على العكس مما قد يتصور ذوو النظرة الضيقة الى الحق والواقع ، فانا ممن يدينون بالتعددية ، والجماعية والشمولية • وهذه حقائق تضفي على التاريخ مفهوما ، وطابعا ، ولونا ، وتستمد من جوهر التاريخ معناها وابعادها • وتعيس من يرى الالوان كلها لونا واحدا •

لو قيض الله لي ان انجز مشروعي ، لتناولت الموضوعات التالية في مباحث هي :

١ـ التاريخ خبرة أجيال ، أتناول فيه مفهوم التاريخ من اكثر من ذي وجه •

٢ـ بلاد ما بين النهرين وعراق وادي الرافدين ، البيئة الطبيعية التي فيها ترعرعت ونمت وانحسرت الظاهرة قيد البحث ، كنيسة المشرق ·

٣ـ الوثائق والاسلوب ، حيث يأتي ذكر المصادر والوثائق والمراجع والمختصرات ، ومحاولة تبيان قيمتها ومدى تأثيراتها·

٤ـ الفجر الجميل الذي اشرق ببدايات المسيحية ونشوء الكنيسة في بلاد المشرق الرافدية البنهرية ، وانتشار جماعة شركة المحبة في اكثر من مكان ·

٥ ـ الدم بذار الحياة · فالمعاناة والالم والشهادة تجربة تصقل الانسان ، فتتحول الاضطهادات الدموية الى خير بذار أنمى المسيحية في مناطق وبلاد عديدة ·

٦ـ انتظام جماعة الخدمة في جسد كنيسة المشرق، وتحديد حياة نضوج مكتملة من جميع الوجوه ·

٧ـ استشهاد اختياري قام به الالوف ، بعد اقناعهم بتفاهة حياة الدنيا وعمق حياة الابد ، وذلك بالتزهد والتوحد ، وتشييد الديارات في ربوع البلاد ·

٨ـ القميص الممزق، حيث شاء اكثر من فريق تقاسم الميراث ، فلم يجمع مع الاخوة ، بل انفرد برأي ، وممارسة وتنظيم ، فكان انفصام الوحدة في الجسد الواحد ·

٩ـ شهود الى اقاصي الارض ، عملا بكلام المسيح الطريق والحق والحياة والحب ، لان العطاء افضل من الاخذ ،والسخاء غنى واكتمال ، فانطلق المسيحيون المشرقيون الى البلاد النائية مبشرين بالانجيل ·

١٠ـ خميرة في المجتمع الجديد، بفضل تفاعل حضاري أساسه اصول مشتركة ، وركائزه قناعات انسانية فتحت الابواب والقلوب امام المد العربي والاسلامي ، فكان انسجام ، وتعاون ، وابداعات ، رغم الاختلافات والصعاب ٠

١١ ـغيوم داكنة وعصور ظلام ، اسبابها انتكاسات ألمت بالبلاد ، فأودت بحياة الالوف ، وحولت مياه الرافدين الى دماء ، والربوع الخضراء جرداء، وقضت على معالم حضارية في طول البلاد وعرضها ٠

١٢ـ انتفاضة كنيسة هدفها الخروج من دوامة تخلف غيبت البلاد اجيالا ، وحصيلتها انفتاح على العالم ٠

١٣ـ البحث عن اصالة ، بعد تشتت حضاري وفكري وكنسي ، والوصول الى باب مسدود لن يفتحه الا قرن ونيف من نمو وعي وتطور مفاهيم ونضوج وممارسات ٠

١٤ ـ نحو انفتاح واع منطلقه اكتشاف علامات الازمنة على صعيدكنسي شامل ، ومحاولات نفخ روحية تحديث اصيلة في قلب كنيسة المشرق ٠

ونظرا لايماننا بان العباقرة يصنعون التاريخ ، وان العباقرة وليدو أجيال حضاريةوتاريخ، نود ان نتناول في مباحث مستقلة :

١٥ـ شخصيات فذة ، وصفحات مشرقة ، مختارة من تاريخ المسيحية والكنيسة في منطقة لم تخل من العظمة والنبوغ٠

١٦ـ شواهد خالدة ، فنية ،أدبية ، علمية ، سجلتها كنيسة المشرق ، من ابنية وكنائس وديارات ومخطوطات ورسوم وزخارف ، والحان ، وأشعار ، وكتابات ، وتاليف ٠

ولابد في الختام ، من امنيات تنبعث من قلب محب للحياة والخلود ، للتاريخ والتراث والحضارة، للقيم والمثل ، للانسان ، لله • . . . . . .

لن أتناول ، في هذا (التاريخ الموجز) سوى الخطوط العريضة للمباحث المذكورة أعلاه ، آملا ان اوفق يوما الى انجازها بنوع أكمل ، فلايعجبن القارئ الكريم ان رآني أجتاز حقبات بكاملها لماما ، واتعرض لقضايا كبرى ، ولاحداث خطيرة بشكل سريع ، اذ غرضي هنا اعطاء فكرة أولية ، آمل ان تكون صحيحة وسليمة ، مشوقة ومفيدة ، علمية ومحققة •

وقد يعجب القارئ اللبيب اذ يرى باني لم اثقل الكتاب بهوامش ، كان بوسعي ان اجعلها مئات ، وبكل اللغات ، لان المصادر والوثائق والمراجع المعتمدة فعلا كثيرة جدا• وقد فضلت ان اذكر الاهم منها وفي خاتمة الكتاب ، مع وضع مختصرات لها بالعربية ، وقد احيل الى اخر ما ظهر في الموضوع ، او الى مؤلف تناول الافكار الاهم والاحداث المؤثرة.

لست ابغي من هذه البحوث مطمعا ماديا وغاية شخصية ، وليس منطلقي نزعة معينة تحددها انتماءات مهما كان نوعها، انما هي قراءة متعمقة للتاريخ ، وكتابة جديدة للتاريخ •

ولاني أتناول هنا شريحة كنسية هي (كنيسة المشرق) ،فاني سأحاول الكشف عن سر التجسد الالهي في العالم ، بمفهوم انجيلي ، يسري في حياة المؤمنين بالله والمسيح • وأعمل على رصد وتحليل تغلغل هذه الكنيسة في بلاد المشرق ، وبلاد وادي الرافدين بالاخص ، كما في بلدان اخرى من العالم ، واكتشاف نموها بين اناس منطقة واسعة الامتداد، كخميرة في العجين ، كملح ، وكحبة خردل نامية ، وأعمل على

التعرف على التحديات والاستجابات التي لازمتها ، فتجددت شابة ، كالحقيقة ، مع حفاظها على الاصالة ٠

واني انتظر ملاحظات الكثيرين ونقدهم البناء لتطوير هذا العمل الاولي ، فالكمال لله وحده ، ولنا العمل والامل ٠

ملاحظات أولية

لن نسهب اليوم في المبحث الاول ، انما لا بد من الاشارة الى ان مفهوم التاريخ قد اختلف من زمن الى اخر ، ومن شعب الى شعب ، ومن مفكر الى مفكر ، مع اتفاق الجميع على ان البحث التاريخي ليس أمرا هينا، لانه ليس وقفا على فرد، أو قوم ، أو بلد ،ولا يكفي ذكر الاحداث الكبرى ، وهو ليس يوميات ، أو ذكريات ومذكرات، ولا حوليات وتسجيلا للوقائع وقد حدثت قفزة نوعية في العصر الحديث ، فبلغنا ما ألمحنا اليه في المقدمة : فلسفة التاريخ ٠ ويعني الامر اننا ، اذ نكتب التاريخ بمعناه الاعمق ، لن نكتفي بتدوين سير العظماء، أو الحاكمين والمسؤولين ، ولا الشريحة الواحدة معزولة عن اطارها الواسع ٠

فلا يعتبرن احد اننا متى تحدثنا عن كنيسة المشرق ، كنيسة ما بين النهرين، كنيسة العراق ، نريد بذلك تضييق الافق ، أو التحيز الى جهة كنسية معينة ، أو الى غيرها من انحيازات، فانا ممن لا يطيقون التعصب ايا كان لونه وحجمه ومداه ٠ رأنا اعتبر جميع مسيحيي هذه المنطقة من أصل قديم واحد ، يحتضنهم تراث مشترك ، ويوحدهم تاريخ مجيد ، ويحثهم المصير الواحد على التخلص من كل نزعات التجزئة والتفرقة ، ويشدهم الى ارض ، وحضارة ،ويجمعهم المصير

الواحد الى اخوان لهم من غير دين ومذهب ولغة وعادات ، فالمشترك القائم بينهم اكبر بكثير من المختلف الموجود ، والاختلافات غنى لا خلافات ، والفروق ليست تفرقة وتباعدا وتباغضا • أما التسميات فلم تكن يوما اهم ما في الامر وتظل ثانوية نسبة الى جوهر القضية ، وكثيرا ما تباينت التسميات عبر الزمن لاسباب شتى ، ولا ضير •

والمعذرة منذ الان أن لم ترض بعض التسميات التي استخدمها جميع الفئات • انما ليكونوا على يقين بأني لا اتعمدها ومتى تعمدت ، فاني احاول استخدام تسميات تراثية تاريخية، مع تنويهي بالحديث منها دون دخول في التفاصيل ، وتحاشي الجدل العقيم كلما استطعت الى ذلك سبيلا •

وكتابة التاريخ لاتعني عرض الصفحات المشرقة والاحداث البارزة والشخصيات الكبرى وحسب ، لان التجربة التاريخية مفيدة كلها ، وسعيد من يعرف كيف ينتفع منها • وقد يعلم الفشل بقدر ما يعلم النجاح ، وحياة البشر لم تكن في يوم من الايام كاملة ولا غبار عليها من كل الوجوه •

لم اخصص في هذا التاريخ الموجز مبحثا خاصا للوثائق والمصادر والمراجع ، واكتفيت بذكر اهمها في خاتمة الكتاب، مستخدما في الهوامش اسلوب المختصرات ، بالعربية تسهيلا للطباعة وللقراء الافاضل • اما الاسماء ، فقد حاولت ارجاعها الى اصولها ، في لغاتها مع الحفاظ على ما هو شائع بالعربية التراثية •

الصور والرسوم والخرائط هي لتعزيز الابحاث ، وكذلك الصفحات المختارة من نصوص قديمة ، دون ان ترمي الى استيعاب الامور أو التاكيد على الاهم ، فهي المحاولة الاولى من نوعها ، والكل يقدرون أولى المحاولات •

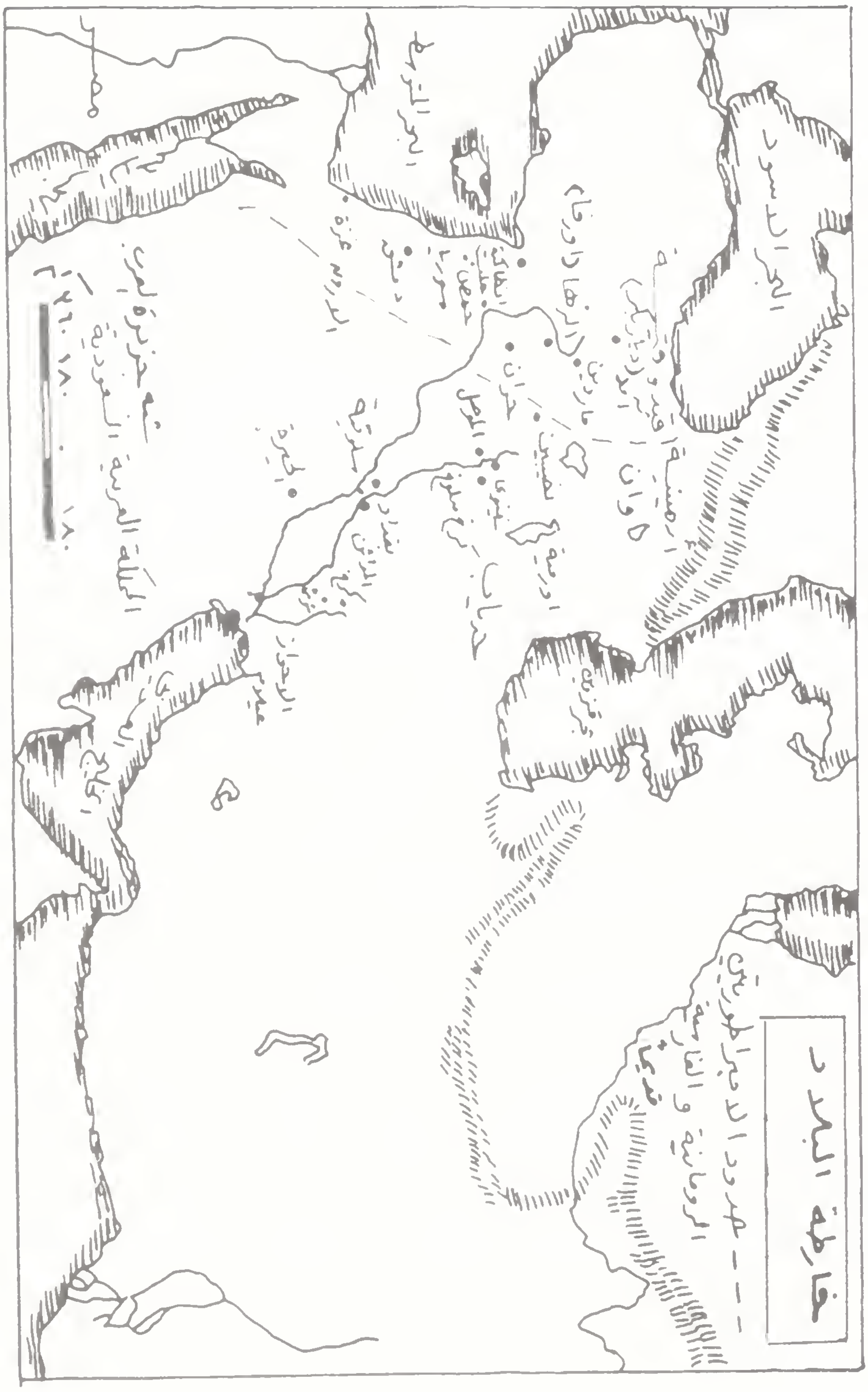
خارطة البلدان
الحدود الامبراطورية الرومانية و الفارسية
البحر الأسود
المملكة العربية السعودية

١

بلاد ما بين النهرين
البيئة الطبيعية لكنيسة المشرق

المبحث الاول : بلاد ما بين النهرين

انه من البحوث التي تستهويني ، فانا أحب هـذه الرقعة من العالم فهي بلادي ومهد الحضارة البشرية ، وأعنى منذ سنوات بالتعمق في الجذور الحضارية والابعاد الانسانية لتراث بشري عريق وعظيم ٠ انما سأكتفي هنا بتنويه بسيط بجغرافية هذه الارض ، وباستعراض سريع للادوار الحضارية لها ٠ وهي كلمة لا بد منها لوضع (كنيسة المشرق) في اطارها الصحيح وبيئتها الطبيعية ، بشكل يتيح لنا ان نتفهم ظواهر شتى يختلف تعليلها لو تركناها سائبة ٠ وهو نقص من يتنالون التاريخ أحداثا معزولة ، مفككة ، ومجزأة ، وكأن لا أوليات لها ٠ أو كأن صانعي التاريخ افراد لقوا انفسهم فجأة فوق جزر جديدة المنشأ ، او في كواكب مجهولة ٠

ويلي هذا القسم من المبحث الاول ، قسم اخر يتناول أصل مسيحيي هذه البلاد ، طالما أثار مناقشات واولد اراء وجاء بتسميات ، وكنا نود تحاشيه لئلا بسبب ازعاجات لهذا او ذاك ، لكننا هنا ايضا نحرص على العلمية والامانة. فنخوض غماره بنزاهة وتجرد ومنهجية ، علنا نقول كلمة بشأنه تكون واضحة ومتميزة ، كما نادى بذلك الفيلسوف ديكارت (ت١٦٥٠م) ، فنؤدي خدمة لطالبي الحق والعلم ٠

جغرافية البلاد

لقد كان تأثير الجغرافية وعواملها الطبيعية كبيرا على

عربة برونزية ـ تل أجرب ٢٦٠٠ ق.م

البشر والتاريخ . وهو أشد في المنطقتين المعروفتين بالشرق الادنى والشرق الاوسط ونظرا لتقلبات المناخ المتفاوتة بدرجة اكبر مما في مناطق اخرى •

تقع البلاد المعروفة باسم (بلاد ما بين النهرين) (وبالاغريقية ميزوبوتاميا Mesopotamia) وهي قريبة الى التسمية الاخرى (بلاد وادي الرافدين) في اسيا الغربية • ورغم انها لا تتصل بالبحر المتوسط من اية ناحية . بشكل مباشر ، فهي تعتبر جزءا من الوحدة الجغرافية الكبيرة لحوض هذا البحر الذي ظنه الاقدمون مركز العالم ، وقد كان قلب حضارات عديدة مدة قرون • وتشمل وحدة البحر المتوسط الجغرافية القسم الشمالي من افريقيا، واسيا الغربية والوسطى ، واوربا الشرقية والغربية ، وكلها ذات مواقع ستراتيجية بالغة الاهمية على الاصعدة كافة ، أعني جغرافيا وتاريخيا وحضاريا وتجاريا وسياسيا ودينيا •

ياتي اسم البلاد من النهرين او الرافدين الكبيرين اللذين يرويانها "زبدا وعسلا" وخيرات وفيرة ، وهما دجلة ، النمر Tigris نظرا لسرعة جريانه . والفرات Euphrates لعذوبةمائه•

ينبع النهران العظيمان ، دجلة والفرات ، من جبال تركية وأرمينية ، ويقطعان جبال العراق وسورية وسهولهما ، حتى يلتقيان قرب القرنة ، مشكلين النهر الكبير (شط العرب) الذي يصب في الخليج العربي ، فيضمن بذلك الامتداد الطبيعي لبلاد وادي الرافدين والجزيرة العربية او البلاد السعيدة Arabia Felix ودول الخليج حاليا • وتفتح له جملة أبواب وثغور ، أهمها الثغور البحرية على البحر الاحمر ، عن طريق خليج عدن ، الذي يصل بلاد وادي الرافدين بنيل مصر والسودان والحبشة وشمال افريقية ، بالاضافة الى

اليونان وايطاليا واوربا عن طريق البحر المتوسط ، كما يصل بلاد ما بين النهرين بالمحيط الهندي عن طريق بحر عمان ، فيتم الاتصال مع دول جنوب اسيا وشرقها . هذا بالاضافة الى الطرق البرية عبر البادية السورية والاردنية والسعودية وعبر الجبال التركية وممراتها العراقية في معلثايا ـ دهوك والعمادية وزاخو ، حتى البحر الاسود وبلاد آرارتو ، وعبر الجبال الايرانية من خلال راوندوز وشهرزور حتى بحر قزوين ، والانفتاح على افغانستان وارمينية واتحاد الجمهوريات السوفييتية . ويتم بذلك انفتاح بلاد وادي الرافدين على العالم القديم باسره ، اذ لم تكن القارتان الامريكيتان ولا اوستراليا وجزء من اقصى الشمال الاوربي وجزء اخر من القارة الافريقية ، مكتشفة بعد .

تحتضن بلاد ما بين النهرين، بالمعنى الواسع ، المناطق الممتدة جنوبا وغربا حتى الخليج والصحراء العربية ، وجزءا من ايران الحالية ، لا سيما ما يسمى بعربستان . اما شرقا فتمتد حتى جبال اسيا العليا ، وحتى حدود ارمينية وسيبريا الروسية في الشمال الشرقي ، وحتى بنطس وقبادوقية وتركيا في الشمال والجنوب الغربي . وتشمل ، بمعنى واسع ايضا ، المناطق الممتدة من لحف الجبال وحتى الخليج محتضنة الجزيرة الفراتية والعراق . اما بحصر المعنى فتطلق التسمية للدلالة على القسم الشمالي ،بحيث تعتبر منطقة بابل الحد الفاصل بين المنطقة المسماة بالجزيرة ،وبين السهل الغريني المسمى ، في المصادر القديمة ، ببابل او العراق الجنوبي ، لذا قيل : بلاد ما بين النهرين العليا ، وبلاد ما بين النهرين السفلى ، كما ينبغي القول : بلاد وادي الرافدين ، دفعا للالتباسات .

اما الحدود السياسية الحالية فترجع الى عهد متأخر جدا تختلف عما كانت عليه بالامس ، وتختلف عن الحدود الطبيعية والجغرافية والتاريخية والحضارية · لذا كان لزاما علينا القول ، في بحوثنا هذه : العراق ، ايران ، سورية تركية ، دول الخليج والخ· دفعا للالتباسات ، مع الحفاظ على التسمية القديمة (بلاد ما بين النهرين) ، او (بلاد وادي الرافدين)حين يكون الكلام على ما يشمل اكثر من قطر أو بلد واحد من الاقطار والبلدان الحالية ·

تنبسط بلاد وادي الرافدين سهلا في الطرف الاعلى من الخليج ، ووواديا ينساب في جانبيه نهران توأمان، وتمتد روابي تنتيه في سلسلة جبال تطال السحب ، وتنفسح الى الغرب والجنوب من الجبال بادية تتلالا فيها نجوم السماء ليلا باروع مايكون · ويرغم حر النهار سكانها على الترحال والتنقل في طول البلاد وعرضها · وسواء على سفوح الجبال ام على ضفاف الانهر، ام في عمق الوديان وانبساط السهول تزدهر الطبيعة بالغرسات والزهور والاشجار واصناف المزروعات يوفرها المناخ والتربة ، كما انها ثمرة جهد انساني قديم العهد جدا ، جعلت من البلاد "جنة" ، تغنى بوصفها تقليد مقدس منذ عصور ، فاعتبرت التوراة (الفردوس الارضي) في هذه البلاد، وصولا الى (دلمون) أو الجنة في البحرين ، كما قالت نصوص الادب الرافدي القديم ·

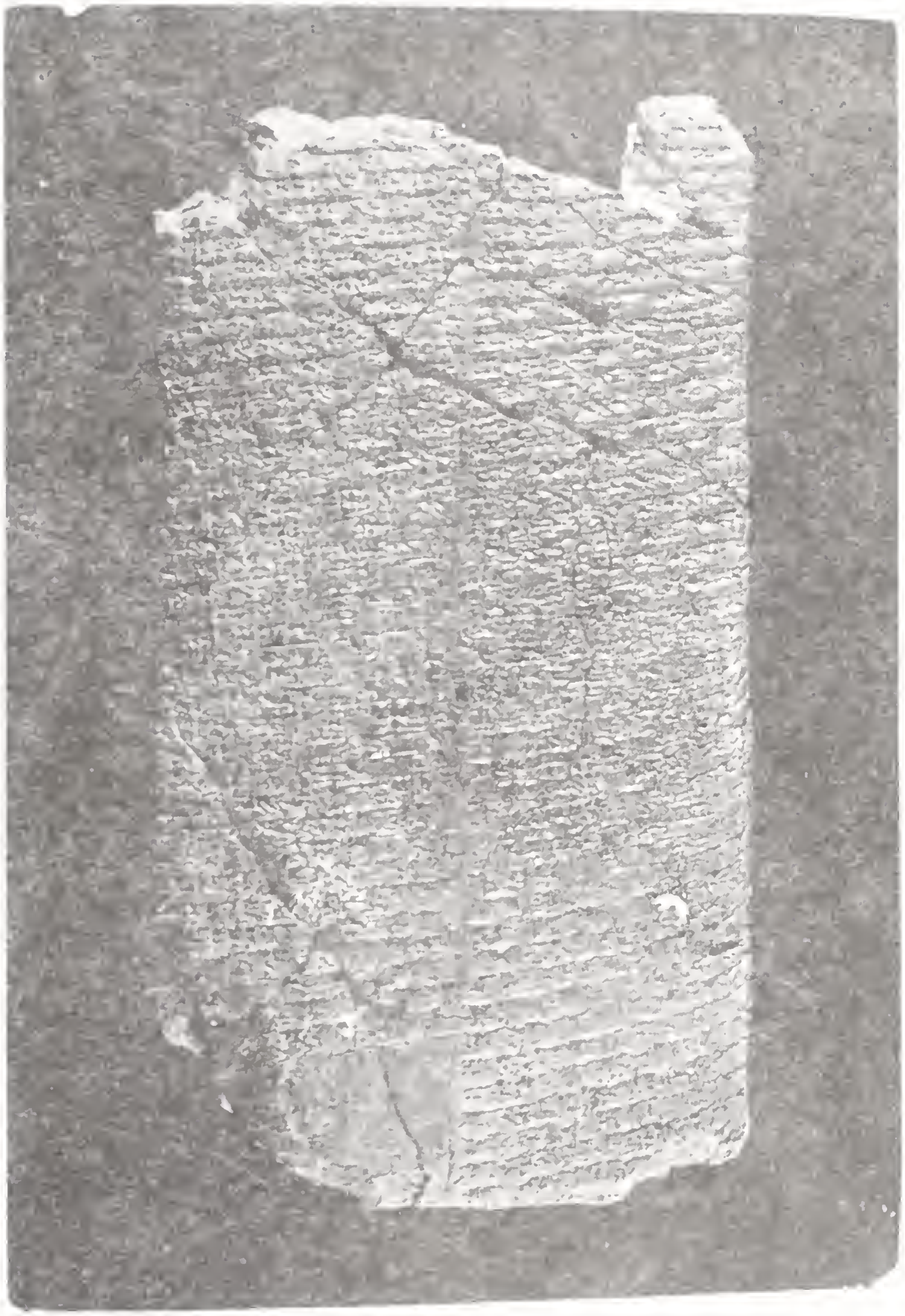

قوانين اشنونا تل حرمل ـــ ١٨٠٠ ق م

جنة عدن والفردوس الارضي

من الاساطير السومرية

"الارض (دلمون) هي الوطن الطاهر
الارض (دلمون) هي المحل النظيف
الارض (دلمون) هي الارض المشرقة ..
ان ذلك المحل نظيف ، انه مشرق
في (دلمون) لاينعق الغراب الاسود
والحدأة لاتصرخ صراخ الحداة
والاسـد لا يفتـك
والذئب لايفترس الحمل
والكلب قاتل الجداء غير معروف هناك
وذكر الخنزير الذي يفترس البغلة غير معروف هناك ..
والارمد لايقول اني ارمـد
ومن به صداع لايشكو من الصداع
وامرأة (دلمون) العجوز لاتشكو من الشيخوخة
ورجل (دلمون) الشيخ لايتبرم من كبر السن ..
والمنشـد لا ينتحب
وفي اطراف المدينة لاينطُقَ بالرثاء (لا يكون عويل) ..
مدينتها تشرب الماء الوفيـر
(دلمون) تشرب مـاء الرخـاء
آبارها ذات الماء المر ، انظر ، تراها وقد اصبحت مياهها عذبة
حقولها ومزارعها انتجت الغلة والقمح
مدينتها ، انظر ، تراها وقد اصبحت دارا للشواطيء ومراسي الارض"

(الاساطير السومرية لصموئيل نوح كريمر ، ترجمة يوسف داود عبد القادر بغـداد ١٩٧١، ص ٨٥ـ٨٧) .

من التـــوراة

"وغرس الرب الاله جنة في عدن شرقا
وجعل هناك الانسان الذي جبله ،
وأنبت الرب الاله من الارض
كل شجرة حسنة المنظر وطيبة المأكل ،
وشجرة الحياة في وسط الجنة ،
وشجرة معرفة الخير والشر ،
وكان نهر يخرج من عدن فيسقي الجنة ،
ومن ثم يتشعب فيصير اربعة ارؤس :
اسم احدها فيشون ، وهو المحيط بجميع ارض الحويلة حيث الذهب ،
وذهب تلك الارض جيد ، هناك المقل وحجر الجزع ،
واسم النهر الثاني جيحون ، وهو المحيط بجميع ارض الحبشة ،
واسم النهر الثالث حداقل (دجلة) ، وهو الجاري في شرقي آشور ،
والنهر الرابع هــو الفــرات .
واخذ الرب الاله الانسان ، وجعله في جنة عدن ليفلحها ويحرسها"
(سفر التكوين ٢:٨ـ١٥)

وتفاعل الانسان مع الطبيعة ، على الصعيد الفكري والاجتماعي ، فأولد حضارة هي الاولى بين جميع حضارات العالم ، اتسمت بالاصالة والاتزان والسمو • وقيمة الحضارة الاساس في مدى العمق الفاعل في الانسان •

لقد كشفت الحفريات عن اثار رائعة ، اظهرت العراق موطنا للتحضر منذ اشراقات المدنية الاولى ، بالاضافة الى اثار الانسان القديم بما يقدر بنصف الى ربع مليون سنة ، لاسيما في كهوف شمالية غربية وشرقية ، ثم نشوء اولى القرى الزراعية والمستوطنات البشرية ، واولى الادوار الحجرية والبرونزية والمعدنية ، بعد انحسار البحر في اواخر الزمن الجيولوجي الاول ، وظهور الاجزاء الشمالية اولا ، ثم ارض العراق كله في الزمن الجيولوجي الثالث ، واتضاح معالم المناطق الجبلية في الشمال والشرق ، والهضبة الصحراوية في الغرب والجنوب ، والسهل الرسوبي في الجنوب •

وكانت الاحوال المناخية في العصور الحجرية تختلف عما هي عليه الان ، رغم تخلل العصور الجليدية الاربعة من حقبات دفء وجفاف نسبي ، حتى استقر المناخ قبل نحو عشرة الاف سنة ، فظهرت مواقع استيطان ملائمة وقامت المستوطنات الاولى ، فالقرى والمدن والعواصم • وقد ابانت تنقيبات سد الموصل (سد صدام) في الاونة الاخيرة كم هي قديمة اولى المظاهر البشرية والادوار الحضارية في العراق •

ويأتي مناخ بلاد الرافدين مابين المناخ الصحراوي الحار ومناخ حوض البحر المتوسط المعتدل • وتعتمد الزراعة على الامطار والري ، وتكثر اشجار النخيل في الجنوب ، بينما تكثر اشجار الزيتون والسرو والصنوبر والجوز دالبلوط وغيرها في الشمال •

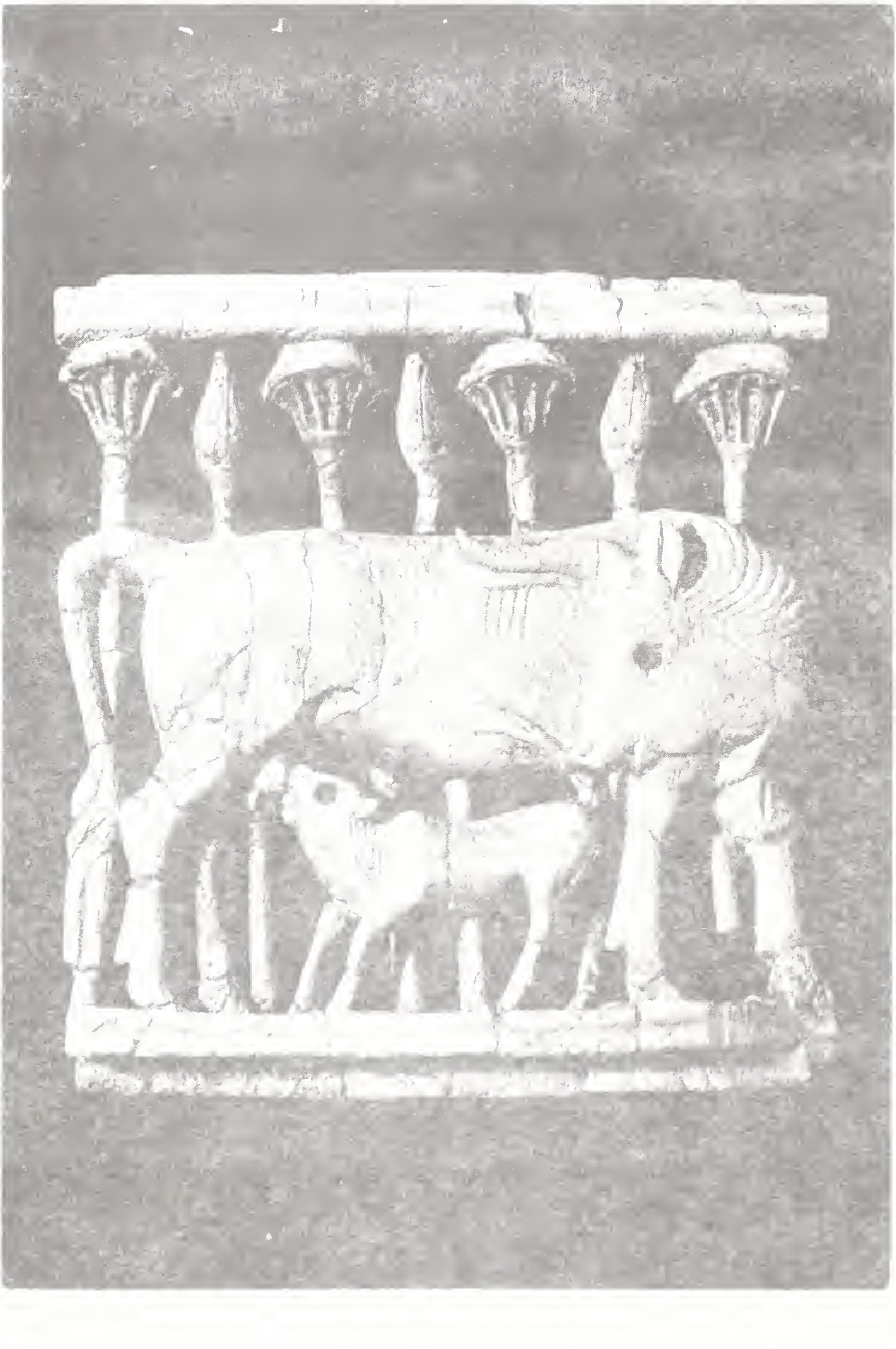

لوح عاج ـ نمرود ٧٢٠ ق‌م

وارتبط نشوء الحضارة في البلاد بنهري دجلة والفرات ، اذ قامت القرى الزراعية الاولى على ضفافيهما ، وعلى ضفاف الجداول والغدران . وكان للرافدين دور كبير في المواصلات الداخلية ونقل اثار الحضارة الى المناطق المجاورة ، بالاضافة الى توسيع حركة التجارة . ويجب ان لانغفل روافد النهرين، وأهمها : الخابور ، ويصب في دجلة قرب فيشخابور غربي زاخو ، والزاب الكبير (زابو ايلو) ويصب في دجلة جنوبي نمرود (كالح) وقد غير مجراه قليلا الى الغرب ، والزاب الصغير (زابو شبالو) ويصب جنوب اشور قرب الشرقاط ، والعظيم (ردانو) ويصب بين بلد وبغداد ، اضافة الى روافد اخرى في اعالي بلاد مابين النهرين وغربيها ، كنهر البليخ الذي يصب في الفرات بعد ان يروي اقليماوسرهوني (ومركزه الرها، اديسا ، اورفا) وحران ، ويمر بالرقة (قالونيقي) ودير الزور، ويصب فيه الجغجغ (هرماس) الذي يمر بنصيبين وتل براك وسكبر ، كما يمر الفرات قبل دخوله الاراضي العراقية بدورا يوربس عند الصالحية ، ثم بالبوكمال (القريبة من ماري القديمة) ، ثم بعانة وراوة وحديثة ، فيصب فيه سيل وادي حوران ، ثم يمر بهيت (يتو) حتى يدخل السهل الرسوبي ، ويقترب من دجلة جنوبي الفلوجة بمسافة ٣٠ كم . ولارتفاع واديه في هذه الربوع ، شقت ترع منه الى دجلة ، فنشأت انهار عيسى ، وصرصر ، وملكا ، وكوشا ، والصراة ، بينما اقيمت حديثا مشاريع الصقلاوية وابو غريب واليوسفية واللطيفية والاسكندرية والمسيب وأنشىء أطراف سامراء مشروع الثرثار في واديه الكبير . وكان نهر اراختو يتفرع قديما لارواء مدينة بابل ، ثم يسير النهر الى كيش (الاحمر) . ونفر

(نيبور) . وفارة (سيروباك) ، واورك (الوركاء) ، حتى يصل منطقة الاهوار . فمدينة لارسا القديمة ، ثم قريبا من اور وهور الحمار ٠

ويلتقي ديالى (قرناه اودور) بدجلة شمالي المدائن (سلوقية ـ طيسفون ـ كوخي وغيرها) ٠ وقد غير دجلة مجراه هنا ايضا في اواخر العهد الساساني الى مجرى ينساب الى الغرب هو الدجيل . ولعله احد مشاريع الري منذ منتصف الالف الثالث ق٠م . وكان الدجيل يمر بواسط . ثم عاد الى مجراه الشرقي في القرن ١٦ م فاندثرت المدينة ٠

ويبلغ طول الفرات ٢٣٥٠ كم . وطول دجلة ١٨٠٠ كم ، والفرات عريض . بينما دجلة سريع الجريان ٠ ويبلغ طول شط العرب من التقاء دجلة والفرات وروافدهما ونهر الكارون ٢٠٣ كم . وعرضه ٤٠٠ م عند العشار . وزهاء ١٥٠٠ م لدى مصبه في الخليج بحيث تستطيع البواخر الكبيرة ان تمخر فيه ٠ وتشير المصادر القديمة الى ان دجلة والفرات كانا يصبان منفصلين في الخليج في عهود سحيقة للقدم ٠ بينما لاصحة للرأي الذي ساد ردحا من الزمن . ومفاده ان راس الخليج العربي كان يحاذي منطقة بغداد . ثم انحسر جنوبا ، فان الاثار والشواهد تثبت العكس . بحيث لم تطرأ الا تحولات طفيفة على موقع الخليج الحالي . بل لعله كان يشغل موقعا اكثر امتدادا الى الجنوب في سالف الازمان . وذلك بسبب ترسبات الانهار التي قللت مياهها مع مر الزمن ٠

وتزداد كمية المياه المنسابة في النهرين الكبيرين . دجلة والفرات ، بنسبة الثلوج والامطار المتساقطة على جبال ارمينية وتركية وشمال العراق ٠ وكثيرا ماتسبب الفيضانات

في شهور نيسان وايار وحزيران ، لذا أنشئت السدود والقنوات منذ اقدم العصور ، وفي الاونة الاخيرة ٠

بعد كل ماذكرنا ، لانستغربن اطلاق تسمية (الهلال الخصيب) على العراق وسورية وفلسطين وشرق الاردن ، كما فعل بريستيد ، لانها رقعة خصيبة ، وبلاد خير ، نادرة المثال ٠

حضارة وادي الرافدين

ليست حضارة بلاد وادي الرافدين وليدة الصدف ، ولا يعود الفضل الى المناخ والموقع والبيئة والثروات الطبيعية ، بقدر مايعود الى صراع انسان وادي الرافدين مع الطبيعة والاقدار ، وصولا الى أول حضارة عرفتها البشرية ، وهي حضارة ذات وزن كبير على صعيد القيم والمنجزات والاسبقية نحاول هنا رصد اهم المعطيات من سائر الاوجه ٠

ظل المرء صيادا متجولا متوحشا ، سكناه الكهوف الجبلية عادة ، حتى تسنى له ان ينعم بالاستقرار والاستيطان ، وذلك بفضل اول ثورة انسانية عرفتها البشرية ، هي الزراعة ، حين توصل انسان وادي الرافدين الى انتاج قوته بنفسه ، فوضع حدا بذلك لعصور طويلة جدا من العفوية الغريزية والبداءة المتوحشة ، بالسعي وراء حيوان لقتله وأكله دون اعداد وطهو، والتقاط ما تجود به الطبيعة من ثمار ونبات ٠٠ وقادته الزراعة الى الالتصاق بالارض ، فكان الاستيطان في رقعة معينة من الارض ، ثم تلا ذلك تدجين حيوانات اليفة صالحة للاكل ، ثم حيوانات اخرى صالحة للعمل فنشأ عن ذلك ضرورة التجمع درءا للمخاطر العديدة ، لاسيما بعد ان انحدر من الجبال

العالية شمالي بلاد مابين النهرين ، الى مناطق اقل ارتفاعا ، وحتى البادية والسهل الرسوبي ، فكانت الحاجة اكبر الى بناء المأوى ، والى عدم البقاء وحيدا شريدا ، لان الجبال العالية وكهوفها لم تعد تحميه من اقرانه الاخرين ومن الوحوش المختلفة فكانت البيوت الاولى ، والقرى الاولى ، والمدن الاولى ، والدول والعواصم ٠

وكان على انسان المنطقة ان يدرأ عنه خطر الفيضانات المتكررة والكاسحة ، فأنشأ السدود والخزانات والترع والقنوات ، وكان عليه ان يعالج جدب الاراضي بتكون مناطق أملاح غير صالحة للزراعة ، فلم يفلح كثيرا ، لذ لم يعرف البزل والتصريف بسرعة ، وتحولت بعض الاراضي بذلك الى صحارى واهوار ، ولا تخلو الاهوار من فوائد ، اذ يعيش فيها الجاموس والخنازير والطيور ، بينما تكثر الجمال في الصحراء

وامتد من وادي الرافدين طريقان تجاريان رئيسان يؤديانَ الى البحر المتوسط غربا ، ينطلق الاول من سبار (قرب الفلوجة) حتى ماري وتدمر (بالميرا) والموانىء الفينيقية ودمشق وفلسطين ٠ اما الاخر ، وهو المفضل صيفا ، فيمر بنينوى وتل حلف وحران وحلب حتى العاصي والبحر المتوسط ٠ وتتفرع منه طرق قيلقية (سيسيليا) والاناضول وأرمينية ٠ وثمة طرق غير آمنة كثيرا ، عبر راوندوز وحلبجة وخانقين ، وصولا الى فارس واورمية واذربيجان ، كما هناك طريق غير جبلي عبر بدره الى الشوش (سوسه) عاصمة عيلام (الاحواز) ، واخيرا طريق الخليج الى الهند والشرق الاقصى ٠

ويدلنا دور حسونة ، الواقعة شمالي الموصل ، على وجود مجموعة حضارية انتشرت في كل المنطقة من دجلة الى البحر

الميت ، وذلك منذ الالف السادس · وتتطور المعالم الحضارية في دور حلف (قرب رأس العين) المنتشر من غربي نينوى حتى البحر المتوسط مرورا بالخابور والبليخ والفرات ، وتزدهر الحضارة في الجنوب من البلاد ، كما يشهد بذلك دور العبيد، قرب اور ، وفي الوسط ، كما نعرف من دور سامراء ، هذا بالاضافة الى اثار العصور القديمة جدا المكتشفة في كهوف الشمال قرب جمجمال ، اشهرها كهف شانيدر ، أو في مواقع قديمة جدا كما في نمريك قرب فايدة ، وهذه كلها شواهد قليلة جدا على ما عرفته بلاد وادي الرافدين من بواكير حضارية كانت سباقة بها على جميع بلاد العالم ·

انما تمت الطفرة الحضارية باكتشاف الكتابة · فحين شاء المرء ان يعبر عن فكره ، اخترع الكلام والرمز ، صورة وكتابة، فكان اهم اختراع ابدعه البشر ، وقد تم على يد انسان وادي الرافدين ، وذلك منذ عهد السومريين في اواخر الالف الرابع ق·م · واستخدم هذا الانسان الطين مادة اولية للكتابة ، كما كان قد استخدمها قبل ذلك للبناء ، لان اقساما كثيرة من اراضيه ، لاسيما في السهل الرسوبي ، لاتعرف الصخور ، بينما نقش على الحجر كتاباته الاولى في المناطق الصلدة · واخترع طريقة تصويرية ، ثم مسمارية اسفينية لتسجيل العقود والقوانين والانتصارات والادعية وسائر المعارف والعلوم التي تيسرت له ·

هو الذي رأى ٠٠ وعرف ٠٠ وافاد من العبر

هو الذي رأى كل شيء ، فغني بذكره يا بلادي
وهو الذي عرف جميع الاشياء ، وافاد من عبرها
وهو الحكيم العارف تكل شيء :
لقد ابصر الاسرار ، وكشف عن الخفايا المكتومة
وجاء بأنباء ماقبل الطوفـــان ٠
لقد سلك طرقا بعيدة متقلبا مابين التعب والراحة
فنقش في نصب من الحجر كل ما عاناه وخبره ٠٠
وهو الذي سعى لينال الحياة الابدية

"تقدم ! ولاتخف ! "
واذا ماهلكت فساخلد لي اسما ٠٠

من اجل انكيدو خلي وصاحبي ، ابكي
وانوح نواح الثكلي
انه الفاس التي في جنبي وقوة ساعدي
والخنجر الذي في حزامي ، والمجن الذي يدرا عني
وفرحتي وبهجتي وكسوة عيدي ٠
تغلبنا معا على الصعاب ، وارتقينا اعالي الجبال
ومسكنا بالثور السماوي ونحرناه
قهرنا خمبابا الساكن في غابة الارز ٠٠
من أجل انكيدو ، خله وصديقه
بكى كلكامش بكاء مـرا ٠٠

فقال كلكامش لـ (اور شناتي) الملاح :
اعل ، يااور ـ شنابي ، وتمش فوق اسوار اوروك ،
افحص قواعد اسوارها ، وانظر الى اجر بنائها
وتيقن أليس من الاجر المفخور ؟
وهلا وضع الحكماء السبعة اسسها ؟
ان (شارا) واحدا خصص للسكن ،
وشارا واحدا لبساتين النخل ،
وشارا واحدا لسهل الري ،
بالاضافة الى حارة معبد عشتار

(من ملحمة كلكامش طبعة طه باقر ، بغداد ١٩٨٠)

وكانت مهمة الكاتب تدوين المراسلات والنصوص والعقود واستنساخ الالواح ، بحيث تشكلت خزانات وثائق ونصوص ومجلدان معظمها رقم طينية · فقد كشف في مدينة تلو عن مجموعة ثلاثين الف لوح منضدة بنظام دقيق ترجع الى سنة ٢٧٠٠ ق·م ، وبلغت مكتبة اشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٦ ق·م) ٢٥ الف مجلد هي اهم حصيلة التراث الفكري والعلمي القديم لبلاد وادي الرافدين ·

وليس لنا ان ندخل في دقائق الامور ، فنتحدث عن الدور الشبيه بالكتابي (٣١٠٠-٢٨٠٠ ق·ع) ، والانتقال من القرية الى المدينة ، واختر ع عملية الفخار ، واستبدال الاختام المنبسطة بالاسطوانية ، ونشوء المعابد الكلسية ونقوش الفسيفساء في الوركاء ، وظهور الكتابة التصويرية على الرقم الطينية باللغة السومرية ، وتكون (الحضارة السومرية) · فقد ظن بعض الباحثين ، في بدايات الامر ، ان هذه الحضارة اقتصرت على القسم الجنوبي من العراق ، بينما اظهرت الحفريات في سد حمرين ، ثم في سد الموصل ، وغيرها من اماكن ، ان الحضارة الرافدية القديمة كانت منتشرة في وادي الرافدين من أقصاه الى أقصاه ، مع التركيز على الرقعة التي كانت تتمركز فيها الادارة السياسية · ولجأ العلماء الى تسمية الادوار الحضارية باسم اول موقع تم فيه اكتشاف اثار تلك الحضارة ، حتى تسنى لهم تجميع السمات المميزة لكل دور بفضل الاكتشافات اللاحقة ·

ومهما قيل بشأن السومريين وأصلهم ، فاننا نعتبر الحضارة السومرية ، بكل ، حق ، حضارة عراقية ، رافدية ، بنهرية ، اذ نحن لا نعرفها الا في العراق ، بمعنى انها ترعرعت ونمت في وادي الرافدين ·

وكان عصر السلالات ، عصر دويلات المدن ، وعددها نحو ثلاث عشرة مدينة تتكون من مجمعات سكنية ، يقوم المعبد في وسطها . ثم أسس سرجون (٢٣٧١-٢٣١٦ ق.م) الامبراطورية الاكدية . ونظرا لما قام به من اعمال عظيمة وانجازات، حيكت حوله الاساطير ، كما حيكت قبله حول كلكامش الذي تكفيه الملحمة الرائعة تخليدا . ثم كانت فترة جمود أيام حكم الكوتيين ، حتى ازدهرت الحضارة من جديد في عهد اور نمو وكوديا ، فشيدت اولى الزقورات ، ووضعت أول شرعة قوانين في العالم . وسقطت اور تاركة الدور التاريخي لايسن ولارسا وبابل ، وايشنونا واشور وماري . ولا بد لنا هنا من ذكر حمورابي العظيم (ت ١٧٥٠ق.م) الذي أرسى دعائم العدل في البلاد .

ودخل الحثيون من آسيا الصغرى ، مدينة بابل ، ثم هاجمها الكشيون واسقطوها ، بينما احتل الحوريون الاجزاء الشمالية من أرض الرافدين . وهولاء أقوام هندو - اوربيون يختلفون عن المشرقيين في الاصل واللغة والعادات . وحكم الكشيون بلاد الرافدين أربعة قرون ، عرف الشرق الادنى خلالها صراعات حادة . فقد استولى المصريون على سورية، وقامت مملكة حورية - ميتانية امتدت من البحر المتوسط حتى جبال زاغروس ، بينما نعمت بابل اثناء ذلك بسلام . وتحركت شعوب البحر (الدوريانيون ، الايوليون ، الايونيون) الى آسيا الصغرى وسورية ومصر ، والمديون والفرس الى الاناضول وايران ، وانتشر الايرانيون في بلاد ما بين النهرين مشكلين عدة دويلات ، كما ظهر الفينيقيون في لبنان وسواحل سورية ، والعبرانيون في فلسطين . وقام اكثر من ملك بابلي

واشوري بحملات على فلسطين ، فسبوا آلاف اليهود الى بابل وقرى نينوى ومناطق أخرى ، فنشأت جاليات يهودية في عدة أماكن من البلاد ، وكتبت بعض أسفار العهدالقديم في هذه المناطق المسماة بالمنفى من قبل اليهود ، مستمدة معطيات حضارية مهمة من بلاد ما بين النهرين ، كما نشأ التلمود البابلي في بابل •

واذا ما عدنا لننوه بأوجه حضارية متميزة ، لزمنا القول ان احترام النصوص القديمة بلغ درجة عالية من القدسية ، بحيث احتفظت النصوص الدينية وغيرها من نصوص مهمة باللغة السومرية ، كلغة مقدسة ، مدة طويلة جدا ،حتى انتشرت الاكدية ، وتفرعت الى بابلية واشورية ، ثم كانت الارامية القديمة ، وقد نبغ كتبة ومؤرخون وأدباء خلدوا ملاحم واساطير ونصوصا ادبية ، أشهرها ملحمة كلكامش ، وملحمة اينوما ايليش (في العلى عندما) ، وملحمة نزول انانا عشتار الى العالم السفلي ، وحكمة احيقار • ودونت أقدم القوانين والشرائع ، أهمها قوانين اورنمو ، ولبت عشتار ، وايشنونا وحمورابي ، بالاضافة الى نصوص رياضية وفلكية ودينية ، وآلاف العقود التجارية ، والواح عديدة تخلد الانتصارات وتحكي الامجاد وتشكر السماء ، تزين القصور والمعابد ، نلقى اليوم العديد منها في المواقع الاثرية والمتاحف العراقية والعالمية ، ويربو عدد الالواح المدونة على المليون لوح ، وهي ثروة تفوق أي ارث حضاري عالمي اخر • ومن منا لم يطلع على احدى الزقورات الشامخة ، وما تزال اثار القسم منها شاخصة كزقورات اور ، وعقرقوف ، والنمرود ، وقصر بابل ونينوى والنمرود واشور وغيرها •

وقد حفظ لنا التاريخ اسم مؤلف بابلي ـ كلداني هو بيروسوس (برحشا) كاهن الاله مردوخ في بابل ، خدم في هيكل انطيوخس سوتيروس (٢٨٠ـ٢٦١ق م) ، ووضع باليونانية ثلاثة مجلدات في المعتقدات البابلية سماها (البابليات Babylonica) وصلتنا منها شذرات في تاريخ الاسكندر وتاريخ اوسابيوس القيصري • ولدى كتبة اخرين ويفيدنا ان نعرف بان بيروسوس لم ينقل أساطير وحكايات وحسب ، انما أفاد اليونانيين بمعلومات تتناول تاريخ بلاد وادي الرافدين ،ذاكرا قوائم ملوك ، منهم من هم اسطوريون. وأشار الى عادات وعلوم كان لها كبير الاثر في الحضارة اليونانية القديمة •

وتذكر لنا بعض الاشارات التاريخية ، من خلال روايات لا نعرف مدى صحتها ، ان الاسكندر المقدوني(٣٣٦ـ٣٢٣ق م) حين دخل بابل ، جمع النصوص القديمة ، وعمل على ترجمتها الى اليونانية ، ولا عجب فهو تلميذ ارسطو الفيلسوف الشهير • وتزيد الرواية بانه امر باتلاف الاصل ، ولعله لم يفعل، انما يهمنا التاكيد هنا على اثر حضارة وادي الرافدين على حضارات المنطقة ، واليونانية بالاخص ، وهذا امر مقبول • وقد أبانت دراسات جديدة مدى تأثر الحضارات العالمية القديمة بحضارة وادي الرافدين • ونضرب مثالا واحدا : تأثر التوراة ، والعبرانيين بالتالي ، بالتراث الرافدي البنهري ، فهناك عشرات الحكايات والقصص في التوراة مستمدة اصلا من تراث وادي الرافدين ، وثمة نصوص عديدة ، حكيمة خاصة ، منقولة بشكل يكاد حرفيا عن ارث العراقيين القدامى •

وبعد فترة انحطاط ، عرفت الدولة الاشورية نهضة في أواخر القرن العاشر ق‌م ، فغدت امبراطورية مترامية ، الاطراف من بحر قزويـن الى وادي النيل ، واتخذ الجالس عـلى عرش نينوى لقب الملك العظيـم ، ملك بلاد اشور ، ملـك الكون ٠ وللجيش لدى الاشوريين مكانة وقوة كبيرتان ٠ وازدهـرت الفنون ، ولا سيما التماثيـل الضخمة لثيران مجنحة وللالواح تمثل الالهة وصور المعارك ومشاهد الصيد ٠ وتمت في نينوى ايضا نساخة الرقم السومرية والبابليـة القديمة، فنشأ بيت المعرفة ، ضم مكتبة مـن اشهر مكتبات العالم ، فيـها نصوص دينية ، ونصوص عرافة لا ينبغي استغلالها ، كمـا فعل اليونانيون القـدامى لتشويـه وجـه حضارة الاشوريـين، بالاضافة الى احتوائها نصوصا جغرافيـة ورياضية وطبيـة وادبيـة ٠

وتمكنـت بابل ايضا مـن النهوض والازدهار، حتـى كـان سقوط نينوى على يدها سنة ٦١٢ق‌م٠ وسـانـد المديـون الايرانيون كلدانيي بابل للقضاء على نينوى ، ولم تستمـر طويلا حملات نبوخذ نصر الثاني المكللة بالظفر،وسقطت بابل ايضا على يد قورش الفارسي سنة ٥٣٩ق‌م، رغم مناعة اسوارها التي كانـت تعتبر مـن معجزات العالم القديم ٠ وما يـزال باب عشتار يزين متحف برلين الشرقيـة ، أما برجها فقـد اندرس بعد ان ترك أسـطورة توراتيـة ٠ وقد وصـف هيرودوتس المؤرخ جمال معبد مردوخ وعظمـة بابل وصفا جميلا ٠

وباحتلال الاخمينيين بابل ، بدأ انحطاط الحضارة الرافديـة الشامخـة ٠

واندحر الفرس امام هجمة الاسكندر الكبير في معركة كوكاميلا عام ٣٣١ق‌م٠ فعرفت بلاد وادي الرافدين فترة هيلينية اذ قسم قادة الاسكندر البلاد فيما بينهم ٠ وتعاقب حكام ضعفاء فتمكن الفرثيون من احتلال بابل سنة ١٢٦ق‌م٠ وسواء في عهد السلوقيين (اليونان) أم في عهد الفرثيين (الفرس) ثم في عهد الساسانيين (الفرس) الذين خلفوهم ، منذ سنة ٢٢٦ م، قامت عدة مدن في بلاد وادي الرافدين ، كانت بعضها عواصم لهولاء الحكام ، كسلوقية (ساليق) الهلينية ، وطيسفون (الفرثية) ، وفيه ـ ارداشير (الساسانية) ، جميعها في منطقة قريبة من بغداد اليوم ، ستشكل ، بالاضافة الى (كوخي) ومدن اخرى كالرومية ،ما أطلق عليه العرب اسم (المدائن)، نقلا عن السريانية المشرقية (مديناثا) ٠

وفي عهد الفرثيين عرفت المسيحية انتشارها في بلاد ما بين النهرين ووادي الرافدين ، ونمت وترعرعت ، وقاست الاضطهادات العنيفة والدموية في عهدهم ، وفي عهد خلفائهم الساسانيين الذي استمر حكمهم منذ سنة ٢٢٦ق‌م وحتى الفتوحات العربية ٠

نختم هذه الفقرة بالقول : ان الرافديين العراقيين القدامى عرفوا العنصرين المهيمنين على الانتاج التاريخي : حب الاستطلاع في معرفة اصول الاشياء باسلوب اسطوري رمزي، والاهتمام بنصوص الماضي ووثائقه واستنساخها ٠ كما لا بد من التنويه بان التقويم عرف ميلاده في بابل ، وهو الوسيلة الضرورية لاحتساب التواريخ وتدوين الاحداث بشكل علمي دقيق ٠

ملحمة الخليقة

عندما لم يكن للسماء أسم بعد ،
عندما لم يكن للارض تحت السماء اسم بعد ،
كان هنالك ثالوث مقدس : ابسو : الغمر العظيم
مجتمع المياه العذبة ، وتيامات : الغمر العظيم ،
مجتمع المياه المالحة ، وممو : الضباب ،
الروح المرفرفة فوق المياه ٠
عندما لم تكن بعد مراع خضر ،
عندما لم تكن بعد اجمات القصب ،
عندما لم يكن بعد حقول
لم يكو بعد الواح قدر ،
اضطرب الماء ، امتزج العذب بالمالح
فولد الكون ٠ مو الزبد كانت الارض ،
من الامواج كانت الجبال ،
وما تطاير من الماء ارتفع سماء فوق سماء ٠٠
أقاموا عرشا الهيا ، أجلسوا مردوخ على العرش
جلس على العرش ليتقبل التاج من ايدي أبائه :
انت المعظم بين الالهة ، انت المؤمر
انت تقسم الاقدار ، لا مرد لاحكامك
انت تعلي من تشاء ، تخفض من تشاء ، لا مرد لحكمك
لن يجرؤ اله على امتيازاتك
في كل هيكل لك نصب ، فانت سيد هياكل الالهة ٠
انت المنتقم ٠ ملكناك علينا
وفي المجلس المقدس لن يفتح اله فمه ٠
لتكن اسلحتك فتاكة
احم من وضع ثقته بك ،
اقتل من الالهة من تزوج الشر ٠٠
صنع مردوخ منازل للالهة
خلق الابراج ، ثبتها في اماكنها
حدد الازمنة ، جعل السنة فصولا
ولكل شهر من الاشهر الاثني عشر ثلاثة ابراج
حدد الايام بابراجها ٠٠

حدث مردوخ ايا قائلا :
اني خالق دما ، اني خالق عظما
منهما سأخلق الانسان
ساخلق الانسان ليخدم الالهة
أفك أسر الالهة ، احررها من عبوديتها ..

(من ملحمة : في العلى عندما ـ اينوما ايليش ،
ملاحم واساطير لانيس فريحه ، بيروت ١٩٧٩)

حارس قصر نمرود : الثور المجنح

أصل مسيحيي كنيسة المشرق

بعد هذا التجوال في رحاب تاريخ المنطقة ، نعود فنسأل سؤالا كثيرا ما قض مضاجع العديدين ، وسبب اثارات ومشاكل نريد العمل على ازالتها بأساليب علمية ٠ والسؤال المطروح هو: ما اصل المسيحيين في بلاد ما بين النهرين ووادي الرافدين؟

لا بد لنا ، اولا ، من التمييز بين اوائل مسيحيي هذه البلاد ، والمسيحيين الحاليين في العراق وبعض البلدان المجاورة ، فان بعض المسيحيين الحاليين ، كالارمن مثلا ، حديثو العهد نسبيا ٠

ومن الضرورة بمكان القول ان (كنيسة المشرق) عرفت عبر تاريخها امتدادات واسعة ، حتى الهند وبلدان الشرق الاقصى ، ثم كان الانحسار ، والاستقلال ، كما بشأن (المباريين) الهنود ، ونحن لا نقصد هنا تلك الاقوام غير الرافدية ، فهي معلومة ، انما نقصد اتباع كنيسة المشرق الساكنين بلاد ما بين النهرين والمناطق المتاخمة ،اوالذين انتقلوا من مكان الى اخر في ازمنة يمكن تشخيصها ٠ نقول : ان غالبية هولاء المسيحيين ، سواء كانوا اليوم في العراق ، ام في بلاد متاخمة ، هم من اصل الاقوام والشعوب الذين سكنوا هذه البلاد بعينها ، منذ اقدم العصور وحتى انتشار المسيحية في صفوفهم ، وبقائهم على اصولهم منذ القرن الاول للميلاد فما بعده ٠

وقد رأينا كم قد تعاقبت اقوام في بلاد ما بين النهرين ووادي الرافدين والمناطق المجاورة ، وكم كان ثمة من تزاوج واختلاط ، بل وامتزاج بالفكر واللغة والعادات والمذاهب ، نتيجة ذلك كله ٠

لذا ، فرغم قيام بنية اجتماعية قديمة وظاهرة عامة ، تعزل قوما عن قوم ، ولغات وعادات ومذاهب عن أخرى ، لم تقو العقليات عن منع التزاوج والتمازج ، بل اننا نلقى ظاهرة الاختلاط كبيرة لدى قوم معين ، وفي فترة دون اخرى ، بينما قد تكون ضعيفة احيانا لدى اخرين او من ازمنة ومناطق اخرى .

وبحكم الانتماء الديني الجديد ، شكل مسيحيو كنيسة المشرق جماعة خاصة وشعبا متميزا ، احتضن أفرادا وجماعات متعددي الاصول ، فكانوا منه ومنهم ، دون ان يفقد احد خصوصياته ، ودون ان يظل شخص واحد غريبا أو دخيلا ، لان الوحدة العميقة هي صفة ملازمة صميما للانتماء الجديد الى جسم الجماعة الواحدة ، واي تباين اساسي يعني انفصام عرى شركة المحبة . فكان جميع مسيحيي كنيسة المشرق بذلك واحدا . اما الانقسامات المذهبية ، والطائفية فيما بعد ، فلم يكن لها ان تنشيء فروقا قومية ، بالمدلول الحديث للكلمة ، لانها كانت دينية ، لا اجتماعية اوسياسية . ولانتناسى امرا ذا أهمية ، هو ان سكان بعض المناطق ، كالقبائل أو العشائر المنحصرة ضمن نطاق منطقة او انتماء اخر ، كانوا ينتمون الى كنيسة المشرق ككل ، وقد يجوز انهم انحسروا عنها ، اذ ان هولاء يعرفون الاختلاط والتمازج ، كالافراد ، والمجاميع الصغيرة ، بعكس سكان الرقع الواسعة الذين يميلون الى التشابك والانفتاح .

يتضح مما ذكرناه بايجاز ، ان مسيحيي بلاد وادي الرافدين وما بين النهرين ، بالمعنى الاوسع ، هم من أصل واحد ، وان هذا الاصل متعدد الفروع كتعدد سكان المنطقة عبر تاريخها

المديد المجيد ، مع امكانية ارجاع الجميع الى اصل قديم واحد، وامكان تأشير المنطقة في ظرف معين بشنعب ما وفقا للبيئة الطبيعية او للاوضاع الاجتماعية · ولا بد من تحاشي نزعات تريد ارجاع مسيحيي المنطقة الى اصول غريبة عنها· وعلينا ان نعمل على اشاعة الوعي لكي يتخذ المفهوم القومي الحضاري والانساني مكانته ، فتزول ترسبات التباعد والفرقة ، وتتعمق اواصر القربى والوحدة ،وتخلد الحقيقة : كلكم أخوة.وتتنامى الامنية عزيزة : ليكونوا واحدا · · ·

تسمية (كنيسة المشرق)

ثمه تسميات كثيرة عرفها التاريخ · وقد طرحت تسميات جديدة في العقود الاخيرة· وحاول ويحاول الكثيرون شمول جميع مسيحيي بلاد ما بين النهرين ووادي الرافدين والاطراف المجاورة بتسمية عامة ، فأفلح الذين فطنوا لتعددية التسميات والاصل الواحد ، واخفق الذين لم يقيموا وزنا لذلك · فقد كان ثمة اختلاف في التسمية عبر الادوار التاريخية المتعددة ولاسباب شتى ·

ودون الولوج في التفاصيل ، نوضح الامر تاريخيا ،محاولين اقتراح تسمية ليست بالجديدة ، بل عريقة ، وعامة ،متميزة، عساها تنال قبول أفضل من تسميات اخرى شائعة أو مقترحة من قبل اخرين ·

لم يكن المسيحيون الاوائل بحاجة الى تسميات خاصة عدا تسمية "مسيحيين"، أطلقت على من امنوا بالبشرى (الانجيل) : وكونوا جماعة شركة المحبة (الكنيسة) ، كما حدث في انطاكية (اعمال ١١:٢٦) : ثم في سائر الاماكن ·

وكان لا بد من تسميات تميز "كنيسة" منطقة عن "الكنائس" أو الجماعات المسيحية الاخرى ، فقيل "كنيسة روما" ، وكان المقصود اكثر من تسمية مسيحيي مدينة روما نفسها ، بحيث تجاوزت التسمية حدود الموقع الجغرافي ، متخذة مصطلحا ذا صيغة مركزية أو رئاسية ، بالاضافة الى اللون الاجتماعي أو السياسي القائم ٠ وقيل "كنيسة اورشليم" اي كنيسة القدس واليهودية ، بل فلسطين ، وقيل "كنيسة انطاكية "، و "كنيسة الاسكندرية" ، والمقصود اكثر من الجماعات المسيحية لهذه المدن ٠

وبشأن مسيحيي بلاد ما بين النهرين ، قيل "كنيسة الرها" (اورفا ـ اديسا) ، وكنيسة سلوقية ـ طيسفون (ساليق وقطيسفون ـ المدائن) ، وذلك نسبة الى مملكة (الرها) ،وعاصمة (المدائن) ، فكان التميز ؛ بينما قيل "كنيسة المشرق" ، بدلالة أوسع ، وكان التميز كنسيا تنظيميا له ما يبرره: خلفية طبيعية ، تاريخية ، حضارية ٠ وقيل "كنيسة فارس" ، بمدلول سياسي نظرا لوقوع حكم الفرثيين ثم الساسانيين في البلاد ايام انتشار المسيحية فيها ، وتمييزا عن الكنيسة، بل الكنائس التي في بلاد الروم ، الواقعة تحت حكم الرومانيين ثم البيزنطيين ٠

وحين قيل "كنيسة المشرق" ،كان المقصود ايضا تمييزها عن "كنيسة الغرب" ٠وتختلف "كنيسة المشرق " عن (الكنيسة الشرقية) ، لان (كنيسة الغرب) انتشرت الى (غربية)و"شرقية" وسوف يسمى مسيحيو الامبراطورية الرومانية الشرقية شرقيين ، ثم سوف تعم التسمية على جميع من هم ليسوا بغربيين أو لاتين تابعين لكنيسة روما ، وحتى على كنائس غربية أخرى ٠

والشرق والغرب نسبيان، المقصود بهما قديما شرقي الفرات وغربيه : ثــم اختلفــت التسميــة : كمــا المحنــا ٠

لذا أفضل استعمال (كنيسة المشرق) تجنبا لاي التبـاس اذ ان كنائس القدس وانطاكيــة والاسكندرية والقسطنطينية (بيزنطيــة) : وغيرها مــن كنائس دول الكتلة الاشتراكيــة، هي "كنائس شرقية" ، لكنها ليست "مشرقية" بالمعنى الدقيق والحصري ، بحيــث تختص كنيسة وادي الرافدين ، مــع امتداداتها التاريخيــة المتعددة والمختلفة ، بتسمية تميــزهــا عــن سائر الكنائس الاخرى هي (كنيسة المشرق) ، وهــو اجتهاد موفق في العربيــة خاصــة ، بينما تظل الصعوبــة قائمة في اللغات الاجنبيــة ٠

ثم كانت الاجتهادات الفكرية والجدالات اللاهوتيـــة والفلسفية ، والمشاحنات المذهبية ، والخلافات الرئاســية ، ورغم ان معظمها تم في أجواء غريبة عن قلب كنيسة المشرق ، ومركزها سلوقية ـ طيسفون ـ كـوخي ، فقــد تمكنت من التغلغل في صفوفها ، بحيث قسمتها الى فئة الاخذين بمذهب نسطور بطريرك القسطنطينية ، وفئــة التابعين ليعــقوب البرادعي ، بحيث سموا بعضهم ، من باب التشهير : "نساطرة" أو "نسطوريين" و "يعاقبة" او "يعقوبيين" ، بينما كانت قــد انتشرت تسمية اخرى ، أساسها لغوي ومضمونها ديني ، هي لفظة (سورايي) ، او (سوريايي) ، ونقلت الى العربية بلفظتي (سريان) و (سريانيين) ، واللغة (سريانية) ٠ فقيل (سريــان مشارقة) و (سريان مغاربة) ، دون ان يعني مدلول المشارقــة والمغاربة هنا المدلول القديم ، بــل الانتماء المذهبي ، بمعنى النســطوري للمشــرقيين ، واليعــقوبي ـ الارثــوذكسـي للمغربيين ٠ والراجح ان تكون تسمية (سوريايا) اللغوية ، اي

(السريانية) بالعربية ، مشتقة من (سوريا) • وهذه من (أسيريا) وفقا للفظ اليوناني ، وهذه من اسور اي (اشور) :

Syriac, Syrian, Syria, Assyria : Assur.

وثمة موقع صغير قديم باسم (سورية) في بلاد الشام ، والتسميات متحركة عادة وقد تخلتف الاصول عن المدلولات اللاحقة للتسميات :

وعلينا ان ننتظر القرن السادس عشر ، ثم السابع عشر وحتى التاسع عشر ، لكي نلقى تميز المذاهب المسيحية المشرقية بتسميات اصبحت لاصقة بها في ايامنا ، حين اتخذ الشطر "الكاثوليكي" من كنيسة المشرق اسم (كلدان) ، بينما فضل الشطر النسطوري اسم (اثوريين) ، وكرس اتباع كنيسة المشرق المغاربة اسم (سريان) ، وقيل (سريان كاثوليك) لمن اعتبروا ،كالكلدان ، كنيسة روما مرجعهم الاخير ، واكد الذين اعتبروا كرسي انطاكية اصلا لكنيستهم اسم (ارثوذكس) ، تيمنا بالكنائس الارثوذكسية الاخرى ، وقد كانت تطلق تسمية (الارثوذكس) على البيزنطيين وحدهم في بدايات الامر

هكذا اذا انشطرت (كنيسة المشرق) الواحدة الى اربع مجموعات في بلاد مابين النهرين : كلدان واثوريون ، سريان ارثوذكس وسريان كاثوليك • ولا بد لنا من اضافة كنيسة الهند او مسيحيي مار توما ، فهم وكنيسة المشرق كنيسة واحدة خلال فترة طويلة من الزمن ، انقسموا هم ايضا الى الاقسام الاربعة المذكورة اعلاه فقيل : ملباريون ، نساطرة او مشرقيون ، ملنكاريون ، سريان ارثوذكس • وانقسم مؤخرا الاثوريون الى فئتين ، وسرى ذلك على اثوريي الملبار (الهند) فداخلتهم انقسامات عديدة.ولن نمضي ابعد من ذلك فنتحدث عن الموارنة والروم الارثوذكس والروم الكاثوليك الذين

كانت ، أو ما تزال ، السريانية لغتهم الطقسية ، فذلك مما يتعدى نطاق بحثنا وسوف نتطرق الى الروم الذين عملوا مع غيرهم من مسيحيي العراق على تطوير العلوم والمعرفة في بغداد عاصمة الخلافة العباسية ٠

لابد لنا هنا ايضا من القول : ان التسميات ، مهما كان نوعها واصلها ووقعها ، تظل امورا ثانوية نسبة الى الوحدة الاساس التي تجمع اعضاء كنيسة المشرق في جسد واحد ، رأسه المسيح الواحد ، ولكل عضو موقعه من الجسد ،وللتنوع فيه جمالية وفوائد متى كانت الروحية عميقة تعطي للمشترك الواحد قيمته العليا ، وللامور الاخرى موقعا ثانويا ٠ فالحقيقة الناصعة تكشف بان مؤمني بلاد وادي الرافدين وما بين النهرين ومناطق متاخمة هم جميعا مشرقيون ، وان الكنيسة التي انتظموا فيها جماعات وخورنات وابرشيات هي واحدة، وان الهدف الذي ينبغي ان يسعوا نحوه هو توحيد الرأي ، والشعور ، والعمل ، فيكونوا آية محبة في المعتقد والممارسة ٠

يقول اغناطيوس الانطاكي (استشهد سنة ١٠٧ م) : "من المفيد ان تكونوا في وحدة لا تشوبها شائبة حتى تكونوا في وحدة دائمة مع الله ٠٠ اذا عجزت الشقاقات والخلافات ان تنال منكم ، فانكم تثبتون انكم تحيون بحسب الله" (الرسالة الى افسس) ٠

٢

الفجـــر الجميـــل

المبحث الثاني

البدايـــات ١/٢

كنيسة المســـيح

الكنيسة لاهوتيا سر المسيح ، اية الاتحاد الصميم باللـه ، وحدة الجنس البشري ·

أنشأها المسيح قبل الفي عام ، وانتشرت على يد رسلـه وتلاميذه ، نورا بدد ظلمات جهل وعبوديات شتى ، وحبا وحـد الناس والقلوب ، فغدا جميع المؤمنين جسدا واحدا ، شركـة ملء الحياة والسعادة ·

ولد يسوع المسيح نحو عام ٧٤٧ لروما (سنة ٥ـ٧ ق·م) في عهد اغسطس قيصر ، في مغارة بيت لحم اليهودية · وفي السنة ١٥ من ملك طيباريوس قيصر (١٤ـ٣٧ م) ، اي سنة ٢٧/٢٨م، كانت كلمة الله الى يوحنا المعمدان ، فشرع يكرز على ضفاف الاردن ، ممهدا السبيل لرسالة المسيح · وافتتح المسـيح كرازته في مطلع شتاء ٢٨/٢٩م ، ايام كـــان بيلاطس البنطي واليا رومانيا على اليهودية ، وكانت اليهودية قد الحقت مؤخرا بولاية سورية ، ولروما مفوض امبراطوري فيها ، وكان حنان وقيافا في رئاسة الكهنوت اليهودي ·

كان الشعب اليهودي رازحا تحت وطأة ثقل اجتماعي وتدين شكلي ، بالاضافة الى حكم الرومان ، وكان ينتظر ملكا محررا رغم اعلان الانبياء عن مجيء مخلص روحي · وجاء المسيح فاديا للبشر ، مؤكدا على النية والباطن والقلب ، مندداً بالظواهـر والمظاهر والتمسك المتزمت والسطحي بتقاليد بالية ، فكـان كلمة حياة مثالية ، تكللت بالتضحية والفداء ، كحبه الحنطـة،

سقطت في الارض فأفزعت ، لذا آمن به الكثيرون ، وصاروا له خير شهود في العالم اجمع ، ولم يبخلوا بأعـــز مالهم ، حتى استشهدوا الوفا وكونوا شعبا جديدا ، ومجتمعا مثاليا مختلفا عن المجتمع المتهرئ ، وغدت دماؤهم بذار حياة حب ، تتجـدد ابــــدا ٠

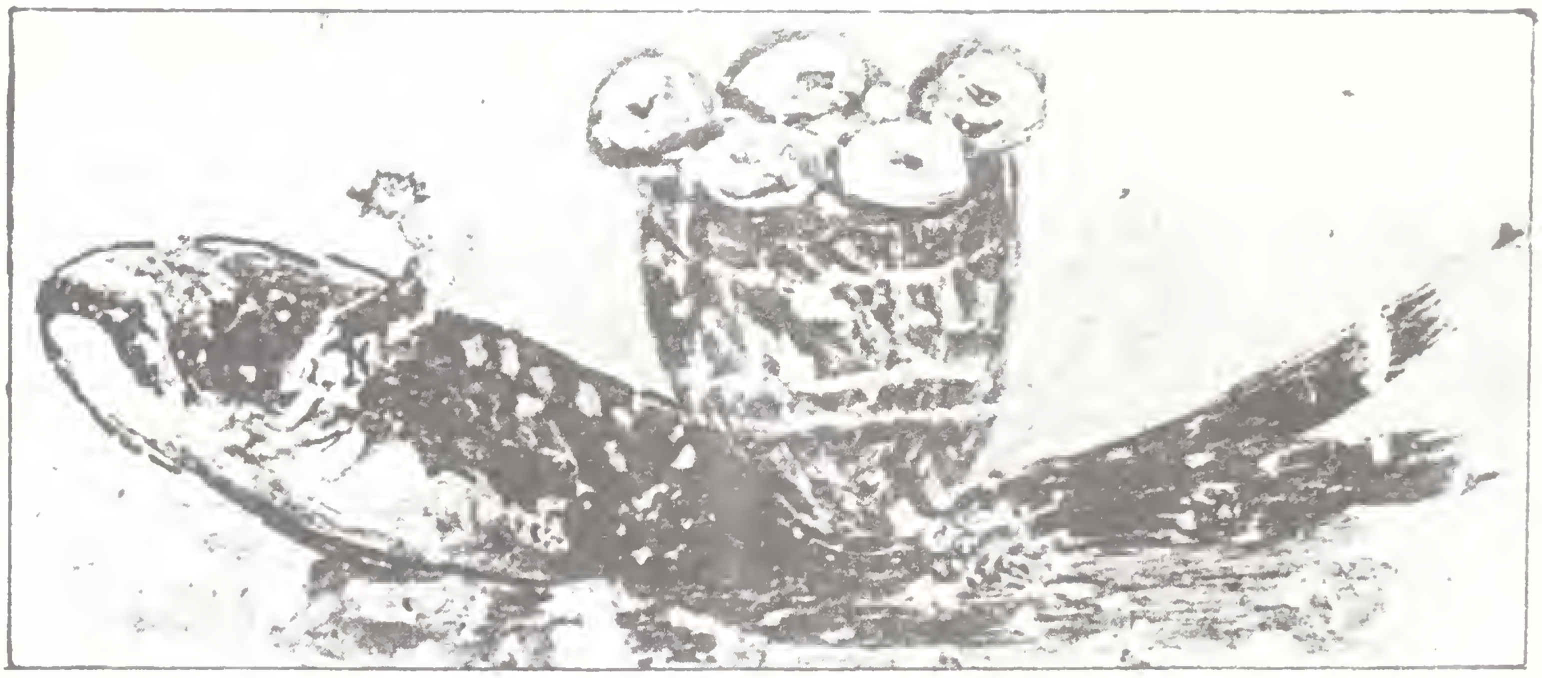

من العهد الجديـــد

تجسد الكلمة

"في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان لدى الله ،والكلمة هو الله.
كان في البدء لدى اللــه .
به كان كل شيء ، وبدونه ما كان شيء مما كان.
فيه كانت الحياة ، والحياة نور الناس
والنور يشرق في الظلمات ، ولم تدركه الظلمات .
الكلمة هو النور الحق الاتي الى العالم والمنير كل انسان .
والكلمة صار جسدا (بشرا) ، فسكن بيننا
فرأينا مجده ، مجد الابن الوحيد من لدن الاب
ملوءه النعمة والحـــق"
(يوحنا ١:١ـ١٤)

التطويبات

"طوبى لفقراء الروح ، فان لهم ملكوت السماوات
طوبى للودعاء ، فانهم يرثون الارض
طوبى للحزانى ، فانهم يعزون
طوبى للجياع والعطاش الى البر ، فانهم يشبعون
طوبى للرحماء ، فانهم يرحمون
طوبى لاطهار القلوب ، فانهم يشاهدون الله
طوبى للساعين الى السلام ، فانهم ابناء الله يدعون
طوبى للمضطهدين من أجل البر ، فان لهم ملكوت السماوات"
(متى ٥:٣ـ١٠)

المسؤولية خدمــــة

"من اراد ان يكون كبيرا فيكم ، فليكن لكم خادما
ومن اراد ان يكون الاول فيكم ، فليكن لاجمعكم عبدا
لان ابن الانسان لم يأت ليخدم ، بل ليخدم
ويفدي بنفسه جماعة الناس"
(مرقس ١٠:٤٣ـ٤٥)

انشودة الميلاد

"المجد لله في العلى
وعلى الارض السلام
والرجاء الصالح (المسرة) لبني البشر"
(لوقــا ٢:١٤)

رسالة المســيح

"أتيت لتكون الحياة للناس ، وتفيض فيهم
انا الراعي الصالح ، والراعي الصالح يبذل نفسه في ســـــبيل الخــــراف"
(يوحنا ١٠:١٠ـ١١)

"انا القيامة والحياة
من آمن بي ، وان مات ، فسيحيا ،
وكل من يحيا ويؤمن بي ، لن يموت الى الابد"
(يوحنا ١١:٢٥ـ٢٦)

"انا الطريق والحق والحياة
لايمضي احد الى الى الاب الا بي" (يوحنا ١٤:٦ـ٧)

وصية المسيح

"أوصيكم وصية جديدة :
أحبو بعضكم بعضا ·
كما احببتكم انا ، احبوا انتم ايضا بعضكم بعضا
اذا احب بعضكم بعضا
عرف الناس جميعا انكم تلاميذي"
(يوحنا ١٣:٣٤ـ٣٥)

"انا الكرمة وانتم الاغصان
فمن ثبت فيه ، ذاك يثمر ثمرا كثيرا
لانكم بدوني لاتستطيعون ان تعملوا شيئا" (يوحنا ١٥:٥)

"يا ابتاه ·
ليكونوا ، هم ايضا ، مقدسين بالحق ·
ليكونوا باجمعهم واحدا ·
ليكونوا واحدا كما نحن واحدا" (يوحنا ١٧:١٩ـ٢٢)

حياة الجماعة المسيحية الاولى

"وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والمشاركة وكسر الخبز والصلوات ·

واستولى الخوف على جميع النفوس لما كان يجري على ايدي الرسل من الاعاجيب والايات ·

وكان جميع الذين امنوا جماعة واحدة ،
يجعلون كل شيء مشتركا بينهم ،
يبيعون املاكهم واموالهم ، ويتقاسمون الثمن على قدر احتياج كل منهم ،
يلازمون الهيكل كل يوم بقلب واحد ،
ويكسرون الخبز في البيوت ،

ويتناولون الطعام بابتهاج وسلامة قلب
يسبحون الله ، وينالون حظوة عند الشعب كله"
(اعمال ٢:٤٢ـ٤٧)

المحبة فوق كل شيء

"انتم جسد المسيح . وكل واحد منكم عضو للاخرين •
وقد اقام الله في الكنيسة الرسل اولا . والانبياء ثانيا ، والمعلمين ثالثا .
ثم منح هبة المعجزات والقدرة على الشفاء . وحسن الادارة ، والتكلم بمختلف اللغات •
تشوقوا الى المواهب العظمى ، واني ادلكم على افضل الطرق:
لو تكلمت بلغات الناس والملائكة . ولم تكن لدي المحبة ، فما انا الا نحاس يطن أو صنج يرن •
ولو وهبت لي النبوءة ، وكنت عالما بجميع الاسرار ، عارفا كل شيء .
ولي الايمان الكامل انقل به الجبال ، ولم تكن في المحبة ، فما انا بشيء •
ولو فرقت جميع اموالي ، وقدمت جسدي ليحرق ،ولم تكن لدي المحبة ، فما يجديني ذلك نفعا •
المحبة حليمة مترفقة • المحبة لاتعرف الحسد ولا العجب ولا الكبرياء ،
ولا تفعل السوء . ولاتسعى الى منفعتها ، ولا تحنق ، ولاتبالي بما ينالها من سوء ،
ولا تفرح بالظلم ، بل تفرح بالحق • تعذر كل شيء ،وتصدق كل شيء • وترجو كل شيء •
وتصبر على كل شيء • المحبة لاتزول ابدا "
(رسالة بولس الاولى الى اهل قورنثس ١٢ـ١٣)

كثيرون امنـــوا بالبشرى ، غير ان جماعة اورشـــليم "المسيحية" لم تعدّ سوى ١٢٠ نفرا ساعة صعود المسيح عـام ٣٤م ، ثم آمن ثلاثة الاف نسمة يوم حلول الروح القـــدس (العنصرة) ، وتضاعف العدد ، حتى انتشر المؤمنون في كـــل مكان، وكانوا متحدين في جسد متراص محكم ، كلّ شيء بينهم مشتركا ، يجتمعون للصلاة معا ، ولكسر الخبز ، بقلب واحد ونفس واحدة ، بحيث تميزوا عن الوثنيين واليهود ، بصفتهم اخوة محبة ، وشركة ايمان .

ويهمنا التأكيد على نشوء الكنيسة في انطاكية منذ الايـام الاولى ، وكيف ان اتباع يسوع الناصري عرفوا فيها اســـم (مسيحيين) لاول مرة ، ونظرا لان لانطاكية الفضل في تحقيق الانفتاح المسيحي على جميع الناس ، والخروج من التقوقـــع المتهود والانكماش الضيق ، فقد عملت انطاكية على ان يعـقد اول مجمع كنسي في اورشليم (القدس) سنة ٤٩م ، مارســت الكنيسة به صيغتها الجماعية بمحبة واخوة . ومؤمنو انطاكية اول من شعروا بوجوب مساعدة اخوانهم المعوزين من كنيسة اورشـــليم .

ولانطاكيـة دور مهم في الكنيسة ، وبالاخص في كنيســة المشرق ، فهي اقرب كنيسة اليها، بحيـث اعتبرها بعضهـم بمثابة الكنيسة الام . ومـن الصعوبة بمكان التحديد أيـن تنتهي كنيسة انطاكيـة وايـن تبدأ كنيسة المشرق ، لا سيما في السنوات الاولى حيـن لم تكـن بعد تقسيمات اداريــة مركزية واضحة. ولئـن تبنت كنيسة انطاكيـة اللغة اليونانية

لغة رسميـة كنسية لها ، وكنيسة المشرق اللغة السريانيـة. فذلك لا يعني ان جميـع مؤمني ومؤلفـي كنيسـة انطاكيـة "يونانيون" ، وكذا الامر بشأن التشابك اللغوي والحضـاري الذي كثيرا ما اولد اشكالات جمة •

انطلق بطرس الى انطاكيـة وروما للتبشير . وانطلق بولس وبرنابا ومرقس وسيلا ، ثم بولس يعاونه آخرون في رحـلات رسولية شملت عدة اماكـن مـن بلاد ما بين النهريـن واسيا الصغرى واليونان وايطاليـا واسبانيا • وانتشر الرسـل الحواريون الاخرون في كل مكان • ودون بعضهم نصـوص الانجيـل الاربعة • واول مـن فعل ذلك الرسول متى ، فكتب انجيله بالاراميـة ، ثم مرقس ولوقا يوحنا• وكتب رسـل اخرون رسائل تعليمية مفيدة . اشهرها رسائل مار بولـس رسول الامم . ورسائل بطرس ويعقوب ويهوذا ويوحنا • امـا آهم سفر رصد حياة الكنيسة الناشئة فهو سفر اعمال الرسل دبجه لوقا الطبيـب تلميـذ بولس وصاحب النص الثالـث مـن النصوص الانجيلية الاربعة •

تعليم الرسل

" يوجد طريقان : طريق للحياة وطريق للموت . والفرق بين الاثنين كبير .

طريق الحياة هو الاتي : اولا . احبب الرب الذي خلقك . وثانيا . احبب قريبك كنفسك .

ما لا تريد ان يفعله الناس بك . لا تفعله انت مع الاخرين.

كل من جاء وعلمكم كل ما سبق ، فاقبلوه .

اما اذا علمكم تعليما مغايرا بقصد الهدم ، فلا تسمعوه .

واما اذا اراد ان يزيد المعرفة والعدالة بالسيد ، فاقبلوه كقبولكم للسيد (المسيح) ..

اجتمعوا نها راحد الرب . واكسروا الخبز ، وقدموا الشكر لله بعد ان تكونوا قد اعترفتم بخطاياكم لتكون تقدمتكم نقية ..

اقيموا لكم اساقفة وشمامسة جديرين بالرب ، رجالا ودعاء ، غير محبين للمال ، مخلصين ، مجربين . وليكونوا عندكم في مكان الانبياء والمعلمين .."

(الديداكية أو تعليم الرسل من مطلع القرن ٢ ، عن كتاب (الاباء الرسوليون). ترجمة المطران الياس معوض بيروت ١٩٧٠ ، ص ٥٥-٦٩)

التقليد الرسولي

"ليرسم اسقفا من يختاره الشعب كله ، وهو بلا لوم. ويتم الاعلان عن الاسم . فاذا ما لقي اجماع الاراء ، يجتمع نهار الاحد الشعب وجميع الكهنة والاساقفة الحاضرين . وهولاء الاخيرون ، برضى الجميع ، يضعون ايديهم على

المنتخب . بينما يحضر الكهنة دون القيام بعمل ما . ويصمت الجميع . مصلين في قلوبهم لاستمداد حلول الروح القدس ثم يضع احد الاساقفة الحاضرين يده . بطلب منهم . على من يقتبل الرسامة الاسقفية . ويصلي ..."

(التقليد الرسولي لهيبوليت الروماني . من مطلع القرن ٣ ترجمتي)

مار توما بطرس والمسيح القائم مخطوطة كنيسة تلكيف لسنة ـ ١٦٧٦ م ــ ٢٠١٨ يو

هكذا عرفت المسيحية انتشارها ، منذ السنوات الاولى لولادتها ، في مناطق عديدة ؟ فهل اقتصر الامر على البلاد التي كانت خاضعة لحكم الرومان، أم أتعدتها الى البلاد الاخرى ؟

الجواب هنا صريح وواضح : انطلق الرسل والتلاميذ الاولون الى مختلف ارجاء العالم المعروف يومذاك ، مبشرين بالانجيل ، بحيث يمكننا القول انهم اقتسموا البلاد كلها كما يشهد بذلك اوائل المؤرخين الكنسيين ، اوسابيوس القيصري ، وسوزومين ، وسقراط ، وبوليوس الافريقي ، وايريناوس، وترتليانوس ، وقوزما وغيرهم ، بالاضافة الى كتبة شرقيين اخرين سوف يرد ذكرهم .

وبينما نلقى كنيسة الغرب لا تتعدى ، حتى القرن الثالث للميلاد ، نطاق المدن والاوساط الثقافية الا بشكل محدود ، كما في أطراف روما وقرطاج ، نجد كنيسة الشرق منتشرة في كل مكان : في اسيا الصغرى ، وقبادوقية ، وبلاد الشام وما بين النهرين ، وفلسطين ، ومصر ، وفارس ، وديار العرب وحتى الهند . وبادية للعيان مسألة الخلافة الرسولية ، أي نشوء كنائس اسسها الرسل والتلاميذ الاولون ، وخلفهم بعدها أساقفة سرعان ما اتخذوا مكانة خاصة في الكنيسة ، كما يشهد بذلك العديد من الكتبة الاوائل ، امثال اكليمنضس الروماني الذي كتب نحو سنة ٩٦م ، واغناطيوس الانطاكي الذي كتب نحو سنة ١٠٧م ، وراعي هرماس (نحو سنة ١٤٠ـ ١٥٥م) ، وديونيسيوس القورنثي (نحو سنة ١٦٦ـ١٧٤)، وهيجيزيبوس (كتب نحو سنة ١٨٠) ، وبوليقربوس اسقف افسس (كتب نحو سنة ١٩٠)، وايريناوس اسقف ليون

(ت٢٠٢)، وترتليانوس (ت بعد سنة ٣٢٢)٠ ويشهد هذا الاخير ، مثلا ، بسرعة انتشار المسيحية ، وفي جميع الاوساط والارجاء واضافة الى اعتزاز كنيسة روما بمار بطرس ومار بولس ، تفخر كنيسة سميرني (افسس) بيوحنا الرسول وتلميذ بوليقربوس ، والاسكندرية بمار بطرس وتلميذه مرقس الانجيلي والاسقف اكليمنضص ، وقورنثية وفيليبي واماكن اخرى بمار بولس ٠

الدرجات المقدسة والخدم الكهنوتية

الهيرارخيا المقدسة

"الهيرارخيا (السلطة) نظام مقدس ، علم، وواقع لما هو الهي ، وفعل يقود نحو العلى للتمثل بالله ، بفضل استنارة يمنحها الله باستمرار ٠٠٠ لذلك ، فان السلطان يدل على استعداد مقدس ، وهو صورة الجمال الالهي المرتب فوق علم خاص ٠٠

وثمه شيء آخر يجعل (صاحب السلطان) اكثر شبها بالله، انه ـ كما يقول الكتاب المقدس (قورنتس٣:٩)ـ يصبح معاونا لله ، فيغدو الفعل الالهي معتلنا ٠٠ لذا ، فان اية درجة من درجات هذا النظام الخاص بالسلطة المقدسة ، تنجذب نحو الاعلى ، للتعاون مع الله ، بفضل نعمة الله وقدرته ٠ فتنجز هكذا اعمالهي خاصة بالله"٠

ثم يعقد المؤلف مقارنات بين طغمات الملائكة ومراتبها وبين درجات الخدم الكنسية ٠ الطغمات ثلاث ، وكل طغمة تنقسم الى مراتب ثلاث ٠ اول الطغمات الاسقفية ، ويشمل نظامها

جميــع الصلاحيات والوظائفــ · ثم الكهنوت للقيــام باعمال التطهير وخدمة الاسرار ، فالشماسية للمساعدة في الخدمة· (الهيرارخيا المقدسة لديونيسيوس الاريوفاغي-ترجمتي)

الطغمــات والمراتــب

يعقد صاحب (كتاب الاباء) المقارنة بين طغمات الملائكـــة ومراتبها وبين الدرجات المقدسة والخدم الكنسية على النحـو التالـــــي :

الطغمــة الاولى : الاحبار

المرتــبة ١ : الكروبيم (الكروبيون) = البطاركة (الجثالقة)

المرتبــة ٢ : السرافيم (السروفيون)= المطرافوليطيـــون (المطاريـــن رؤساء الاساقفة)

المرتبــة ٣ : العروش = الاساقفة

الطغمــة الثانيـــة : الكهنــة

المرتبــة ٤ : الرئاسات = الخوراساقفة (او: الاركذياقونيون)

المرتبــة ٥ : القوات = الزائرون (السواعير) او :الخوراساقفة

المرتبــة ٦ : السادات = الكهنة

الطغمة الثالثــة : (الشمامسة)

المرتبــة ٧ : الامراء = الشمامسة (الانجيليون)

المرتــبة ٨ : رؤساء الملائكة = الشمامسة (الرسائليون)

المرتبــة ٩ : الملائكة = القارئون (وبقية خدام الكنيسة)

(كتاب الاباء المنسوب الى مار شمعون برصباعي ، وهو لمؤلفــ متأخر ـ ترجمتي)

الكهنــوت

" الكهنوت يشبه الجنس • وينقسم بدرجاته الى انـواع والانواع الى فصول ، والخدم خواص ••

أول الرتب التشمسة • وتنقسم الى القارىء،والهوفذيقن (الشماس الرسائلي) والشماس (الانجيلي) •

والرتبة الثانية القسانية ، وتنقسم الى القس،والساعور والاركذياقون (راس الخدمة) •

والرتبة الثالثة الاسقفية ، وتنقسم الى الاسقفة المطلقـة (الاسقفـ).والمطران ، ، والجاثليق أو الفطرك •

وقوم جعلوا للشماس بدرة (وزنة) واحدة . وللقس اثنتين، وللاسقفـ ثلاثا ، وللمطران اربعـا وللفطـرك خمسـا •

(فقه النصرانيـة لابـن الفرج عبدالله بن الطيب، ت ١٠٤٩، جـ٢، ص ١١٢) •

جن من عماد قديم ـ الموصل كنيسة شمعون الصفار

والسؤال المطروح : هل جاء احد رسل المسيح أو تلاميذه أو اكثر من واحد ، الى بلاد ما بين النهرين ووادى الرافدين والمشرق، وحمل اليها البشرى ؟

وفقا لديونيسيوس الاريوفاغي (احد تلاميذ مار بولس) بشأن الطغمات السماوية ، قام عدة كتبة كنسيين ، ومشرقيين ايضا ، بعقد مقارنات بينها وبين أحبار الكنيسة العظمام والنيرات السماوية ·

والمقصود باحبار الكنيسة العظام هنا: الفطاركة او البطاركة والجثالقة ، والمطرافوليطيين او المطارين او رؤساء الاساقفة والاساقفة ·

وقد قام عبديشوع الصوباوي (ت١٣١٨م) بتقسيم المعمورة على رسل المسيح ، وسبقه عبدالله بن الطيب (١٠٤٩م) · فقال ان البطاركة في العالم اربعة ، كعدد اقطار العالم ، وعدد الانهار (الكبيرة المعروفة يومذاك) ، والعناصر الاربعة (الماء والتراب والهواء والنار) ، وهم : بطاركة روما، والاسكندرية وأفسس (القسطنطينية فيما بعد) ، وانطاكية · اماالخامس، حسبه ، فهو بطريرك المشرق (١)· ويكرر عبديشوع ذلك ، ويضيف بان شرف كنيسة الهند والصين يرجع الى الرسول توما مبشر تلك البلاد ، وارمينية الى الرسول برتلماوس أو نثنائيل ، وبلاد ما بين النهرين وكل بلاد فارس الى التلاميذ أدى ، أجي ، ومارى (٢)

ويجمع كل المشرقيين ، وبعض الغربيين ، على القول : أن أول من نشر المسيحية في بلاد ما بين النهرين ووادى الرافدين والمشرق : أدي أو تدي ، أجي او اكي ، ماري،ناسبين كنيسة الرها عادة الى ادي وتلميذه أجي، وكنيسة سلوقية ـ طيسفون ـ كوخى الى مارى · وينسب البعض كنيسة المشرق

الى ادى وماري معا ، كما يفعل ماري في كتابه المجدل(٣)، بينما يكتفي عمرو بن متى وصليبا بـن يوحنا بنسبة هذه الكنيسة الى ماري وحده (٤) • وكثيرون قبل هولاء قالوا بما يشبـه ذلك ، كماسنرى مفصـلا •

فيطرح السؤال نفسه : مدى صحة كلّ هـذه الاقـوال والشواهـد ؟

انتشار المسيحية في بلاد المشرق ٢/٢

غايتنا ،في هذا المبحث العلمي ، الوصول بشكل موثوق الى بدايات المسيحيـة في بلادمابين النهرين ، بالمعنـى الأوسع ، بما في ذلك منطقة الرها (اديسا ـ اورفا)ونصيبين والجزيرة، **والمناطق الجبلية** الواقعة اليوم في تركيـة والعراق وايران ، ومنطقة حدياب واشور ، ثم منطقة سلوقيـة وطيسـفون ، والاحواز ، اي في المناطق التي هي بمثابة النواة الاسـاس لكنيسة المشرق •

ونهدف مـن خلال هذا البحث، استخدام الاسلوب العلمي ، الاداة السليمة الوحيدة للوصول الى حقائق الامور التاريخية فيطلع عليـه مـن لم تتح له فرصة التعرف بما فيـه الكفاية على الاساليـب التي يستعملها النقاد والمؤرخون العلميون • لذا سنفيـض في البحث ، بما يغني محبي التاريخ ، وهوجواب غير مباشر على تساؤلات كثيرة تطرحها عقليـة معاصرة نعيشها تريد التشكيك في كل شيء، وبحق،حتى تثبت صحـةالامـور ببراهين دامغة وادلة محسوسة وحجج مقنعة• وسنرى كم قد اضنى هذا الشك المشروع عشرات الباحثين ، غير انه جـاءنا بنتائج مرضيـة رائعة • فكان ان رسمت وسطرت المعايـير والاساليـب المستخدمة ، فغدت بمثابة (قوانين) أو (مقاييس)

يسير عليها كل من شاء ان ينهج نهجا علميا في ميدان التاريخ والعلوم والمقارنة .

وقد يفيد القول ان عملا كهذا لا يعني بان النقاد والعلماء لا يحترمون التقاليد والاعراف ، كما يدعي البعض ويظنون ، بل هم من يريدون ان يعطوها حقها ومكانتها. وهم بعملهم هذا يقيمون حدا فاصلا بين الاسلوب التقليدى القديم الذي يأخذ بالروايات على علاتها ، والاسلوب العلمي الذي يرجع الروايات والتقاليد الى أصولها ، مستخدما اسلوب الاجناس الادبية ، ومستخلصا الاكيد والثابت اى النواة الاصلية التي غالبا ما تغلفها الحكايات والاقاصيص بتفاصيل يتيه في ظلالها وتضاعيفها غير الخبير . العارف بهذا النوع الطريف من أساليب أدبية ينشيء بها الكتبة والمتفننون سيرا وكتب حياة وسرد أخبار ، غايتها اشاعة اجواء فيها من القدسية والتفخيم والطرافة ، وهو أمر مقبول وشائع ومستحب .

اما المؤرخ الموثوق ، والناقد العالم ، فيستفيد من تلك الحكايات والروايات ، شرط ان يوثقها ، وذلك بتعريتها من الزيادات وتجريدها من الاضافات ، ووضعها على محك النقد السليم بمطابقة أحداثها ومفرداتها الاصلية بوقائع تاريخية لاتقبل الشك ، من خلال نصوص تاريخية بالمعنى الدقيق ، ومصادر ثابتة أكيدة ، وشواهد آثارية ، وأدلة جغرافية ، وبينات وقائع لا يعتريها ريب ولا لوم . فيكون بذلك قد أدى خدمة مضاعفة ، اذ انه اولا ، ميز مابين النصوص التاريخية والنصوص الادبية ، وعمل ، ثانيا ، على توثيق تلك النصوص "غير التاريخية" بشواهد تاريخية .

فنحن لا نقر رأي القائلين باهمال كل الروايات والحكايات والقصص والتقاليد ، لاننا نعرف بان الناس والمجتمعات

والكنائس لم تدون كل شيء ولم تستخدم المذكرات واليوميات والتواريخ الا نادرا ، ولكننا لا ناخذ بالروايات والاقاصيص والسير على علاتها ، لاننا نعرف ايضا بان الاسلوب الادبي التي كتبت به ، يدعو الى الاضافات والتفخيم والمبالغات ، وان غاية كتبة السير والروايات ليست "تاريخية" بالمعنى الدقيق ، انما غاية "تعليمية" تبغي التشويق والمبالغة ، ولا تهتم كثيرا بدقة التفاصيل الثانوية ، في نظر الكاتب نسبة الى ما يرمي اليه من هدف ، والتفاصيل الثانوية هنا هي المعلومات الجغرافية ، والتاريخية ، وغيرها من أمور لا يعبأ بها كاتب القصة أو الحكاية ، بينما هي مفيدة لنا جدا وقد يعتمد واضعو القصص والروايات اسلوبا غيبيا ، يتأتى من عقلية سائدة في مجتمعاتهم ، فيكثرون من التدخل الالهي ، ومن الاعاجيب والمعجزات ، بحيث تشحن سيرهم ورواياتهم بافعال عجيبة بل غريبة ، على المؤرخ والناقد هنا ايضا تخليص التاريخ منها لكي تبرز الاحداث الاصلية بوضوح. كما قد يعتمد كتبة الروايات التقليدية واقعية وضعهم ومجتمعهم ، فيحاول النقد باساليبه العلمية فرزها عن كل ما غلفت به من زيادات •

ومعلوم بان ثمه اكثر من منهجية في البحوث • ونحن لا نقر المنهجية العقلانية الصرفة ، فهو تطرف غير سليم ، اذ لا يقيم وزنا لواقع الامور ، وهو امر غير مقبول خاصة في شؤون التاريخ • كما لا نقر الاخذ بكل ما كتب ودون ، اذ أن أول عملية ينبغي ان يقوم بها المؤرخ الصحيح هو التعرف على مصادره ، ونوعيتها ، وذلك بتجميعها ، وتشخيصها ، وفحصها ، واعطاء كل ذي حق حقه •

والمؤرخ الجيد والمتزن هو من يتناول كل المدون ، وكل

التقليد، وكل العادات، ويغربل كل شيء، بذهنية فاحصة، ومنهجية محكمة، حتى يخلص الى الاصيل، والثابت، ويتفهم الاضافات والمبالغات والغايات • لذا فهو يأخذ بالروايات والحكايات والسير والقصص والتقاليد، ولا يكتفي بالمراجع التاريخية الموثوقة وحدها، لانه يريد الالمام بجميع الجوانب وصولا الى "الحقيقة التاريخية"، دون ان يهمل معطيات فكرية، أدبية، فنية، اجتماعية، سياسية، دينية بالاضافة الى المعطيات الاثرية والتاريخية الثابتة، فيكوّن هكذا فكرة صائبة عن "الظاهرة التاريخية"، بشكل موضوعي، متكامل، بحيث تغدو معطيات اكيدة •

فلا يستغربن أحد اننا نسهب في هذا المبحث وفي هذه المقدمات، ولا يظنه مضيعة للوقت لاننا بدون تفهم لهذه الاسس وهذه المنهجية لن ندرك التاريخ على حقيقته ومفهومه العلمي المتميز • وسوف نفرد فقرة في الاجناس الادبية للروايات والقصص والسير عندما سنتحدث عن سير القديسين وأعمال الشهداء، نحيل القارئ الكريم اليها، ونواصل بحثنا الحالي خشية الاطالة المملة هنا •

وكنت قد دبجت منذ سنة ١٩٦١ بحثا في (بدايات المسيحية في بلاد ما بين النهرين)، قدمته الى الجامعة الاوربانية في روما للحصول على شهادة البكالوريوس في اللاهوت، اعتمدت فيه يومذاك جملة مصادر ودراسات، ثم اكملت البحث في دراسات اخرى، أهمها ما كتبته بشأن (اقدم كنائس العراق) في العددين ٥٣-٥٤ من المجلد ١٤ (١٩٨٦) من مجلة بين النهرين • ولا بد لي ان اشير هنا الى دراسة الاب حنا فيي في كتابه المهم (ركائز من أجل تاريخ كنيسة العراق)، فقد افادني في امور سوف آتي على ذكرها (انظر اهم مراجع هذا المبحث ٢/٢) •

طرح القضيـــة

يقول تقليـد قديـم جدا ، وشامل ، بحيـث يكاد لايخلو منه أي مصدر تاريخي قديـم ، ومرجع متأخر ، يتناول المسيحيـة في ديار المشرق : ان المسيحيـةانتشرت في بلاد المشرق، منـذ القرن الاول للميـلاد ، بما في ذلـك مملكة الرها ، والمناطـق التركيـة الجنوبيـة ، والعراق ،ومناطق شماليـةوغربية من ايران ، ومناطق اخرى متاخمة• وترجع هذه الكتابات المسيحية في هذه البلاد الى بشارة توما الرسول ، احد تلاميذ المسيـح الاثني عشر، كما الى ادى احد الاثنين والسبعين تلميذا، والى أجي وماري تلميذي أدي ، واحيانا الى غيرهم من رسل المسيح وتلاميذه ، ويكون بذلك اصل المسيحيـة في المشرق "رسوليا"•

ولا بد مـن القول انه في الاساس مـن هذا التقليد العريـق العام ، كما مـن التواريخ التالية ، كتابات قديمة ، أهمهـا : (أعمال توما) ، (تعليم أدي) ، و (أعمال ماري)، و "أعمال" بعض شهداء اخريـن ، كشربيـل وبرسميا وحبيـب ،أضف الى ذلك فصل مـن (التاريخ الكنسي) لاوسابيوس القيصري أبي التاريخ الكنسي ، وشهادات عشرات المؤلفين والكتبـة القدامى ، بحيث يبدو من هذا الاستعراض السريع ان القضية ثابتة ، لاتقبل الجدل والاحتمالات ،ورغم ذلك فالجدل حاصل بل كان قاسيا ولاذعا في اواخر القرن الماضي ومطلع الحالي ، ومايزال قائما حتى يومنا هذا ، ولو انه خف كثيرا ، لذا اقتضى التعرض له ، والالمام بسائـر جوانبه ، فهي قضيـة مصـيرية، وفي تناوله فوائد علميـة كثيرة ، يترتب عليها الفهم السليم للوثائق والنصوص •

أسباب الشك في التقليد

منذ ان دخل علم النقد ميدان التاريخ ، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، راح علماء التاريخ يغربلون معطيات التواريخ القديمة فاصطدموا باسلوب كان شائعا جدا لدى مدوني التواريخ القديمة ، ولاسيما لدى كتبة السير والقصص والاخبار والاعمال ، من اهم سماته اضفاء هالة قدسية على الاشخاص والا حداث ، وتغليف الوقائع بحكايات ذات أنماط محدودة ، قصدهم من ذلك اثارة القراء باحساسات ترسخ فيهم القناعة والايمان وتبعث في النفوس الانفعال والحماس . ولم يكن يخطر ببال أولئك القدامى ، سواء من الكتبة أم من القراء ، ان عملا هذه أهدافه سيعتبره الاخرون تشويها للحقائق وتلفيقا للتاريخ ، لانه جنس أدبي معروف لديهم ويقره الجميع .

لذا كان لا بد من ابداء ملاحظة عامة مفادها : لايجوز ان نحكم على التاريخ والوثائق من خلال نظرتنا وواقعنا الا بعد ان نكون قد تفهمنا الاحداث في أطرها الزمنية والمكانية بكل وضوح ، والاساليب التي بها دونت الوقائع .

ونعود الى بدايات المسيحية في ديار المشرق ، فنقول: ان النقاد شكوا في صحة أهم الكتابات التي كانت تعتبر بمثابة الوثائق الاساس في التعرف على جذور المسيحية والكنسية في هذه البلاد لا سيما منذ ان نشرت نصوصها في اواخر القرن التاسع عشر على مطابع الغرب ، فقام بدراستها وتحليلها بعض العلماء ، وكان علم النقد التاريخي قد شق طريقه الى مثل هذه الكتابات ، فوجدوا اختلافات كثيرة ،بل تناقضات فيما بين معطيات هذه النصوص وبين المعطيات التاريخية

الاكيدة التي نعرفها من خلال شواهد جغرافية ، تاريخية اثارية ومصادر لا تقبل الشك • فقالوا : لا يمكن ان تكون المسيحية قد عرفت انتشارها في ديار المشرق ، ومنهابلاد ما بين النهرين بحسب مصطلحهم ، منذ القرن الاول للميلاد. انما ينبغي تأخير موعد هذا الانتشار الى القرن الثاني، بل ربما الى الثالث أيضا •

وعزا بعضهم سبب محاولة تأكيد الكتابات التقليدية في انتشار المسيحية في القرن الاول ، الى الرغبة العارمة التي كانت تدفع جميع المسيحيين الاوائل الى اعتبار نشوء كنائسهم على يد الرسل والتلاميذ الاولين ، باضفاء الطابع الرسولي، والاصل الرسولي على مسيحيتهم وكنائسهم ، أي منذ عهد الرسل ،وعلى يدهم ، أو على أيدي تلاميذهم على الاقل• لقد كان هذا السبب كافيا ، حسبالنقاد والعلماء، لتبرير نشوء"روايات" خلدتها كتب هي قصص وحكايات اكثر منها شواهد تاريخية وهي، بالنسبة لمسيحية ديار المشرق ،(اعمال توما) و (تعليم أدي) و (أعمال ماري) وغيرها من "أعمال" وسير •

وقد كان كبيرا عدد هولاء العلماء الناقدين الذين شكوا في بدايات المسيحية في الديار المشرقية في القرن الاول . أشهرهم : فيليس ، تزاهن ، لتنسيوس ، تيكسرون ، دفال لابور ، دي اوربينا • هولاء وغيرهم ، فندوا معطيات الاعمال والتعليم ، المذكورة اعلاه ، ونفوا بالتالي انيكون انتشار المسيحية في بلاد ما بين النهرين ووادي الرافدين وأرض المشرق منذ القرن الاول • بينما دافع غيرهم عن قدمية هذه المسيحية والكنيسة ، فغالى البعض مدعيا صحة كل ما ورد في الاعمال والتعليم والسير ، أمثال مارتن ومسينا ونصري،

واتخذ غيرهم موقفا اكثر اعتدالا ، كأدي شير ، وتيسـران ، وبرصوم • وكان ان نشر الفونس منكنا تاريخا صغيرا نسبـه الى مشيحا زخا ، عرف بتاريخ اربيـل، اشاع اللغط زمنـا طويلا ، فكان ذريعة بيدالكتبة التقليديين استخدموه لدحض اراء الناقدين ، وأوقع كبار العلماء في الخطأ ، اذ اعتبره هرناك وبومشترك وساخو حجة دامغة ، بينما نقده بيترس واوربينا واسفالج ، واخيرا الاب فيبي ، حتى تبين انـه مصدر مفتعل لا يصلح استخدامه ، ثم عاد كافيراوفطبعه مـن جديـد •

ونحـن هنا ،نقبل مجمل النقد الذي وجهه العلماء الـى الكتابات القديمة التي سنأتي على تفصيل الاهم منها، كمـا نقبل باستنتاجات الاب اورتيز دي اوربينـا وشواهـده التاريخيـة ، مضيفين اليها بينات اخرى نستقيها مـن المصادر عينها ، ومما أعطته الاكتشافات الاثريـة ، وما اضافـه الاب حنا فيـي •

لايضاح الامور ، نتناول النصوص القديمة مثار الجـدل واحدا واحدا ، متبعين التسلسل المنطقي ،لاقدمية النصوص والمخطوطات ، فنبدأ بما يخص توما الرسول اولا ، لانـهسابق للاخرين ، ثم تعليم أدي واعمال ماري ، واعمال بعض الشهداء، وأخيرا التاريـخ الاربيلي المنسوب الى مشيحا زخا، معتمدين على دراسات المحدثين والمعاصريـن ، كما على شهـادات القدامى •

اولا ـ أعمال توما ٢/٣

١ـ المخطوطات والطبعات والدراسات :

نلقى (أعمال توما)، أي سـيرة حياتـه واخبار جهـاده

واستشهاده ، في مخطوطات سريانية ترجع اقدمها الى القرن الخامس ، كالمخطوطة السينائية رقم ٣٠ ، وغيرها الى السادس ، في نصوص غير كاملة ٠ اما نص الاعمال بشكله الكامل فلا نلقاه الا في مخطوطات من القرن العاشر، كالمخطوطة اللندنية ١٤٦٤٥٠ ويرجع النقاد زمن كتابة هذه الاعمال، اي تأليفها ، في الربع الاول من القرن الثالث ، أي نحو سنة ٢٢٥ م وربما بقلم احد تلاميذ برديصان (١٦٤-٢٢٢م)٠ ونلقى شرحا لهذه الاعمال لدى ابيفانيوس (٣١٥-٤٠٣م) ٠ ولنا منها ترجمة يونانية ٠ وقد نشر النص السرياني الاصلي للاعمال ويليم رايت عام ١٨٧١، ثم الاب بولس بيجان سنة ١٨٩٢ ٠ثم نشر بركيت شذرات النص القديم الناقص عام ١٩٠٠، وكذلك سميث لويس سنة ١٩٠٤ ٠ ونشر اخرون الترجمة اليونانية القديمة ٠ وقام بعض المذكورين وغيرهم بترجمة اعمال توما هذه الى لغات اجنبية ، كانت اخرها الترجمة الفرنسية لاندريه جان فيستجيير ٠ وقامت حول الاعمال دراسات كثيرة ، اقدمها دراسات ماكي عام ١٨٧٤ و ١٨٨٢، وبيفان سنة ١٨٩٧، واخرها دراسات دفو سنة ١٩٥١ واورتيزدى اوربينا سنة ١٩٥٢ ، وبلاسيد سنة ١٩٥٦ ،وآدم سنة ١٩٥٩ ، وكليين سنتي ١٩٦٠ و ١٩٦١ ، وديهلي سنة ١٩٦٣، رفاركهار سنة ١٩٧٢ ، وقام الاب فرنسيس المخلصي مؤخرا بدراسة لهذه الاعمال ، نشرها في كتابه (تلاميذ المسيح) سنة ١٩٨٧ ٠

٢- فحوى النص أو قصة الاعمال

الرسل مجتمعون في اورشليم (القدس) يتقاسمون المعمورة بينهم لنشر البشارة فيها ، فتقع القرعة على توما في الذهاب

الى الهند ، فيمتنع · حتى يجيء تاجر هندي من بلاد الجنوب اسمه حبان ، أرسله الملك غندافور للبحث عن نجار لقصره يلقى المسيح في السوق ، فيقول له المسيح : أبيعك عبدي توما بعشرين من الفضة ، فيذعن توما للامر ،ويسافر مع حبان بحرا الى ميناء اندرا شمالي الهند · وهناك يجد كلاهما الملك محتفلا بزفاف ابنته ، فيتلو توما البركة على العريسين· ويكلف الملك توما ببناء قصر له ، الا ان الرسول يقضي وقته كله بالكرازة والتعليم ، فيلقيه الملك في السجن ، ولا ينجو من العذاب الا حين يؤكد اخو الملك انه يرى فعلا قصرا مشيدا في السماء · يعمد توما الكثيرين ، فتشتد تحركات رجال الدين الهندوس ضده، فيقضي عليه رميا بالحراب ، وينقل رفاته الى بلاد ما بين النهرين · وفي القصة أحداث عجيبة كشفاء غلام لسعته حية قتالة (هل هي الكوبرا؟) ، وتكلم حمار ، وخروج الشيطان من اكثر من امرأة· كما فيها تعاليم غريبة عن روح الانجيل ، كأصل النفس من العالم العلوي ،ونزولها الى عالم الدنيا ، ثم عودتها الى هناك ووجوب التزام العفة حتى من قبل المتزوجين ، الامر الذي حدا ببعض الباحثين الى اعتبار القصة من اصل غنوصي ، بينما حاول البعض ارجاع الصلوات والتراتيل الواردة في القصة الى أصول طقسية ومذهبية مختلفة . ومنذ القديم قال ابيفانيوس (٣١٥-٤٠٣) بانتشار الاعمال بين الغنوصيين ، بينما قال اوغسطينوس (٣٥٤-٤٠٣) بانتشارها بين المانويين وعقد الكثيرون مقارنات بين نشيد النفس في اعمال توما وحوار برديصان في كتاب شرائح البلدان · و في أعمال توما تأكيد على امتهان الزواج كشيء دنس ، كما في اعمال يوحنا وبولس وبطرس واندراوس وتقلا وغيرها من الاعمال المنحولة.

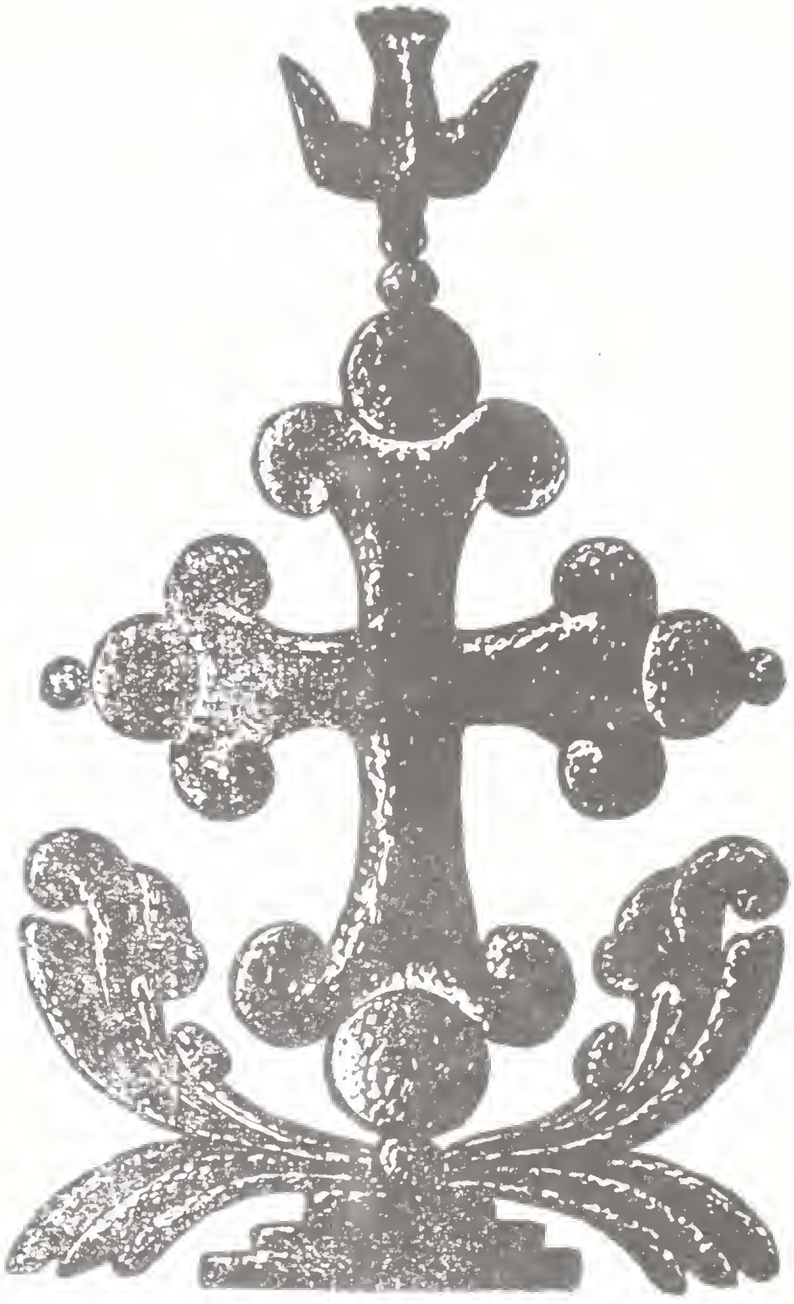

भारत ܗܢܕܘ

HENDO

THE CHURCH OF INDIA

٣ ـ الشكوك والاعتراضات

يدرك الناقد بان قصة مكتوبة تدور حول شخص اوحدث ليست "تاريخا" بالمعنى الدقيق لانها قصة ، فلاعجب انيكون فيها الكثير مما هو ليس تاريخا ، انما فيها من الفوائد لتفهم العقلية والبيئة ووضع "الحدث التاريخي" في الزمان والمكان. وبفضل دراسة متعمقة فقط ، يتمكن الناقد من الوصول الى الحقيقة الموضوعية التاريخية ، وقد لا تتجاوز في الاصل ، بضعة أسطر ، بينما هي الان قصة تملا الصفحات ٠

الاسئلة المثارة بشأن هذه القصة ، فيها من الشكوك والاعتراضات ما بوسعنا تقسيمه الى قسمين : قسم ذوطابع عام . بمعنى انه يشكل الجنس الادبي لقصص الرسل وسير الشهداء الاوائل بشكل عام ، وقسم ثان خاص بالرسول توما وبشارته في بلاد الهند وعلاقته بالرها وبالتلميذ أدي ٠

لن نتوقف على الطابع العام ، باعتباره جنسا شائعا قد أشبع دراسات ، وهو معروف بما فيه الكفاية ويتضمن الفقرات : تقسيم المعمورة بين الرسل ، ومنذ عهد المسيح ، وكأن العالم حقل عمل ، والبشارة ارث يجب تقسيمه على الوارثين ، على غرار أمثال المسيح بشان الملكوت ، وقول المسيح نفسه ان عمله سيقتصر على فلسطين ، وعلى الرسل والتلاميذ الانطلاق الى العالم أجمع ، فجاءت القصة لتخصيص ميدان رسالة لكل رسول ، وتعيين مكان للرسول توما ٠ ومن الطبيعي: وفقا للجنس الادبي العام ، ان يلاقي توما صعوبات: وان يجري عجائب ، وان ينهي حياته بالاستشهاد ، فهذا مخطط يشترك فيه جميع الرسل الذين تناولت حياتهم قصص أدبية ، كأعمال توما ، غايتها بعث الايمان، وأذكاء المحبة ،

والتأكيد على مزيد من ثبات والتزام وشجاعة في قلوب المسيحيين، اكثر من تسجيل احداث تاريخية جافة، وتقديم أخبار مجردة. فالامثلة الحية المثيرة ما يتوخى كتاب هذه القصص.

ومن المفيدَ تناول القسم الخاص بالرسول توما بشيء من التأني والتفصيل، ونتساءل منذ البداية: كيف يعتبر المسيح رسوله توما عبدا ويبيعه، هو الذي قال (لست أدعوكم بعد عبيدا)؟ وكيف يخالف توما: في الاساس، رأي المسيح والرسل الاخرين: فلا يرضى بقسمته، والذهاب الى الهند، ونضطر الى محض صدفة لكي يلتزم توما برسالته؟ صحيح انه قد شك بالقيامة. الا انه هو الذي قال "لنمض فنموت معه": حين تأزمت الامور، وحاول الرسل والتلاميذ اقناع المسيح بالاقلاع عن فكرة الالام والصليب. الان كاتب قصته متأثر، على ما يبدو، بحادثة الشك التوماوي، يوم القيامة، فنسج قصته على هذا المنوال.

ونمضي في محاولة تحليل السرد المذكور في الاعمال، فنتساءل عن الطريق البحري الذي سلكه توما الى الهند، وعن المنطقة أو المناطق التي بشر فيها. علنا نتوصل الى النواة التاريخية من خلال ادلة وشواهد اخرى.

٤ ـ مقارنة الاعمال بتقاليد وشواهد اخرى:

ثمة جملة تقاليد تتحدث عن توما، اهمها التقليد الرهاوي، ومركز ثقل هذا التقليد (اعمال توما) عينها، وشهادة مار افرام (٣٠٦ـ٣٧٣) وتقليد اسكندري نلقاه لدى اكليمنصص (قليمندس) الاسكندري (نحو سنة ١٥٠ـ٢١٥م): واوريجين (نحو سنة ١٨٥ـ٢٥٤م)، وثمة تقليد هندي ـ ملباري. أي لدى المسيحيين المعروفين بمسيحيي القديس توما، وتقليد

غربي تمثله السائحة ايجريا التي زارت الرها سنة ٣٨٤ ، كما ثمــة تقليد اخــر أرمني ... فلنحاول امتحانَ الاعمــال على ضوء هذه التقاليــد ومعطياتها .

ولا ريب ان توما ، وهو احــد الاثني عشر رسولا ، بشر في منطقة ما . وبينما اقتصرت رسالة المسيــح نفسه عــلى فلسطين ، انطلــق الرسل الى المعمورة. فأين ميدان عمــل توما الرسول ؟

يقول التقليــد : ان توما بشر في فلسطين ، واسيا الصغرى ومدينة قيصرية بالاخص ، في السنوات ٤٠ـ ٤٣ للميلاد . يؤيد ذلك بابياس (نحو ٦٠ـ١٣٠م) كما ينقل لنــا ذلــك اوسابيوس في تاريخه الكنسي ، ثم يقصد توما الهند. وهــذا ما يعزز قصة الاعمال . مع الفوارق الموجودة في السرد .

لكننا نتوقف لنرى : هل سافر توما بحرا ، كما تقول قصة الاعمال ، مــن قيصرية نفسها حيــث كانــت رسالته آنذاك ، أم سلك طريقا أخرى ؟ مــن يافا ، مثلا كمــا يقول التقلــيد الاسكندري ، علما بان طريق البحر الى الهند كان عبر البحر الاحمر . وقد أيدت اكتشافات ناج حمادي في مصروالعثور على كتابات منسوبة الى توما ، مرور توما بالاسكندرية ،وتؤكد معظم المعطيــات انه كان مع توما تلميذ اسمه أدي ،وانهمــا قصدا البلاد الواقعة تحت حكم الفرثيين : أي الاجزاء الشرقية مــن بلاد ما بــين النهريــن وديارالمشرق التي نحن بصددها. أفليس مــن المعقول ان يكون عبر الخليج الطريق الذي سلكه توما وأدي ؟ وتفيد الدراسات المتأخرة بان طريق الخليج كان ميسورا بالنسبة للمشرقيين ، بينما كان طريق البحر الاحمر الطريق الذي يفضله الغربيون ، لان الحاميــة الرومانيــة كانت تحرسه خلال القرنين الاول والثانــي للميلاد ، وكانت

الرياح عادة اكثر ملاءمة بحيث يتم وصول المسافرين من مصر الى الملبار في الهند خلال اربعين يوما ٠ ويؤيد التقليد الهندي (الملباري) الصلات القائمة بين الرها والبصرة والملبار مما يعزز سلوك توما طريق الخليج ، عبر بلاد ما بين النهرين ٠

ونصطدم هنا ايضا بصعوبات اخرى : وهي أن احداث الاعمال تجعل وصول توما الى شمال الهند ، لا الى الساحل الجنوبي ، حيث الملبار في ولاية كيرالا ، فهو يصل ميناءمدينة اندرا ، ويعمل فيها نجارا ، وليس صياد سمك ، كما كانت مهنة معظم الرسل ٠ ومن باب الصدف يلتقي به بعض أهالي الرها ، فيدعونه الى مدينتهم للكرازة فيها : لكنه يفضل البقاء في الهند ، بينما يرسل تلميذه أدي ٠ ويبدو ان الرها التي لم تحظ بتوما حيا ، حسب القصة اصرت على ان تضم رفاته فان مارافرام (ت٣٧٣م) يتحدث بلسان الشيطان فيقول : "ان توما الذي قتلته في الهند ، قد سبقني الى الرها" ٠ ويؤيد (تعليم ادى) موضوع ارسال توما الرسول تلميذه ادي الى الرها ، كما سنرى ٠ ومهما كان سياق الاحداث : فان الصلات التي تربط بين توما وأدي والرها وثيقة واكيدة ٠ ونحن مع القائلين ان توما مر ببلاد ما بين النهرين قبل وصوله الى الهند ، وكان وهو في طريقه يبشر ويعمد ، والا فلا يمكننا فهم تعلق الرها وكنيسة المشرق بتوما ٠

ولعلنا نفهم قصة الاستعباد هكذا : لقد كانت الاوضاع مضطربة في شمال الهند في اواسط القرن الاول للميلاد ، ولم يكن ميناء اندرا ضمن مملكة غندافور يومذاك ٠ فليس مستبعدا ان يقع التاجر حبان وتوما العبد أسيرين بيد الملك الفرثي مزدى كما تنوه الاعمال بذلك ٠ وقد ملك في الهند فعلا ملوك فرثيون

حتى القرن الثاني • وبعد ان يتعرف الملك على الاسيرين ومنزلتهما ، يقوم بتكليف حبان ببناء قصر له ، ويستفيد التاجر من توما • لكنهما بدلا من بناء القصر ، ينصرفان الى نشر الانجيل ، اذ ان حبان ايضا قداصبح مسيحيا على يد توما • وتنقلنا الاحداث الى قائد يسأل توما شفاء امرأته وابنته المريضتين ، فيفعل ، وتثور الثائرات ضده ، فيودع في السجن ولا يخرج منه الا شهيدا •

بينما تريد اشارات اخرى ان يهرب توما وحبان من السجن الى ديار الملبار : وبالضبط الى غرانافور ، حيث يبشران ، حتى يموت توما في كورو مانديل تحت اسنة حراب كهنة كالي.وتؤيد جملة تقاليد ذلك •

ولايذكر التقليد الهندي ان قبره في الهند، بينما يؤكد التقليد الرهاوي ان احد المسيحيين سرق جسده : واتى به الى بلاد ما بين النهرين (ميزوبوتاميا) • وثمة روايات متباينة :فمصدر يقول بالموت الطبيعي في هيراكليون ، واخر يقول ان القبر في مدراس (الهند) • ويشهد ماركو بولو الذي زار قبره سنة ١٢٩٥م ان موته كان بسبب حربة صوبها الى قلبه كهنة الاصنام في ميلابور •

وشائع بان الاستشهاد كان في ٣ تموز من سنة ٦٨او٧٢م•

وحين دفن البرتغاليون القبر عام ١٥٢٣م، وجدوا بقايا جمجمة واضلاع وعظام ، واناء فيه تراب وسنان حربة حديدية ، الامر الذي يدل على نقل الجسد من مكان الى اخر •

لذلك ، قد تصح رواية نقل رفات توما الى الرها ، وربما في القرن الثالث للميلاد ، لان كنيسة ضخمة وفخمة على اسمه كانت شاخصة في القرنين الثالث والرابع ، كما يؤيد ذلك التاريخ الرهاوي ، وجاء بان الذخائر وضعت باحتفال

مهيب في كنيسته في ١٢ آب سنة ٣٩٤م٠ فهل كانت سابقا في مكان اخر من المدينة ، ام انها وردت مباشرة من الهند ؟ وهل تم نقل الرفات كاملا الى الكنيسة الجديدة : ام شيء منه فقط ، او مايسمى بالذخائر ؟

وتظل هذه التساؤلات ، وغيرها ، غامضة ٠ ولا يحق لنا طرح مزيد من التساؤل ،لان هم من دونوا تلك الاحداث والاخبار كان اذكاء الايمان في نفوس السامعين ، لا تقديم أمور ثابتة وأكيدة ٠ وسوف تتكامل جوانب اخرى من خلال تعرضنا لتعليم أدي ٠

امرا واحدا لا يسعنا التقليل من أهميته، هو ارتباط توما الرسول بالبشارة في بلاد ما بين النهرين وديار المشرق (العراق ومجاوراته) وأقسام من بلاد الهند ٠ توما هو الرسول الاول لبلاد المشرق ٠

ثانيا ـ تعليم أدي ٢/٤

١ ـ المخطوطات والطبعات والدراسات

ترجع أقدم مخطوطات (تعليم ادي) الى القرنين الخامس والسادس ، كالمخطوطتين اللندنيتين ١٤٦٥٤ و ١٤٦٤٤ ومخطوطة بطرسبورج ٠ ويقول اوسابيوس القيصري انه استقى مجمل القصة من خزانة الرها الملوكية ٠ وقد تطرق الى قصة أدي ـ ابجر ـ المسيح الكثير من المؤلفين اليونان والارمن ، بالاضافة الى كتبة السريانية ٠

نشر (تعليم أدي) بالسريانية (ملبانوثا دأدي) المستشرق فيليبس سنة ١٨٧٦ مع ترجمة انكليزية ، ثم الاب بيجان سنة ١٨٩٠ ٠ وهناك ترجمة ارمنية قديمة نشرها اليشان مع ترجمة فرنسية سنة ١٨٦٨ ٠ وقام جورج هوارد

مؤخرا بتحقيق للنص السرياني اعتمد فيه مخطوطة بطرسبورج التي كان قد نشرها فيليس ، ومخطوطتي لندن ، ونشر (التعليم) مشفوعا بترجمة انكليزية سنة ١٩٨١ ٠

وأشهر من درس النص : تيكسرون سنة ١٨٨٨ ، مارتن سنة ١٨٨٩ ، دفال سنة ١٨٩٢، فون دوبشتس سنة ١٨٥٩، ثم سنة ١٩٠٠ ، بركيت سنة ١٩٠٤ ، يوتي سنة ١٩٣٠ وسنة ١٩٣١ ، هينيكي سنة ١٩٦٣، سيكال سنة ١٩٧٠ ، هوارد سنة ١٩٨١، اضافة الى المذكورين في الفقرة السابقة (اعمال توما)٠

اختلف الباحثون في تحديد زمن كتابة (تعليم أدي) ، فقال تزاهن انه كتب ما بين سنة ٢٧٠ و ٢٩٠م وقال ليبسيوس ما بين ٣٦٠ و ٣٩٠ ، وقال تيكسرون ما بين ٣٩٠ و ٤٠٠ ٠ ولعل الاصح ان ثمه نصا اصليا كتب في منتصف القرن الثالث ، ثم حصلت اضافات على النص القديم ، فكانت لنا نسخ (التعليم) في القرن الرابع ٠ وقد استطاع تيكسرون من تشخيص (اضافة جرت على النص الاصلي بحيث يكون النص الذي بين ايدينا لاحقا لاوسابيوس القيصري(من مطلع القرن الرابع) ، بينما يرجع النص في الاصل الى عهد يسبق تاريخ اوسابيوس ٠ وقد قلنا بان اسابيوس قد دون موجز القصة في تاريخه ، وقال انه استقى المعلومات من خزانة الرها الملوكية ٠

٢- فحوى النص او قصة التعليم :

ابجر الخامس اوكاما(الاسود) ملك الرها على دفعتين ، الاولى من سنة ١٠ الى ٧ق‌م ، والثانية ما بين ١٣ و٥٠ م، ابن معنو ، سمع باعاجيب يسوع المسيح ، فأحب ان يزوره

غير ان العداوة المستحكمة بين الروم والفرس منعته من ذلك، فارسل يسأله الشفاء، وان هو فعل، فانه يقتسم معه مملكته • يلقى رسل الملك يسوع في دار رئيس لليهود اسمه غماليد، فيقدمون اليه رسالة الملك الخطية، التي يورد التعليم نصها، فيفرح يسوع، ولكنه لا يستطيع تلبية مطلب ملك الرها، لان رسالته مقتصرة على فلسطين، ويعد بان يرسل احد التلاميذ بعد ارتفاعه الى السماء (الصعود) • وقد عهدت المهمة فعلا الى أدي، احد التلاميذ الاثنين والسبعين، على الارجح• فمضى الى الرها، وصنع العجائب، فسمع به الملك، واستدعاه، وكان أبجر أبرص، فشفاه أدي وعمده، فانتشرت المسيحية في مملكة الرها • وبعد وفاته، عين أدي خلفا له أجي تلميذه، ووري جثمانه في المقبرة الملوكية، ودونت قصته وادرجت ضمن وثائق الخزانة الملوكية بيد للبوينا بن سنق بن عبشدر كاتب الملك •

وثمه عناصر ثانوية في النص، أهم ذلك : رسم وجه يسوع على منديل، وبركة مدينة الرها، واكتشاف الصليب على يد ام ملك الرها، ورسائل متبادلة بين ابجر والمسيح، ورسالة من ابجر الى طيباريوس قيصر روما •

ويبدو طبيعيا ان يشك النقاد في صحة هذه الرواية، وان يعتبروا (التعليم) قصة ليس من السهولة بمكان التعرف على حقيقتها التاريخية الاصلية، لانها مشحونة بأخبار واقوال وخوارق لا تنسجم مع معطيات التاريخ العام، بالاضافة الى اللامنطقية الموجودة في سياق احداثها •

٣ـ الشكوك والاعتراضات

ان كان ابجر ملكا تقع مملكته تحت حكم الفرس ، كما تقول القصة ، فكيف يمكنه ان يقتسم المملكة **مع** يسوع ، وكأنه مستقل استقلالا كليا ، ويقترح الاقتسام مع شخص من رعايا فلسطين كانت يومذاك واقعة تحت حكم الرومان ، وتابعة لولاية سورية ؟ وليس لنا ما يسعفنا في الوثوق من صحة وفادة الملك ابجر الى يسوع المسيح • ونستدل من رسالة ابجر الى طياريوس قيصر ، ان الامور قد التبست على الكاتب ، فتارة يوحي بان لمملكة الرها علاقة مع فارس ، واخرى مع المملكة الرومانية • فكيف يجرؤ ملك صغير ان يكتب الى من كان يحكم جزءا كبيرا من العالم المعروف آنذاك ، داعيا اياه الى اعتناق دين مخالف لدين الامبراطورية ؟ اما قصة الرسم على المنديل فقد أشاعتها عدة روايات ، فقال (التعليم) ان رساما كان مع رسل ابجر هم برسم وجه يسوع ، فعفاه من التعب ، ومسحه يسوع وجهه بمنديل ، فانطبعت عليه صورته • وقيل في قصص اخرى ان امرأة (وارينا ، فيرونيكا) مسحت وجه المسيح المتألم على طريق الجلجلة فانطبعت صورته • وما تزال كنيسة القديس بطرس في روما تحتفظ بمنديل من هذا الصنف ، يعزى الى فيرونيكا ومعنى هذا الاسم : الوجه الحسن * ولامجال للخلط بين المنديل والكفن المحفوظ حاليا في تورينو ، وذكر يحيى بن جرير التكريتي (من منتصف القرن ١١) في كتابه (المرشد) ان منديل وجه المسيح كان محفوظا في الرها سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م ثم حمله البيزنطيون في تلك السنة الى القسطنطينية ، وانه رآه في كنيسة ايا صوفيا سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٩ م (مخطوطة

الفاتيكان : بورجيا ، عربي ٢٢٧ ، ٢٧٩ ظ ـ ٢٨٠) ٠
وتدخل بركة المدينة ضمن الامتيازات التي كان يتمناها اناس تلك القرون(الثالث والرابع والخامس للميلاد)، لاسيما لدرء الحروب عن المدن ، وشرح ما يكون قد حصل من خير وازدهار اما اكتشاف عود الصليب فقد استبدل ام الملك قسطنطين بأم الملك أبجر ٠ وثمه افتراض على وجود ملك اشوري اسمه نرسي ، لا نلقى له اثرا في معطيات التاريخ.ولعل افضل من قدم تبريرا لهذه الاضافات القصصية روبنس دفال :فلخص بذلك آراء المعترضين على ما سماها النقاد (اسطورة أبجر ـ أدي) ، فقال : الرها (اوديسا ـ اذيسا) مدينة مهمة في بلاد ما بين النهرين الغربية ، بل مملكة صغيرة ٠ ويشهد التاريخ ان لها اسهاما كبيرا في انتشار المسيحية في ديار المشرق ، فهل يمكن ان يحدث ذلك انطلاقا من بيئة مناوئة، كالوثنية أو اليهودية ؟ كلا ، لذا ، كان لا بد ان نلقى في الرها مسيحية متمكنة منذ بدايات المسيحية في العالم ٠ فليس من الغرابة بمكان ان نرى (التعليم ـ ملبانوثا) يختم هذه الحقيقة بامتيازات ربانية تعزز موقف الرها ٠

واذا ما كان البعض لم يفطنوا بعد لماذا نتعرض لمثل هذه القصص ، ولماذا نسهب في التطرق الى التفاصيل ، ولماذا نحلل ونلخص ونتساءل ، فاني اقول واكرر القول : ان هذه القصص والروايات قادت الناقدين ، وبحق ، الى الربط ما بين صحة الاحداث الواردة في (الاعمال) و (التعليم) ، وما بين الاصل العريق للمسيحية في بلاد ما بين النهرين ونشأتها وازدهارها في ديار المشرق ، والى الشك بالتالي في الاصل الرسولي لكنيسة المشرق ٠ فان نحن أهملنا هذه العملية

النقدية ، ساقتنا الامور الى نتيجـة حتميـة واضحة بشأن بدايات المسيحيـة في المشرق • اما القبول بهذه المصـادر القصصية على علاتها ، فيعني اننا ما نزال نبحث التاريـخ بعقليـة تقليدية ، غير علميـة ونقدية ، سيما وان الشواهد لا تسعفنا وحدها في الوصول الى الحقيقة وتفاصيلهـا ، ومعظمها يتشابك ومعطيـات هذه النصوص القصصية •

رواية عن ملك الاديسيين (مملكة الرها)
القصة في تاريخ اوسابيوس

١ ـ لما ذاعت انباء لاهوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح في الخارج بين كل البشر بسبب قوته الصانعة العجائب . جذب اشخاصا لا حصر لهم من كل الممالك الاجنبية البعيدة عن اليهودية ممن كانوا يرجون الشفاء من امراضهم ومن كل انواع الالام ·

٢ ـ فمثلا الملك ابجارا (ابجر) ـ الذي حكم الامم التي وراء نهر الفرات بمجد عظيم ـ اذ اصيب بمرض مروع عجزت عن شفائه كل حكمة بشرية (الطب) · وسمع باسم يسوع ومعجزاته التي شهد بها الجميع بلا استثناء ، ارسل اليه رسالة مع مخصوص (رسول موفد) : ورجاه ان يشفيه من مرضه ·

٣ ـ على أنه في ذلك الوقت لم يجبه الى طلبه ، ومع ذلك حسبه مستحقا ان ترسل اليه رسالة شخصية قال فيها : انه سيرسل احد تلاميذه لشفائه من مرضه ، وفي نفس الوقت وعده بالخلاص لنفسه ولكل بيته ·

٤ ـ ولم يمض وقت طويل حتى تحقق دعده · لانه بعد قيامته من الاموات وصعوده الى السماء، ارشد الوحي توما ـ احد الرسل الاثني عشر ـ فارسل تداوس (تدى = ادى) ، الذي كان ايضا ضمن تلاميذ المسيح السبعين الى اديسا (الرها)، ليكرز ويبشر بتعاليم المسيح ، وعلى يديه تم كل ما وعد به مخلصنا ·

٥ـ ولديكم الدليل ـ المكتوب ـ على هذه الامور مستمدا من سجلات الرها (اديسا) ، التي كانت في ذلك الوقت مدينة ملكية ، لانه قد وجدت تلك الامور محفوظة الى الوقت

الحاضر في السجلات العامة الرسمية المتضمنة بيانات عن العصور الغابرة وعن اعمال ابجر (ابجارا) ·

وليس شيء افضل من ان تسمعوا الرسائل نفسها التي اخذناها من السجلات الرسمية ، وترجمناها حرفيا من اللغة السريانية على النحو التالي :

صورة رسالة كتبها ابجارا (ابجر) الحاكم الى يسوع وارسلها اليه في اورشليم يد حنانيا الساعي خفيف الحركة

٦ ـ السلام من ابجارا (ابجر) حاكم ادسا (الرها) الى يسوع المخلص السامي ، الذي ظهر في مملكة اورشليم ·

لقد سمعت انباءك وأنباء آيات الشفاء التي صنعتها بدون ادوية او عقاقير · لانه يقال انك تجعل العمي يبصرون والعرج يمشون ، وانك تطهر البرص ، وتخرج الارواح النجسة والشياطين : وتشفي المصابين بامراض مستعصية وتقيم الموتى ·

٧ ـ واذ سمعت كل هذه الامور عنك ، استنتجت، انه لا بد ان يكون احد الامرين صحيحا · اما ان تكون انت الله ، واذ نزلت من السماء فانك تصنع هذه الامور ، او تكون انت ابن الله اذ تصنع هذه الامور ·

٨ ـ لذلك كتبت اليك لاطلب ان تكلف نفسك مؤونة التعب لتأتي الي وتشفيني من المرض الذي اعانيه · لانني سمعت ان اليهود يتذمرون عليك ويتآمرون لايذائك · ولكنني لديّ مدينة جميلة جدا مع صغرها ، وهي تتسع لكلينا ·

اجابة يسوع على الحاكم ابجارا (ابجر) على يد الساعي حنانيا

٩ ـ طوباك يا من آمنت بي دون ان تراني · لانه مكتوب عني ان الذين رأوني لا يؤمنون بي ، اما الذين لم يروني

يؤمنون ويخلصون ٠

اما بخصوص ما كتبت الى عنه لكي اليّ اليك . فيلزمني ان أتم هنا كل الاشياء التي من اجلها ارسلت ، وبعداتمامها اصعد ثانية الى من ارسلني ٠ ولكنني بعد صعودي، ارسل اليك احد تلاميذي ليشفيك من مرضك ويعطي حياة لك ولمن لك ٠

١٠ـ وقد اضيف لهاتين الرسالتين الوصف التالي باللغة السريانية ٠

" وبعد صعود يسوع : فان يهوذا ، الذي يدعى ايضا توما، ارسل اليه تداوس الرسول احد السبعين ٠ ولما اتى سكن مع طوبيا بن طوبيا ٠ ولما ذاع خبره قيل لابجارا (ابجر) ان احد رسل يسوع اتى كما سبق ان كتب اليه ٠

١١ـ عندئذ بدأ تداوس (تدى = ادى) يشفي كل مرض وكل ضعف بقوة الله ، حتى تعجب الجميع ٠ ولما سمع ابجارا (ابجر) بالاعمال العظيمة التي صنعها : وايات الشفاء التي أجراها، بدأ يشتبه بانه هو الذي كتب اليه عنه يسوع قائلا : بعد صعودي ارسل اليك احد تلاميذي ليشفيك "٠

١٢ـ لذلك استدعى طوبيا الذي كان يسكن معه تداوس وقال: قد سمعت ان شخصا ذا سلطان أتى وهو يسكن في بيتك ، احضره الي ٠ فاتى طوبيا الى تداوس وقال له : استدعاني الحاكم ابجارا واخبرني ان آخذك اليه لكي تشفيه٠ فقال تداوس : ساذهب : لانني أرسلت اليه بسلطان ٠

١٣ـ ومن ثم قام طوبيا مبكرا في اليوم التالي ، واخذ تداوس ، واتى الى ابجارا ولما اتى كان الاشراف حاضرين وقائمين حول ابجارا ٠ وحالما دخل ظهرت رؤيا عظيمة لابجارا في وجه الرسول تداوس ٠ ولما رآها ابجارا انطرح امام تداوس

بينما تعجب كل الواقفين لانهم لم يروا الرؤيا التي ظهرت لابجارا وحده .

١٤ـ ثم استعلم من تداوس ان كان هو حقا تلميذ ليسوع ابن الله الذي قال له سارسل اليك احد تلاميذي ليشفيك ويعطيك الحياة ، فقال تداوس : لانك آمنت بمن ارسلني ايمانا قويا فقد ارسلت اليك ،واكثر من هذا ان كنت تؤمن به يمنح لك سؤل قلبك حسب ايمانك .

١٥ـ فقال له ابجارا : لقد آمنت به حتى انني وددت ان اجرد جيشا واهلك اولئك اليهود الذين صلبوه لو لم يؤخرني عن ذلك سلطان الرومانيين . فقال تداوس : لقد تمم ربنا ارادة ابيه . واذ تممها صعد الى ابيه . فاجاب ابجارا : وانا ايضا آمنت به وبابيه .

١٦ـ فقال له تداوس : ولذلك اضع يدى عليك باسمه. ولما فعل ذلك شفي ابجارا في الحال من المرض والالام التي كان يعانيها

١٧ـ فذهل ابجارا لانه كما سمع عن يسوع ، هكذا نال بالفعل على يدى تلميذه تداوس الذي شفاه بدون دواء او عقاقير . وليس هو وحده ، بل ايضا ابدوس (عبدوس) بن ابدوس الذي كان مصابا بالنقرس (داء المفاصل) ، والذي اتى هو ايضا اليه وسقط عند قدميه ، فشفي اذ نال البركة بوضع يديه . ولقد شفى تداوس هذا نفسه ايضا الكثيرين من سكان المدينة ، وصنع عجائب واعمالا مدهشة وكرز بكلمة الله .

١٨ـ وبعد ذلك قال ابجارا : انت يا تداوس تصنع هذه الامور بقوة الله ونحن نتعجب . ولكنني علاوة على هذه اتوسل اليك ان تخبرني عن مجيء يسوع ، كيف ولد ،وعن

قوته ، وبايـة قوة كان يجرى تلك الاعمـال التـي سمعـت عنهـا ٠

١٩ـ فقال تداوس : الان سالتزم الصمت فعلا طالما كنت قد ارسلت لاذاعة الكلمـة جهارا ٠ ولكـن غدا اجمع الى كل مواطنيـك ، فاكرز في حضورهم ، وغرس بينهم كلمة الله عن مجيء يسوع كيـف ولد وعـن ارساليته ، ولاية غاية ارسل مـن قبل الاب ، وعن قوة اعماله ، والاسرار التي اذاعهـا في العالم ، وبأيـة قوة عمل هذه الامور ، وعـن تعليمه الجديد وانكاره لذاته وتواضعه، وكيـف تنازل ومات وحجب لاهوته وصلب ونزل الى الجحيم وحطم المتاريس التي لم تكـن قـد تحطمت منذ الازل ، واقام الموتى ، لانه نزل وحده ، ولكنه قام مع كثيرين ، وهكذا صعد الى ابيـه ٠

٢٠ ـ وعلى ذلك امر ابجارا مواطنيـه للاجتماع في الصبـاح الباكر لسماع كرازة تداوس ٠ وبعد ذلك امر بان يعطى فضة وذهبا ٠ وانه رفض قائلا : ان كنا قد تركنا ما هو ملك لنـا ، فكيـف نأخذ ما هولغيرنا؟

هذه الامور تمت في السنة الثلاثمائة والاربعين (من بـدء تكويـن مملكة الرها سنة ١٧٠٦ من عهد ابراهيم .اي ٣١٠ق‌م فتكون السنة ٣٤٠ موافقة ٢٠٤٦ اي ٣٠م)

وقد دونتها هنا في موضعها المناسب منقولة عن السريانية حرفيـا٠ وارجو أن تؤدي خدمة نافعة ٠

(تاريخ الكنيسة ، تأليف اوسابيوس (يوسابيوس) القيصري ، ترجمة القمص مرقس داود ، القاهـرة (مكتبة المحبة) ١٩٧٩ الكتاب الاول ، الفصل ١٣،ص ٥٤ـ٥٩) ٠

فسيسفاء من الرها سنة ٢٣٥_٢٣٦ م

٤ـ مقارنة (التعليم) بالمعطيات الرهاوية الاخرى :

نقتصر هنا على ما يخص الرها . تاركين ما يخص المناطق الاخرى الى فقرات لاحقة ، فالقضية متداخلة ومعقدة . ولا بد لنا من فرز بعض العناصر لايضاح الامور . كما نحيل القارىء الكريم الى الفقرة الخاصة بمملكة الرها للاطلاع على جوانب مفصلة سنكتفي هنا بذكر نتف منها ٠

ونقولها فورا : ليس من شك في انتشار المسيحية في ديار المشرق منذ القرن الاول للميلاد . انما لا داعي للانفعال الشديد ازاء تشكيك البعض واعتراضاتهم ، كما فعل الاب بطرس نصري ٠ فالعالم لا ينفعل ، بل يناقش بموضوعية ويبحث عن ادلة مقنعة ، كما فعل المطران أدي شير ٠

ونقبل نحن اعتراضات النقاد التي تنفي بان يكون ابجر الخامس هو الذي اعتنق المسيحية ٠ ونرجح احتمال تنصر ابجر التاسع (١٧٩ـ٢١٤م) ، او ملك اخر قبله ، دون ان يعني ذلك عدم انتشار المسيحية في الرها ، وفي سائر المشرق ، منذ القرن الاول ، وعلى يد ادي ، وتلميذه أجي وماري ٠

فتكون النواة الاصلية للقصة (أبجر ـ أدي) : ان أدي ، احد الاثنين والسبعين تلميذا ، مضى الى الرها ، فبشر فيها ، ثم بشرّ هو وتلميذاه ، اجي وماري ، في مناطق اخرى ايضا٠ وقد كانت لادى علاقة مع الرسول توما ، كما رأينا في الفقرة السابقة ٠ وينبغي ان يكون توما في منطقة تؤهله ان يهتم بالرها لكي يرسل ادي اليها ، ومدينة اندرا الهندية تصلح لهذا الاحتمال اكثر من وجوده في فلسطين ٠ او انه كان ما يزال في قيصرية قبل ذهابه الى الهند عبر الخليج٠

وقد خلط المؤلفون الغربيون بين أدي وتدي ، اذ اقتفوا اثار اوسابيوس الذي قال (تدى) وهو يقصد (أدي) بينمـا يقول اوسابيوس (أدي) في قصة ابجر ٠

اما تنصر الملك ، ومسيحيـة مملكة الرها بالتالي ، فلـم يكتملا الا في النصف الثاني مـن القرن الثاني اوفي أواخره ٠ ومنذ أواخر القرن الثاني وحتى اواخر القرن الثالث ، مـدة كافيـة لكي تتبلور حكاية ابجر ـ ادي ، فان تاريخ هذه القصة وتاريخ كتابة (تعليـم أدي) بالتالي ، يرجع الى اواخر القرن الثالث ، وثمه فترة ، ولو وجيزة ، لكي تنتشر القصة ،فيعرفها اوسابيوس ، ويستقي خلاصتها ، او التقليد الاسبق لهـا ، فيسجلها في تاريخه ، ويقول بانه استقاها مـن خزانة مملكـة الرها ، فقد اصبحت المملكة مسيحيـة ، وليس غريبا ان تضم المكتبة الملوكيـة قصة مهمة كهذه تؤكد اصالتها المسيحيـة ورسوليتها ٠

ومن أهم الادلة التي تدعم انتشار المسيحيـة في بلاد ما بين النهريـن ، وفي الرها بنوع خاص، اشتراك اساقفة مـن بلاد ما بين النهريـن في المجتمع المنعقد بشأن تحديد يوم عيدالفصح سنة ١٩٠، وانتشار عمل ططيانس في اوساط رهاوية مشرقية أي الانجيـل الموحد المعروف بالدياطسرون منذ عام ١٧٢ على الاقل،ووجود برديصان الفيلسوف المسيحي في بلاط مملكـة الرها في اواخر القرن الثاني ، وغرق كنيسة في الرها بسبـب فيضان حصل سنة ٢٠١ ٠ هذه وغيرها مـن شواهد تفترض قيام المسيحيـة في هذه المنطقة منذ زمـن طويل ، لان وجود عدة اساقفة في منطقة واحدة لا يتم بسرعة ، ولا صياغة انجيل موحد للنصوص الاربعة ، ولا احتضان البلاط لفلسفة مسيحيـة ٠

هذا بالاضافة الى عشرات الشهادات لمؤلفين ليسوا من اهل المنطقة ، بل غرباء عنها ، كابرسيوس المدونة شهادته على حجر يرجع الى نحو سنة ٢٠٠ ، وشهادة يوليوس الافريقي نحو ١٦٠ـ٢٤٠ ،وترتليانس (ت٢١٢) ، وديونيسيوس الاسكندري (ت٢٦٥) واوسابيوس القيصري (ت٣٤٠) الذي ينقل القصة عن خزانة المملكة الرهاوية ، من السريانية الى اليونانية ، ويخلدها في تاريخه الكنسي الموثوق . والسائحة ايجريا التي تزور الرها سنة ٣٨٤. والمؤرخ الكنسي الاخر سقراط (من اواسط القرن الخامس) ، والمؤرخ الكنسي سوزومين (من اواسط القرن الخامس كذلك) واخرون كثيرون .

بوسعنا التحدث عن اعمال شهداء رهاويين قدامى، أمثال أعمال شر بيل وبرسميا من منتصف القرن الثالث . لكننا سنرجيء الامر الى الفقرة الخاصة بالشهداء .

ويعزز الامر الاهمية الثقافية التي اكتسبتها الرها ، بحيث تمكنت من فرض لغتها الارامية المتطورة ، أي سريانية الرها ، على المسيحية باسرها في بلاد ما بين النهرين وديار المشرق . ولايمكن انّ يحصل هذا الا منذ بدايات المسيحية في المنطقة ، ومنذ القرن الاول ،والا لحصل تعدد لغوي في طقوس كنيسة المشرق ، بمعناها الاوسع ، كما سنشرح ذلك لدى تحدثنا عن مملكة الرها المسيحية .

ثالثا ـ اعمال ماري ٢/٥

١ـ المخطوطات والطبعات والدراسات :

مخطوطات (اعمال ماري) احدث عهدا من مخطوطات (اعمال توما) و (تعليم ادى) ٠ واول من نشر اعمال ماري ، ابلوس البلجيكي في (الاعمال البولنديانية) (جـ ٤ ، ص٥٠ـ١٣١) في لوفان سنة ١٨٨٥ ، مشفوعة بترجمة لاتينية ، ثم الاب بيجان عام ١٨٩٠ (جـ ١ ، ص٤٥ـ٩٥) وقام راب باجراء تصويبات على النص المطبوع استمدها من مخطوطات اخرى ، عام١٨٩٣٠ ونشر كل من المطران ادي شير ، ومؤخرا الاب البير ابونا ترجمة عربية موجزة لهذه الاعمال في (شهداء المشرق) ٠ اهم دراسة ينبغي الرجوع اليها هي لجيروم لابور ، والكردينال تيسران ، والاب فيي ٠

٢ ـ فحوى النص

لامناص لنا هنا من التطرق الى مالم نذكره في فقرة (تعليم ادي) بشأن تحركات الرسول ادي خارج الرها : مع تأكيدنا على ماتورده (اعمال ماري) بشكل اخص ٠

جاء في (تعليم ادي) ان بلاد مابين النهرين والمناطق المتاخمة قبلت جميعا التعليم بكل رضى ٠ واقتفى آثار ادى ، كل من أجاي (اكي) ، فالوط ، عبشلاما (او برشلاما) ، برسمياواخرون فكانوا معاونين لمارادي في رسالته ، فرسم كهنة كثيرين ، وانتشر تلاميذ المسيح في بلاد اشور ايضا ، وكانوا يقيمون الصلوات خفية ، حتى سمع نرسي ملك الاشوريين باخبار ادى ، فارسل الى الملك ابجر مستخبرا ، فاعلمه ابجر بكل ما

جرى • كما انه ارسل رسالة الى طيباريوس القيصر الروماني حول موقفه من اليهود الذين قتلوا المسيح ، فاجابه الامبراطور بانه قد استبدل بيلاطس البنطي بوال روماني جديد ، وسوف يحقق في الامر • وتفيد القصة ان ادى صنع عجائب امام عيني رسول قيصر • كما تذكر انه شيد كنيسة في الرها ، وبنى كنائس اخرى في جملة مناطق • ولما مرض ادى استدعى اجي وبقية جماعة الكنيسة ، فاقام اجي رئيسا عليهم، ورسم الشماس فالوط كاهنا ، والكاتب عبشلاما شماسا • وتوفي ادى ودفن باكرام في المقبرة الملوكية في الرها • وبعد زمن توفي ابجر الملك ايضا ، وكان احد اولاده غير مؤمن ، فقتل اجي ، وخلفه فالوط ، وعبشلاما (برشلاما) • ومضى فالوط الى انطاكية فاقتبل الرسامة (الاسياميذ،وضع اليد) من سيرابيون ، وهذا كان قبل الرسامة من زيفيرينوس اسقف روما • وقد جمع الاب بيجان ما ورد في تعليم ادى في خبر وجيز نشره في مجموعة (سير الشهداء والقديسين : ج ١، في هامش ص ٥١ـ٥٢) بعنوان (حياة مار اجي الشهيد رسول مابين النهرين) • ويعيد تاريخ سنة ٨٤٦ لمؤلف مجهول (ص ١٣٥) بعض ماجاء في هذا الخبر ، وكذلك في (كتاب النحلة) لسليمان البصري (ت ١٢٢٢ ، ص ٢٥٧ـ٢٥٨) و (مجموعة القوانين الكنسية) لعبد يشوع الصوباوي (ت١٣١٨ ، ص٨) •

ولسنا بحاجة الى تأشير الاقحام الذي شاءه كاتب (التعليم) ليوثق الصلة بين الرها وانطاكية وروما ، والقصد لاهوتي ، قانوني وكنسي •

وتقول (اعمال ماري) ان ادي كان قد اختار ، قبل وفاته ، احد تلاميذه ، هو ماري ، ارسله الى بلاد المشرق بعد ان رسمه

(كاهنا ـ اسقفا) • وتحدد الاعمال المنطقة التي توجه اليـــها ماري في بابـــل •

انطلق ماري مبشرا ، يرافقه الكاهن اناسيمسس ، وتلاميذ اخرون ، فيليبس وملكيشوع وادا وغيرهم ، فعلم في نصيبين، ثم انطلق الى ارزون حيث ابرأ ملكها من داء الملوك ، فآمن هو واهل بيته وسكان المدينة ، فشيد كنيسة ، واقام كهنـــة وشمامســـة •

ثم جاء الى بازبدى (بيث زبدى) ، على الضفة اليمنى مـن دجلة ، ازاء قردو ، فعمّد الكثيرين ، وكذلك في منطقة باعربايا (بيث عرابايي) بين الخابور ودجلة والموصل ، وبلغ منطـــقة اثور (بلاد الاشوريين) ، وكان ملك حدياب (اربيل) مصابـــا بالبرص ويده اليسرى شلاء ، فشفاه واعتمد مع ذويه اجمعين•

وارسل تلميذه طوميس الى بلاد داسان وزوزان وكاوار ، أي الى بلاد كردستان من الشيخان والى الشمال ، والى بلاد المديين، وما لبث طوميس ان توفي في كاورا قرب بحيرة اورمية•

اما ماري فواصل رسالته ، وتلمـــذ منطقة باجرمي (بيث كرماي) شرقي دجلة بمحاذاة الزاب الصغير وجبال حمريـــن وديالى ، ومركزها بيث سلوخ (كركوك) ، فابرأ ابنة ملـــك شهر قرد ، وطرد الشيطان من بيت الاصـــــنام ، فآمن الملك وحاشيته • وتوجه الرسول الى منطقة دار اباد (شـــقلاوة) فاجرى عجائب كثيرة وعمد العديدين وترك هناك تلميذه ادا ، بينما اكمل مار ماري طريقه الى الجنوب ، فوصـــــل المنطقة المعروفة ببلد الاراميين (بيث اراماي ، اطراف بابل) ، وكـان افراهاط الفرثي يحكم انذاك فيها ، وقد جعل كرســـيه في

سلوقية وطيسفون • وانحدر ماري وتلاميذه الى سلوقيـــة ، بالقرب من سلمان باك ، واجهد نفسه كثيرا قبل ان يتمكـن من كسب الناس لدعوته • وتوصل الى هدم معبد الاصـــنام خارج سلوقية ، في الموضع المسمى (كوخي) ، وشيد مكانـــه كنيسة صغيرة واقام لها كهنة وشمامسة ، وأسس في الموضع مدرسة سلّم ادارتها الى احد تلاميذه • وشفى اخت الملـك في قنى ، في الجانب الشرقي من دجلة (على بعد ٩٠ كم جنـــوبي بغداد) ، فبنت كنيســـــة •

وانطلق مار ماري الى منطقة الزوابي ، بين سلوقية وكسكر ، على الضفة اليمنى من دجلة • فاقتبل اهالي كسكر كـــلام الانجيل بحماس ، فبنى لهم كنائس ، وواصل سيره الى منطقة ميسان ، ثم الى الاحواز حيث بشّـــر في الشوش (السـوس) وشوستر وريدان وبيلابد • وانحدر جنوبا حيث كان تومـــا الرسول قد ترك أثرا طيبا ، وبعد ان ترك تلميذه ايوب هناك ، عاد الى سلوقية وطيسفون والمناطق العليا ليتفقد الكنائس • واوصى ماري ان يكون مدبر كنيسة كوخي مَن يترأس كنيسة المشرق • وتوفي ودفن في كنيسة دير قنى ، بعد ان اعلن فافـا خلفا لـــــه •

٣ ـ الشكوك والاعتراضات

ثمة شكوك كثيرة بشأن رسالة ادى في المناطق الاخرى مـا عدا منطقة الرها • فالمؤرخون القدامى يذكـــرونه كمؤسس لكنيسة المشرق التي كرسيها في سلوقية وطيسفون وكوخي ، انما يؤكدون الامر في شخص ماري ، كما تقول قصته .فهـــل علينا حصر رسالة ادى وتلميذه اجي على منطقة الرها واعالي بلاد مابين النهرين حتى ارمينية ؟ وهل ننسب الى تلميـــذه

ماري البشارة المسيحية في المناطق الوسطى والجنوبية والجهات الشرقية من بلاد مابين النهرين ، والجهات الغربية والجنوبية من بلاد فارس ؟

مهما يكن من أمر ، فان النصوص التي تتحدث عن اجي ، لا تذكر عادة ماري ٠ لماذا ؟ هل لان اجي منسوب الى الرها ومحسوب عليها ، بينما ينسحب عمل ماري وموقعه على سلوقية وطيسفون ٠ ولعل هذا عينه هو السبب الذي دفع بالكثيرين الى تركيز بشارة توما في الهند ، بينما نعرف انه رسول المشرق ايضا ، وكذلك ادي فهو رسول بلاد مابين النهرين والمشرق،لا الرها فقط ٠

ومن حقنا اثارة شكوك حول كثرة الاعاجيب التي اجترحها ماري وتلاميذه في كل مكان ، بحيث افرغ كاتب السيرة كلام الله من قوته الفاعلة ، ولا يصعب على اي خبير ان يكتشف الاساوب الشائع الاستخدام في تركيب سياق الامور ، فالملوك الصغار كثيرون ، ومن المقبول والمعروف ان يكون الملوك ، أو ذووهم المقربون مبتلين بمرض فيشفيهم الرسل ، وتهدم معابد الاصنام لكي يبنى مكانها كنائس ٠ وهذه اشارات تدل على تأخر زمن كتابة القصة اذا ما قارناها بعهد تدوين (تعليم ادى) ٠ وثمة التاكيد على (الخلافة الرسولية) والتباس الامر على مدون السيرة اذ جعل (فافا) يخلف ماري الامر الذي يوحي بان السيرة قد كتبت بعد خلافة فافا الجاثليق (اواخر القرن ٣ ومطلع ٤) بزمن ، وعقيب تأسيس كنيستي كوخي وقنى المذكورتين في النص ، وكذلك بعد قيام مدرسة كوخي (في القرن ٤) ٠ لذا قال دفال بان السيرة مكتوبة في القرن ٦ ٠ ونضيف انه لامبرر لاضفاء الاهمية التي تريدها قصة ماري لكنيسة قنى ، الا بعد ان اصبح ديرا مهما ونشأت الرهبانية

وانتشرت الاديرة ، وهذا ليس قبل القرن ٤٠ وفترة زمنية هذا مقدارها تسمح بالمتغيرات اضافة الى الجنس الادبي المستخدم ٠

ويبدو بان كاتب سيرة مار ماري لم يبال كثيرا بالمعطيات التاريخية القديمة ، فهمّه آخر ، لذا جاءت معلوماته مغايرة لما نلقاه في اعمال شهداء اخرين ووقائع المجامع الاولى لكنيسة المشرق ٠

لنذكر ، على سبيل المثال ، وصف كاتب القصة لديانة الذين بشرهم ماري بالمسيحية فهو يقول انها عبادة اشجار وشياطين ، بينما نعرف بان الديانة الرسمية التي كانت سائدة انذاك هي عبادة النار ، دون ان ننفي وجود شعائر وعادات دينية فيها من التعلق بالشياطين والاشجار ٠ كما ينسب كاتب السيرة الى ماري وتلاميذه تبشير مناطق جبلية تفيدنا معطيات تاريخية ثابتة انها لم تحظ بذلك قبل القرن الخامس ٠ لذا يقترح لابور كاتبا "نسطوريا" لاعمال ماري ، أي من القرن السادس ، لكي تحصل موازنة بين (تعليم ادى الذي تبناه المونوفيزيون (او بالاحرى السريان الارثوذكس) ، وبين (اعمال ماري) التي تدعم كنيسة المشرق "النسطورية" ، وكرسيها ومؤسساتها الرسمية العليا في سلوقية وطيسفون وكوخي وقنى ٠

وحصيلة النقد الذي وجهه لابور هو التالي : منذ اقدم أزمنة العصر الوسيط ، شعر الناس بضرورة جعل فكرة "رسولية الكنائس" امرا ملموسا وواقعا حاصلا ، اي ان الكنائس والمراكز المهمة ، ومنها مركز كنيسة المشرق وكرسي سلوقية ـ طيسفون من اصل رسولي ، فنهضوا بكتابة قصص وحكايات اسطورية (خرافية) تؤيد الامر ٠ جرى ذلك ،

بالنسبة لكنيسة المشرق ، اعتبارا من القرن الخامس فمـــا بعـــده (ص٩) ٠

غير ان الدراسات التالية ، ولاسيما المتأخرة منها ، لاتؤيد الفرضية التي استند اليها لابور ٠ انما اوقع لابور معـــظم المستشرقين في الخطأ ، فسجلوا استنتاجاته دونما تدقيــق وتمحيص ، وأمسى القول شائعا لديهم : ان بدايات المسيحية في هذه البلاد لا تسبق القرن الثاني بل الثالث : وان الاصـــل القديم والرسولي اختلاق روّجته كتابات متأخرة ٠

وكان الرد الحاسم حين ابانت دراسات جدية لاحقة بـــان (تعليم ادى) مكتوب قبل القرن الخامس بكثير ، ومع ذلك فهو يحاول اضفاء قيمة على الاصل الرسولي لمملكة الرها ، ولاعلاقة له بعقلية ارجعها النقاد امثال لابور ، الى العصر الوسيط ٠ فلمَ لا تكون (اعمال ماري) على غرار ذلك ، وتكون العقلية التـــي تصورها النقاد متأخرة اقدم بكثير ، ويغدو فهمنا لها حينذاك مختلفا عن فهمهم لها ، لانها لايمكن عندئذ ان تختلق كل شيء ، انما هو جنس ادبي دُوّنت بموجبه سير واعمال وتعاليم جرت على ايدي الرسل والتلاميذ الاوائل حقا ، وشاء كتّاب كنسيون ان يصوغوها بقوالب واشكال فيها من التشويـق والتفخيم ، فهي "أساطير" بالمفهوم العميق : اي بمعنى انها "حقائـــق" مغلفة بحكايات جميلة ، ولا يحق التنكر للنواة التاريخـــية الاصلية بسبب الاسلوب القصصي المستخدم ، بـــل ينبغي الكشف عن النواة الاساس ، وتجريدها عن جميع الاضافات والتحويرات وصولا الى "معطيات تاريخية" موثوقة ٠

مَن يقوم بهذا العمل يقدم في الوقت عينة الجواب الشافي ، ولو بشكل عام ، على الشكوك والاعتراضات المثارة حـــول حقيقة توما وادي وماري وغيرهم من مبشري المشرق ، نقـــد

اعتبرهم النقد الصارم الذي لايقيم وزنا للاجناس الادبيـــة ويستخلص المعطيات التاريخية من الروايـــات ، شخصيات خرافية ، وهم ليسوا كذلك ٠

٤ ـ مقارنة الاعمال بنصوص تاريخية قديمة

ان لابور عينه يقول : "على الرغم من هذه الصعوبـــات (ويقصد الشكوك والاعتراضات الموجهة ضد اعمال مـــاري) نظن انه في الامكان اثبات حقيقة شخصية مـــاري" (ص١٥) ٠ ويستشهد لابور باعمال شهداء كرخ سلوخ (كركوك) . فهـي من السير الموثوقة ، كما سنرى في باب الاضطهادات ٠ وقـد ورد فيها ان ماري هو معاون ادي الرسول في منطقة باجـرمي (بيث كرماي) : ويعني الامر بان رسالة ادي ، ومعاونه ماري ، قد امتدت حتى باجرمي على اقل تقدير ٠ ونظن بان (مجـدل ماري) حفظ لنا اقدم وانقى تقليد موثوق . فهو يضع ادي في المقدمة ، أرسله توما الى المشرق . وتبعه ماري تلميذه بعـــد صعود المسيح بثلاثين سنة (ص١) ٠

سنرجىء هنا قضية تسلسل جثالقة (بطاركة) كنيســة المشرق ، الذي يبتدىء بماري ، في قوائم المؤلفين القدامى ، الى الفقرة التي سنتحدث فيها عن تنظيم هذه الكنيسة ٠ منوهين فقط بواحدة من اقدم السلاسل الرئاسية المشرقية . يقدمهـا ايليا الجوهري (نحو عام ٨٩٠) ذاكرا : ادي ، وماري ، ثـــم أبريس ، ابراهيم ، يعقوب ، (احاد ابوي) ، تومرصا ، ثم فافا (مخطوطة الفاتيكان ١٥٧) ٠

اما الكرازة في مناطق عديدة ، واخصها منطقة سلوقيـــة (المدائن) ، حيث سنرى كنيسة المشرق مركزيتها في عهـــد

لاحق للتبشير فتجمع المصادر الاخرى كلها على انها تمت على يد ماري : على العكس مما حدث في منطقة الاحـواز (بيـث هوزايي) مثلا ، اذ نفهم من اعمال ماري عينها ان تجـارا مسيحيين غربيين (من الروم ؟) سبقوه اليها ٠

ولئـلا يتيـه القـاريء غيـر المتخصص في هـذه المعمعة النقدية التفصيلية ، نحيله ، في نهاية هذا الباب ، الـى اهم الشواهد التاريخية والجغرافية والاثارية التي تدعم مجيء مار ماري الى منطقة سلوقية وطيسفون ، من دون ان نقـر ونؤيد الاضافات التي اجرتها اساليب ادبية قصصية معروفة، كاللجوء الى الاعاجيب الكثيرة وتعميد اكثر من ملك وافـراد العائلة المالكة والحاشية، ومحاولة ارجاع معظم المراكز الكنسية المهمة عبر طريق الرها (اديسا ـ اورفا) وبابل (سلوقيـة وطيسفون) ، الى اصل رسولي ، رغم احتمالية الامر الاخير بسبب الطريق السالكة وبسبب الجاليات اليهودية التي كانت تكثر في مدن هذا الخط الستراتيجي ٠ ومعلوم بان الرسـل والتلاميذ الاوائل كانوا يقصدون اول مايقصدون مثل هـذه الاوساط بسبب التجانس الكبير القائم ٠

شاهدا واحدا ننوه به هنا ، وسوف نفيض في تبيانه فيما بعد ، هو قدمية كنيسة كوخي ، سنده نتائج حفريـات السنوات الاخيرة ، ونص تاريخي قديم جدا ، ودليل جغرافي تاريخي ٠

اما اعطاء الاهمية لقنى ، فمن باب استباق الامور ، ويجـب اعتبار النص متأخرا ، أي من عهد كتابة قصة ماري ٠

ويبدو من جميع المناقشات والادلة ان مار ماري بشـر في سلوقية وطيسفون واطرافهما في النصف الثاني من القـرن الاول ، وقبل اواخر القرن الاول على كل حال ، وهو تلميـذ

مار ادي ، ولا يستبعد بان يكون ادي احد التلاميذ السبعين او الاثنين والسبعين الذين اختارهم المسيح معاونين لرسله الاثني عشر ، كما يحق اعتبار الجماعات المسيحية في منطقتي الرها وسلوقية وطيسفون ، وغيرهما من مناطق ، من الجماعات التي تتلمذت على ايدي الرسل وتلاميذهم الاولين. اما (اعمال ماري) فلم تكتب قبل القرن الرابع .

رابعا ـ تاريخ اربيل المنسوب الى مشيحازخا

لن نسهب في هذه الفقرة : فقد اشبع الموضوع نقدا . وكنا قد نشرنا حوله شيئا في بحثنا (التواريخ السريانية) . ولو اننا فوجئنا مؤخرا بنشر الكتاب مرة اخرى ، مشفوعا بترجمه المانية من قبل الاستاذ كافيراو سنة ١٩٨٥ ، ولم يشر كافيراو الى بحث الاب فيي . مع انه منشور منذ سنة ١٩٦٧ .

عام ١٩٠٧ نشر الفونس منكنا كتابا بعنوان (تاريخ اربيل Chroniqued' Arbele ما عتم ان طارت شهرته ، لانه اعتبر نصا تاريخيا موثوقا وقديما نوعا ما ، فجاء ردا صريحا افحم كل النقاد الذين شكوا بصحة التقليد الكنسي القديم بشأن الاصل الرسولي لكنيسة المشرق وبدايات المسيحية في بلاد مابين النهرين منذ اواسط القرن الاول . فلا عجب ان تنتزع هذه الوثيقة اعجاب كبار العلماء ، امثال هرناك وساخو وبومشترك ، فيعملون على اعادة الكرامة الى التقليد مقرين بقدميته . ويترجم ساخو النص السرياني الى الالمانية ، وسرديل الى اللاتينية ، والمطران بطرس عزيز الى العربية ، اضافة الى ترجمة منكنا الفرنسية لدى نشره النص . وما عتمت ان نشرت بحوث ، وابدى بعضهم شكوكا واعتراضات . وشن بيترس حملة مفادها ضعف تاريخية النص ، واحتدم

النقاش بين اليسوعيين اورتيز دي اوربينا المتحامل على منكنا والنص الذي نشره، وبين مستينا المدافع عنه، وقام اسفالج بامتحان المخطوطة المزعومة للنص واستنتج بانها حديثة العهد. واخبرا دبج الاب فيي بحثا مسهبا في الموضوع، اعتبره رأيا صائبا رغم حدية استنتاجاته. فلماذا؟ وما الخبر؟

ادّعى منكنا انه اكتشف مخطوطة قديمة قام بتدقيقها، فظن انه لقي فيها ضالته المنشودة، اذ بوسعها ان تكون - حسبه - التاريخ الكنسي الموثوق للمؤرخ مشيحا زخا (الذي كتب نحو سنة ٥٥٠-٥٦٩)، واشتهر بدقته: على حد تعبير عبد يشوع الصوباوي (فهرس المؤلفين رقم ٥٤ أ سطر ٩٥٩-٩٦٠). وقد كانت المخطوطة اليتيمة مبتورة، فمن حق منكنا وواجبه اذاً ان يحاول تشخيص زمن كتابة النص ومؤلف الكتاب التاريخي. وظهر بان مؤلفنا، أي مشيحا زخا بحسب منكنا، اعتمد في تاريخه مصدرين تاريخيين رئيسين، اولهما لمؤلف يسميه هابيل، والثاني التاريخ الكنسي لاوسابيوس القيصري. وبينما نجهل كل شيء عن الاول، نعرف الثاني جيدا.

يؤكد تاريخ مشيخا زخا دور ادي وتبشيره في اعالي بلاد مابين النهرين ومنطقة حدياب (اربيل)، لذا اطلق عليه ناشره اسم (تاريخ اربيل)، ويكشف هذا النص عن بدايات المسيحية في بلاد مابين النهرين منذ القرن الاول، كما عن القدمية الرسولية لكنيسة المشرق. وهذا رد مفحم استخدمه منكنا ضد من ينعتهم بـ "متسرينين معاصرين": ويقصد بهم النقاد الذين ورد ذكرهم حتى الان.

الا ان النقاد اكتشفوا اعتراضات بل متناقضات عديدة لدى امتحانهم النص المنشور، وأثاروا شكوكا تدور حول

المخطوطة وتاريخها ، كما بشأن المؤلف الذي اليه نسب التاريخ وبشأن مصادره.وكانت الحصيلة : ان المخطوطة الاصلية التي باعها منكنا عام ١٩٠٧ الى مكتبة برلين (وسجلت برقم ٣١٢٦) بمبلغ ٣٥٠٠ فرنك ، عدا تكاليف الشحن ، ليست قديمة العهد ، بل حديثة ، كتبها القس اوراها شكوانا الالقوشي (١٨٥٠ ـ ١٩٣١) ، واجرى عليها محاولة تزوير باشباعها من دخان تنور ، حسبما توصل اليه الخبير بالمخطوطات الاستاذ اسفالج ، واستنادا الى التفاصيل التي جمعها الاب فيي • ولم يعثر احد على مخطوطة (اقرور) القديمة التي زعم منكنا بانه عثر عليها ، والمفروض انه باعها الى مكتبة برلين بمبلغ جيد• فلمَ لجأ منكنا الى هذه الحيلة : عملية تلفيق واضاعة "النص الاصلي" ؟ لقد شمّ النقاد في العملية رائحة تنمّ عن اكثر من نفع مادي.لعله تلاعب اجراه منكنا على نص قديم فعلا اكتشفه، لكنه اراده بالصورة التي يفند بها مزاعم "المتسرينين المحدثين" ، على حد تعبيره ، وهو اسلوب سوف يتبعه لدى نشره كتاب الدين والدولة لعلي بن ربن الطبري ، ورسالة فيلوكسينوس الى ابي عفر •

ونحن لانعرف عن مشيحازخا المؤرخ شيئا كثيرا .لأن عبد يشوع الصوباوي لايتبع في فهرسه تسلسلا زمنيا صارما. فهل مشيحازخا من القرن الخامس ام السادس ام السابع ام من قرن آخر ؟ والمخطوطة الاصلية التي استخدمها منكنا . لاتحمل اسم مؤلفها ، لانها مبتورة . فقام الناشر بامتحان نصوص تاريخية وردت في النص ، المنسوب الى مشيحازخا . مقارنا اياها بما جاء في كتاب الرؤساء لتوما المرجي وتاريخ برحذبشبا ، متوصلا الى نتيجة تؤكد ، حسبه ، بان مشيحازخا من اصل حديابي ، وانه تلميذ مدرسة نصيبين • غير ان

المعطيات التاريخية الثابتة التي لنا عن مدرسة نصيبين ، وعن
منطقة حدياب ، تخالف ما ورد في التاريخ المنسوب لمشيحازخا
ولا تسمح بالقول ان كاتب هذا التاريخ من اواسط القرن ٦
كما يريد منكنا ، ولا من اربيل (حدياب) ، رغم محاولة كاتب
التاريخ ان يجعل حدياب في منزلة سلوقية وطيسفون لكنه
لايعرف مشاهير شهداء حدياب ، ومعلوماته شحيحة جدا
بشأن اساقفة المنطقة ، واعيادها ، وطابعها المتميز • وثمة
نصوص متناقضة في الكتاب بشأن المذهبين "النسطوري
والمونوفيزي" ، ولايبان دور ادي واجي •• هذه وغيرها من
أمور تحملنا على القول ان منكنا قد اجرى تحويرات واضافات
على نص اصلي قديم ، متوخيا امرا واضحا : تفنيد ارا
المتنكرين لبدايات المسيحية في المنطقة ، وغيرها من بلاد
المشرق ، منذ القرن الاول للميلاد •

مما سبق وذكرناه بايجاز، نقول رأينا في الموضوع : يبدو ان
منكنا عثر على مخطوطة سريانية مشرقية قديمة ، مبتورة بحيث
لايبان العنوان ولا اسم صاحبها ، انما مادتها تاريخية ، فيها
من التلميح الى بدايات المسيحية في ديار المشرق مع التركيز
على منطقة حدياب ، فاغتنم الفرصة لكي يفند مزاعم النقاد
الغربيين الذين شككوا بقدم تاريخ كنيسته ، فأجرى اضافات
وتغييرات على النص الاصلي ، حتى استقام امامه نص يرتضيه
فكلف القس اوراها شكوانا الالقوشي بنقله وجعله بصورة
توحي الى القدمية ، وقام بنشر النص مشفوعا بترجمة
فرنسية ، بينما باع المخطوطة الى مكتبة برلين • فليس
"تاريخ اربيل" من اختلاق منكنا ، كليا ، انما هو وثيقة "منحولة
مزورة ، أمسى من الصعب اعتمادها لاننا لانعرف الاصل لكي
نتحاشى التحويرات ، واذا ما استعنا بتواريخ وشواهد اخرى

لتوثيق الامور الواردة في التاريخ الاربلي المعروف لدينا بصورته الحالية ، تمكنا من الاكتفاء بهذه المعلومات دون اللجوء الى مصدر قضى عليه منكنا نوعا ما بحكم الاعدام ، بسبب تشويهه اياه ٠ انما المصادر القديمة الاصلية قليلة لذا نضيف القول : سننتفع من مادة (تاريخ اربيل) في باب تكون الكنائس والابرشيات ، وتفهم منطقة حدياب (اربيل) ، بشكل خاص، وسيعزز ما جاء فيه من معطيات قضايا بتنا اليوم في وثوق منها ، انما يحتاج المؤرخ المتعمق دوما الى ما يكشف له باستنارة عن بواطن الامور من خلال تنوع وجهات النظر ٠

ولنحاول الآن حصر القضية المطروحة ، بعد ان اجرينا هذا الاستعراض التحليلي النقدي المطول ، مجتهدين في تقديم أهم مايوثق بدايات المسيحية في ديار المشرق ٠ اما المعطيات التي يمكن ان نستقيها من (اعمال الشهداء) ومصادر تاريخية متأخرة ، فسوف يرد ذكرها تباعا ، وهي تعزز حقيقة انتشار المسيحية في المشرق منذ القرن الاول للميلاد ٠

شواهد تؤيد انتشار المسيحية في ديار المشرق

بعد هذه الجولة النقدية في اهم الوثائق التي اريد لها ان تعزز أو أن تنفي تقليدا قديما شاملا مفاده : انتشار المسيحية في بلاد مابين النهرين وديار المشرق منذ فجر المسيحية نعود لنتساءل : هل يسقط التقليد المذكور بسقوط "تاريخية" الوثائق لانها اعمال قصصية اكثر منها "تواريخ ؟ اولأن احدها "تاريخ منحول" كتاريخ اربيل ؟

جوابنا بوضوح : كلا ٠ فالتقليد القديم والشامل قائم ٠ وقد تعزز بفضل غربلة هذه الكتابات القصصية والمنحولة ٠ ولا عجب ، فان علم النقد ينقي الحقائق ، كما يفعل الغربال

بالحبوب ، وكما تفعل النار بالذهب • الامر المهم هو عدم اخ
هذه الكتابات على علاتها • كما لايحق لك اهمالها كليا •

ندعم القول بسوق شواهد هي اولا اشارات ، حتى نأتي
بحجج دامغة مستقاة من التواريخ الاكيدة ، ومن نتائج الحفريات
الاثارية وعلم الجغرافية التاريخية •

هذه كلها ، مجتمعة ، تؤيد التقليد القديم الشامل والسائد
وخلاصته ان المسيحية عرفت بذرتها الاولى في بلاد مابين
النهرين بمعناها الواسع ، بما في ذلك مناطق الرها ونصيبين
والديار المشرقية آشور وبابل ، منذ فجر المسيحية في القرن
الاول للميلاد ، وسرعان ماعرفت انتشارا كبيرا في بعض هذ
المناطق ، وامتدت الى مناطق اخرى شمالي وشرقي وجنوبي
هذه البلاد •

اولا ـ اشارات وافتراضات

١ ـ اول الاشارات الدالة على انتشار المسيحية في ديار
المشرق منذ بدايات المسيحية ، افتراض مفاده : لدى انتشار
الرسل الاوائل في العالم للكرازة ببشرى الخلاص ، هل كانو
لينسوا بلاد مابين النهرين والمناطق الواقعة تحت حكم الفرس
والعالم يومذاك ، كما يعبر عنه الفيلسوف المسيحي الشهيد
يوستينس (نحو ١٠٠ ـ ١٦٥م) ، منقسم الى مملكتين ، فرثيا
مسيطرة على امبراطورية الشرق ، ومقتسمة العالم مع روما ؟
الجواب المنطقي : كلا ، فهو عالم بكامله ، ورسالة تلاميذ
المسيح ان ينطلقوا الى العالم اجمع •

٢ ـ كان انطلاق الرسل عبر الطرق السالكة المسماة
بالملوكية ، وطرق العساكر والقوافل ، كانوا يقصدون في كل
مكان يذهبون اليه الجاليات اليهودية اول الامر ، كما يبان من

سفر اعمال الرسل وكتب التواريخ ، لا من بـــاب التعصب ، بل لسهولة التفاهم والتجانس ٠ وقد كانت بلاد مابين النهرين وديار المشرق من البلدان ذات الطرق المعروفة والمطروقة مــن قبل الرومان ، وكانت فيها جاليات يهودية مهمة ، كما في الرها ونصيبين ، وحدياب ، وبابل ، وميسان وغيرها ، فهلا يتفرغ لها احد الرسل ؟ وكان احتكاك الرسل بالاقرب اليهم لغــة وثقافة امرا طبيعيا ، و "السورث" ، او اللهجات الارامية ، لغة فلسطين وبلاد ما بين النهرين وديار المشرق على الســـواء ، فهي آرامية متفرعة عن الاكدية ، والبابلية والاشورية ، ومتى احد الاثني عشر دوّن انجيله بها ٠ ولعل رحلة ايجريـــــا (٣٨١ ــ ٣٨٤) تقدم لنا نموذجا دقيقا للمراحل التي سلكهـا رسل المسيح وتلاميذه الاوائل ، عبر مصر وفلسطين وبلاد ما بين النهرين ، يهمنا منها خاصة : انطاكيـــــة ، هليو بوليس (منبج) ، بطنان (سروج) ، الرها ، حران ٠ وللتجانس الكتابي دور في تصعيد القول بانتشار المسيحية في اوساط لها عيــن الاسفار المقدسة في بابل وفلسطين ٠

٣ ــ اشار بعض الكتاب الى المجوس ، اقدمهم طيمثاوس الكبير (٧٨٠ــ٨٢٤) ، لكننا نعتبر روايتهم جنسا ادبيا ، كمـا أثبت علم الكتاب المقدس ، فهي قصة لاتسمح لنا باقامة دليل تاريخي مثبوت ، وحتى لو اخذنا بالعقلية الجارية ، فانا لانعرفــ موطن المجوس ، وليس من المعقول ان يبشروا بالمسيحية بعــد عودتهم الى بلادهم ونحن مازلنا في سني ميلاد يسوع المســيح اي قبل بدء رسالته العلنية بنحو ثلاثين عاما ٠ وثمه تقليـــد يجعل قبرهم في كولونيا بالمانيا ٠

ولانتطرق الى الشواهد المستمدة من الطقوس والصلوات فهي لاشك تدعم قدم المسيحية في المشرق ، لكنها من باب مــا

اسميناه بالتقليد القديم ، وتعكس عادة فحوى هذا التقليـــد باجلى شـــكل ·

ثانيا ـ شواهـد وادلـة

٤ ـ بينما قد نعطي شيئا من الوجاهة للرأي المتحدث عن اناس من سكان الجزيرة في بلاد ما بين النهرين ، والفرثيين والماديين ، والعرب ومَن كانوا مجتمعين يوم حلول الروح على التلاميذ ، خمسين يوما بعد القيامة ، وقبلوا كلام بطـــرس الرسول ، واعتمدوا (اعمال ١ ، ٩ـ١١) ، اذ من المعقول ان يعود هؤلاء ، كلهم او بعضهم ، الى بلادهم ، وهذه المرة كمسيحيين فهل عادوا فعلا وهل بشروا بالمسيح وانتشروا جماعـــة او جماعـات مسيحية ؟

٥ ـ تعددت الاراء بشأن اي من الرسل قصد بلاد مـا بين النهرين وديار المشرق لنقل بشرى المسيح · لكنه لاشـــك (توما) ، أحد الاثني عشر ، فقد راينا علاقته الصميمة بالرهـا وعلاقته الاكيدة بالهند ، وانه سلك طريق الخليج ، والعراق بالتالي ، لاطريق البحر الاحمر ، لكننا لانلقى اسمه بيـــن اساقفة ـ جثالقة كنيسة المشرق ، انما تأتي شهادة اوسابيوس القيصري المؤرخ لتؤكد زبدة ما جاء في (تعليم ادي) و (اعمال توما) ، اذ يقول : في ذلك الوقت ، ويقصد بعد صعود المسيح تحقق وعد المخلص يسوع لملك الرهاويين (الاوسرهونييـن) "لان توما بارشاد الهي ارسل تداوس (= تدى ، ادى) الـى اديسا (= الرها) ككارز ومبشر بديانة المسيح" ، ثم يشـــير اوسابيوس الى الرواية التي نقلها عن السجلات العامـــة والرسمية لمملكة الرها ، ويضيف بان تداوس (ادى) لما وافى المكان (الرها) ، شفى ملكها (أبجر)، وتلمذ الشعب كلـــه فتكرست كل مدينة الرهاويين لاسم المسيح (١) · ويعـــزز الرأي اكتشاف ذخائر الرسول توما في الكنيسة المشيدة على

اسمه في مدينة الموصل ، فهي اشارة الى تعلق المشرقيين برسولهم توما ، كما ان اعتزاز الملباريين بمار توما ، وتسمية انفسهم "مسيحي مار توما" يفوق كل وصف وبرهان ۰ اما مجيء (بطرس) الرسول الى الموصل ، واعتبار كنيسة شمعون الصفا ، من القرن التاسع ، معصرة سكنها ، فناتج عن افتراض تبشيره في بابل ، لانه يذكرها في رسالة (١ بطرس ٥ ، ١٣) ، الا ان الامر بعيد عما لدينا من معطيات تاريخية بشأن بطرس ورسالته۰ ويذكر بعضهم الرسول(متى)مبشرا في اعالي ما بين النهرين ، بينما يذكر مجدل ماري (٢) الرسولين (نثنائيل) وبرتلماوس (برتلمى) مبشرين في مابين النهرين السفلى ۰ وكان ايليا الجوهري (نحو سنة ٩٠٣) قد ذكر برتلماوس ، اضافة الى ادي وماري ، كمبشر للجزيرة والموصل والسواد والمناطق القريبة في اليمن (٣) ۰ ويظل توما الرسول متصدرا قائمة الرسل مبشري بلاد مابين النهرين وديار المشرق ۰

٦ ـ يذكر معظم المؤلفين القدامى الذين يتطرقون الى بدايات المسيحية في بلاد مابين النهرين وديار المشرق اربعة من التلاميذ السبعين او الاثنين والسبعين ، هم : ادي (تدى) ، ماري ، احى (احا) ، اجي ، تحدثنا عن ثلاثة منهم بما فيه الكفاية ، ودور رابعهم ، احي (احا) هو اقل اهمية ، لان ماري في المجدل (ص٢ـ٣) يقول انه رافق ماري الى نصيبين ، وبعد عودة ادي الى الرها ، مضى احى الى الجبل والاحواز والسند وما قرب جوج وماجوج ، ثم عاد الى قرى قردو (قردي) وبازبدي ومابين النهرين ۰ وثمة مخطوطة فاتيكانية (٤) ۰ وردت فيها ملاحظة مستنسخة عن انجيل رهاوي قديم قيل ان كاتبه احا تلميذ ادي ، وقد تمت النساخة في كنيسة الروم

ببغداد في ٥ كانون الاول سنة ٣٨٩ يو ـ ٧٨م · وورد تأكيد
الصادر على تبشير ادي في منطقة الرها واعالي بلاد مابين
النهرين · ولا نغفل الاشارة الواردة في (تاريخ اربيل) القائل
ان اسقف حدياب بقيذا (١٠٤ـ١١٤) قد اقتبل الرسامة من
يد مار ادي عينه (٥) وقد قام كيورتون بجمع اهم الكتابات
القديمة التي تتحدث عن ادي (٦) · ورأينا بان (تعليم ادي)
وما ذكره اوسابيوس في تاريخه ، يحصران بشارة ادي في الرها
بينما ينوه سوزومين المؤرخ (٧) بان بدايات المسيحية ظهرت
شرقي مابين النهرين وفي الجنوب بفضل العلاقة القائمة بين
الرهاويين والارمن ، بعد ان تم اهتداء الملك تيريدات ·
ويضيف برحذبشبا الحلواني (من القرن السادس) في كتابه
(٨) بان ادي ، بعد تأسيسه جماعة الرها الكنسية ، انطلق
هو وتلاميذه الى ديار المشرق ·

وينسب الاساقفة المشرقيون المجتمعون في بلاط كسرى
سنة ٦١٢ ، تبشير المشرق الى ادي (٩) · ويقول الربان
صوما ، موفد بطريرك المشرق يهبالاها الثالث الى بابا روما
امام الكرادلة سنة ١٢٨٦ـ١٢٨٨ ، بان توما وادي بشرا بلادهم
وان ذخائر مار ادي ومار ماري رسولي ومبشري المشرق
محفوظة في دير يوحنا المعمدان في مراغا (١٠) ·ويذكر عبد
يشوع الصوباوي (١١) بان ادى الرسول بشر في الرها وجميع
المواقع المتاخمة والاماكن الوسطى والحدود (تخوما) ونصيبين
(بازبدي) وباعربايا · وعلينا ان ننتظر العصر الوسيط لنلقى
مؤلفين يعزون الى ادي تبشير حدياب واشور وباجرمي (١٢)
بل انه هو الذي يمنح الاستقلال لكنيسة شهرقرد (١٣) ، ولو
ان القول الاخير لا ينسجم مع قول عبد يشوع السابق ·
ويتصاعد الامر حتى يقول البطريرك ايليا الثامن في رسالة

الى البابا بولس الخامس عام ١٦١٦ ، بان كرسي المشرق هو كرسي مار ادي (١٤) ٠

اما التركيز الحقيقي الذي يجد أسسا متينة في المعطيات التاريخية القديمة ، ويدعمه تقليد متواتر لم يعرف التوقف والانقطاع ، فيدور حول دور مار ماري في كنيسة المشرق، فهو رسول بلاد مابين النهرين ، لاسيما الاطراف الشرقية والوسطى والجنوبية منها ، وهو بحق مؤسس كنيسة المشرق التي كرسيها سلوقية ـ طيسفون (المدائن) منذ اقدم العصور كما سنشرح ذلك في باب تكون الكنيسة وتمركز الرئاسة الكنسية ٠

٧ ـ نعود لنركز على شواهد رهاوية نوهنا بها لدى الحديث عن (تعليم ادى) ، اولها بزوغ نجمين لامعين في اواسط واواخر القرن الثاني ، هما ططيانس وبرديصان ٠ فقد كان ططياقس من بلاد آشور ، وتتلمذ على يد يوستينس الفيلسوف المسيحي الشهيد (+ ١٦٥) ، ووضع عدة مصنفات ، اشهرها الدياطسرون ، او الانجيل الموحد (المختلط) الذي انتشر في الاوساط الرهاوية وكنيسة المشرق بشكل يفترض انتشار المسيحية في هذه الارجاء منذ زمن لا بأس به ، اذ لايعقل ان يزدهر شخص مثل ططيانس ، ويقوم بعمل مثل الديا طسرون إلا في منطقة عرفت المسيحية منذ زمان ٠

٨ ـ وعاش برديصان في بلاط ملك الرها في النصف الثاني من القرن الثاني ، ولعل اصله من منطقة حدياب ، وترك لنا تلميذه فيليبس حواره الفكري في (كتاب شرائع البلدان)٠ وقد جاء في هذا الكتاب ان ابجر الملك اذ تنصر ، منع عبادة الالهة ترعتا ٠ ويصف يوليوس الافريقي ، الذي زار الرها قبل سنة

٢١٦ ، الملك ابجر (الكبير او الثامن ، لاالتاسع) بانه "رجـل
تقي" • ونعرف بان يوليوس هذا مضى الى روما بوفادة لدى
الامبراطور الاسكندر سويريوس الذي عهد اليه بتجديـــد
مكتبة (البانتيون) ، فانهى المهمة سنة ٢٢٧ ، وكما فعـــل
هيبوليث الذي اهدى كتابه (في قيامة الجسد) ، أهدى الافريقي
كتابه (شذرات تاريخية (Kestoi, Chronographia
الى ام الامبراطور ، يوليا ماميئا المشرقية ، وقـــد كانت هي
وابنها ميّالين الى المسيحيين • وثمة اشارة على احتـــفاظ
الامبراطور الاسكندر برسم للمسيح ، فهل هي نســـخة من
الرسم الرهاوي الذي تتحدث عنه قصة ابجر ـ ادي والسائحة
ايجريـــا ؟

ويروي لنا يوليوس الافريقي ، الباحث المعماري الـــذي
انطلق في رحلة من عماوس الى اماكن عديدة ، انه شاهـــد في
بلاط الملك برديصان ، المفكر المسيحي وهو يتحاور في امـــور
دينية وسيأتي في الفقرة الخاصة بمملكة الرها المسيحية بان
شهادة يوليوس دليل كبير على مسيحية الرها • وخزانـــة
وثائقها من أنفس المصادر والكتابات السريانية ، منها استقى
مؤلف قصة ابجر ـ ادي ، واوسابيوس القيصري ، والسائحة
ايجريا ، واخرون ، ما ذكروه عن الرها المسيحية • ويضيف
(كتاب شرائع البلدان) شهادات نفيسة عن تنصر الملك ابجر ،
وعن انتشار المسيحية في اوسرهوني •

وسوف نتحدث مفصلا عن ططيانس وبرديصان في بـــاب
(الرها مركز حضارة) •

٩ ـ ان تاريخا سريانيا صغيرا ، موثوق المعلومات كمـــا
يتضح بعد اخضاعه للنقد العلمي ، جمعه مؤلف في القـــرن
السادس من كتابات وثائقية رهاوية اصلية ، اهمها وثائـــق

خزانة المملكة ، التي نقلت في النصف الاول من القرن الرابع الى خزانة اسقفية الرها ، ونشره العلامة اغناطيوس كويدي ، ففيه خبر بالغ الاهمية يفيدنا عن فيضان نهرديصان وتسببه في غرق كنيسة للمسيحيين ، واقعة بجانب القصر الملكي ، وذلك سنة ٢٠١ . ويتحدث (التاريخ الرهاوي الصغير) عن اسقف الرها قونى Kunas الذي وضع أسس كنيسة الرها. وسوف نورد الخبر بنصه الكامل في فقرة لاحقة ، فهو نص ادبي اضافة الى كونه وثيقة تاريخية ، ومن اقدم الكتابات السريانية (١٥) .

١٠ ـ جاء في كتابة منقوشة على الحجر ، تعرف باسم (حجر ابرسيوس) ، ومحفوظة حاليا في متحف اللاتران بروما ودنها نحو عام ٢٠٠ افيرسيوس مار سيللوس Avircius - Marcellus اسقف هيرابوليس في فريجية الوسطى ، بعد ان طاف البلاد وسجل ملاحظاته بشان المسيحيين ، فقال : "لقد رايت ايضا السهل السوري ، وكل المدن ، ونصيبين ، وما وراء الفرات . في كل مكان وجدت اخوة" ، ويقصد مسيحيين ، يصفهم بشعب يحمل ختما (وسما) وضاء (= العماد) ، ويصف ملكة متشحة بحلل ذهبية (= كنيسة روما) ، وكان بولس (= رسائل بولس الرسول) الذي بين يديه ، والايمان الذي يتحلى به ، يفتح الطريق امامه في كل مكان ، فلقي اخوة اقتسم معهم السمكة والمعين والكاس الممزوج بالخبز (= القربان ، القداس) (١٦) .

والجدير بالملاحظة ان ابرسيوس يتحدث عن مسيحيين شرقي الفرات ايضا ، كما لا ننسى بان ططيانس وبرديصان هما اصلا من ديار المشرق ، عاشا واشتهرا في الرها.

١١ ـ اضافة الى ماينقله اوسابيوس في تاريـخ الكنسي الشهير عن خزانة الوثائق الملكية الرهاوية بشأن ادي ـ ابجر ومسيحية مملكة الرها يذكر ايضـا (الكتاب ٥ ، الفصل ٢٣) بان عدة اساقفة من منطقة اوسرهوني والمدن التي في بـلاد مابين النهرين ، تجتمع عام ١٨٩ــ١٩٠ لكي تعطي رايـهـا في مسألة الخلاف بشان تحديد موعد عيد الفصح (القيامة) (إثـر نشوبه بين كنائس افريقيا من جهة وبين روما والغرب ، وكان رأي اساقفة بلاد مابين النهرين الى جانب الرأي الغربي وقد بعثوا برسالة يشير اليها اوسابيوس ٠ ويعيد الخبر سقراط في تاريخه الكنسي (الباب ٥ ،الفصل ٢٢) ٠ ومعلوم بان تكوين عدة ابرشيات على رأسها أساقفة يقتضي وقتا ليس بالقليل ٠ ويزيد هذه الشهادة قيمة ان اوسابيوس وغيره من المؤرخين اليونان واللاتين ، قلما يتطرقون الى المسيحية والكنائـس الواقعة تحت حكم الفرس ٠ ولاوسابيوس ايضا اشارة الـى المسيحية المشرقية القديمة في كتابه (الاعـداد الانجيلي Praeparatio Evangelica وقد نضيف هنا شهادة آباء غربيين اخرين، كترتليانس، وديونيسيوس الاسكندري وغيرهما)(١٧)

١٢ ـ يقول مار افرام (٣٠٦ــ٣٧٣) بفرقـة من المسيحيين تعرف باسم (الفالوطيين) ، فهل هم اتباع فالوط احد الثلاثة الذين كانوا يخدمون كنيسة الرها ، بحسب قصة ابجر ـ ادي، واسقف الرها الذي تريد القصة المذكورة جعل رسامته على يد سيرابيوس اسقف انطاكية (١٨٩ــ٢٠٩) ؟ رغم الخلـط الواضح بين الاحداث ، يهمنا ان نعرف بان افرام نفسـه كان منتميا الى الفالوطيين ، وان هولاء يختلفون عن اتبـاع فالنطينوس ومرقيون وبرديصان الذين كانوا منتشـرين في أيامه في الرها واطرافها ٠ وهذه كلها أدلة على قدم المسيحية

في المنطقة ، اذ لا تنتشر البدع وتتعدد الاراء الا في اجواء تغلغلت فيها الديانة المسيحية بمقدار كاف ٠

وسوف نتحدث في فقرة اخرى عن ظاهرة افرام الكبرى ، انما نشير لماما الى معلمه يعقوب النصيبيني ، والى بدايات الرهبانية في ديار المشرق ، وسنفصل ذلك في الباب الخاص بالرهبانية ٠

١٣ ـ قامت السائحة ايجريا باربع رحلات الى الشرق ، منها رحلتها الى القسطنطينية ، فمكثت ثلاثة ايام في الرها ، كما زارت انطاكية وحران ٠ وكانت اقامتها في الرها في نيسان ٣٨٤ ، شاهدت فيها ضريح الرسول توما (Martyrion) وكنيسة مشيدة على اسمه (= الكنيسة الرهاوية الكبيرة) وقبور شهداء واضرحة قديسين وصوامع رهبان كثيرين ، ورافقها اسقف المدينة لزيارة قصر الملك واراها صورته وصورة ابنه واعطاها نسخة من الوثائق والرسائل المتبادلة بين ابجر ـ والمسيح (١٨) ، وسوف ياتي تفصيل الامر في فقرة خاصة ٠

١٤ ـ يتحدث كل من سقراط وسوزومين ، المؤرخين الكنسيين (القرن ٥) ، عن كنيسة توما الرسول في الرها ، وكيف ان جمالها وغناها جذبا انتباه الامبراطور الروماني فالنس (٣٦٤ـ٣٧٨) حين زارها. ويؤكد سوزومين بان الرها قبلت المسيحية منذ البداية (١٩) ٠

١٥ ـ يذكر (تاريخ اربيل) ان ادي نفسه رسم بقيذا كاول اسقف على حدياب (٢٠) . واسقفية بقيذا هي في السنوات ١٠٤ـ١١٤ ٠

ويقول ماري بن سليمان في (كتاب المجدل) ان ادي ، احد
السبعين ، أرسله توما احد الاثني عشر ، الى المشرق ، وتبعا
ماري تلميذه ، وذلك بعد صعود المسيح بثلاثين سنة ، فجا
الى الرها وبشر فيها وبنى البيع • وتوجه احي (احا) وماري
الى نصيبين • ثم ارسل ادي تلميذه ماري الى المشرق واحي
الى قردو وبازبدي • وتحرك ادي نفسه نحو المشرق بـــدء
بناحية حزة ونينوى (الموصل) وباجرمي ، وعاد الى الرهـــا
حيث توفي ودفن في البيعة الكبرى • ويميز (مجدل ماري) بين
تدي وادي ، فتدى هو نثنائيل بن تلمى ولبي ، احـــد الاثني
عشر ، كتوما الرسول ، بينما ادي ، وكذلك احى وماري مـــن
السبعين ، وجميع هولاء تلمذوا المشرق • وبعد عودة أدي الى
الرها ، مضى احى الى الجبل ، والاحواز ، وتخوم السند ، وما
قرب اجوج وما جوج ، وعاد الى قردو (قردى) ، وبازبـــدى،
وبين النهرين ، ثم الى الرها حيث توفي (٢١) •

اما عمرو بن متي صاحب (المجدل) وصليبا بن يوحنـــا ،
فيؤكدان على ماري ، ويعتبرانه مؤسس (كرسي المشـــرق) ،
وينسبان اليه تلمذة الراذان والمدائن ، ودور قنى ، وكسكر
التي أسام لها اسقفا ، فكان اول اسقف على البلاد ، ثم تلمذة
بابل والعراقين ، والاحواز ، واليمن ، والجزائر، وبلاد العرب
سكان الخيم ، ونجران ، وجزائر بحر اليمن ، وبحر الهنـــد،
وكان يتردد في البلاد التي بشر فيـــها ادي رفيقه ، حتى توفي
ودفن في البيعة الكبرى بدور قنى (٢٢) •

١٦ ــ ويطول بنا الامر لو شئنا ذكر اقوال جميع المؤرخين
المشرقيين ، السريان ، والغربيين اليونان واللاتين ممـــن
يقولون بانتشار المسيحية في بلاد مابين النهرين وديار المشرق

منذ فجر المسيحية · نكتفي بالتنويه باسماء برحذ بشبا عربايا صاحب التاريخ الكنسي ، وطيمثاوس الكبير في رسائله . و يشوعدناح البصري في كتاب الديورة ، وتوما المرجي في كتاب الرؤساء ، وايليا الجوهري ، وميخائيل الكبير في تاريخه ، وعبد الله بن الطيب ، وايليا برشينايا ، وابن العبري ، وعبد يشوع الصوباوي وغيرهم ، اضافة الى اعمال شهداء ، وسير مشاهير ورهبان وديارات ، واعمال مجامع كنسية ، كلها تعزز ماقد بات واضحا ، موثوقا ، وأكيدا : انتشار المسيحية في المشرق منذ القرن الاول للميلاد ·

١٧ ـ آخر ما ندعم به هذه المسألة ، دليل جغرافي ـ تاريخي ـ آثاري ، نسهب فيه لانه بحث في (اقدم كناس المشرق) ، ونخلص منه برسم صورة جيدة عن انتشار المسيحية في وسط العراق ، وهي منطقة تهمنا جدا ، اذ سيقوم فيها كرسي كنيسة المشرق ، كما يمثل البحث كشفا عن اوضاع المسيحية الاولى ، وطراز الكنائس المشرقية الاولى من الناحية المعمارية ودور كنيسة كوخي ودير قني وكرسي المدائن في تاريخ كنيسة المشرق ·

اقدم كنائس العراق ٢/٨

عرض الموضوع *

أن بحثنا في اقدم الكنائس في بلاد وادي الرافدين لابد ان يعتمد مصادر التاريخ على اختلاف انواعها ، وقد تسعفنا التنقيبات الاثارية ، فتنجلي الحقيقة بشكل موثق ٠

لكننا ازاء مشكلة من الضروري التنويه بها ، مفادها ان معظم النصوص لاتأتي على ذكر الكنيسة كعمارة وبناء ، وقد لاتشخص الموقع ، ولاتحدد زمن التشييد الابشكل عام ، فيقال مثلا : نشر الرسول الفلاني المسيحية في منطقة او موضع، دون التطرق الى الكنيسة التي يفترض انها شيدت منذ تكون جماعة من المؤمنين ، اصبحوا بحاجة الى مكان للاجتماعات الدينية والصلاة ٠ وقد يضاف : قام الرسول ببناء كنيسة او كنائس ، أو دفن في كنيسة ما ، دون تزويدنا بمعلومات دقيقة بشأن الموقع ، الزمن،الطراز ٠٠ أضف الى ذلك ان معظم الكنائس والديارات القديمة عفاها الزمن ، فلم يعد في مقدورنا تحديد معالمها .

وثمة صعوبة اخرى . فقد كان التقليد يقول بانتشار المسيحية في بلاد مابين النهرين منذ السنوات الاولى للمسيحية على ايدي بعض الرسل والتلاميذ الاوائل ٠ وجاء تشكيك علماء الغرب بهذه البدايات ، منذ اواسط القرن التاسع عشر، حتى بلغ الامر ببعضهم فأخّروا انتشار المسيحية في بلادنا حتى القرن الثالث . نتيجة تطبيق نقد صارم ، يريد التأكد من صحة أي تقليد ، ودقة اي مصدر قبل الاخذ به ٠ وهو حق مشروع، على كل عالِم ان يقوم به ، انما ينبغي التأني قبل رفض تقليد قديم وشامل ٠ وتاريخ الكنائس الاولى متصل صميما بزمن انتشار المسيحية في البلاد ٠

ونتيجة بحثنا لمسألة بدايات المسيحية في ديار المشرق؟ ان عشرات الادلة التاريخية تدعم التقليد القديم الشامل، والمعطيات الاثارية تؤيده بوضوح ·

والنتيجة؟ لابد من وجود كنيسة، بل كنائس، ترجع الى القرن الاول للميلاد، وقد كثرت الكنائس لاشك في القرن الثاني، ثم في الثالث، فالرابع ·· فما هي هذه الكنائس؟ واين تقع؟

علينا ان نستبعد الاديرة وكنائسها في الفترة الاولى، لان الرهبانية لم تنتشر قبل القرن الثالث او الرابع · ونحن نود التركيز هنا على الكنائس التي تسبق ذلك · اما الكنائس المشيدة على اسم شهيد، فلا يمكن ان تسبق اواخر القرن الثالث، لان الاضطهادات الفارسية لم تبدأ قبل ذلك (*)، ولئن سبقتها اضطهادات رومانية، فأننا لانعرف شهداء في بلاد المشرق قبل القرن الثالث والقرن الرابع ·

المصادر المراجع :

علينا الرجوع الى كل المصادر التي فيها ولو اشارات طفيفة الى اولى الكنائس في بلاد مابين النهرين، وبالاخص في العراق، سواء كانت بالسريانية ام بلغات اخرى، كاليونانية واللاتينية بالاضافه الى العربية · وسيرد ذكر شيء منها في متن البحث، فلا داعي لادراجها هنا ·

أما البحوث المتخصصة في الموضوع فهي : تقارير بعثات آثارية نقبت في بعض المواقع فكشفت النقاب عن كنائس قديمة، سنشير في البحث الى نتائجها · واهمها البعثة الامريكية التي نقبت في تل عمر في السنوات ١٩٢٧ـ١٩٣٢، ثم البعثة

الالمانية التي نقبت في طيسفون في موسمي ١٩٢٨ـ١٩٢٩ ، ثم البعثة الايطالية التي ماتزال منذ سنوات تعمل في سلوقية وقصر بنت القاضي ، وبعثة اكسفورد وحفرياتها في الحيرة عام ١٩٣٢ ، وتنقيبات مؤسسة الاثار العراقية في عدة مواقع سيأتي ذكرها تباعا ٠

نضيف الى هذه التقارير ، مشاهدات ودراسات رحالين قصدوا الاماكن التي تعنينا ، وتركوا لنا وصفا او مخططا او قولا مفيدا ، واهمهم : بونيون عام ١٩٠٧ ، باخمان عام ١٩١٣، برويسر عام ١٩١١، سار هرتسفيلد في السنوات ١٩١١ـ١٩٢٠ (انها سنوات طبع آثارهم) ، اضافة الى آخرين تحدثوا عن كنائس واديرة احدث عهدا من الزمن الذي نركز عليه هنا ٠

وترد اشارات طفيفة جدا لدى بعض من كتبوا عن تاريخ المنطقة ، كما لدى المطران ادي شير (كلدو واثور) ، والاب بطرس نصري (كتاب ذخيرة الاذهان في تاريخ المشارقة والمغاربة السريان) ، ورفائيل بابو اسحق (تاريخ نصارى العراق ، مدارس العراق قبل الاسلام) ، والبطريرك افرام برصوم (اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والاداب السريانية، تاريخ الابرشيات السريانية) ، والمطران اسحق ساكا (السريان ايمان وحضارة) وغيرهم ممن كتبوا بالعربية٠ وكنت قد دبجت بحوثا في بعض الكنائس والاديرة درست فيها تاريخيتها وعمارتها ٠ اما البحثان الاشد تخصصا فنلقاهما لدى اوكو مونيريه دي فيلار ، بالايطالية ، وكتب العلامة الاب حنا فيي ، بالفرنسية ، اضافة الى البحوث في العمارة القديمة في بلاد وادي الرافدين ٠ واليك عناوين بحوث فيلار وفيي :

Ugo Monneret de Villard, Le Chiese della Mesopotamia, OCA 128 , Roma 1940.

J.M. Fiey, Assyrie chretienne, 3 vol., Beyrouth 1965/1969

J.M. Fiey Mossoul chretienne, Beyrouth 1959

J.M. Fiey, Jalons pour une histoire de I'Eglise en Iraq, CSCO, vol. 310, subs . 36 Louvain 1970

كنائس وجوامع ـ الموصل

شهادات وروايات بشأن اقدم الكنائس :

يؤكد نقش (حجر ابرسيوس) المدون نحو سنة ٢٠٠ ميلادية ، على وجود مسيحين ، واذا فكنائس في بلاد الشام ونصيبين وما وراء الفرات ، الى الشرق (١) ٠ وتفيدنا المصادر التي بتنا اليوم على دراية بمعطياتها الصحيحة، أن مار ادي ، احد تلاميذ المسيح او تلميذ الرسول توما نشر الانجيل في مقاطعة اوسر هوني وعاصمتها الرها (اديسا ـ اورفا) التي كانت مملكة ، وصار لها شأن في القرون الاولى للميلاد (٢) ، كما عمل على نشر المسيحية في مناطق اخرى ، يساعده تلاميذ، وتحاول مصادر ان توسع نطاق الكرازة الرسولية لادي ، فتبلغ بها اعالي بلاد مابين النهرين ، وشمال العراق وحتى الهند ، بينما تترك مصادر اخرى تبشير هذه المناطق ، وغيرها لتلميذيه أجي وماري، وبلاد الهند للرسول توما وحده ٠ وتخص مصادر غيرها مار ماري وحده بقيامه بتأسيس جماعات مسيحية في اواسط العراق ، محددة منطقة بابل، مقاطعة بيت ـ آرامايي، (كما تسميها المصادر السريانية) ، مشخصة سلوقية وطيسفون ، او المدائن بحيث اجازت للمؤرخين والباحثين ان يعتبروا مار ماري رسول كنيسة المشرق ، ومؤسس كرسي سلوقية طيسفون (او كما كتبها القدامى : ساليق ـ قطيسفون) ، دونما تنكر لرسالة الرسل والتلاميذ الاخرين ٠

هذا مجمل ماتوحي به مصادر سريانية اهمها (تعليم ادي) ، (اعمال ماري) ، ومعظم التواريخ السريانية ٠ كما تشير اليه كتب التاريخ الكنسي لاوسابيوس القيصري وسقراط وسوزومين ويوليوس الافريقي وقوزما وغيرهم ٠

لايمكننا تحديد موقع الكنائس الاولى من خلال مصادر هي على شكل روايات وضعت اساسا لاذكاء الايمـــان ، لا لكي تسجل تاريخا دقيقا،لذا وجب تحقيق معطياتها بمصادر اخرى لكنها تفيدنا بشأن زمن اقدم الكنائس ، سيما بعد ان اثبت النقد العلمي صحة انتشار المسيحية في بلاد مابين النهريـــن منذ القرن الاول للميلاد · نقصد هنا بالدرجة الاولى (تعليم ادي) و (اعمال ماري) ، كما بوسعنا اضافة (اعمال تومـــا) و (اعمال شهداء) و (قصص) او (سير) اوائل المشاهيـــــــر المسيحيين في المنطقة ·

ونستبعد عادة مصدرا اعتمد عليه بعض مَن كتبوا في مطلع هذا القرن هو التاريخ المعروف ب (تاريخ اربيل) والذي نسبه الفونس منكنا الى المؤرخ الكنسي مشيحا زخا ، اذ اظهر النقد العلمي ان منكنا قد تلاعب بنص اصلي قديم عثر عليه ، بحيث لم يعد في الامكان اليوم التعرف بدقة على ماهو اصيل ومـــا اضافه هو ، الابتوثيق جديد ، ويتم التوثيق باعتماد مصـــادر اخـــرى ·

وكان منكنا قد طبع النص السرياني المشوه مع ترجمـــة فرنسية في الموصل سنة ١٩٠٥ ، ثم قام مؤخرا كافيراو بطبـــع مخطوطة برلين عام ١٩٨٥ ، واشفعها بترجمة المانية (٣) ·

تاريخ الـــرها :

ونبدأ بنص تاريخي ، ورد في (تاريخ الرها) (٤) يفيدنا ان فيضانا دمّر كنيسة للمسيحيين ٢٩١ م ، كما يذكر ان قونـــا الاسقفـــ وضع اسس كنيسة الرها (اورفا) · ويعني الامـــر ان كنيسة قامت في الرها قبل التاريخ المذكور · ولكن : متى بالضبط ؟ واين كانت تقع ؟

تعليم ادي :

لدى قراءتنا كتاب (تعليم ادي) (٥) ، نلقى العبارة التالية
يقول الملك ابجر لادي انه قد آمن بكلامه ، هو وابنه معنو ، وام
اوغسطينة والملكة شلمت ، فبوسعه ان يفعل مايشـــاء وان
«يبني كنيسة مجمعا للناس» (عيدتا بيث صوبا) (٦) للذيـن
امنوا وسيؤمنون بكلامك» ، ويعده الملك بتوفير كل مايلـزم
من مصاريف للبناء • ويكمل النص بأن ادي الرســـول بنى
الكنيسة فعلا ، وكان الناس يقدمون النذور والقرابين فيها(٧)
وفيما يذكر (التعليم) ان ادي دفن في «قبر كبير» دون تحديد
موقعه ، يفيدنا بان تلميذه (أجي) دفن داخل الكنيسة الاوسط
بين الرجال والنساء (٨) ، وهذه اشارة الى الطراز المعماري
للكنيسة •

ونتساءل : هل الكنيسة التي دمرها فيضان سنة ٢٠١ هي
عينها الكنيسة التي بناها مار ادي ؟ والتي دفن فيها مار أجي؟
وما علاقتها بكنيسة الاسقف قونا ؟ وتظـــل اسئلة من دون
جـــــواب •

وثمة اشارة الى ان «كل بلد مابين النهرين» قد قبل تعليم
ادي ، بمعنى ان البشارة المسيحية انتشرت خارج حدود الرها
حتى بلغت «العراق»،وان ادي احتاج الى مساعدين يعاونونه
يذكر (التعليم) من بينهم (فالوط ، وعبشلاما وبرسميا) (٩)
غير ان (التعليم) لايذكر لنا تشييد كنائس جديدة ، كما انه
لايحدد المناطق بدقة ، ونفهم بان معاوني ادي كانوا يخدمـون
معه الكنيسة التي بناها له ابجر الملك (١٠) ، ولكنه يضيف
«وحوالي المدينة كانت تبنى كنائس» (١١) فهلا مازلنـــا في
منطقة الرها ، ام ان ادي ومعاونيه تجاوزوا مملكة الرها الـى

مناطق اخرى من بلاد ما بين النهرين ، كما جاء في نص سابق، انما بالنسبة لتشييد الكنائس ؟

يأتينا جواب صريح في (التعليم) نفسه ، اذ يقـول النص : «لقد كانوا كثيرين الذين قبلوا الكهنوت منه» (اي على يدي ادي) ، ويواصل : «هكذا الشرقيون ايضا ، كانوا كتـجار يقصدون ديار الروم ليروا الايات التي كان ادي يصنـعها، والذين كانوا يتتلمذون منهم من قبل يقتبل الكهـنوت ، فيتلمذون ابناء شعبهم في بلدهم ، بلد الاشوريين،ويعملون هناك بيوت صلاة في الخفية» (١٢) ٠

أنها اشارة نفيسة ، لو اسعفتنا الوثائق الاكيدة في التحقق منها ، لانها تدل على ان المسيحية عرفت الانتشار على ايدي ادي وتلاميذه منذ السنوات الاولى ، وهذا امر يمكن اثباتـه تاريخيا بفضل معطيات اخرى كثيرة ، كما تعني الاشارة اعلاه ان الكنائس الاولى لم تكن علنية وكبيرة بل «بيوت صـلاة» بشكل سري لاشك خوفا من بطش عبدة النار ، كما يقـول النص عينه فيقصد بذلك الفرس المجوس ٠ ويضيف (التعليم) اخيرا ان ادي بعد سنوات من بنائه كنيسة الـرها ، بنى كنائس في مناطق نائية ودانية (١٣) ٠

غير ان معطيات (تعليم ادي) متأخرة نوعا ما ، اذ يتـراوح عهد كتابة (التعليم) مابين القرن الثالث والقـرن الخامس للميلاد ٠ والكتاب سيرة وليس تاريخا بالمعنى الدقيق ٠

اعمال ماري :

وتعيد (اعمال ماري) (١٤) ماجاء في (التعليم) فتقـول ان ادي بنى كنيسة في الرها (١٥) وتضيف بأن ماري بشـر في نصيبين وبنى كنائس ، بـل واديرة ايضـا ، وكنيسة في

ارزون (١٦) • ولاتذكر القصة صراحة بأن ماري شـــيد الكنائس في جميع المناطق التي بشر فيها بالانجيل ، كبازبدي، وباعربايا ، واربيل (حدياب) ، وآشور ، وداسان ، وزوزان ، وباجرمي، لكنها امور مقدرة ضمنيا ، ونقول هنا ايضـــا ان هذه (الاعمال) مدونة بعد القرن الثالث ، وربما في الخامس او السادس وباسلوب قصصي •

اما مايهمنا بالاكثر فهو خبر بشارة مار ماري في منطقـــة سلوقية وطيسفون • اذ تذكر (الاعمال) انه بعد اتعاب كثيرة تمكن مار ماري اخيرا من استمالة ملك سلوقية (ساليـــق) واسمه افراهاط ، وكثيرين معه ، حتى استطاع ان يحـــول هيكل الاصنام الى «كنيسة صغيرة» اقام فيها كهنة وشمامسة كما نصب في الموضع مدرسة وعيّن لها احد تلاميذه معلما (١٧) الا انه اوغر عليه بذلك صدور الوثنيين وكهنتهم ، فقصـــدوا الملك ارطبان في طيسفون وكوخي ، وشكوا الملك افراهـــاط وماري ، فقصد ماري قوني او دير قنى ، وشفى اخت الملـــك ارطبان ، وكانت له رؤيا بـــأن قـــوني ستغدو عظيمة ، فبنى كنيسة في موضع قرب النهر كان معبدا للاصنام(١٨).وتضيف (اعمال ماري) بأن هذه الكنيسة (دير قنى) تضاهي كنيســة كوخي في الكرامة ، لان ماري هو الذي بناها (١٩) • ثـــم يأتي حالا ذكر بناء كنيسة كوخي في سلوقية ، ويلي ذلـــك التبشير في كسكر وميسان وتشييد كنائس فيـــها ، ثم في الاحواز (الاهواز) وبلاد فارس • وتقول (الاعمال) انه لما مـــات مار ماري دفن في كنيسة قنى ، امام بين المقدس، اي المذبح (٢٠)

الفرق واضح بين نزعتي قصة ادي وقصة ماري ، اذ تقترح الاولى الكتمان والسرية للجماعات المسيحية وبيوت صـــلاة صغيرة لسكان مابين النهرين الخاضعين يومذاك لحـــكم

الفرس ، بينما يمكننا ان نستشف بـــأن كاتب (تعليم ادي) من بلاد مابين النهرين الواقعة تحت حكم الرومان ، دوّنهـــا في فترة احتدام العداوة بين الروم والفرس ، وايام كـــانت مملكة الرها شبه مستقلة ، وميالة الى الرومان، فنسب العلنية الرسمية لمنطقة الرها ، والسرية والخوف للمناطق الشرقية من البلاد ، بينما كاتب (اعمال ماري) من المناطق الشرقيـــة بينها ، كتب سيرة ماري في عهد آمن ومؤات للمسيحية · ولولا خشية الاطالة والابتعاد عن قصد البحث وربما الســقوط في حبائل افتراضات واحتمالات لانهاية لها ، لحاولنا تشخيص موقع وزمن كتابة السيرتين بدقة اكبر مما فعلنـــا ·

مجدل مــاري

ونستمد امثلة اخرى من (مجدل ماري) و (التاريخ السعردي). يفيدنا ماري في كتاب (المجدل) (٢١) بأن ادي «بني البيع» في مملكة الرها ، وبعد ان نشر الانجيل في ديار المشرق ، تــوفي «ودفن في البيعة الكبرى بالرها» (٢٢) · وبتكرر الســؤال : هل هي الكنيسة التي اؤدى بها فيضان سنة ٢٠١ ؟

اما بشأن ماري ، فيقول (مجدل ماري) انه بنى «ثلثمايـــة وستين بيعة وعمرا وديرا»(٢٣)ثم يواصل القول: «وعمل الايات والعجائب في بناء البيع ، ومن جملتها البيعة الكبيرة بالمدائن، وبيعة داورتا ببغداد» (٢٤) · ويسوق لنا ايضاحا بقوله ان مار آبا جاثليق المشرق (٥٤٠ـ٥٢٢ م) «وسّع بيعة المـــداين على ماهي الان» ، ويضيف بأنه «مضى الى ديرقني ·· وبنى الدير الذي دفن فيه وكان بيتا للنار» (٢٥) ·

وخلاصة الامر ان ماري بنى كنيستين : الاولى في سلوقية المدائن ، وهي (كنيسة كبيرة) والثانية في قنى وهي (كنيسة

ـ دير) . اما ورود اسم (بغداد) في كتاب المجدل فمن بـــاب
استباق الامور ، كما يحصل في كتب التاريخ التي ترصـــ
وقائع قديمة في فترات لاحقة،لان (مجدل ماري) يرجع الـــى
القرن الحادي عشر للميلاد .

التاريخ السعردي :

ويذكر (التاريخ السعردي) المكتوب قبـــل ١٠٢٠ م ، ان
سابور الاول ابن ارداشير (٢٤١–٢٧٢ م) لما انتصر على الروم
وأسر الملك فالريانس (اوليفرانيوس) فمات في بلاد النبط
اسكن السبي في بلدان العراق والاحواز وفارس ، وفي المـــدن
التي بناها ابوه . وبنى هو ثلاث مدن ، مشتقا لها اسماء مـن
اسمه . الاولى في بلد ميسان ، وسماها سد سابور ،وهي دير
محراق (ريما) . والثانية في بلد فارس ، واسمها الى وقتنـــا
هذا ، اي الى زمن المؤرخ ، سابور . وجدد بناء جنديسابـــور
(بيت لافاط) وكانت قد خربت ، وسماها انطيشابور ، وهذه
تسمية في الجمع بين اليوناني والفارسي ، ومعناها "انت بدل
سابور" . وبنى مدينه ثالثة على دجلة ، وسماها مرو جابـــور
(عكبرا ونواحيها) . واسكن في هذه المدن قوما من الســـبي
ودفع اليهم اراضي يعمرونها ومنازل يسكنونها،«وكثـــــــــر
النصارى في بلد الفرس بهذا السبب ، وبنيت الديارات والبيع
وكان فيهم كهنة سبوا من انطاكية ، فسكنوا جنديسابـــور
واختاروا ازدق الانطاكي فجعلوه اسقفا عليهم» (٢٦) .

ونعرف بأن ديمتريانوس (ديمطريوس) اسقف انطاكيـــة
هو احد المسبيين الى جنديسابور ، وانه اعتل ومات من الغم
وخلفه على كرسي انطاكية بولس السميساطي بـــدعم من
زنوبيا ملكة تدمر (٢٧) .

ويضيف (التاريخ السعردي) ان النصارى لما تفرقوا في البلاد وكثروا بالمشرق ، بنيت في (بيرانشهر)، كرسي مطارين فارس ، بيعتان : سميت الاولى (بيعة الروم) ، والاخرى (كرمانون) »وكان يصلّى فيهما باليونانية والسريانية« (٢٨) ٠

ولاينبغي ان نفهم من هذا ان «الروم» كانوا يشكلون عددا كبيرا الى مسيحيي كنيسة المشرق ، اذ ان المسيحية انتشرت في ديار المشرق قبل الفترة المذكورة هنا بزمن طويل ، ويؤكد النص الذي اوردناه وجود «روم» في الاحواز وبعض المدن، اما المدن الاخرى والارياف فكانت جماعاتها المسيحية خاضعة للاساقفة المحليين ، الذين جرت محاول توحيدهم في رئاسة كنسية مشرقية واحدة ، كرسيها سلوقية ـ طيسفون ، منذ مطلع القرن الرابع (٢٩) ٠

وبشأن اول دير :

ولنا ذكر اول دير في ديار المشرق في خبر (مار اوجين) ٠ ومعلوم بأن بعض المستشرقين شكوا في صحة امر اوجين، اخصهم العلامة لابور ، وتبعه في ذلك المطران ادي شير وشيفيتز ثم فوبس (٣٠) ٠ قال ادي شير : «فنحن نوافق الاب لابور في رأيه ونقول انه ليس من المحتمل ابدا ان اوجين جلب الرهبنة من بلاد مصر الى ارض الاثوريين والكلدان»(٣١) وجاء بان اصل اوجين من جزيرة قليزما (قلوسما) ، وقد ترهب في دير باخوميس وقدم المشرق مع سبعين تلميذا، فسكن في جبل نصيبين ، المعروف بجبل الازل (ايزلا) ٠ ولما وقعت نصيبين بأيدي الفرس سنة ٣٦٣ ، رحب به سابور الثاني ، واذن له ولتلاميذه بالتجوال في ارجاء المملكة فتفرق

تلاميذه ، وبنوا الاديرة في بلاد المشرق • وكانت وفاة مـــا
اوجين في ٢١ نيسان سنة ٣٦٣ م •

ورغم مافي حكاية مار اوجين من امور تتعارض والعلمـــ
التأريخية،فأنه يحق اعتباره «ابا للرهبان» على حد تعبير الا
فيي (٣٢) ، انما ليس لجميع الرهبان ، كما اراد التقلـــ
المطبوع على التعميم والتفخيم • لكننا ندع جانبا تفاصيـــ
الامور ، فهي تخص قضية الرهبانية في المشرق ، ونكتفي بذك
مايقول (التاريخ السعردي) : ان مار اوجين «بنى عمرا في هـ
الجبل» (يقصد جبل ايزلا) ، وذلك بعد ان اجتمع اليه الرهبا
وقصده الناس (٣٣) ، فيعني ذلك ان بناء الدير كان قبـــ
سنة ٣٦٣ ، إن صحت التواريخ • وهذا ايضا زمن متأخر ع
بدايات المسيحية في البلاد ، وانتشار الكنائس الاولى فيها •

ومن الاديرة الوارد ذكرها في القرن الرابع : دير قوني ، كـ
جاء في سيرة مار عبدا وتلاميذه الرهبان ، اذ تقول القصـــ
التي كتبها تلميذه احا (الذي اصبح جاثليقا لكنيسة المشر
٤١١-٤١٤) ان امه طرحته عند باب كنيسة قوني فرباه بعض
المسيحيين ، ولما كبر رسم كاهنا ، نظر لعلمه واخلاقه ، فبنـ
في بلدته ديرا ونصب فيه مدرسة ، وعظم امرها حتى صـــ
فيها ستون معلما (٣٣) •

وثمة دير بناه مار ابراهيم في قيدون نحو سنة ٣٥٦-٣٦٦
ودير مار ميخائيل غربي الموصل ، ودير مار يونان في بريـــ
فيروز سابور ، وعمر زرنوقا الذي شيده مار احا ، ودير يوحنا
ودير بارث في بازبدي ، ودير مار متى في جبل مقلوب ، وديـ
مار بهنام ، ودير مار ميخا النوهدري في القـــوش ، وبعض
كنائس الحيرة (٣٣) •

تساؤل مشـروع

بينما لايسعنا تشخيص الكنائس او البيع التي تقول هذه
روايات انها بنيت منذ القرن الاول للميلاد وحتى الرابع .
ى ضرورة التركيز على منطقة سلوقية وطيسفون (المدائن)
علها تمكنّا من تشخيص مـوقع الكنيستين المـــذكورتين ،
سيما وان تنقيبات اجريت في الموقع منذ سنوات ، وماتزال
ثة اثارية تعمل هناك ·

ولابد لنا ، لضبط الامور بدقة ، من تحديد المواقع . خاصة
نحن ازاء موقع يتضمن تشابك تسميات عديدة ·

محاولة تشخيص (المدائن) :

تعني (المدائن) عدة مدن قديمة ، قامت بعضها في ازمنة ترجع
ى ماقبل الميلاد ، وغيرها في عصور ميلادية مختلفة ، وقـــد
ختلف المؤرخون والجغرافيون والباحثون في عددهـــــــا
تسمياتها ·

وتسمية (المدائن) عربية ، وهي بالسريانيـــــة (مذيناثا) ،
ينما جاءت بالارامية والسريانيـــة بتسمية مختـــلفة ، هي
ماحوزا) ، وتعني عند ذاك الحصن والقلعة والمعقل والبلـــدة
صغيرة ذات الاسوار · وثمة فرق بين (المدائن) و (ماحوزا)
ن حيث المعنى على الاقل ·

ولايتفق المؤرخون العرب في تعداد (المدائن) ، فهي ســـبع
دن حسب حمزة الاصفهاني ، بينما يقول ياقوت انها خمس،
يكتفي البيضاوي بالقول انها عدة مدن ، ويذكـر الخطيب
لبغدادي اربع مدن (٣٤) ·

لنحاول تشخيص اهم المدن التي يذكرها المؤرخـــــ
والجغرافيون :

اولا ــ (سلوقية Seleucia) وقالت المصـــ
السريانية ساليق او سليق ، تقع على الضفة اليمنى ، اي ع
الجهة الغربية من دجلة ، حيث مصب نهر الملك (ملكا) الـ
يربط دجلة بالفرات بناها سلوقوس نيكاتور (نيقاطور) اح
قواد الاسكندر وخافه على هذه المنطقة من البلاد (٣٠٦ـ٠
ق٠م) لكي تحل محل بابل ٠ فازدهرت حتى ضاهت انطاكي
والاسكندرية ، وبلغ عدد نفوسها ٦٠٠ الف نسمة ٠ وظ
قائمة حتى بعد ان شيد الفرثيون مدينة تنافسها ، طيسفو
وكذلك بعد تشييد ولغش اباد (ساباط) عام ٦٩م ، وبعـ
تخلي دجلة عن اسوارها في السنوات ٧٩ـ١١٦ م ، وذكـر
ارتفاع اسوارها بلغ مائتي قدم ، وعرضها خمسين قدمـ
وكانت محاطة بشبكة من الروافد والقنوات ٠ ولم تتلاش
غزو وسلب افيديوس كاسيوس عام ١٦٤ـ١٦٥ م ، انما ک
انهيارها بعد تشييد فيه ــ ارداشير نحو سنة ٢٣٠م ٠ وقـ
وردت في المصادر السريانية باسم (خربثا) اي الخربـــــ
واشتهرت بعد ان استشهد في الموضع الجاثليـق شهدوس
ورفاقه بامر من سابور الثاني عام ٣٤٢ م ، واستحصال مار
اسقف ميافرقين (ميافرقط) موفد هونوريوس قيصر الـر
الى يزدجرد الاول ، امرا ببناء بيت شهداء (بيث سهدي ــ
تيريون) في المكان سنة ٤٠٠ م (٣٥) ٠

ثانيا ــ (طيسفون Ctesiphon)اسسها الفرثيـــون
(وقد انتهى حكمهم عام ٢٢٤ م) في زمن غير محدد ٠ وطوره
وارد ان (ارطبان) نحو سنة ٣٩ـ٤٧/٤٨ ، واصبحت عاصم

للارشاديين والساسانيين ومشتاهم في السنوات ٢٢٦ــ٦٣٢م. تقع على الضفة الشرقية اي اليمنى من دجلـة . واستطاعت اسوارها ان تحبط حملة يوليانس قيصر روما عـام ٣٦٣م . وكان الجانب الغربي من اسوارها يلامس النهر قديما ، بينما قال غيره انه في اسبانير . ولايبدو ان عدد المسيحيين كـان كبيرا في القرون الاولى . ورغم ذلك نلقى ذكر جملة كنائس، ككنيسة بيت نرقوس (نرسيس ؟) ، وكنيسة الجص ، الا ان ذكرها لايرد قبل القرن السادس . كما ان طيسـفون (او قطيسفون) تبركت بعود الصليب عندما غنمه كسـرى ابرويز (٥٩٠ــ٦٢٨م) حتى استرده هرقل عام ٦٢٣م .

ثالثا ــ (ولغش اباد) ، او (ساباط) ، شيدها ارداشـير ولغش قبل سنة ٦٩ م بقليل لكي تنافس سلوقية ، وذلك على فرسخ الى الجنوب على الضفة الغربية لدجلة ، قرب مصـب فرع آخر من نهر الملك ، سماها المؤرخون اليونان (فولغوس سوسرتا) (٣٦) .

رابعا ــ (كوخي) ، او (فيه ــ ارداشير) ، او (بهرسـير) او (بهرسبر) . يحدد الجغرافيون الذين كتبوا قبل السنوات ٧٩ــ١١٦ م موقعها قرب طيسفون ، بينما يحدد الذين كتبـوا بعد ذلك التاريخ موقعها قرب سلوقية ، وذلك لان دجلـة تحرك مجراه في الفترة المذكورة ، واغرق المقبرة القريبـة من طيسفون ، واتجه شرقا ، فلم تعد مياهه تلامس سور طيسفون الغربي وحسب بل السور الجنوبي ايضا . فاصبحت كـوخي على الضفة اليمنى . وقد اختار ارداشير الساساني كوخي نحو عام ٢٣٠م ، لكي يشيد مدينته الجديدة فيه ارداشير اي بهرسير . واستمرت المصادر اليونانية تطلق على المدينـة الجديدة اسمها القديم (كوخي) ، فورد ذكرها لدى يوتربيوس

واميانوس واسطيفان البيزنطي وغريغوريوس النزينـزي
بينما ساوى بعضهم بينها وبين طيسفون ، فقال غريغوريوس
النزينزي : انهما قلعتان تشكلان مدينة واحدة ، ساوى غيره
بينها وبين سلوقية ٠ اما بشأن تسمية (كوخي) فيقول ماري
بن سليمان في المجدل انها من الاكواخ ، لانها «كانت اكـوا
لاكرة مادر شاه رئيس قطيسفون ٠ ولما شفى مار ماري ابنتا
استوهبها منه» (٣٧) والاكرة كلمة مشرقية ، ارامية ـ سرياني
مفردها (أكارا) ، تعني الفلاح او المزارع ٠ وقد ظلت التسمي
الشعبية (ماحوزا) شائعة ، واضيف اليها احيانا (ملكا) ، فقي
(ماحوزاد ملكا) أي حصن او قلعة الملك ٠ ومن الضـــرور
تمييزها عن كوخي ، في فترة تاريخية معينة على الاقل ، كم
انها تختلف عن المدائن (٣٨) ٠

خامسا ـ (رومية) او (انطاكية كسرى) : وهي متأخـر
نوعا ما ، نسبة الى زمن بحثنا ، اذ نشأت عام ٥٤٠م ٠ اثـ
غزو كسرى الاول لانطاكية سوريا ، وسبي ١٨ الفا من اهاليه
واسكانهم في الجانب الشرقي من دجلة ، وتكليفهم ببناء قص
له ، فشيدوا لسكناهم مدينة صغيرة قرب موقـــع العمل
وجعلوها مصغرة لمدينتهم الاصلية ٠ وقد سماها العـــر
(رومية) ٠ ثم اضيف الى سكانها سبايا آخرين من دارا وافام
ايام طيباريوس الثاني (٥٧٨ـ٥٨٢) ٠ ولا يبدو لنا بـــأ
هؤلاء عادوا كلهم الى بلادهم اثر السلام الذي تم عقده بيـ
موريقي وكسرى الثاني عام ٥٩١ ٠ وزومية هذه غير روميـ
الاسكندر ، اي سلوقية (الرومقان) (٣٩) ٠

سادسا ـ (اسبانير) او (اسفانير) او (اسانبر) : تقع علـ
الضفة الشرقية لدجلة ٠ فأن المنطقة الواقعة بين طيسـفو

ـمالا والرومية جنوبا ازدانت بقصر منيف وايوان عظـــيم
بساتين ملوكية وحدائق حيوانات ومبان عامة منها القلعـة
لتي فيها الخزينة واحياء سكنية كالحي المسمى (اسبانبـــر)
قد كان فيه مسيحيون منذ ايام الجاثليق شمعون برصباعي
لى الاقل (الذي استشهد عام ٣٤١ م) (٤٠) ٠

سابعا ـ (مبركثا) : تبعد عن ماحوزا اي كوخي بنحـــو
كيلومترين ٠ وتقع على الضفة الغربية وفيها دير مار سرجيس
و دير الاخوة ولعلهما ديران (٤١) ٠

وبوسعنا اضافة ماذكره القدامى عن المدينة (العتيـــقة) ،
زعموا ان زاب الملك الذي جاء بعد موسى النبي ابتناها بعد
ثلاثين سنة من ملكه (٤٢) ٠

وقد كان فتح (المدائن) على يد سعد بن ابي وقاص في صفر
من سنة ١٦ هـ في ايام الخليفة عمر بن الخطاب ٠ واتخذهـــا
سعد قاعدة له ، حتى اختط الكوفة ثم البصرة وواسط ٠ وعاد
الناس الى منطقة المدائن بعد تشييد بغداد من قبل الخليفة ابي
جعفر المنصور ، اذ ان بغداد تبعد عن المدائن ستة فراسخ (٤٣)

نص تاريخي يشير الى اقدم كنيسة :

ان (مجدل ماري) من القرن الحادي عشر، غير انه احتفـظ
بنص قديم لدى تحدثه عن منطقة (المدائن) ، اذ قال : ان سلوقية
(سليق) تقع شرقي (المدائن) ، ويقصد (كوخي) ، وان طيسفون
(قطسفون) تقع غربها ، اذ يقول :

«مار ماري السليح ٠٠ أحـــد المرسومين من السبعين ٠
عبراني ٠ بدأ بالدعوة ٠ ونصر الناس ببابل والاهواز وسائر
كور دجلة وفارس وكشكر واهل الراذانيين ٠٠ وتوجه الـى

مدينة سليق وهو شرقي المداين ، وقطيسفون غربيها ٠٠ وعمل الايات والعجائب في بناء البيع ، ومن جملتها البيعة الكبيرة بالمداين ٠٠ ومضى الى دور قنى ٠٠ وبنى الدير الـــذي دفن فيه وكان بيتا للنار» (٤٤) ٠

ان تحديدا بهذا الشكل (سلوقية شرقي المدائن و (كوخي) وطيسفون غربيها) يعني انّ الحديث سابق للسنوات٧٩ــ١١٦م اعني قبل تحول مجرى نهر دجلة ، وتغيّر الموقع ٠ وتطابـــق السنوات المذكورة الفترة الزمنية التي يحددها التاريخ لزمن رسالة مار ماري في المنطقة ، اذ ان ماري بشر في هذه الارجـاء في اواسط القرن الاول للميلاد ٠ فيكون ان ماجاء في (اعمــال ماري) من تشييد كنيستين او كنيسة ودير امر مقبول يؤيده هذا النص من (المجدل) ، كما أن الادلة الطوبوغرافية والاثارية تدعم ذلـك ٠

وقد قال ياقوت ايضا : ان طيسفون تقع شرقي المدائن ٠ بينما قــال المســعودي انــها تقــع غربيها ٠ وقــال الخطيب البغدادي انّ المدائن على جانبي دجلة شرقا وغربا ، وان المدينة الشرقية هي العتيقة ، وفي القصر الابيض القديم ، ويتصل بها الايوان الواقع في مدينة اسبانير ، بينما تدعى المدينة الغربية (بهر سير) (٤٥) ٠ وبهر سير هي فيه ارداشير (كـــوخي) ، بجانب الرومقان (سلوقية) بحسب الكثيرين من المؤرخيــن ٠ ويقول الطبري ان ارادشير بناها قبالة طيسفون ٠ فتكــون طيسفون شرقا وكوخي غربا (٤٦) ٠ اما الصحيح فهــو مـا اثبتناه لدى تصنيفنا مدن المدائن العديدة ومحاولة تشخيصنا اياها : وثابت بأن موقع (كوخي) تغير في السنوات ٧٩ــ١١٦م كما توضح الخارطتان ادنـــاه ٠

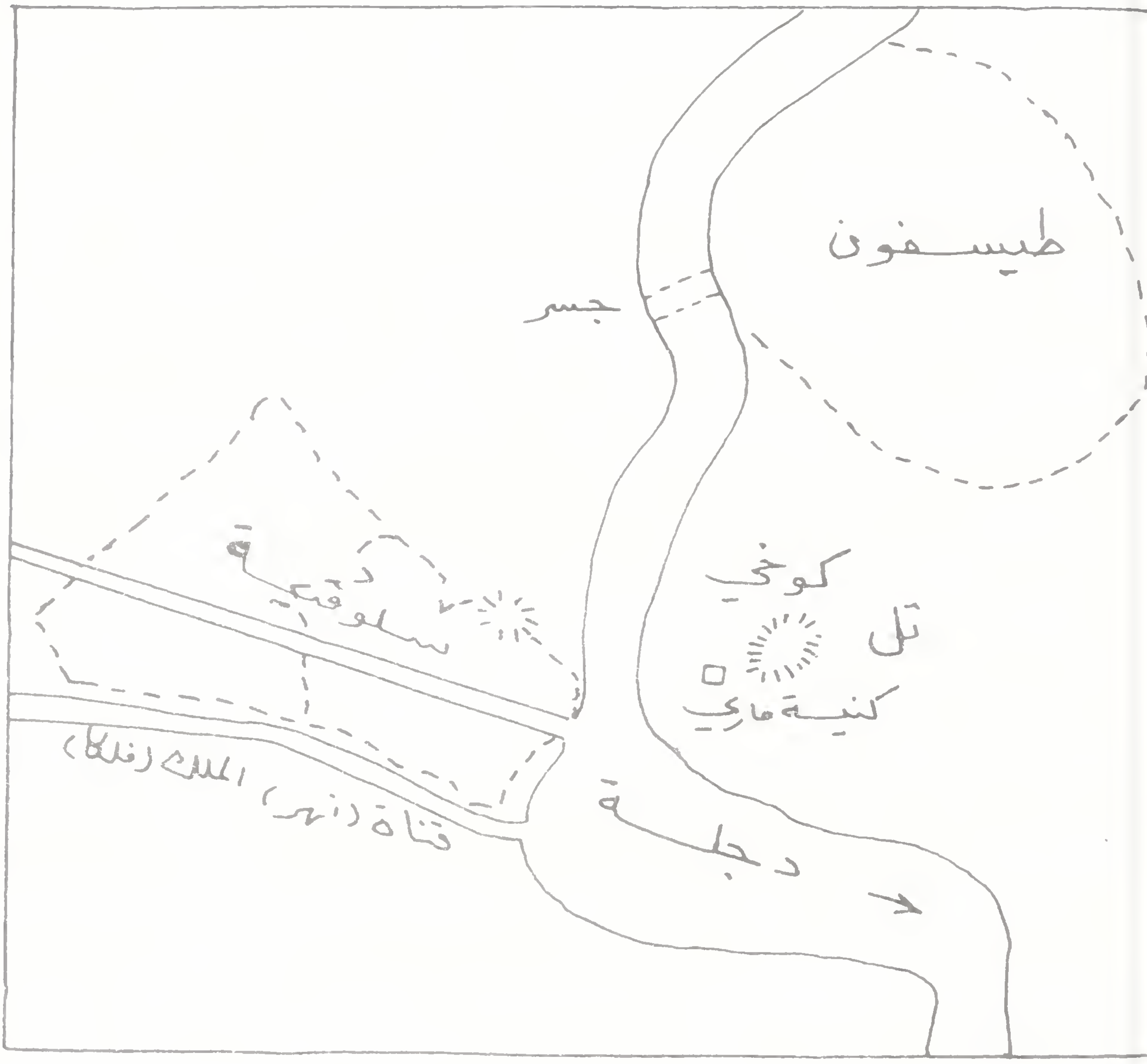

طيسفون
جسر
سلوقية
كوخي
تل
كنيسة ماري
دجلة
قناة (نهر الملك (فلكا)

شكل رقم (١)

شكل رقم (٢)

هل من دليل اثاري ؟

لقد قامت بعثة اثارية المانية باستكشاف المدائن في مواسم السنوات ١٩٢٧ـ١٩٣٢ ، ثم نهضت بعثة ايطالية من جامعة تورينو برئاسة جورجيو كوليني منذ عام ١٩٦٤ باستكمال المواقع وما يزال عملها مستمرا (٤٧) ٠

وحصيلة التنقيبات ذات اهمية بالغة ٠ اذ اتضح بان (سلوقية) ظلت قائمة بعد استيلاء الرومان عليها من قبل افيديوس كاسيوس عام ١٦٥م ، ثم اهمل الموقع سكنيا قبل العهد الساساني (اي قبل سنة ٢٢٦ م) ، كما تبين بأن (سلوقية) كانت موجودة قبل سلوقوس نيكاتور (٣٠٦ـ٢٨٠ ق٠م) ، لذا فهو لم يبن الكنيسة ، كما كان شائعا انما جددها ووسعها ٠

وبشأن (طيسفون) توصلت الحفريات الى اعتبار (فيه اردشير) التي بناها اردشير بابك عام ٢٣٠ م ، مشيدة على انقاض طيسفون القديمة (المدينة العتيقة) المبنية منذ عهد الفرثيين ٠

وكان لابد ان تثار من جديد مشكلة (كوخي) ، وصعوبة ضبط موقعها من طيسفون وسلوقية ، وذلك بسبب تحول مجرى دجلة في السنوات ٧٩ـ١١٦ م ٠ فهل كانت (كوخي) على مقربة من فيه اردشير (طيسفون ، المدينة العتيقة) ؟ ام قرب (سلوقية) ؟

ونحن نعرف بأن النهر كان يمر بين طيسفون وفيه اردشير نحو سنة ٢٣٠ م ٠ بينما كانت سلوقية واقعة على دجلة عام ٧٩ م ، على حد قول سترابو وبلينيوس (بلين) ، فكانت كوخي على مقربة من طيسفون ، لكننا لم نعد نستطيع

هذا القول بعد العام ١١٦ م (٤٨) • فمنذ القرن الثاني وحتى
السابع للميلاد ، اخذت (المدائن) تشخّص هكذا : على الضفة
اليمنى او الغربية من دجلة ، تقع كوخي الى الغرب ، وباتجاه
الداخل خرائب واطلال سلوقية ، والى الجنوب ميناء (ساباط)
او (ولغش اباد) • بينما تقع على الضفة اليسرى او الشرقية
طيسفون الى الشمال الشرقي في كوخي والى الجنوب من ذلك
(رومية) او (انطاكية الروم) (٤٩) •

واذا ما أتينا محاولين تشخيص اقدم كنيسة في العراق
حسبما تقدمها لنا الوثائق التاريخية والجغرافية والاثارية
فأنه لابد من التذكير بما جاء في المصادر التاريخية الاخرى •

فأن كتاب مجامع كنيسة المشرق (السنهادوسات) يسميها
«كرسي كوخي» ، او «الكرسي البطريركي المؤسس في مدينة
سلوقية ، في كنيسة كوخي الكبرى» ، وايضا : «الكرسي
الاسمى لكنيسة كوخي في بلد سلوقية» (٥٠) •

وقد رأينا ماري يسميها في (المجدل) : «البيعة الكبيرة
بالمداين» (٥١) • ولا حاجة للاكثار من الاستشهادات ، فقد
ورد شيء من ذلك ، والاخرى معروفة عادة •

هذه الكنيسة : شيدها ماري في اواسط القرن الاول
وتهدمت ابان الاضطهاد الاربعيني الذي شنّه سابور الثاني
(٣٣٩-٣٧٩م) على المسيحيين• وتجددت قبل رسامة الجاثليق
تومرصا التي تمت فيها سنة ٣٦٣ م ، ثم خربت بسبب
الاضطهاد ايضا ، فجددها الجاثليق يهبالاها الاول في السنوات
٤١٥ - ٥٢٠ م ، وذلك بفضل هدية الامبراطور الروماني
تيودوسيوس الثاني • ثم وسعها مار آبا الجاثليق سنة ٤٥٠-
٤٥١ م بمساعدة عبد المسيح الحيري (٥٢) • وقد اقيم في
كنيسة كوخي عدة مجامع كنسية ، ودفن فيها مالايقل عن ٢٤

جاثليقا او بطريركا من مسؤولي كنيسة المشرق . وكــان يجري انتخاب جثالقة ـ بطاركة كنيسة المشرق حتى بعد انتقال سكناهم الى بغداد ، كما في حالة الجاثليق حنا نيشوع الثاني (٧٧٣ـ٧٨١ م) وطيمثاوس الكبير (٧٨٠/٧٨٩ـ٨٢٣م) . وكان من تقاليد الرسامات : ان يحج البطريرك المنتخب الى كنيسة كوخي لزيارة قبر مار ماري يصحبه كبــار حاشيته وبعض عظماء الدولة ووجهاء الشعب ، ثم يقصدون دير مار جبرائيل المعروف بدير الكرسي ويعودون الى بغداد ، كما جــرى في عهد الجاثليق ايليا الثاني المعروف بأبن المقلي ، من اهــل الموصل اذ رسم بطريركا بالمدائن يوم الاحد الثالث بعد القيامة أي في ١٦ نيسان سنة ١٤٢٢ يو /١١١١ م / ٥٠٤ هـ في خلافــة المستظهر ، وكان الراسم سبريشوع مطران نصيبين بحضور ثمانية اساقفة اخرين وكهنة وشمامسة ووزراء ورؤســاء وعلمانيين وابن الدولة موفق الملك رئيس الكفاة والحكمــاء ابي الحسن هبة الله بن صاعد بن ابراهيم المعروف بــأبن التلميذ . ثم انحدروا الى دور قني ، فاستقبلهم كهنة وتلاميذ دير مار ماري بالصليب والانجيل والشموع والبخور والصلاة، وفرشوا الطريق بالبسط والثياب «مثل جاري العادة» ، ثـم قصدوا دير مار جبرائيل المعروف بدير الكرسي وعادوا الى بغداد وجلس البطريرك الجديد في القلاية بدار الروم (٥٣) .

ولتشخيص كنيسة كوخي ، قامت البعثة الالمانيــــة في موسمي ١٩٢٨ـ١٩٢٩ بتنقيبات في سلوقية ـ طيســـفون ، فعثرت على بقايا كنيستين واقعتين في حرم مدينة (فيــه ـ ردشير) في الموقع المعروف بقصر بنت القاضي (٥٤) . لكنهما ليستا كنيستين منفصلتين بل تقع الواحدة فوق الاخـرى .

الاولى هي القديمة والثانية التي فوقها هي المجددة ٠ وسو
من تشخيص الموقع كما رأينا ومن الاشارات التاريخية الاخرى
اتضح بأنها (البيعة الكبيرة) كما يسميها صاحب المجـدل
وليست احدى الكنائس الاخرى التي يرد ذكرها في كـوخي
ومدن المدائن الاخـرى ٠

اذ يذكر التاريخ كنيسة في (اسبانير) وديرا على اسـ
القديس سرجيس خارج اسوار مدينة طيسفون وكنيسـ
في طيسفون نفسها وكنيسة مريم العذراء في المدائن وديـ
مار فثيون وكنيسة رابيني والكنيسة الجديدة وغيرها،وهذ
من فترات مختلفة،والاخيرتان للسريان الغربيين بينما الاخرى
للمشرقيين وربما دير سرجيس للروم (٥٥) ٠

تقع (كنيسة كوخي) او «البيعة الكبيرة» فوق تل (قصـ
بنت القاضي)،علوه ٢٣ ، ١٢ م ، بينما علو الارض المحاذيـ
٥٫٠٥ م ، في منطقة السور من حصن او قلعة الاكواخ (كوخي)
المسافة بين حائط الكنيسة واطلال سلوقية ٤٫٧ م ٠ وتبلـ
اعلى نقطة في المدينة ١٥٫٨٤ م ٠

تبدو كنيسة كوخي بدورها السفلي القديم على شـكل
قاعة مستطيلة طويلة ، ذات خطين من اعمدة ضخمة ملاصقـ
للحائطين الطويلين ٠ بحيث يشبه الامر العديد من الابنيـ
العراقية القديمة ، وكذلك الفرثية والساسانية ولاسيماقصري
دامغان وسرفيستان ، ماخلا الفرق الكبير وهو ان ابنيـ
القصور تتكون عادة من اواوين اي انها قاعات مفتوحة بينما
ثمة الحائط في كنيسة كوخي ، ومن الضروري للدخول اليها
من باب ، او ابواب في الجدران ٠ والمؤسف ان صدر الكنيسة
(أي الهيكل) مجهول ، ولعله كان يشبه مانلقاه في الكنيسـ
العليا المجددة الكبيرة ٠

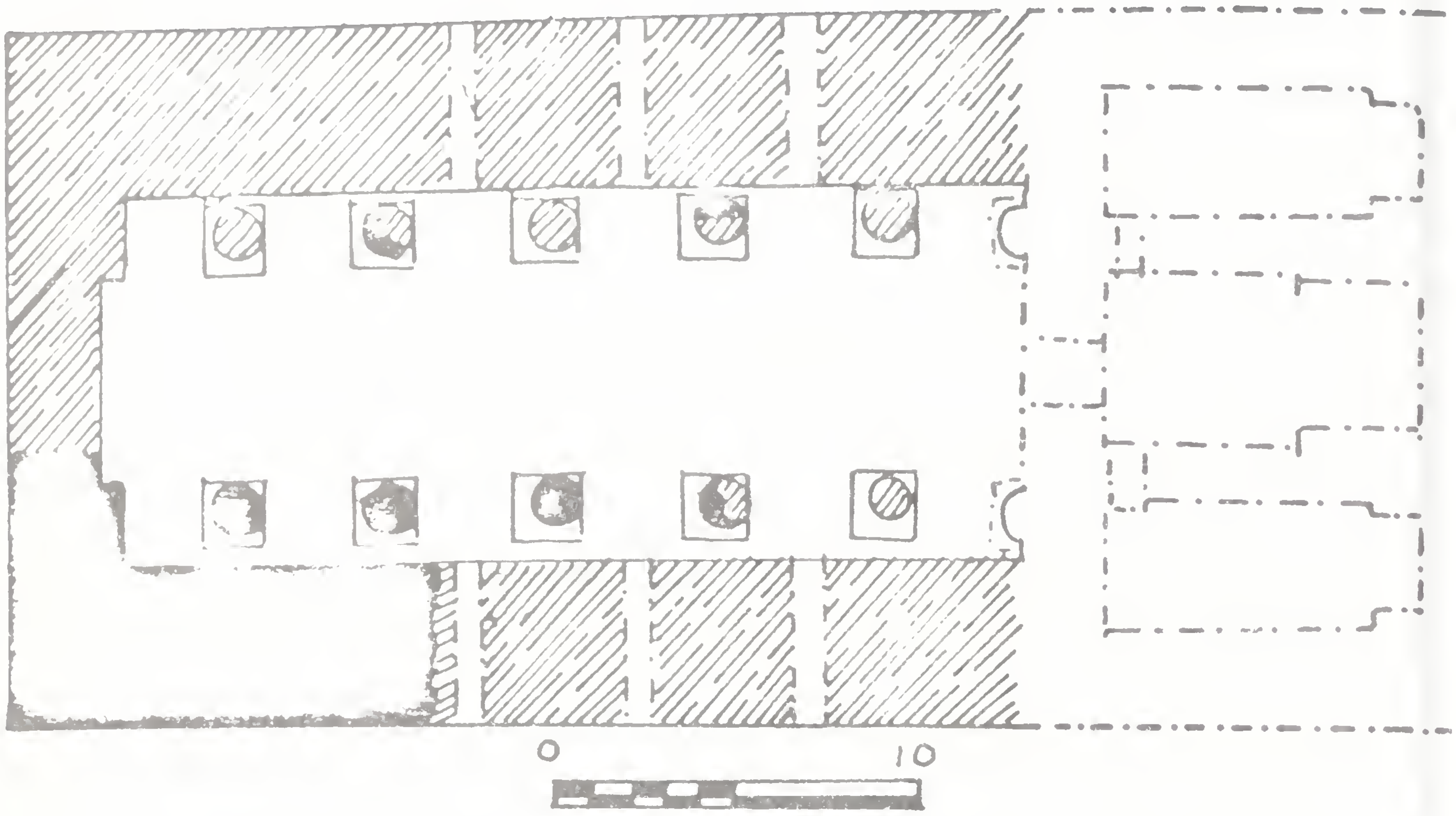

الشكل رقم (١)
كنيسة طيسفون السفلى (عن فيلارد)

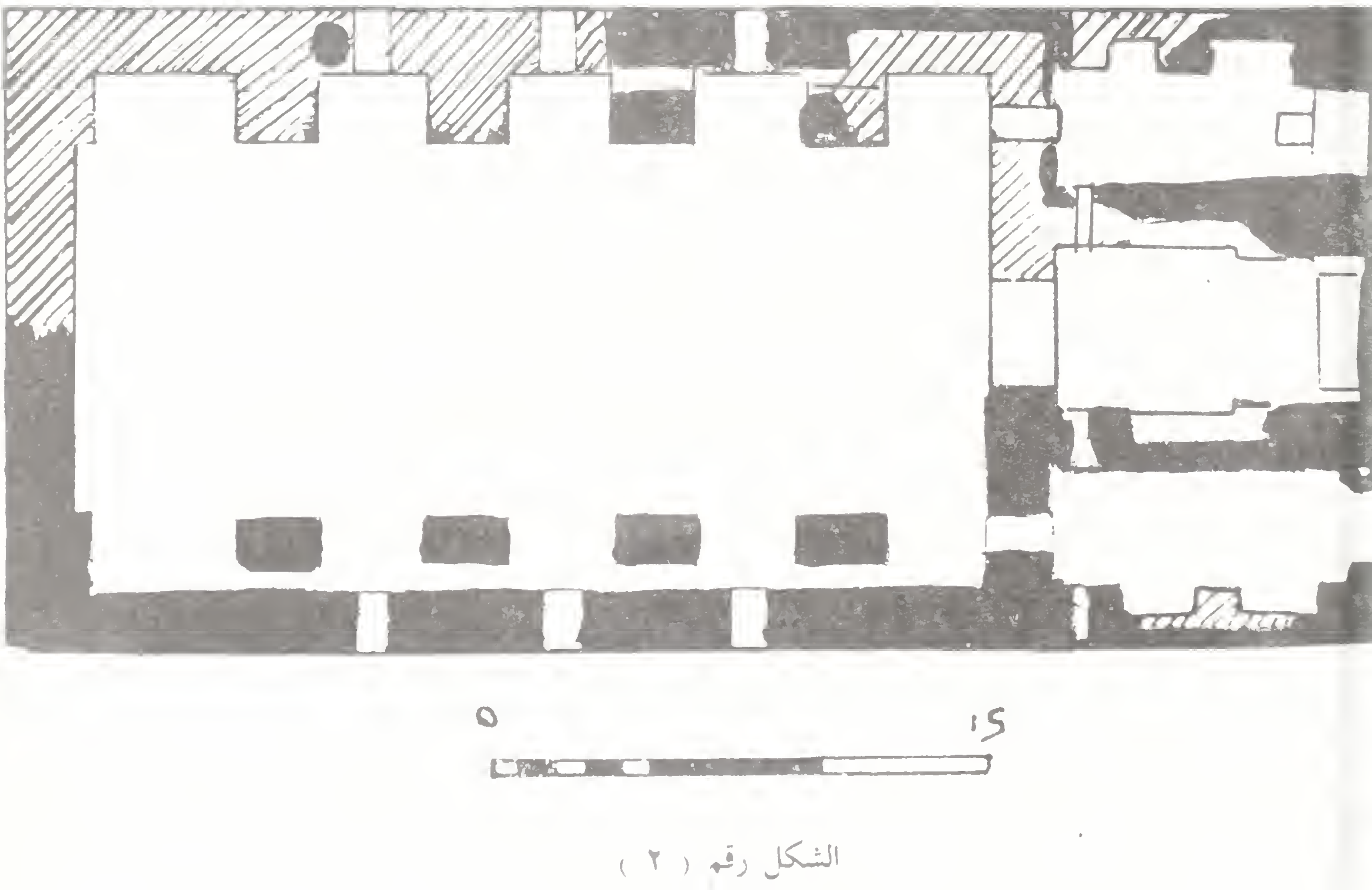

الشكل رقم (٢)
كنيسة طيسفون العليا

وقد وصلتنا كنيسة كوخي العليا اكثر كمالا بينما وجـ
الحائط الغربي مسدودا تماما • ونلقى ثلاثة ابواب في الحائـ
الشرقي ، ندخل بواسطتها الى ثلاثة امكنة مستطيلة طويلـ
بشكل الاجنحة الثلاثة الخاصة بكنائس بلاد مابين النهـريـ
من الطراز المشرقي • وثمة في ارضية القاعة الكبرى او الرئيسـ
آثار اربع ركائز او مائدة وبقايا تمثال من الجبس اعيد شكـ
في برلين فاذا به يمثل رجلا ناقص الرأس يرتدي ثيابا واسعـ
فاعله احد القديسين • وفوق واجهات القاعة الطويلة (صـحـ
الكنيسة) نلقى خطين لكل منهما اربعة اركانَ بطول ٢٫٤٥
٢٫٩٧ م وعرض ١٫٥٥ ــ ١٦٠ م ، ويبعد عن الواجهات مقدار
٤٢ـ٤٥ سم • وتظهر في البنيان آثار تجديدات وترميمات مـ
الفترة الاسلامية • وقد كانت الاركان سابقا متصلة بالحيطا
الاولية بواسطة اقواس ، اذ ان هرتسفيلد لاحظها ودرسـ
قبل اجراء تنقيبات ١٩٢٨ـ١٩٢٩ ، فشوهدت اثار قناة تسبـ
زمن رفع الجدران العليا •

ومعلوم بأن هندسة كنائس كنيسة المشرق سوف تستمـ
اجيالا على النمط عينه (انظر المخطط العام) •

اما الامر الخاص في كنيسة كوخي العليا اي في دورهـ
المتأخر ، فهو تقسيمها الى اقسام ثلاثة • ويرجع طراز الصحـ
المستطيل الى تقليد معماري بابلي قديم ، كما في معبد ارتميسـ
ــ نانايا في دورا ، بحيث تبتعد هذه الكنيسة كجميع كنائـ
كنيسة المشرق عن الطراز المعماري المتأثر بالنزعة الهيلينيـ
وذلك لوجود مداخل في الطرفين الطويلين من القاعة ، وليسـ
في الواجهة المقابلة للطرف القصيف ، كما في هندسة الكنائـ
السريانية الغربية • والغريب اننـــا نلقى في دورا مجمعيـ
يهوديين الواحد فوق الاخر ، يشبهان الى حد كبير طـــرا

كنيستي كوخي ، ويرجع احدهما الى السنوات ٢٤٤ــ٢٤٥م ٠ وهذا مما يدل على ان طراز كنيستي كوخي محلّي قديم ، مع الفارق القائم بين المعابد البابلية والاشورية ٠

وقد اظهرت آخر نتائج التنقيبات في كوخي ، ان الكنيسة السفلى او القديمة مشيدة بلبن ومواد بناء تشبه مانلقاه في ابنية القرنين الاول والثاني للميلاد في هذه المنطقة من البلاد (٥٦) ٠

وسوف يرد ذكر كنائس عراقية قديمة جدا ، واديرة قديمة في بلاد وادي الرافدين وذلك لدى تطرقنا الى ريازة الكنائس والديارات ، ومقارنة العمارة الكنسية بالعمارة العراقية القديمة ٠ لكننا نشير هنا الى اكتشاف حديث جدا، شخصناه اثناء الزيارة الى منطقة الحيرة يوم ١٩٨٥/١١/٢٧، بمعية مدير عام اثار المنطقة الغربية ومدير عام اثار المنطقة الشمالية والباحثين الاثاريين في الموقع، اذ عثر المنقبون الاثاريون على قطع حجرية تحمل نقوش صلبان مختلفة الاشكال ، كما شاهدنا في اعلى المقبرة في موقع (ام خشم) مصلى تدل بقاياه على شكل صليب لعله من القرن الثاني او الثالث على ابعد احتمال ، وتكون الحيرة بذلك قد صححت تاريخها المسيحي ، بحيث يطابق الامر روايات انتشار المسيحية فيها منذ القرون الاولى للميلاد (٥٧) ٠ اما بشأن كنيستي التل رقم ٥ والتل رقم ١١ ، اللتين وصفهما تالبوت رايس ضمن تقريره وتقرير رتلنكر عن التنقيب في الحيرة عام ١٩٣١ فسوف اتطرق اليهما فيما بعد ، لانهما متأخرتان (من القرن الثامن او التاسع) ٠

ريازة كنائس المشرق وكنيسة كوخي

يبدو من الوصف المعماري الاثاري لكنيسة كوخي الكبيرة ܥܕܬܐ ܕܟܘܟܐ انها كنيسة مشرقية الريازة، وانها قد شيدت ككنيسة، ولم تكن بيتا في الاصل، ثم تحولت الى كنيسة، كما جرى بالعكس في دورا-اوبروبوس، اذ نلقى كنيسة مكونة من قاعة كبيرة، اصلها غرفتان، قد تم توسيعها برفع الحائط الذي يفصل بينهما، الامر الذي يدلنا على ان اصل الكنيسة بيت، استخدم لاجتماعات المؤمنين والقداديس حتى تحول الى كنيسة، كما حصل في اماكن اخرى من العالم وبالنسبة للمناطق التي كانت تحت حكم الرومان، ابان اضطهاد ماكسيمنوس (٢٣٥-٢٣٨ م)، اذ كان من الصعوبة بمكان تشييد كنائس، اضافة الى قلة عدد المسيحيين في دورا وضعف الحالة الاقتصادية فيها (٥٨).

ورغم انه لايسعنا القول ان ريازة كنائس كنيسة المشرق مستمدة بشكل دقيق من مخطط كنيسة كوخي، وفق نظام قانون رسمي، فلا يحق لنا كذلك تجاهل التواصل الحضاري في العمارة والريازة بشكل عام، وفي بلاد وادي الرافدين بشكل خاص (٥٩)، وفي ريازة الكنائس بشكل اخص، حتى التقيد بنظام صارم تلقاه منذ مطلع القرن الخامس للميلاد على الاقل.

فقد جاء في القانون ١٢ من مجمع مار اسحق الجاثليق المنعقد سنة ٤١٠ في سلوقية ان الطاعة واجبة على جميع اساقفة ديار المشرق للاسقف - الجاثليق، رئيس الاساقفة - المطرا فوليط الجالس على كرسي سلوقية - طيسفون (ساليق وقطيسفون)، اي للاسقف الجالس على الكرسي العظيم لكنيسة كوخي (٦٠).

ولعل البعض ينساقون بتسرع وراء احتمالية التأثــــر «الغربي» الذي يشير اليه القانون ١٣ من المجمع المذكور بشأن الاسرار المقدسة ، اعني الطقوس والصلوات والاعياد · وليس لنا ان ندخل في نقاش حول موضوع يبتعد عن غرضنا الحالي . انما يهمنا تأكيد القانون على وجوب التمثل بما يجـــري في «كنيسة سلوقية» وذلك بالاكتفاء بمذبح واحد واقامة القداس والصلاة في الكنيسة ، لا في البيوت (٦١) · وحين يتعـــرض القانون ١٥ للاركدياقون (رئيس الخدمـــة ومعاون الاسقف) يفيدنا بوجود البيم (بيما ـ منصة) وكرسي الاسقف ومقاعـد الكهنة والمذبح والهيكل وبيت الخدمة (دياقونيون) ، واكثر من باب للكنيسة الواحدة والخزينة ومفاتيحها كما ينوه القانون ١٦ عينه بوجود سراج ونور وكتب كنسية ويؤكد على القربان والقداس ·

وقد حاول القس (المطران) سليمان الصائغ ان يقـــدم مخططا لكنيسة كوخي انما بالرجوع الى كتابات توما المـرجي (من القرن التاسع للميلاد) كما لخصها المستر واليســـس بدج (٦٢) وكوركيس الاربيلي (او بالاحرى كتاب عـــرض الطقوس الكنسية لمؤلف مجهول من القرن التاسع ايضا) (٦٣) ونشر ذلك في مقال في مجلة (النجم) سنة ١٩٣٤ (٦٤) ·

ولعلنا نوافق الصائغ عن بعض ماجاء في مقاله اذ قـــال : «يرى بعض المحققين ان نظام اقسام الكنائس وهندامها عنـــد المشارقة ، كـــان مستفادا من كنيسة كوخي العظيمة ، التي أشرف على بنائها مار ماري متلمذ المشرق بنفسه على ماجـاء به التقليد · فهذا الادعاء وان لايخلو من بعض الغلو باعتـبار ان الانظمة الطقسية ذات العلاقة باقسام بناية الكنيسة لـــم

تتقرر الا في مجمع اسحق البطريرك سنة ٤١٠ ، الا ان القول
في ذلك ليس هو من المزاعم الواهية او المظان الضعيفة المسان
فأن عدد الكنائس كان كثيرا جدا قبل مجمع اسحق البطريرك
في بيت ارمايي (العراقيين) وفي حدياب (الموصل واربيل
وكركوك) وفي غيرها من الاصقاع الشرقية • ولابد ان نظا
اقسامها كان واحدا ومستفادا من كنيسة كوخي العظيمة
وقد عمّ هذا النظام والهندام البنائي وتسلسل في الاجيال
التالية» (٦٥) واثبت الصائغ المخطط الذي رسمه بدج وهو
وصف لكنيسة دير بيت عابي (قرب عقرة) (٦٦) •

ولدى متابعتنا فصول (كتاب الرؤساء) لتوما المرجي
نستدل على تفاصيل كنيسة دير بيت عابي،لكننا في فتر
متأخرة لان كتاب (الرؤساء) من القرن التاسع • والعناصر
المهمة التي نلقاها في كنيسة بيت عابي : الهيكل ، المذبح
بيت الشهداء واقساما اخرى.وثمة وصف ادق في الفصل ١٥
من الجزء الخامس : الكنيسة (صحن الكنيسة) ، البيـ
(المنصة)، المذبح ، الصليب ، وفوقه الانجيل وكرسي المسيح •
كما يذكر الكهنة الشمامسة والرهبان والمؤمنين ويشير الى
الزقاق (شقاقونا) الذي يصل البيم بالمقدس (القنكي
والدرجات الثلاث امام المقدس نفسه العريض (قسطروم
والدرابزون على باب المقدس ، والستار الذي يعلوه والمقدس
نفسه (قنكي) والناووس والمذبح ويشير الى المبخرة والبخور
ـ العطور والجوتين (٦٧) •

وكان الشماس بطرس عزيز قد ترجم الى العربية مانشر
كونوللي استنادا الى معطيات كتاب (عرض الطقوس الكنسية)
او (تفسير الخدم) (٦٨) في مجلة (النور) عام ١٩٥١ (٦٩)

فذكر المذبح والمقدس ومذبح البخور وذلك من دكة قدس الاقداس حتى باب المذبح الخارجي المسدل عليه ستار كبير ويعلوه قنديل ومدرج باب المذبح الخارجي (القسطروم) المستخدم لتلاوة الانجيل والوعظ والتناول ورسامات القارئين والرسائليين ، وفي وسطه الجلجلة (كاغولتا) وعليها الصليب والانجيل وهي اعلى من ارض الهيكل بدرجة،بينما بيت الخدمة (دياقون) الى يمين المذبح، وهو مخصص للشمامسة لارتداء الحلل الكنسية وتهيئة البركة (بوخرا ـ البرشان) ، ثم بيت الشهداء (بيت سهدى) وبيت الصلاة (المصلى ، بيث صلوثا . الباصلوث) في ردهة الكنيسة او في اسطوان الايوان ويستخدم للصلاة الطقسية في موسم الحر وذلك منذ عيد الصعود الى عشية الاحد الاول من تقديس الكنيسة ٠

واعتمد كودرينكتون مخططي كنيسة الطاهرة في الموصل باعتبارها كنيسة الدير الاعلى معقل طقس كنيسة الشرق (٧٠) ، وكنيسة مسكنتة في الموصل (٧١) في محاولة تشخيص ريازة كنائس كنيسة المشرق (٧٢) ٠

وكما لاحظ القاريء المتتبع فأن المخططات والاوصاف المقدمة تتعدى ما أمكننا تشخيصه في ماسام من كنيستي كوخي وكنيسة دير بيت عابي ٠ اذ انه تم الاستعانة بما في كتاب الخدم او الطقوس الكنسية (طبعة كونوللي) ٠ وماهو معلوم من ريازة كنائس كنيسة المشرق بصورة عامة ٠ ومن المفيد اقامة مقارنات اخرى والاستفادة من معطيات اثارية لكنائس اخرى ، كما فعل اوكو مونيريه دي فيلار في كتابه (كنائس بلاد ما بين النهرين) الذي وضعه بالايطالية عام ١٩٤٠ (٧٣) ، وكما سبق وفعل بادجر اذ وضع في كتابه مخطط كنيسة مار كوركيس في اشيثا ، ومخطط كنيسة مار كوركيس في

١ ـ البـاب الخارجي
٢ ـ الفناء ـ قبـــور
٣ ـ البئـــر
٤ ـ بيت الصـــلاة (صيفـا)
٥ ـ ايـــوان
٦ ـ بـاب العماد الخارجي
٧ ـ بـاب الرجـال
٨ ـ بـاب النسـاء
٩ ـ باب العماد الداخلي
١٠ـ مائدة ، مصطبة
١١ـ جرن العماد
١٢ـ شـــباك
١٣ـ باب الهيكل الكبير (الباب الملوكي) ـحجاب
١٤ـ قسطروما ـ فسحة
١٥ـ شقاقونا ، مجاز ضيق
١٦ـ البيم ، منصة المراسيم والصلاة
١٧ـ الجلجلـة
١٨ـ عـرش الاسقف
١٩ـ كرسي الاركدياقـــون
٢٠ـ كرسي القرآن
٢١ـ القنديـل
٢٢ـ المذبح (للقداس)
٢٣ـ الكنز (للتقادم)
٢٤ـ بـاب صغـير
٢٥ـ السكرستيا (بيت الخدمة)
٢٦ـ خـروج خاص
٢٧ـ محل لحفظ الزيت والخمر
٢٨ـ بيت الشهداء والقديسين
٢٩ـ حنية ذخـائر
٣٠ـ قسم خاص بالرجال
٣١ـ قسم خاص بالنساء

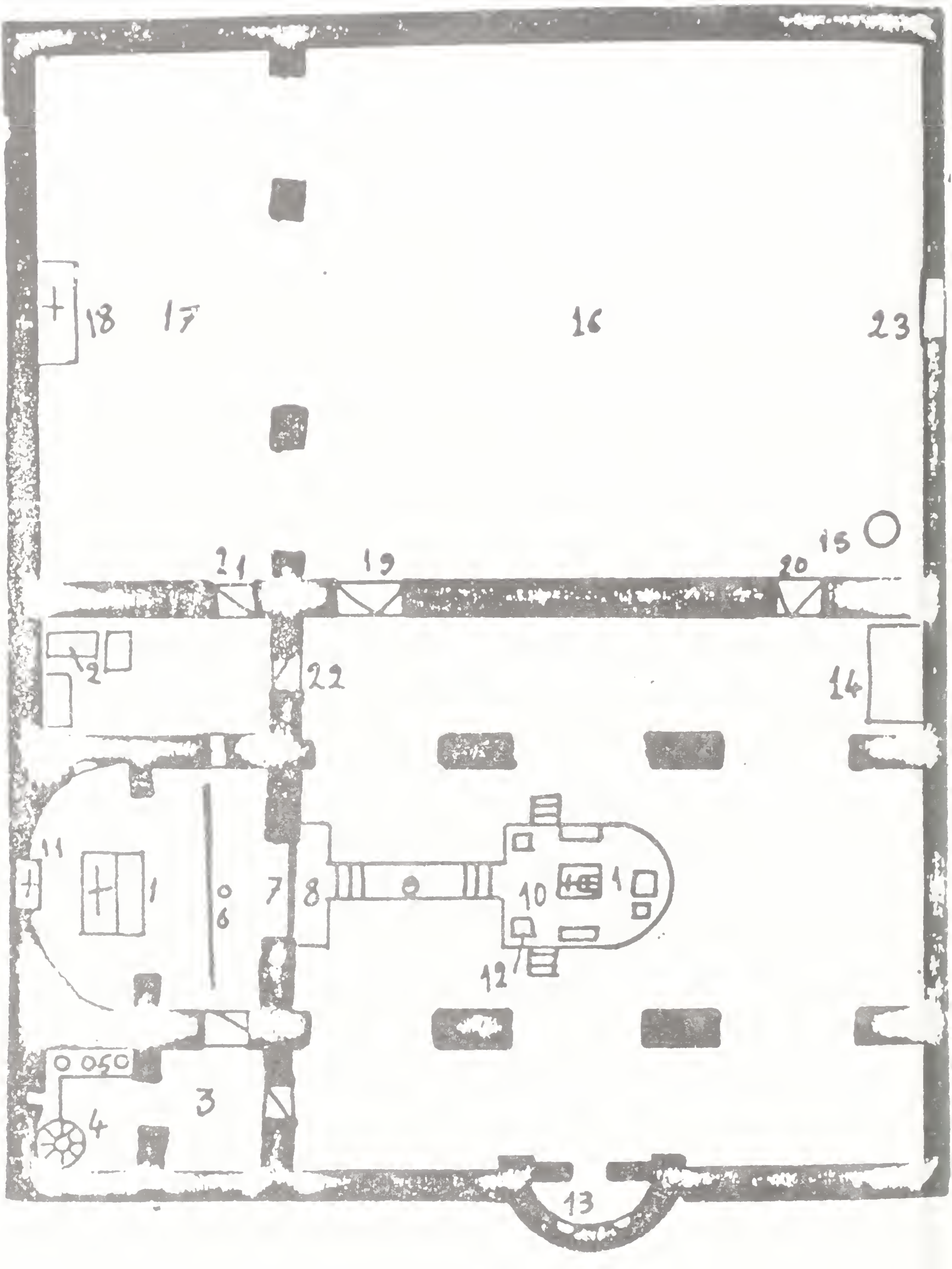

الشكل رقم (٣)
مخطط الكنيسة الشرقية

لبنان (٧٤) ، وكشفت التنقيبات الاثارية عام ١٩٣١ عن بقايا كنيستين من كنائس الحيرة ترجعان الى القرنين الثامن والتاسع (٧٥) · وقد قمت بزيارة كنيسة ومصلى (القصير) في ١٩٨٥/١١/٢٧ وما يحتمل ان يكون معبدا جنائزيا في مقبرة (ام خشم) ، واطلعت بنفسي على مخططات هذه الاثار المهمة وبوسعنا ان نضيف مخططات كنائس وديارات قديمة ماتزال شاخصة في ديار المشرق سوف نأتي على ذكر بعضها تباعا · ونزيد انه لابد من الاستفادة مما وضعه السياح والاثاريون من مخططات وصوروه وشخصوا معالم كنائس قديمة اخرى اشهرهم : بيركينس ، سميث ودوايت ، بدج ، بادجر ، بيترمان ماكلين وبراون ، برويسر ، هيرتسفيلد ، ويكرام ، باخمان وغيرهم (٧٦) ·

واستعان بهذه المعطيات والمعلومات مجتمعة ، وفي السنوات الاخيرة كل من العلامة جان فيي (٧٧) والبحاثة جان دوفيلابيه (٧٨) والخوري فرنسيس اليشوران (٧٩) ، والاب جان ميريكو (٨٠) كما قدم لنا الاب جاك اسحق موجزا ومخططا في «ريازة الكنيسة الكلدانية القديمة» (٨١) ، وكنت قد قدمت مخططات لكنيسة الطاهرة وكنيسة شمعون الصفا وكنيسة مسكنته ومخططين لكنائس المشرق المشرقية والمغربية في دليل (كنائس الموصل) (٨٢) ، واوجز الامر هنا ·

الكنيسة المشرقية القديمة

تتجه الكنائس المشرقية نحو المشرق . ويدخل المرء الى باحتها من خلال باب صغير ذي قبة مرتفعة وسقف منخفض بحيث يضطر الى الانحناء ، من باب التواضع ودفعا لدخول حيوانات في الارياف خاصة ، كما في كنيسة مار عوديشو في ديري (قرب العمادية) ، وكنيسة سلطان ماهدوخت في ارادن .

وكنيسة شموني في بيبوزي (قرب الشيخان) • ساحة الكنيسة او باحتها كبيرة ومكشوفة . وفي الفناء بئر كما في كنيسة شمعون الصفا والطاهرة ومار اشعيا ومسكنته في الموصل • وتقوم الى الجانب الغربي غرفة او اكثر تسمى (بيت السهاد) فيها يجتمع الساهرون للصلاة ليلا . كما تستخدم للانتظار والجلوس •

ويقع (بيت الصلاة = بيث صلوثا) في الايوان الشرقي . الى يمين الهيكل ، تتوسطه حنية مزخرفة لاتخلو من صليب. كما في كنيستي شمعون الصفا والطاهرة في الموصل • ويأتينا باب جانبي باتجاه بيت الصلاة . ملاصق لجدار هيكل الكنيسة يتم الدخول بواسطته الى (بيت العماد ـ بيث عماذا) . فيه جرن المعمودية في الزاوية اليمنى الى الشرق عادة ، ومنضدة صغيرة بمثابة مذبح . كما فيه باب اصغر للدخول منه مباشرة الى هيكل الكنيسة (كما في كنيستي شمعون الصفا والطاهرة) وايام كان يستخدم حوض عماد . كان ثمة شباك او فتحة (كوة) في الحائط لعماد النساء بمساعدة الشماسات •

ومبنى الكنيسة . او المعبد والمصلى قاعة مستطيلة واسعة لها بابان في الجدار الجنوبي عادة . وهذه سمة تميزها عن الكنائس «المغربية» ذات الباب الرئيسي من جهة الغرب . وقد لاحظنا في القصير ثلاثة ابواب : باب في كل من الحيطان الثلاثة عدا جدار المذبح • ولاننسى الباب الصغير الذي في الهيكل ، والمؤدي الى بيت العماد • غير ان معظم الكنائس المشرقية تتميز ببابين في احد الجدارين الطويلين ، الاقرب الى المذبح مخصص للرجال • والذي يليه للنساء،ويكونان مزخرفين ومكتوبين في الكنائس ذات الطراز الفني المشيدة بالمرمر •

صحن الكنيسة في الجزء القريب من المذبح مخصص للرجال ، بينما الجزء الخلفي متروك للنساء . وثمة احيانا درابزون (سياج) يفصل بين القسمين . وقد تخصص الجهة الشرقية من جانبي المنصة والزقاق والمدرج (بيما ، شقاقونا ، قسطروما) للرجال . بينما القسم الغربي للنساء .

تقوم المنصة (البيم) وسط الكنيسة ، وترتفع بدرجة او اكثر عن صحن الكنيسة (كما في كنيستي الحيرة) . تنتصب فيها (الجلجلة _ كاغولتا) يعلوها الصليب والانجيل . يجلس على المنصة الاسقف والاركدياقون والكهنة والشمامسة اثناء القراءات (من العهد القديم والعهد الجديد) كما في كنائس الحيرة وكنيسة الطاهرة في الموصل . وتتصل المنصة بالهيكل بواسطة زقاق صغير (شقاقونا) يستخدم للتطواف ، كما في كنيسة كوخي وكنيستي الحيرة . ويبدأ الهيكل بمدرج عريض (قسطروما) تتلى عليه القراءات . كما في كنيسة الطاهرة . يليه باب كبير يسمى باب المقدس (قدس الاقداس) يقفل بباب خشبي ويعلوه ستار من القماش النفيس والثقيل وكثيرا ما يكون الباب المرمري مزخرفا ومكتوبا ، والباب الخشبي منقوشا ومشغولا باشكال فنية ، كما في كنيسة الطاهرة . ويفضي الباب الكبير للهيكل الى المقدس (قنكي) فيه المذبح ، يضاء بمصباح ويصعد بدرجات الى المذبح الوحيد او المائدة الرئيسية . والمذبح ملتصق من الاعلى او من الجانبين بالجدار الشرقي للكنيسة ، وخلفه ممر ضيق فيه فتحة او حنية بمثابة قبر . ويعلو المذبح صليب خال من الصلوب مزين بحجارة كريمة . ويسدل على المذبح ستار صغير . وفي الجدار الجنوبي من المذبح حنية في الحائط على شكل خزانة تسمى (بيت الكنز _ بيث كزا) توضع فيها الكتب الطقسية واواني الخدمة الكنسية .

ويؤدي باب في الجدار الشمالي من المذبح الى غرفة تسمى (بيت الخدمة ـ بيث دياقون) لارتداء الحلل الكنسية ، كما لاعداد مادة التقادم ، أي الخبز والخمر للقداس ، وهي مفتوحة على الفناء الصغير حيث التنور • وقد يقع بيت الخدمة الى الجنوب ، كما في كنيسة مار ايشو في اورمية وكنيسة قوجانس وكنيسة الحيرة (التل ٥) • وقد نلقى شباكا يصل بيت الخدمة بالمذبح للسماح بايصال مواد التقادم ولوازم القداس وكثيرا ماتوضع ذخائر (مينات ـ مناواثا) قديسين وشهداء في حنيات عديدة كما في كنيسة الطاهرة بالموصل •

ويقوم بيت الشهداء (بيث سهدى) في الطرف الاخر من المذبح ، اي في الجدار الشرقي كما في كنيسة الطاهرة، او في الجدار الشمالي متى كان عرض الكنيسة قصيفا كما في كنيسة شمعون الصفا • وقد يسمى (بيت القديسين) . اذ فيه حنية تضم ذخائر قديسين وشهداء • ورغم محاولة منع دفن الموتى داخل الكنائس . فأن بيت الشهداء استخدم احيانا لدفن بطاركة ومطارين وكهنة • كما نلقى بعضهم مدفونين في المنصة (البيم) والمدرج (القنكي) وبيت العماد بالاضافة الى بيت الصلاة (كنيسة شمعون الصفا) وفي مؤخرة الجناح الشمالي داخل الكنيسة (كما في دير مار يعقوب وفي اكثر من موضع في كنيسة مار اشعيا) • وتكون مدافن المؤمنين عادة في فناء الكنيسة او في مكان بعيد فوق رابية (روما) •

وحين تكون الكنيسة كبيرة الحجم يقسم صحنها الى ثلاثة مقاطع او اجنحة وذلك بواسطة اعمدة سميكة تشبه الجدران فيها فتحات واسعة • ويكون الجناح الاوسط اكثر اتساعا • وتبدو ابواب ثلاثة او اربعة في الواجهة الداخلية : باب الهيكل وباب العماد وباب الخدمة وباب الشهداء •

مخطط كنيسة قديمة من الكنائس السريانية الغربية

١ ـ البـاب والايـــوان
٢ ـ قدس الاقداس
٣ ـ عـرش الاسقفـ
٤ ـ الباب الملوكي والحجاب
٥ ـ المذبح والعرش والحجاب
٦ ـ الجلجلـــة
٧ ـ الكود ، كرسي الصـلاة
٨ ـ قسطروما ، فسحة
٩ ـ القسم المخصص للرجال
١٠ـ القسم المخصص للنساء
١١ـ البيم ، منصة المراسيم والصلاة
١٢ـ السكرستيا (بيت الخدمة)
١٣ـ بيت الشهداء والقديسين
١٤ـ جـرن العمـاد
١٥ـ الكود ، كرسيان
١٦ـ الفناء ـ قبـور

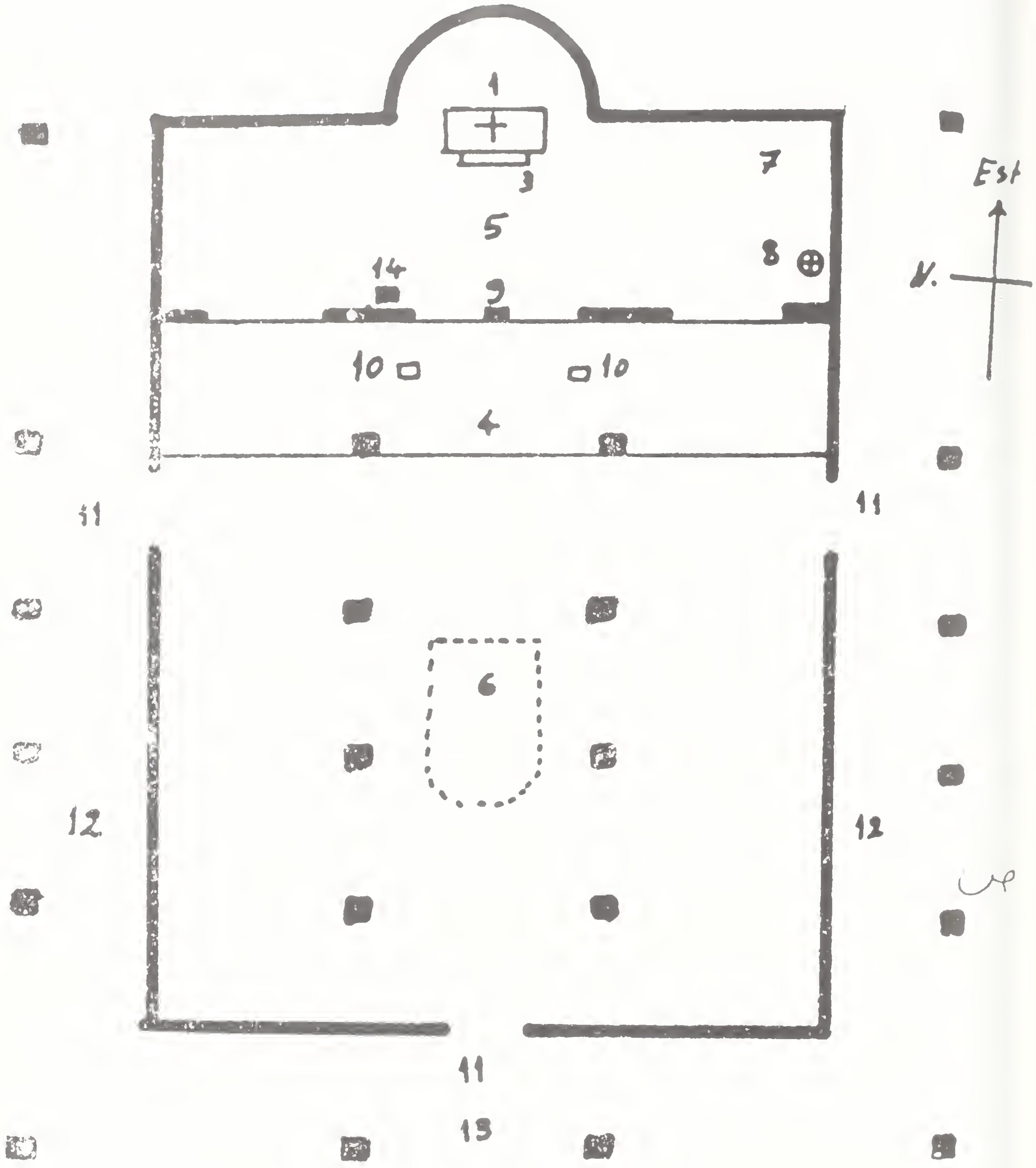

الشكل رقم (٤)
مخطط الكنيسة السريانية الغربية

وقد كان نادرا جدا استعمال الايقونات في الكنائســـ
الشرقية ، وكان يعوض عن النواقيس بصفائح معدنية يضرب
عليها بالحبال فتعطي صوتا تستطيبه الاذان ٠

الكنيسة السريانية الغربية :

تختلف الكنائس السريانية الغربية عن الكنائس المشرقي
ويصعب رصد مخطط دقيق لها ، لان الحفريات والمشاهـدا
والدراسات اظهرت بأن ثمة اختلافات اكبر بكثير مما نلقاه
في الكنائس المشرقية ، بحيث يستطاع القول ان الاخيرة اش
تقليدية وتقيدا بالمخطط القديم ٠ واهم مايمكن الرجوع اليه
(كتاب المرشد) للشيخ يحيى بن جرير التكريتي (ت ١١٧١
وكتابات البطريرك افرام الرحماني والبحاثة كودر ينكتو
وبرايتمان وجانان وراس والمطران بولس بهنام ولاسوســ
وبونيون والمس بيل وباري والخوري اسحق ارملة والخوري
سركيس وغيرهم (٨٣) ٠

لايختلف المدخل الخارجي عن مدخل الكنيسة المشرقية
كما يمكننا التعرف على الامر من كنيستي الطاهرة الخارجي
في الموصل وشموني في قره قوش.ونلقى البئر وبعض الغـرفـ
في الفناء كما في كنيسة الطاهرة القديمة في القلعة بالموصـل
وكنيسة الطاهرة الخارجية وكنيسة مار حوديني (احودمه)

واتجاه الكنيسة (المعبد او المصلى) الى الشرق كذلـك
اما المدخل او الباب فعادة في الجدار الغربي الضيق وهو باب
واحد واسع يقابل الباب الملوكي او باب الهيكل ، كمــا في
ديري مار متى ومار بهنام ٠ ويستخدم الجدار الجنــوبي
حينذاك لاحتضان بيت الصلاة ٠ وتحدد المصادر الطقسـيـ
ثلاثة ابواب رمزا للثالوث شمالا وغربا وجنوبا كـما نلقى في

عدة كنائس . وعلى غرار ما نلقى في القصير، بينما يقوم الهيكل شرقا • وقد رأى الباحث بونيون وبعده المس بيل في الباب الغربي اي طولا طراز الكنائس الخورنية اي كنائس جماعات المؤمنين، بينما رأيا في الابواب التي في الجدران العريضة طراز الكنائس الرهبانية . او كنائس الاديرة•لكنها ليست قاعدة ثابتة . كما يتضح من كنائس الطاهرة القديمة في القلعة ومار توما للسريان الارثوذكس في الموصل . وشموني في قره قوش وشموني في برطلة فهي كنائس خورنية•بينما كنيسة دير مار يوحنا الديلمي الواقعة بين قره قوش وبرطلة تناقض المقترح المذكور . واذا ما اضفنا مشاهدتنا لكنيستي القصير وجب علينا الرجوع الى اصالة مشرقية اقدم عهدا مما تصور هؤلاء الباحثون • فأن المعابد البابلية والاشورية والمجامع اليهودية التي نهجت على غرار ذلك تؤكد على العرض كبعد افقي بينما يقدم التأثير الهلنستي تأكيداً على العمق طولا (٨٤) •

•يقسم مبنى الكنيسة بمعناها الحصري الى ثلاثة اقسام : الهيكل . الخورس (قسطروما) . والصحن • بالاضافة الى بيت الخدمة (السكرستيا) وبيت الشهداء (بيت القديسين) وبيت العماد والايوان الغربي او الجنوبي حيث ايوان بيت الصلاة في موسم الحر •

والخاص بريازة الكنائس السريانية الغربية ان المذبح غير ملتصق بالجدار للسماح بالتطوافات والتقادم . وثمه طبلية (طبليثو) اي قطعة خشب او مرمر نفيس توضع فوق المائدة (ترونوس) • ويرتفع عرش الاسقف خلف المائدة باتجاه الغرب . كما في كنيستي الاربعين شهيدا في ماردين ومريم العذراء (مريمانا) في ديار بكر • وامام الباب الرئيسي

لاهيكل المسمى بالباب الملوكي منبر خشبي يحمل الانجـيل
المغطى بغلاف فضي مزخرف يسمى الجلجلة.وفي الخورس
جوقتان مع امكنة لهما تسمى كل منها (الكود) • والامكنة في
صحن الكنيسة موزعة على الصغار من الذكور والرجـال
والنساء المتزوجات والبنات والعذارى.وقد يفصل القسـ
المخصص للرجال عن قسم النساء جدار بعلو نصف متـ
واكثر كما في كنيسة كفرزي في طور عبدين • وترتفع المنص
(البيم) على اربعة اعمدة في وسط الصحن وهي صغـير
الحجم يعلوها عرش تتلى من فوقها القراءات والمزاميـ
و يجلس عليها الاسقف وبعض الكهنة والشمامسة ، وقـ
كانت موجودة في كنائس مديات وكنيسة كفرزي في طـو
عبدين • كما كان يقوم امام بيت الخدمة (بيث ديوقون ـ بيت
روزى) ايوان ذو اعمدة الصق فيما بعد بالهيكل • اما بيـ
القديسين (بيث سوهدى ـ بيث موديوني) فيقع الى يسـا
المذبح ، كما في كنيسة مار كوركيس في قرەقوش وكنيسـ
دير مار متى ، ثم خصص له مكان منفصل ، كما في كنيسـ
الطاهرة الخارجية بالموصل • وليس ثمة فـرق بين بيت
الشهداء وبيت القديسين (كما اراد الخوري سركيس) ، فـأ
مايذكره من امثلة عبارة عن مدافن اساقفة وكهنة ورهبـا
الامر الذي نلقاه كتجاوز متأخر نوعا ما ، في الكنائس المغربية
والمشرقية على السواء • وقد تغير موقع بيت العماد عبـر
التاريخ ، فقد كان الى الغرب مع باب خاص ثم اصبح جهـ
الجنوب كما في ايام ابن العبري •

وترتفع خارج الكنيسة اواوين ذات اعمدة من جهـات
الكنيسة ـ المصلى الثلاث،يخصص الايوان الواقع جهـ
اليمين للرجال كما في كنيسة مار كبرييل في قرتمين • ولعل

بعض الكابلات التي نلقاها في دير مار بهنام هي في الاصل اواوين ضمت الى الكنيسة • وتتوسط الايوان الغربي حنية الصليب ، وتقوم حنيتان اخريان على جانبيهما . فهو بيت الصلاة الصيفي •

اصول العمارة الكنسية في العراق

لابد من سوق ملاحظات مهمة قبل الولوج في تشعبات بحث لاتكفي هذه المساحة المتاحة هنا لاستيعابة وايفائه حقه•

واول الامر هو تقيد الاجيال عادة بنظام فيه من الصرامة قبل الاقدام على تشييد كنائس جديدة وفقا لاحكام رسمتها قوانين وطقوس ، واتسمت بهذا الطابع او بذاك • لكننا لايجب ان نبالغ في هذا التقيد الى حد المغالاة فأن للرغبات والاذواق دورا لايجوز ان ننساه •

وثمة ملاحظة اخرى مهمة هي في تكيّف الكنيسة الخورنية خاصة متى كانت بنايتها لاحقة لقيام بيوت سكنية ، اذ لايمكن دوما التحكم بكل التفاصيل المعمارية وفقا للطراز المرسوم •

وبينما تتميز الكنائس التي هيمن عليها تأثير هيلني بصدر دائري، نلقى صدر الكنائس المشرقية شبه دائري ، محصور ضمن غرفتين مستطيلتين او مربعتين • وهذا امتداد لتقليد محلي يرجع الى العهود البابلية والاشورية كما في معبد أرتميس ـ نانيا في دورا ـ اويربوس وقصر البتراء • ولا تظهر الصدور الثلاثة المتميزة قبل القرن الخامس للميلاد ، بتأثير هلنستي ، كما في كنائس الحيرة وفي الجنوب من بلاد الشام • اما المعبد الثلاثي والمتكون من غرفة المصلى في الوسط وغرفتين جانبيتين الى يمين المصلى وشماله فهو تقليد رافدي قديم يرجع الى عصر الوركاء في الالف الرابع ق•م •

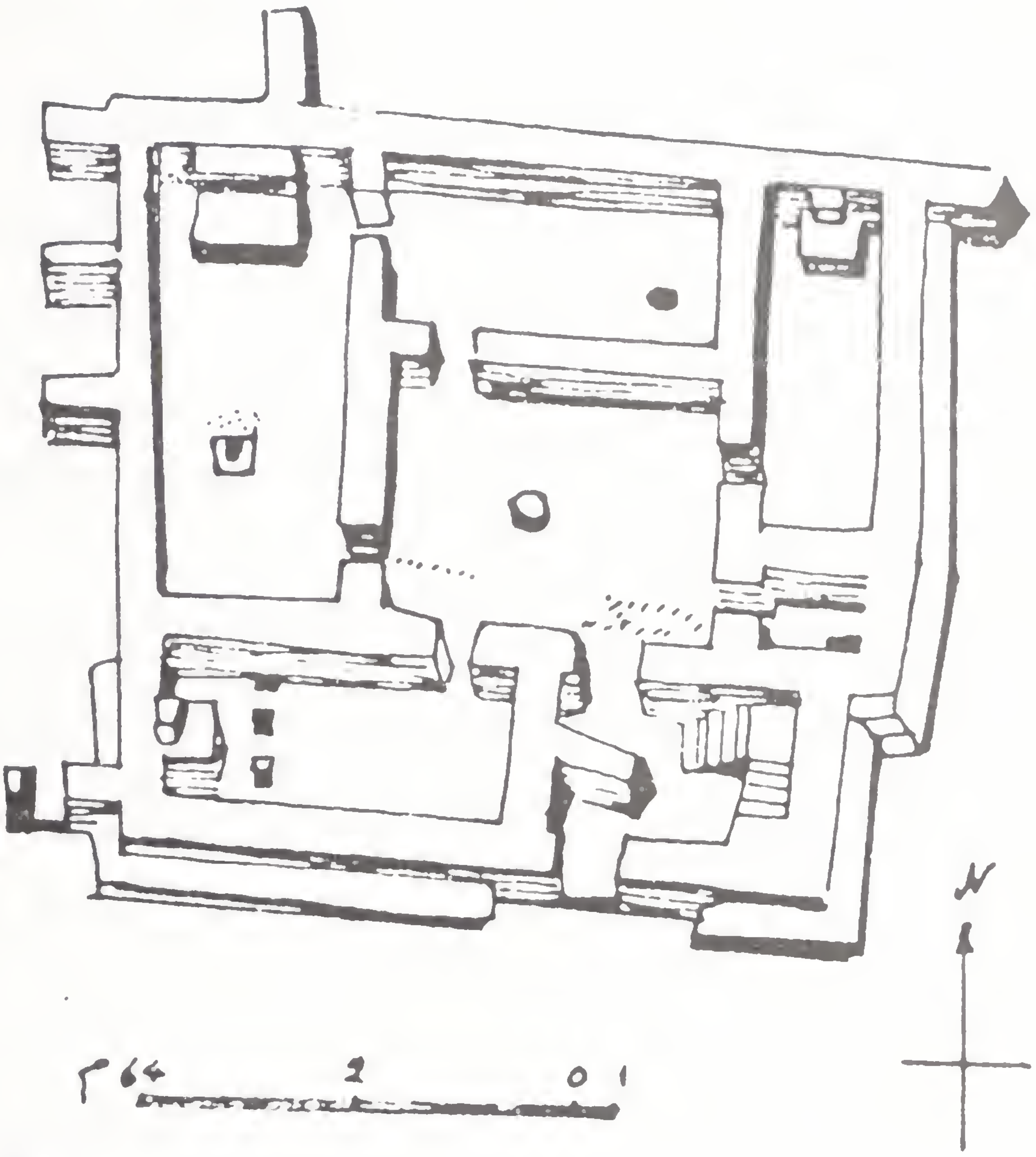

الشكل رقم (٥)

معبد آبو في اشنونا (تل

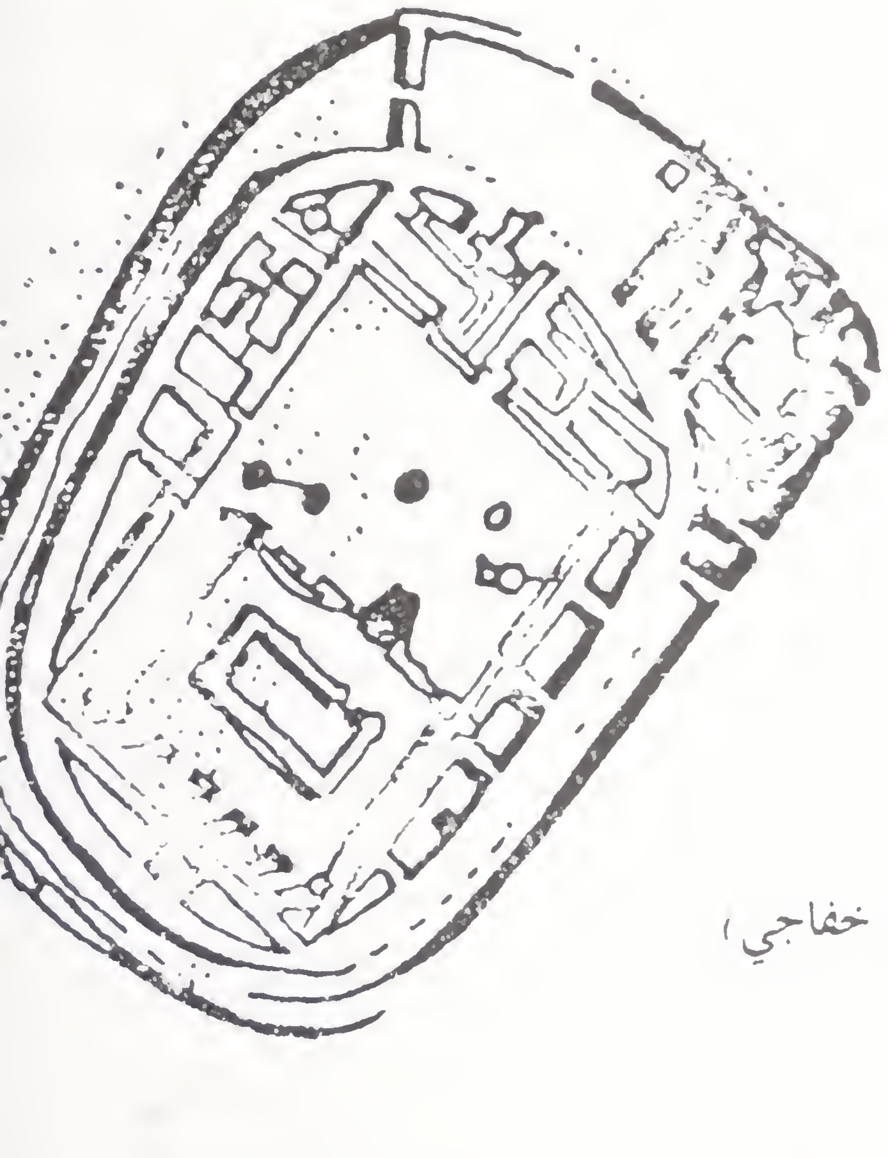

الشكل رقم (٦)

المعبد البيضوي في نوزي (تل خفاجي)

وتتحلى الكنائس المشرقية بسمة تميزها عن ريازة الكنائس المغربية البيزنطية واللاتينية وغيرها مما يسمى بالبازليك بوجود مداخل (ابواب) في الطرفين الطويلين للهيكل ، اي في الجدارين الشمالي والجنوبي للقاعة الكبيرة المتجهة شرقا ، وهي مستطيلة الشكل ٠ اما مداخل الكنائس الغربية فمن واجهة الجدار القصيف الغربي المقابل للهيكل والمذبح اي في العرض لا في الطول وقد يكون من المفيد الاشارة الى ان المعابد القديمة في بلاد مابين النهرين كثيرا ماكانت فتحاتها (ابوابها) في الجدار العريض . والمعبود (التمثال ، الصنم) في اخر الجدار القصيف ، وذلك لكي لايقابل (المذبح والمعبود) الداخل مباشرة ، بعكس ما في (البازليك) . وهذه ايضا سمة احتفظ بها الطراز المشرقي للكنائس ، فلا يجب ان نبالغ في القول ان المسيحيين المشرقيين نسخوا في طراز كنائسهم شكل مجامع اليهود . كما نلقى الشبه في مجمعي دورا المشيدين الواحد فوق الاخر (فيشبهان الى حد كبير كنيستي كوخي) ، ويرجع الاول الى اواسط القرن الثالث للميلاد والثاني الذي فوقه الى سنة ٥٥٦ م ٠ فهما متأخران سواء نسبة لما ذكرناه من ريازة بابلية قديمة معروفة وحتى بالنسبة لكنيستي كوخي ، لذا فأن العكس هو الصحيح وينبغي القول ان مجامع اليهود في بلاد مابين النهرين تأثرت بالريازة المعمارية للمعابد الوثنية القديمة ٠ وكثيرا مااستخدمت المجامع اليهودية الطراز الغربي كما في المجامع الواقعة غربي الفرات ، مما يدلل على عدم وجود قاعدة ثابتة (٨٥) ٠

ولما كانت الكنائس المشرقية اكثر «تقليدية» اي متمسكة بنظام معماري وطقسي وجب البحث عن اصول عريقة تلقاها

كما نوهنا في المعابد والقصور البابلية خاصــــــة ٠

واذا مادرسنا (المعبد البابلي) شاهدنا : غرفة ناووسـ
(المقدس ، قدس الاقداس) او الكعبة على شكل قاعة مستطيل
ذات مدخل من احد الجانبين الطويلين : تسبق هذه الحجر
المهمة غرفة صغيرة يتم الدخول منها الى اماكن الخدمة كمـ
في هيكل بابا (٨٦) ٠ وقد تضاف غرف اخرى كما في معبـ
نابو في بورسيبا ومعبد كيش الكبير ٠

ونجد اختلافات في المعابد الاشورية بشأن وضع صـور
الاله او تمثاله اذ تلقى ذلك احيانا ازاء الباب كما هو الامـ
عادة في معابد بابلية ايضا،او نلقاها تتصدر احد الجـداري
الصغيرين كما في معبد ابو في تل اسمر ومعبد عشتار في اشور
وقد نشاهد الفتحة في الجانب الضيق كما في معابد قصـ
سرجون في خورسباد . بل قد تكون المعابد الاشورية عبارة عن
قاعات طويلة على الطراز الغربي كما في معابد سرجون ومعبـ
اوروك (الوركاء) ٠ وليس من السهل الاجابة على السـؤال
كهذا : من تأثر بالاخر ، الطراز المعماري الاشوري المتأخـر ا
الريازة الهلنية ككل ؟ ونقصد هنا بالفن البابلي او الاشوري
المتأخر ، ما استمر وتطور وتبدل عبر العصور وحتى بعـد
زوال حكم البابليين والاشوريين واستيلاء السـلوقيين
والفرثيين والساسانيين علي البلاد.لان الدراسات المتأخـر
ابانت بما فيه الكفاية تأثر ما سمي بالفن «الفارسي» والعمار
«الفارسية» بتراث وادي الرافدين ، لذا وجب ارجاع الامور
الى نصابها والتسميات الى اصولها ٠ ونسوق مثالا هو العقد
الذي سمي فارسيا بينما تبين انه بابلي ـ اشوري قـديم
وثمة معبد شيده نابوبلاسر في اشور بطراز بابلي (٨٧) ٠

يتضح من هذا ان الطراز البابلي يتميز بقاعته العريضـ

والاشوري بقاعة طويلة لكنه ليس تحديدا ثابتا انما تمييز مبدئي غايته تبسيط الامور ، لاننا كثيرا ما نلقى نماذج تمنعنا من التفريق بين الطرازين ، ولا عجب فالبلد واحد والتواصل الحضاري قائم بحيث نلقى كنائس عديدة في الشمال من بلاد الشام ذات مداخل في احد الطرفين الطويلين ومن كليهما ، وليس من الطرف القصيف (الغربي) (٨٨) • ومما يدل على تأثر كنائس وادي الرافدين بالطراز البابلي ـ الاشوري قيام معابد بابلية ـ اشورية في البلاد حتى القرنين الرابع والخامس ، بل الى الاسلام ، لان الفرثيين والساسانيين لم يفرضوا دياناتهم ولغتهم على البلاد التي استولوا عليها ، فظلت شعوب بلادنا على عاداتهم وتقاليدهم ، وبمقدار كبير • ومعلوم بأن البابليين والاشوريين كانوا دقيقين في حساباتهم ومتقيدين بالقوانين والانظمة والتقاليد لاسيما المقدسة منها وفي مقدمتها ريازة المعابد (٨٩) •

ونلاحظ عدة امثلة لمعابد بابلية اتسمت بناووس ثلاثي التقسيم مرتبط بغرفة تسبق القاعة وحجم اقسام الناووس الثلاثة المرتبطة فيما بينها بحجم الحجرة ،كما في معبد ارتيميس في دورا وهياكل نبطية عديدة،وهذا بتأثير دخيل •

وقد يتبادر الى الذهن اعتراض قائم مفاده ان المسيحيين المشرقيين كانوا ينفرون من كل ما هو «وثني»،فكيف يقلدون معابد الاصنام ؟

نظن اننا اجبنا على ذلك بقولنا ان التقليد المباشر هو تقليد مجامع يهودية ، وان هذه اقتباس او امتداد للمعابد البابلية والاشورية بالاضافة الى ان هذا التعميم والذي سبقه ككل التعميمات لايعكس وجه الحقيقة تماما • فأن لنا شواهد تؤيد بأن بناية ماشيدت كنيسة ثم استخدمت معبد نار ، واعيدت

فيما بعد كنيسة كما في سيرة الشهيد نرسي (٩٠) • كمـــا ان مخطط كنيسة كوخي مطابق لهندسة قصر سرفيستان(٩١) ولانستغرب من الامر ، فأننا نقرأ في (التاريخ السعردي) بـأن شيراران اخت سابور الثاني (٣٠٩ـ٣٧٩ م) ، اهتدت الـــى المسيحية فغضب عليها اخوها الملك وطردها من القصـــر وازوجها بمرزبان مرو ، فشيدت هناك كنيسة على طــراز القصر الملكي (٩٢) • ولاينبغي ان نغفل بان المعابد هي أهـــم الابنية قديمـــا •

وكانت مواد البناء تقتصر في القديم على الآجر ، مفخـورا كان أم لبنا غير مفخور • ورغم شحّة المواد وخلوّ البلاد لاسيما في المناطق الوسطى والجنوبية من الصخور، استطاع المعماريون ان يشيدوا بالاجر مباني لاتقل في روعتها عن بنايات معابـــد مشيدة بالحجارة مراعين فيها الانسجام والابعاد الهندســـية وجمالية الريازة واكساء الجدران بطبقة من الملاط وتزييـــن الابنية بالافاريز والنقوش (٩٣) •

وثابت تأثير العمارة العراقية على الفارسية الاخمينية والفرثية والسلوقية والساسانية ، كما على المسيحية والعربية الاسلامية • واهم ما اقتبسه الفرس من الفـــن القـــديم : الساحات المرتفعة والقصور الضخمة واستعمال الآجر بوفرة بحيث تشبه مكونات القصر الفارسي الى حد كبير ماكـــان يشتمل عليه القصر الاشوري (٩٤) •

ومن المفيد تحديد اهم عناصر معابد العراق القديمة ، بمـــا يميزها عن الابنية الاخرى وابرزها : الحجرة المقدســـة او الهيكل والمذبح الواقع في صدر الهيكل ، حيث المحـــراب ومائدة القرابين وصورة المعبود • وقد تتكرر المداخل الـــى الهياكل ، فتكون في الجدارين الواقعين الى جانبي الهيـــكل ،

او مقابل مدخل المعبد ٠ اما ماكان سائدا قبل العهد الاكـدي. ثم شاع في شمال العراق ، فهو تكوين حجرة الهيكل من حجرة طويلة يدخل اليها المتعبد من مدخل كائن في احد الجـدارين الطويلين وتكون في نهاية الحجرة دكة المذبح والمحراب بعيدا عن المدخل ، وتقوم في اطراف حجرة الهيكل غرف اخـــرى توضع فيها تماثيل الهة اخرى او تستخدم للاثاث المقدسـة واستعمال الكهنة ٠ وترى بعض جدران المعابد مدعمـــة من الخارج بازار من الاجر والقير (٩٥) ٠

ولو شئنا ذكر بعض النماذج لوجب علينا ذكر معبـــد ننكالي في ككباركو ومحل اقامة الزوجة الملكة في معبد (ننـــا) في اور ويعرف بمعبد (انكي) ومعبد اخر في اور في الجـــزء الجنوبي الشرقي (منطقة الميناء) الذي شيده امرسن ، ومعبد السيدة في اشنونا (تل اسمر) شيده شوسن ملك أور، ومعبد عشتار ـ كتيتوم في تل اشجالي (زبتو) في منطقة ديالى شيده حاكم اشنونا ابق ادد الثاني ويشبه كثيرا معبد عشتار الذي بناه شمشي ادد الاول في آشور ، وله ساحة امامية كبيـــرة يتم الدخول اليها من خلال بوابة كبيرة تقع في نهايتها الجنوبية الشرقية ، وفي الساحات درج يؤدي الى معبد عشتار الـــذي يحتل النهاية الغربية ، وامام الهيكل ساحة واسعة يؤلـــد مدخلها مع الغرفة مقدمة الخلوة الواقعة على محور واحد (٦٩)

خلاصـــة

انسان وادي الرافدين عظيم في فكره وانجازاته ٠ ومـــن انجازاته المهمة المبدعة ابنية شاهقة وجميلة مايزال بعضهـــا شاخصا وفي المقدمة : المعابد والقصور ٠ سار انساننا في تشييد هذه المباني وفق نماذج رسمها فكره الثاقب وصورتها مخيلته

الواسعة ونفذتها انامله وطاقاته ، بمواد متيسرة عادة في الموقع وبما استطاع ان يجلبه من مناطق اخرى ، فخلف عمارات يحق الافتخار بها على الدوام • واستمر التواصل الحضاري في ريازة ابنية بلاد مابين النهرين ، فكانت المعابد والقصور نماذج للكنائس المشرقية والمغربية في بلاد مابين النهرين رغم تأثر الاخيرة منها بالعمارة الهلينية في اماكن وازمنة مختلفة •

لخليق بنا ونحن ندرس تاريخ المسيحية والكنيسة في هذه البلاد ان نؤكد على الاصول المشتركة العريقة وان نراعي هذا التواصل الحضاري لدى تشييدنا كنائس وابنية جديدة مع القبول طبعا بالتطوير والتجديد •

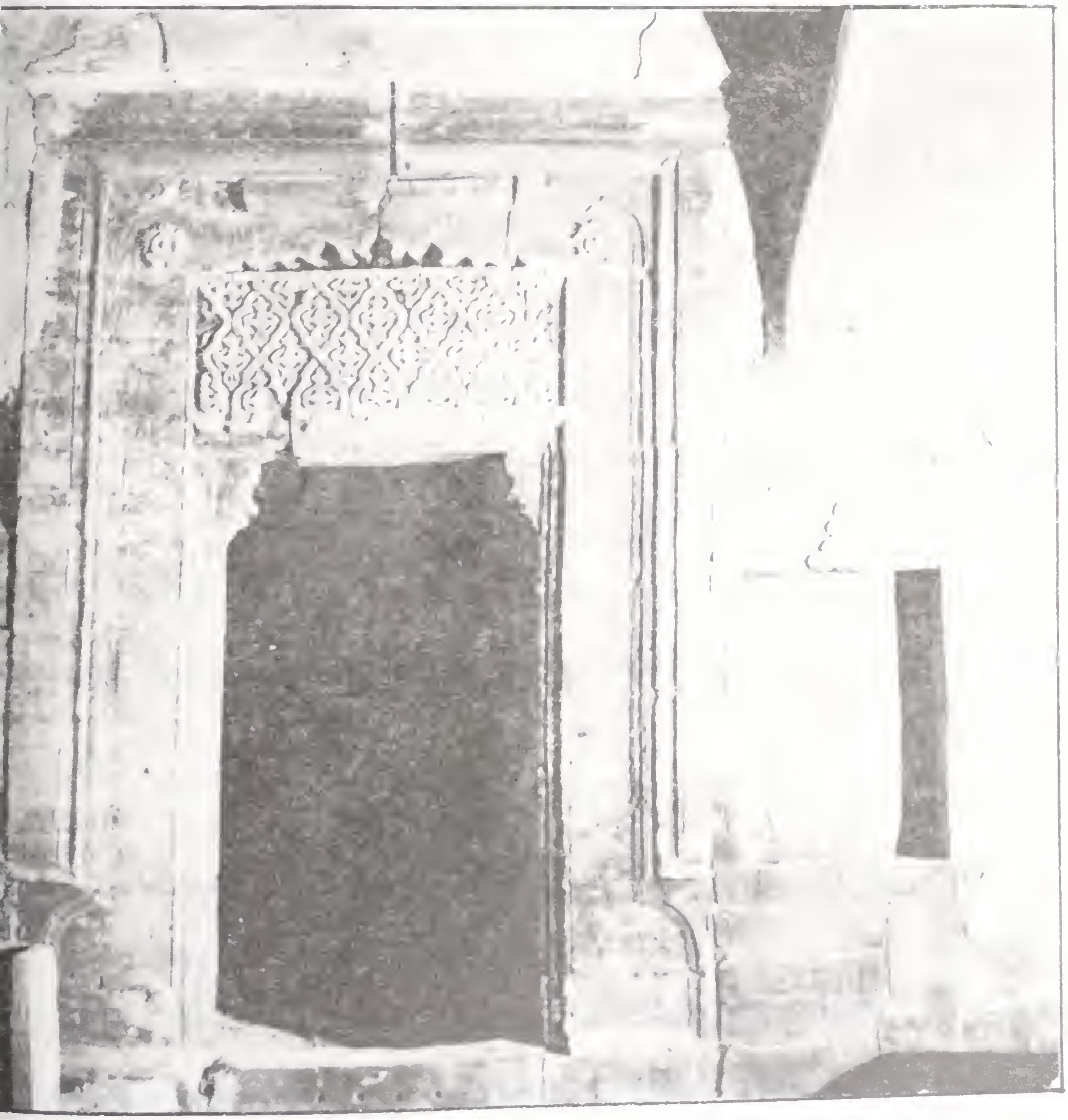

٣

الرهـا مملكـة ومدرسـة

الرها مملكة مسيحية ومدرسة حضارية سريانية

تمهيـــد

لايمكننا ان نتحدث عن المسيحية في المشـــرق ، ولا
السريانية وعلومها وادابها ، الا وتذكر (الرها) وجوبا ، فم
السـبب ؟

هذا ما نحاول ان نعالجه هنا ، مع التركيز على ظاهـ
لم يفطن اليها الاخرون او انهم رأوها غريبـــة عجيبة ، و
كذلك وعلى الرغم من حقيقتها ، مفادها ان الرها اول مملـ
مسيحية قامت في العالم ، اذا ما غضينا الطرف عن مملـ
الحبشة ، والرها مهد ترعرعت فيه لغة ما لبثت ان سادت وع
جميع كنائس المشرق ، هي السريانية • ولعل مؤرخ الرهـ
العلامة سيكال فطن لهذا الامر حين اطلق على كتابه عنو
(الرها ، المدينة المباركة) (١) ، لكنه استمد العبارة من نشـ
لمار افرام (+ ٣٧٣) (٢) • وقد افاض العلامة دفال قبلـ
في وصف التاريخ السياسي والديني والادبي للرهـــا (٣
لكنه لم يتطرق الى هذه الظاهرة •

يدعم كلامنا في هذا البحث ، (تاريخ الرها) طبـــ
گويدي (٤) وتاريخ اوسابيوس القيصري (٥) والسائحـ
ايجريا التي زارت الرها عام ٣٨٤ (٦) ، حتى اعترف سيك
صريحا بأن الرها احتلت خلال اكثر من الف سنة ، مكانـ
فريدة في تاريخ المسيحية ، وكان حكامها من سكان البـ
الاصليين ، ومن اقوام اخرى عديدة ، فهل تطمس معالم ظاه

فريدة كهذه ؟ وهلا ينبغي التركيز على النزعة الوطنية التي دفعت اهالي الرها ومجاوراتها الى تحقيق الاستقلال الذاتي واعلان الحكم المحلي مدة اربعة قرون ؟ ولما ضعفت السلطة المدنية المحلية نهضت سلطة اخرى تعزز مكانتها . هي سلطة الكنيسة وسلطة العلم والفكر • فلا عجب ان خصصنا للرها فصلا كبيرا ، حسبنا اننا نجني لاريب خبرة تاريخية مفيدة •

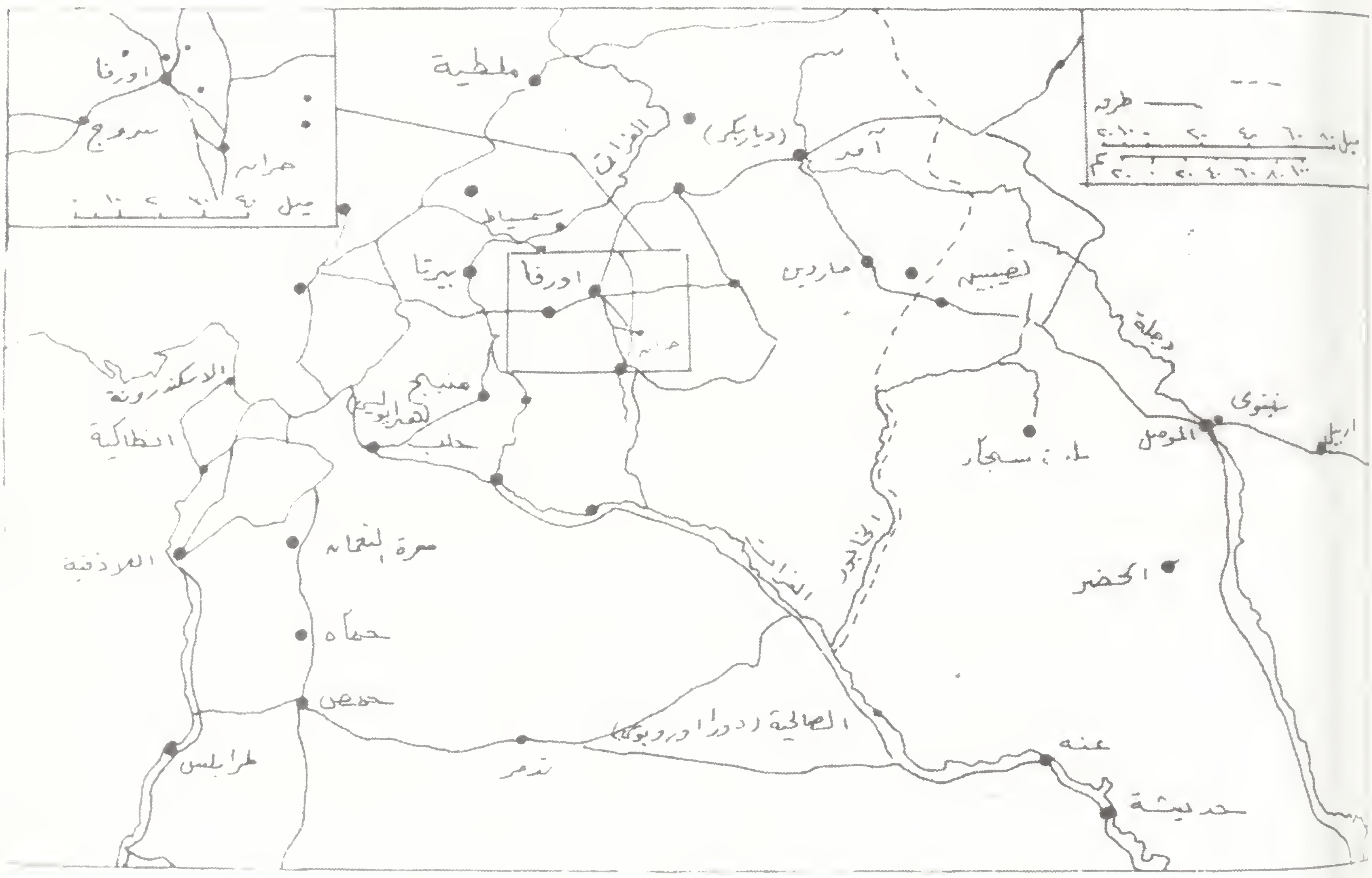

موقع الرها من البلاد

اولا ــ مملكة الرها ٣/١

التسمية

الرها ، وبالسريانية اورهاي ، وباليونانية واللغات الغربية Edessa مدينة قديمة ، تدعى في أيامنا (اورفا Urfa) ، كانت تعد سنة ١٩٧٠ ، ثمانين الف نسمة • وهي مركز ولاية تتبعها محافظة كبيرة ، سميت سابقا مقاطعة أو مملكة ، باسم اوسرهوني Osrhoene لعل اصلها من اوهاري ، لان بلينيوس يسمى شعب المنطقة Orrhoei , Orroei من أورهاي وهو احتمال اكبر بكثير من ارجاع اصل الكلمة الى Osroes , وهذه الى Khusraw (٧) •

وتقع اوسرهوني بين الخابور والفرات غربا وجنوبا ، وعاصمتها الرها •

أصل المدينة :

ككل مدينة شهيرة ، يحاول الكتاب تصعيد الاصول الى مايبلغ حد الاساطير • فقدقال مارافرام ان نمرود حكم فيها (٨) • وقال ايزيدور الاشبيلي ان نمرود بنى الرها بعد ان هاجر من بابل وحكمها • ويسميها كلاهما ايريخ ، واورك وربما من اوره ، اورك ، اورخ • ونمرود هونينوس بن بيلوس (بعل) ، مؤسس نينوى ، بحسب يعقوب النصيبيني (+٣٣٨)• ونمرود هو اول جبار صيد في الارض ، بحسب التوراة واول مملكته بابل وارك واكد وكلنه في ارض شنعار ، في حران (تكوين ١٠ ، ٨ــ١٠) • ويربط اليهود والمسلمون بين نمرود وابراهيم • ومايزال الجبل الذي تقع القلعة عليه يدعى

(عرش نمرود) ، بينما يدعى التل الواقعة فوقه اطلال ديـر يعقوب (تل نمرود).وثمة جامعان قرب حوض المياه والقلعـة يحملان اسم ابراهيم (جامع الخليل) ٠ وهناك حكاية رهاوية تجمع بين نمرود وابراهيم والسمك وفيها الحديث عن بركة ابراهيم (حوض المياه) وسمك ابراهيم (٩) ٠ وقد تحـول اسم نمرود لدى يعقوب الرهاوي الى (ماروذا) اي المارد (١٠)

وكانت الاحواض مكرسة في بادىء الامر الى الالهة ترعتنا (Atargatis) الارامية . كما في مدينة منبج (هيرابوليس) ، ولاتخلو ابدا من الاسماك ، فهو سمك مقدس ٠ وكانت تزينها تماثيل هي محفوظة الان في متحف اورفا . مكونة نصفيا من اشـكال نساء ، ونصفها الاخر بشكل اسماك ، وقد عثر عليها الرحالة الاجانب في منبج في القرنين ١٧ـ١٨ . ولايأكل الاهالي هـذه الاسماك ، وقد يطهوها المسيحيون مع شراب فيكون طعمـها لذيذا (١١) ٠ وما تزال بركتان في اورفا حتى هذا اليـوم تعرف الواحدة بمقام ابراهيم ، والثانية بزولين كولو (١٢)٠ وترجع هذه الظاهرة الى عبادة الماء في العصور الوثنية ، وقد ذكر كزينيفون في كتابه حملة العشرة الاف بركة اسـماك قرب حلب (١٣) ٠ ويذكر ايليان ، معاصر برديصان اسطورة حمام الالهة هيرا في الخابور ٠ وتقع عين العروس قرب منبع الخابور وتسمى ايضا الرحمن ، وتبعد ٥٠ كم جنوب اورفا . والى الشرق منها ٢٠ كم تقع عين سلوق ٠

ويورد ميخائيل الكبير في تاريخه الكنسي خبرا يقول
يستقيه من باسيليوس الكبير مفاده : انه بعد الطوفـــان
بنى الملك نمرود ، ايام نوح (اورهاي) وسماهـــا اور ،
المدينة ، ولما كان الكلدان هم الذين يسكنونها ، اضاف ال
(هاي) اي مدينة الكلدانيين ، كما يقال اورشليم مدينـــ
شاليم (١٤) ٠ اما ابن العبري فينسب بناء الرها تارة الـ
انوخ وطورا الى هرمس واخرى الى نمرود (١٥) ٠ وبينمـ
يساوي بعضهم بين اورك والرها استنادا الى ماجاء في سـ
التكوين (١٠ : ١٠) ، يجعل غيرهم من الـــرها مدينـــة ا
الكلدانيين (١٦) ٠ وهذا ما يبرر سهولة الربط بين الرهـ
وابراهيم ٠ انما لاننسى انه كان في بلاد مابين النهرين ا
من مدينة تحمل اسم اور ، منها واحدة في اوغـاريت خضع
للحيثيين ، واخرى في الشمال الشرقي من بلاد مابين النهر
اضافة الى اور الواقعة جنوب العراق ٠

وثمة اراء اخرى في اصل تسمية الرها وتشييدها ، تد
في باب الاساطير والتخيلات نضـــرب عنها صفحا ٠ ونكت
بارجاع الرها الى اصل شرقي قديم هو (وره) ، والوره مـ
السحاب الكثير المطر (١٧) وذلك اشارة الى غزارة الميـاه
المنطقة ٠

ولاننسى بأن الاسم لم يتبلور الا في العهد الســـلوقي
فمن غير المستبعد ان يداخله تأثير يوناني (١٨) ، انمـــ
لامجال للشك في تأسيس المدينة في عهد يسبق العهد السلوقي
ومن الثابت ان سلوقس الاول شيد عدة مدن في المنط
وذلك نحو سنة ٣٠٣ــ٣٠٢ ق٠م ، ربما كانت (الرهاـاورها
احداها ، هذا اذا لم تكن قائمة قبل ذلك ، كما يبدو محتـــ

جدا ، وجددها سلوقس ووسعها ٠

وسرعان ما اتخذت الرها اهمية اذ غدت موقعها عسكريا له شأنه ٠ واتخذت اسما جديدا ، اذ يلقى على نقود انطيوخس ابيفانس (+١٦٣ ق٠م) اسم "انطاكية السيل (الماء) الجميل" كاليرهوي ، بينما اطلق على نصيبين اسم انطاكية مقدونية (١٩) ٠

اما اسم اديسا Edessa فقد اكتسبته الرها في عهد سلوقس نيفاطور (٣٥٥ ــ ٢٨٠ ق٠م) لكنه لايرد الا نادرا جدا في التواريخ السريانية ، بينما يغدو الاسم الشائع في المصادر اليونانية والرومانية والغربية بشكل عام ٠

موقعها

تقع الرها جنوبي حران ، قرب نهر البليخ بمحاذاة الفرات على نهر صغير اسمه ديصان . فتجاور بذلك كبرى مدن بلاد مابين النهرين ، غربا وجنوبا تربطها الطرق الشمالية الجنوبية بالطرق الشرقية الغربية ، وتصلها بنصيبين ، حتى تبلغ بها الى الهند والصين شرقا ، وقلاع الفرات غربا ٠ وتأتيها القوافل من بعيد محملة باصناف البضائع ، كالتوابل من الهند والحرير من الصين ، وتمضي حتى مدن اسيا الصغرى والبحر المتوسط ٠

تبعد الرها ٨٥ كم شرقي بيرتا و ٤٥ جنوب شرقي سميساط . لذا فهي بعيدة نوعا ما عن الفرات وتحتمي بسلسلة هضاب ترتفع مشكلة جبال الاناضول وهي بمثابة حصن طبيعي لها ، بينما تنفتح في الجنوب الشرقي على سهل حران المنبسط . ويعلوها جبل صخري متوّج بقلعة ٠ ويجري

الماء الى الشمال الغربي عبر واد عميق حتى يدخل المدينـ
في الجنوب الغربي ، ويتصل شرقا بنهر ديصان (٢٠) ، تز
وفرة ٢٥ عين ماء وبرك واحواض تستعمل للسقي ٠ ويرج
تغيّر مجرى النهر من الجنوب الشرقي الى شمال المدينـ
وغربيها الى مهندسي الامبراطور يوسطينيانس (٥٢٧ـ٦٥
وذلك لانقاذ المدينة من خطر الفياضانات (٢١) ٠

في التاريخ القديـم

نلقى في نصوص لكش ، من الالف الثالث ق٠م ، مدي
اسمها بيلاك ربما على نهر البليخ تزوّد المملكة بالخمرة ، و
مدينة اخرى اسمها باليهو غزاها الملك نبوبلاصر في اواخ
العهد البابلي ، بينما يخضع الاشوريون مدينـة دورو
نهر جلاب (ديصان) ، وذلك على يد اشورنا صربال (٨٤
٨٥٩ ق٠م) ٠ وقد اخضع خلفـه شلمنصر الثالث مدين
واقعتين على نهر البليخ اسمها كيـتالا وتيلشاما مار
(تيلماراهي) ٠ وعديدة هي النصوص التي تذكر حـر
سواء في المدونات الاشورية ، ام في التوراة ٠
وتدلنا مدونات ماري على ان البليخ كان مأهول الضف
في القرن ١٩ ق٠م من قبل قبائل شبه بدوية ذات نشـ
فعال في منطقة حران ، اذ كانت تجهز فرقا عسكرية تحـ
أمرة شيوخ ، منهم شمشي أدد ٠ وقد اعفيت كران ، مثـ
آشور من الضرائب في القرن العاشر ق٠م ، وتجدد هذا الا
في القرن الثامن من قبل سرجون ٠ وزار اسرحدون معبد حر
واقام اشور بانيبال اخاه كاهنا اعلى فيها،بل غدت حـ
مسكن اخر ملك بابلي ، هو نابونيد ، سنة ٦١٠ ق٠م ٠

ويبدو ان القلعة اصبحت مقر الحاكم السلوقي ، ثم محل سكنى ملوك الرها ، وهي بمساحة تبلغ نحو ٤٠٠م × ٨٠ ـ ١٢٠م ، تتصل بهـا بركـة ابراهيم وبركـة زليخة امـرأة فوطيفار (٢٢) • وقد قامت، في القرن الثاني للميلاد، كنيسة الى جوارها ، وفيها اقدم اثار مسيحية رهاويـة •

مدينة المـلـوك

منذ وفاة انطيوخس ابيفانيس ، عام ١٦٣ ق•م ، لم يعـد دور الحرس كافيا لحماية المدن والمستعمرات التي اقامـها السلوقيون في بلاد مابين النهرين وذلك بسبب الرخاء الذي ساد البلاد ، واستتباب الامن ، وانتظام الامور ، فكان لابـد من ايجاد سبل تضمن هذه الحالة . لذا عادت معظم انحـاء البلاد الى سيطرة محلية ، رغم بقاء النظام المدني والقوانيـن الرسمية فيها حتى الفتوحات العربية الاسلامية • وكان ان استولى الفرثيون اولا ، ثم الساسانيون ، على بعض اقسامها وذلك منذ اندحار قوات انطيوخس سيداتي في شتاء ١٣٠ ـ ١٢٩ ق م، ثم في عهـد طغران الارمني سنة ٨٩ق م• امـا الظاهرة الاهم . والتي سادت معظم ارجاء المنطقة فهي استحكام دويلات محليـة وطنية ، آراميـة ، ونبطيـة ، وعربيـة كما في (الحظر ـ حطرا) وسنجار شرقا ، وميـسان جنوبا ، وبيـت عديني وشمأل وباخياني وانتيموسيـا والرها غربا •

أصبحت الرها مملكة مستقلة قبل اندحار انطيوخـس سيداتي بقليـل • وقد كانت عهد ذلك اهم مديـنة في مقاطعة اوسرهونى الممتدة بامتداد الفرات ما بين سميساط وقالونيقي (الرقة)، عبر زويكما ، ومنذ القرن الثاني للميلاد عبـر

سيسليانا (قرب هيرابوليس ، منبج) ، عبر طريق انطا
عاصمة السلوقيين الغربية (بينما تقع عاصمتهم الشرق
سلوقية ، على دجلة ، في موقع المدائن)• وثمة طريق اخ
تمضي شمالا الى نصيبين المدينة الحدودية بين مملكت
الفرس والروم ، والمسماة بالسريانية (صوبا) ، تقطع د
حتى تصل اربيلا (اربيل ، حدياب) ، وتتجه جنوبا نحـ
بطنان (سروج)، وحران ، وراس العين (ريشعينا) ، والر
(اديسا) • وليس لنا ما يستوجب الذكر في العصر السلو
الاول بشأن الرها ـ اديسا ، بينما نلقى معلومات مهمـ
الأزمنة اللاحقة ، بحيث يمكننا القول ان علاقات روما ب
ما بين النهرين قد اصبحت من خلالها • فحين شـ
سيكستيليوس حملته ضد طغران ودحره عام ٦٩ق م• ك
حاكم الرها (ولعله أبجر الاول "فيقا" الذي حكم في الفتـ
٩٤ـ٦٨ق م) حليفا لطغران الارمني صهر ميترايدات ، وقـ
خسر واياه المعركة • واذ عاد جند القائد الروماني افرانيو
في شتاء ٦٥/٦٤ق م، من بلاد ما بين النهرين الى سو
لمناصرة اهالي حران ومقدونية (انطاكية) ، كانت الره
اديسا حليفتهم ، ونرى بان بومبي يتمركز في الشرق ، بعـ
اندحار طغران ، وابجر الثامن يغدو حاكم الرها فـ
السنوات ٦٨ـ٥٣ق م• كما يشترك الرهاويون في الحرب
الرومان ضد الفرثيين سنة ٥٣ق م ، بقيادة كراسس، لك
يندحرون • ويذكر بلتارخس مشاركة حاكم عربي ، اس
اريا منيس (آرامي؟) وانتصار بلاد آشور والعرب عـ
الرومان •

من ملوك الرها

(١) ختم أبجر الكبير

(٢) ختم وائل بن شرو

ويخلص الباحثون الى القول ان الرها ـ اديسا ـ وحكامها وان كانوا تـحت حكم روماني في اغلب الاحايين ، فان ميلهـم كان نحـو الفرثيين ، بـل مـن الاصح القول ان نزوعهم نحو الاستقلال الذاتي كان شديدا ، لذا فان ميلهم نحو الشـرق وليس نحو الغرب ، يبرر ما ورد ، ولا ننسى بان المؤرخين الذين نستقي منهم معلوماتنا هذه عادة هم من الرومان، وانهم لم يكونوا رحومين تجاه الاراميين والعرب ، كما يؤكد تاسيوس بقـوله: ان البرابرة ، ويقصد العرب ، كانوا اشد ميلا الى سلخ ملوكهم مـن الحاقهم بحكم روما (٢٤)٠ وعام ٤٩ م، يمضي ابجـــر الخامس اوكاما (الاسود) في وفادة الى زويكما لاستقبـــال مهيرادات (ميهيرداتيس) الفرثي ، ويبقيه في مدينته (اديسا ـ الرها)اياما ، حتى ينعتــه تاسيتس في حولياته بشخص غير شريف لانه يرافق ميهرادات ، عدو الرومان في حملتــه على ارمينية،وينضم اليهما الملك حدياب (اربيل)٠ الا ان ملـك الرهاوملك اربيل ما يلبثان ان يتركا ميهردات الفرثي وحده. فيندحر امام كودارزيس ملك الفرثيين ٠ ويصل ترايانـس عام ١١٤ مدينة انطاكيــة للقيــام بحملة تستهدف تثبيــت

الحدود الشرقيـــة . فيأتيه مبعوثو ملك الرها ـ اديسا (ا
السابع) حاملـين الهدايا ، وهي ٢٥٠ حصانا ، وروائـــــ
عطريـــة واقمـشة . مع رسالـــة ، فيزور ترايانس الرهـ
ويلحق انتيموسيا (وعاصمتها بطنان) باديسا (الرها)ويتـ
ترايانس مـن حديـاب وطيسفون (المدائـن)، الا ان الرو
يفاجَئون بانتفاضة كبيرة في بلاد ما بين النهريـن بتحريك
الرها فيعود لوقيوس كويتس ويحاصر نصيبين ويشعل ا
في الرها فيهلك معنو الثامـن والعديد مـن الاهالي ، سـ
١٧٧م (٢٥) ٠

وبعد موت ترايانس (سنة ١٠٧)، يعزف ادريان عـ
مواصلـــة الحرب ٠ فنلقى حاكما فرثيـــا في الرها اسمه فـ
مسبات اقامه الرومان بعد سنتين مـن شغور كرسي الحـ
لانه كان مناوئا لابناء جلدته ٠ ثم ما تلبث السلالة المحليـ
(الابجرية ـ المعنويـــة) ان تعود الى الحكم ، فنلقى سنة ٢
معنـــو السابــــــع ٠

ولما شن الفرثيون حملة على الرومان أقيـــلمعنو ، وقـ
مكانه وائل بـــن شـــرو ، له نقود مضروبة باسمه بالسريـ
الى جانـــب الملك الفرثي بينما لجأمعنو الى الرومان ٠فحا
الرومان الرها سنة ١٦٥ بقيادة افيديوس كاسيوس وعاو
اهالي المدينة فتمكنوا مـن طرد الفرثيين وغدا حاكم المقا
(اوسرهوني) مواليا لروما واسمه معنو ولقبه فيلورها ميو
حتى بتر الموالاة حاكم رهاوي بعد نحو ثلاثين سنة ٠ ففـ
عام ١٩٤ بعد مقتـــل الامبراطور بيرتيناكس اشتهر في
ما بين النهريـــن أمرُ ابجر ملك اوسرهوني وهـــو المعرو
بابجر الكبير (الثامـن١٧٧ـ٢١٢ ، والوارد لدى بعضهم

باسم التاسع) ، كما اشتهر امر حاكم حدياب ، وابجر هذا هو الذي مضى بوفادةَ الى سبتيميوس سيفيروس امبراطور روما اثر انتفاضة بيشنسيوس نيجير، ونجحت مساعي الرومانَ فعادت نصيبين مستعمرة رومانية ، وكان حاكمها يمني النفس بالاستقلال ، فانحاز الى الرومان ، ولما حاصر الفرثيون نصيبين، دافع ابجر عن المدينة، فاستحق لقب "ملك الملوك" من قبل الرومان، ودعي الى زيارة روما فلبّى الدعوة سنة ٢٠٤ . واستقبل بشكل منقطع النظير (٢٦) ٠-

وخلف ابجر الثامن ابنه ابجر سيفيروس (التاسع ، ٢١٢-٢١٤) وكان كاراكالا قد عقد العزم على اخضاع الفرثيين فدعا ملك الرها-اديسا الى روما وعزله وادخل عادات رومانية في الرها، واعلنها مستعمرة رسمية سنة ٢١٤، وقضى فيها شتاء سنة ٢١٦/٢١٧. واغتيل لدى زيارته حران سنة ٢١٧٠

ولا تسعفنا المصادر بعد ذلك بشيء يذكر ، سوى التأكيد على الرها مستعمرة رومانية ، على الرغم من تاكيد (تاريخ الرها) بان معنو (التاسع ٢١٣-٢٤٠) قد حكم ٢٦ سنة (٢٧)٠ انما يبدو انه كان ملكا بالاسم ليس الا ، فان النقود المضروبة تحمل اسماء أباطرة الرومان ٠ ونلقى احتلال الفرثيين لنصيبين وحران ، ثم استعادتهما من قبل الرومان في واقعة قرب راس العين ، وتجديد الرها مستعمرة يديرها وال روماني ، منذ أيار ٢٤٣٠ ويحتمل ان ابجر وزوجته قصدا روما في هذه السنة بعينها . ولم يعودا الى الرها ،فيكون بذلك عمر مملكة الرها ٣٧٥ سنة،قامت حين تخلى السلوقيون عن بلاد ما بين النهرين للفرثيين ، وانتهت حين بسطت

روما سلطانها على المقاطعات الشرقيـة • ومهما يكـن مـ
امر ، فان مملكة الرها تمكنت خلال قرابة قرون اربعــة
الحفاظ على شي مـن الاستقلال في منطقـة تنازعت فيهـ
كبرى القوى في ظروف شديدة القسوة •

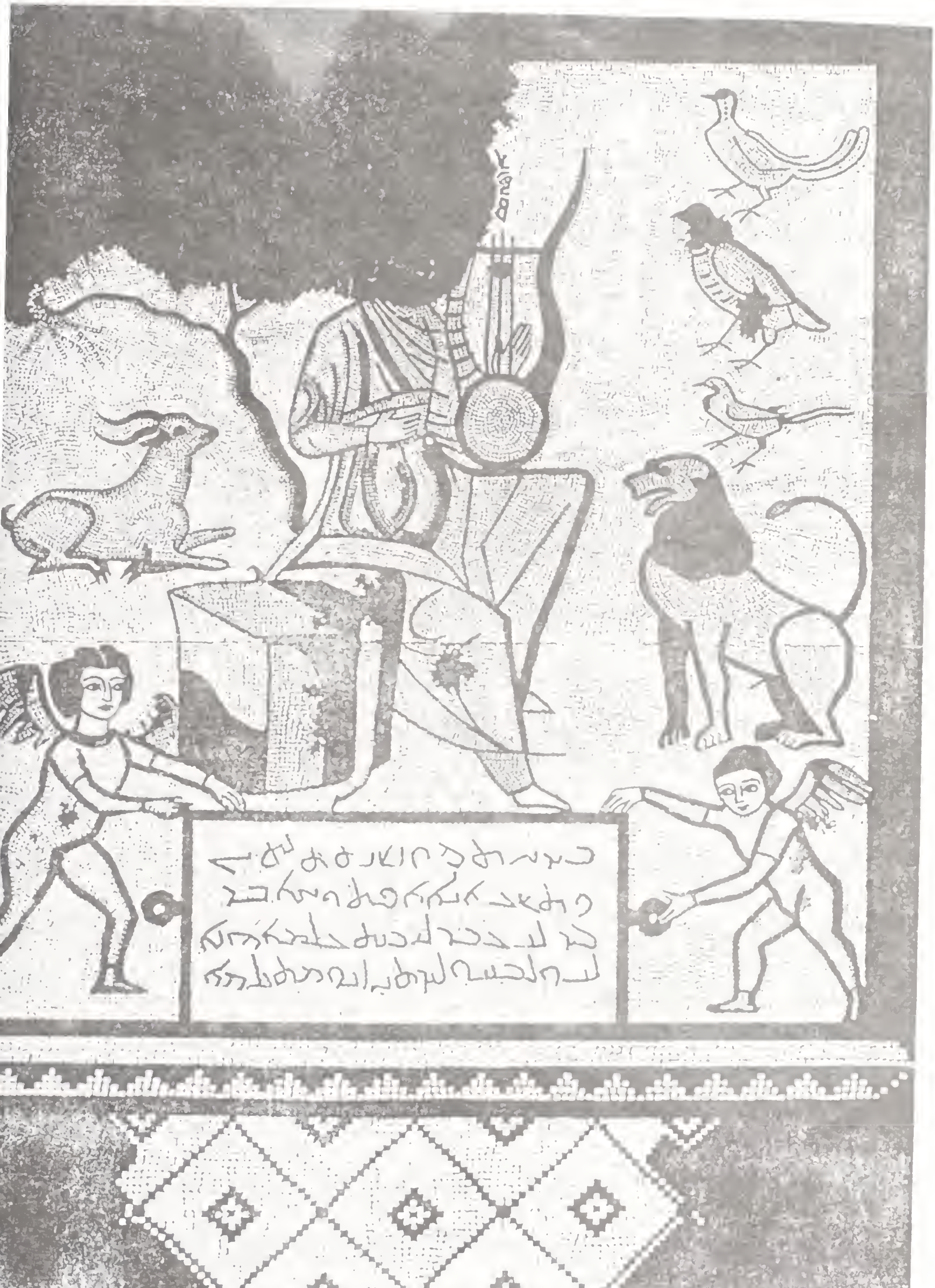

فسيفساء من الرها وكتابة سريانية سنة ٢٢٨ م

قائمة ملوك الرها ـ اديسا (٢٨)

١ ـ اريو ، سنة ١٣٢ـ١٢٧ق م

٢ ـ عبدو بن مزعورا ، ١٢٧ـ١٢٠

٣ ـ فرادهشت بن جبار عو ، ١٢٠ـ١١٥

٤ ـ بكرو الاول ، ابن فرادهشت ، ١١٢ـ١١٥

٥ ـ بكرو الثاني ، ابن بكرو ، ١١٢ـ٩٤ (وحده)

٦ ـ بكرو الثاني ، ومعنو الاول ، ٩٤

٧ ـ بكرو الثاني ، وابجر (ابكر) فيقا ، الالثغ ٩٤ـ٩٢

٨ ـ ابجر الاول ، ٩٢ـ٦٨ (وحده)

٩ ـ ابجر الثاني ، ابن ابجر ، ٦٨ـ٥٣

٥٣ـ٥٢ فترة شاغرة

١٠ـ معنو الثاني ، ٥٢ـ٣٤

١١ـ فاقور ، ٣٤ـ٢٩

١٢ـ ابجر الثالث ، ٢٩ـ٢٦

١٣ـ ابجر الرابع ، سوماقا (الاحمر) ٢٦ـ٢٣

١٤ـ معنو الثالث ،سلىفلول ، ٢٣ـ٤

١٥ـ ابجر الخامس، اوكاما (الاسود) ابن معنو ؛ ٤ق مـ٧م

١٦ـ معنو الرابع ، ابن معنو ٧ـ١٣

١٧ـ ابجر الخامس (مرة ثانية)، ١٣ـ٥٠

١٨ـ معنو الخامس ، ابن ابجر ، ٥٠ـ٥٧

١٩ـ معنو السادس ، ابن ابجر ، ٥٧ـ٧١

٢٠ـ ابجر السادس ، ابن معنو ، ٧١ـ٩١

٩١ـ١٠٩ : فترة شاغرة

٢١ـ ابجر السابع ، ابن ازاد (ازاتيس)، ١٠٩ـ١١٦

١١٦ـ١١٨ : فترة شاغرة

٢٢ـ يالور (يالود) وفارتامسيات ، ١١٨ـ١٢٢
٢٣ـ فارتامسيات (وحده) ١٢٢ـ١٢٣
٢٤ـ معنو السابع ، ابـن ازاد ١٢٣ـ١٣٩
٢٥ـ معنو الثامـن ، ابـن معنو، ١٣٩ـ١٦٣
٢٦ـ وائل بـن سهروز ١٦٣ـ١٦٥
٢٧ـ معنو الثامـن (مرة ثانيـة) ١٦٥ـ١٧٧
٢٨ـ ابجر الثامـن ، الكبير ، ابـن معنو ١٧٧ـ٢١٢
٢٩ـ ابجر التاسـع سيفيروس ، ابـن ابجر ٢١٢ـ٢١٤
٣٠ـ معنو التاسع ، ابـن ابجر ٢١٤ـ٢٤٠
٣١ـ ابجر العاشر فرهاد ، ابـن معنو ٢٤٠ـ٢٤٢

وضع المملكة اداريا واقتصاديا وثقافيـا

يحدد المؤرخون السريان ، مـن مشارقة ومغاربة العـ
١٨٠ للسلوقيين (اي سنة ١٣٢ـ١٣١ق م) كسنة تأسيسـ
مملكة الرها (٢٩)٠ ويذكرون اسم اول ملوكهـا اريو (
الاسد)، اما المؤرخون الارمـن فيعتبرون حكام الرها مـ
جنسهم ، كخلفاء لابجر بـن ارشام الذي نقل عاصمته مـ
ميتسبين (نصيبين) الى الرها ٠ انما اسم ابجر (ابكر) ارام
سرياني مشرقي ، يعني الغافت ، وحتى لو اخذنا بمايقابلـ
باليونانيـة مـن معنى وهو داء اسمه هوفطريون، وبالعر
"خرجت سرته وغلظ اصلها ، فهو بعيـد عن المعنى الارمن
ولا يتحمل تاريخ الاسرة الابجرية النسب الارمني كمـا
بعض الاسماء في السلالة الابجريـة عربيـة واخرى فرثي
وغيرها مركـب مـن التسميـة الاراميـة ـ السريانيـ
والعربية ، اضافة الى الاسماء الارامية ، النبطيـة والسريا
بكرو ، جبرعو ، سهرو ، بينمامعنو ، عبدو مـن المركبـة

ومعلوم بان الانباط، والنبط عرب جنسا ولغتهم آرامية ـ عربية ذات خط خاص ، بينما لغة الرهاسريانية تطورت عن الارامية • وان دلّ هذا الامر ، فعلى ان المنطقة ملتقى شعوب ولغات بحيث لا يسعنا بسهولة تشخيص من كان يسكن مقدونية وآسيا الصغرى وسوريا وبلاد ما بين النهرين ، وغيرها من مناطق ، تشابكت فيها الاجناس والاقوام وامتزجت منذ اقدم العصور ، ولا يمكن تحديد اللغة التي كانت يتحدث بها الجميع •وقد تختلف لغة التدوين عن المحكية ليس من حيث الفصاحة وحسب، بل بسبب الاتجاهات السياسية والثقافية ايضا • وتتغير الامور من عهد الى عهد • فقد وصف سلوقس نيقاطور الرها بالبرية مشبها اياها بانطاكية ، بينما سوف يمتدحهما حكام ومؤرخون رومان آخرون ، وشاع اسم سلوقس في الرها ، كما اننا نجد ايضا اسم انطوخيس واسماء لاتينية اخرى مرقس اوريليوس ، اوريليا ، سيفيروس ، انطونينوس ، اوغسطينوس،مرسيا • وحتى اليهود اطلقوا على انفسهم أسماء لاتينية كسلوقس وكورديان • اما معظم الاسماء فسريانية ونبطية •

ومن المحتمل ان حاكمين مدنيين (سطراطيودى Strategoi) حكما الرها قبل قيام المملكة على يد اريو • فاننا نلقى ذكرهما في قوائم الشهداء المسيحيين •

ولم يكن حكم الملوك استبداديا ، اذ كان لهم مجلس شورى مكون من شيوخ، يتقدمهم اشخاص متنفذون (باصغريا نوهدار)وكان كل (اركون) مسؤول عن قبيلة (فلاي) • وكان للملك قصر جميل فيه حوض اسماك شهير يجري نهر

ديصان بجواره من الغرب الى الشرق ، وقد اضرّ فيضان سن
٢٠١م بالقصر ، فخرب ، وتجدد بناؤه بعد سنوات في المكا
عينـه ، ثم شيد ابجر الكبير قلعة كقصر شتوي ، وذلك سن
٢٠٥/٢٠٦م٠ وكان ابجر السادس قد ابتنى سنة٨٨/٨٥ بر
المقبرة الملوكية ٠ وكان الملك يرتدي ثيابا نفيسة ويضع تاج
حريريا فوق راسه، والضرائب بيده وكذلك الحرس والعساك
وكـان استعمال الخيـل شائعا ،كما انتشرت الاقواسـ
واستعملت في الصيد والحروب ويقوم الحرس بحراسـ
الاسوار منذ بدايـة شهر تشرين الاول مـن كل سنة وحتـ
نيسان وذلك مـن سنة ٢٠١ تحذرا مـن الفيضانات ٠ويسم
هذا النوع مـن الحراس(حكماء).بينما للملك رجال ثقـ
(شاويري) يعانونه في تدبـير امور المملكة ، منهم اثنان يهتما
بحفظ الوثائق ويسميان بالفاحصين او المتبحريـن (باحوري
وثمة امين سر (تابولارا) يدوّن ما هو رسمي وضروري٠ وكعاد
الرومان كان الرهاويون يمنحون بعض الاشخاص جنسيته
وقـد كثر الامر في عهـد كاراكالا ٠وهذا دليل عظمـ
واهميـــة ٠

وكان للتجار دور كبير في المملكة ، وحظوة لدى ملوكها
وكذلك الفنانون وكانوا يسكنون كمعظم النبلاء والاشراف
والاغنياء قرب القصر في بيوت جيـدة ٠

وكان يحيـط بالمديـنة ارياف واراض يسكنها اناس
تشبه حياتهم الى حد كبـير حيـاة البداوة ٠كما كان فـ
المنطقة بدو رحّل (طيّايي) (٣٠)٠ اما سيد او شيخ العـر
(شلطيا دعرب) فكان يسكـن في المديـنة نفسهـا ٠

واشتهرت الرهابطرازها المعماري وفنون البناء والنقش

والرسم والكتابة ورغم اصالتها المشرقية تأثرت بالفن الهلنستي وبرع فنانوها في الفسيفساء والرسوم والنقوش والكتابة • وقد سلمت من التلف عدة مدافن جميلة وانتشرت فيها ثقافة مشرقية آرامية مطعمة بيونانية رومانية ، وسادت فيها اللغة الارامية ، ثم تطورت فيها الى ما عرف بالسريانية ، فاعمال توما ذات اصل سرياني ، وكذلك كتابات ططيانس وبرديصان وتلميذه ولكنها متأثرة باليونانية ، بل ان بعضها هو باليونانية اصلا كمقالة ططيانس ضد اليونانيين • وسواء ططيانس ام برديصان وغيرهما درسوا في اوساط يونانية كاثينا والاسكندرية وروما ، لكننا نكون قد بلغنا ازمنة اصبح فيها التمازج الشرقي ـ الغربي شديدا ، لا سيما في المناطق غربي الفرات • ونضيف انه رغم هذه المؤثرات اليونانية الرومانية ظل الرومان يطلقون على الرها تسمية مدينة الفرثيين ، والصقت باسم نهر ديصان تسمية نهر المديين • ولا تخلو الرها من تأثيرات فرثية انما لا بد من التأكيد ان الرها مدينة ومملكة هي مشرقية قبل كل شيء •

وكانت العلوم متقدمة في الرها لا سيما الطب ، اذ يبدو ان ملوكها أولوا اهتمامات خاصة بالصحة•وسيستمر هذا التقليد على ايدي المسيحيين كما في جنديسابور وبغداد فيما بعد ، ولاحواض الاسماك وبرك المياه دور في اهتمام الرهاويين وغيرهم بالصحة •

وقد اضفت حصيلة ملتقى الحضارات الشرقية والغربية على الرها طابعا متميزا وجذابا ، فنلقى ميهرداث الفرثي معجبا بوسائل اللهو المتوفرة فيها وذلك في القرن الاول ، بينما

يعجب ترايانس في مطلع القرن الثانـي بما شاهد فيـ
فـن الرقص(البربري ، الشرقي) والحمّامات الشتوية و
الاسماك والاسوار • وقد صوّر الرهاويون بشكل جمـ
الطيور والاسود والغزلان والعنقاء ، لنـا نماذج منها مـ
منتصف القرن الثالث •

وقد وصف لنا يوليوس الافريقي ،الذي زارالرها
اواخر القرن الثاني ، خبر نزهـة صيد واطنب في وص
الغابة العجيـبة(٣١)• ويحدثنـا برديصان عـن رسم
عجيـــب (٣٢) •

اما السائحة ايجريا فتسجل لنا في نيسان ٣٨٤ انط
جميـلة عـن القصر الملكي واحواض الاسماك النقيـ
والميـاه الضخمـة الجميـلة، كمـا تصف النهر بالـ
والمهابـة وتقول انـه يخرج مـن القصر منسابا لـــ
الاحواض والحقول والبساتيـن•وسوف نأتي على ذ
وصفها للرها فيما يلي (٣٣)• ويؤكد تاريـخ الرها بان
ينبع مـن داخل القصر الملكي وهـو نتيجـة ٢٥ فرعا
الميـاه (٣٤)• وعديدة هي الابنية التي كانت تقوم عـ
أعمـدة • وقد تأثرت هندسة الاعمدة بالفـن المعمـ
المسمى بالقورنتي • اما القبور فازدادت بمشاهد ولوحـ
فنية رائعـة حفر بعضها في الصخر والحجر المنقول من ا
المقدس في سوماطار ، كما انتصبت عدة تماثيـل اشهر
تمثال الملكـة شلمت مـن القرن الثاني • وقد ذهلـ
السائحـــة ايجريا امام صورة او تمثال الملك ابجر واب
معنو ، وكذلك بالشاهد العجيـب للعائلـــة الملوكيـ
وقد تطرقنا الى دور الاحواض والاسماك في معتقدات اه

الرها والمناطق المجاورة وتأثر الرها بعبادة الالهة ترعتا (Tarata - Atargatis) ومعبدها الشهير في هيرابوليس (منبج) وتصويرها رابضة على اسد ، وبيدها صولجان . والاشعة والبرج محيطة برأسها • ونذكر هنا الاحترام الذي كان الرهاويون يكنّونه لموتاهم ، الامر الذي دفعهم الى بناء مدافن ضخمة زينوها بشواهد قبور ، ورسوم جنائزية وتماثيل اضرحة وكتابات أرّخت اعمالهم الفنية هذه • وقد عثر على قبر مؤرخ سنة ٧٣ م ، ومشهد وليمة جنائزية مؤرخة سنة ٢٧٨م • وهذا أمر يدل على اعتقادهم بقيامة الموتى يؤيد ذلك تصويرهم العنقاء فهي رمز للخلود ، وقد سلم شكلها وهو مؤرخ سنة ٢٣٥/٢٣٦ • وسيستمر هذا التقليد حين تغدو الرها مملكة مسيحية فتقام القبور العديدة والانصاب وتنتشر اضرحة الشهداء.وتحمل بعض القبور كتابات سريانية ، وهي من اقدم الكتابات السريانية المعروفة • فثمة تمثال رجل هو ابشهيا بن ادونا نوهدرا ، ومشهد العائلة (شلمث) ، كلاهما يحملان كتابات والتاريخ ٤٧٦ أي سنة ١٦٥م ، بينما تذكر كتابة ثالثة اسم اله (مار ايلاها) وهو بعين التاريخ السابق • ونحن نعرف انه نحو شهر اذار ١٦٥م احتلت الجيوش الرومانية مدينة الرها وطردت نائب الملك الفرثي وائل في شهر تشرين الثاني • وقد كان تيردات حاكما على العرب في تلك الاونة •

ويبان بان الاله المكرم في الرها ومجاوراتها انما كان (مار ايلاها ، مالاها) بمعنى السيد او الرب الاله •ولعله بعل شامين (سيد السماوات) نفسه • والشيخ (قشيشا) هو الكاهن • وتكثر الاعمدة في العمارة والنقوش والنقود ، مما

يدل على مكانتها في معتقداتهم ، وللكرسي ايضا اهميـ
خاصة لدى الرهاويين واهالي المنطقة ·

وينبغي التنويه بالروابط التي كانت قائمة بين الره
وحران ودور التنجيم في حران كبير ، وتأثير ذلك ولو
الشيء ، على الرها · كما نجد علاقات من الناحية الدينـ
خاصة بين الرها وتدمر (بالميرا) ، سواء من ناحية مجمع ا
(البانثيون) او الالهة وارتباطها بالكواكب وعلم النجـ
واحتلت هيرابوليس (منبج) مكانة مرموقة في المنطقة كل
لكونها مدينة الالهة المقدسة ، وعمّ تأثيرها سواء على الر
كما على نصيبين وسنجار وبابل واشور وغيرها فان ا
ترعتا (عتار ، عطا) مالبثت ان انتقلت الى الغرب باســ
(هيرا Hera) وعرف زوجها (حداد) باسم (زيوس s
حتى استكمل الثالوث باضافة اله شاب هو ابولو ، بينـ
يتكون الثالوث الحضري (حطرا) من : السيد ، والسيدة
السيدين (مارن ، مرتن ، برمارين) ·

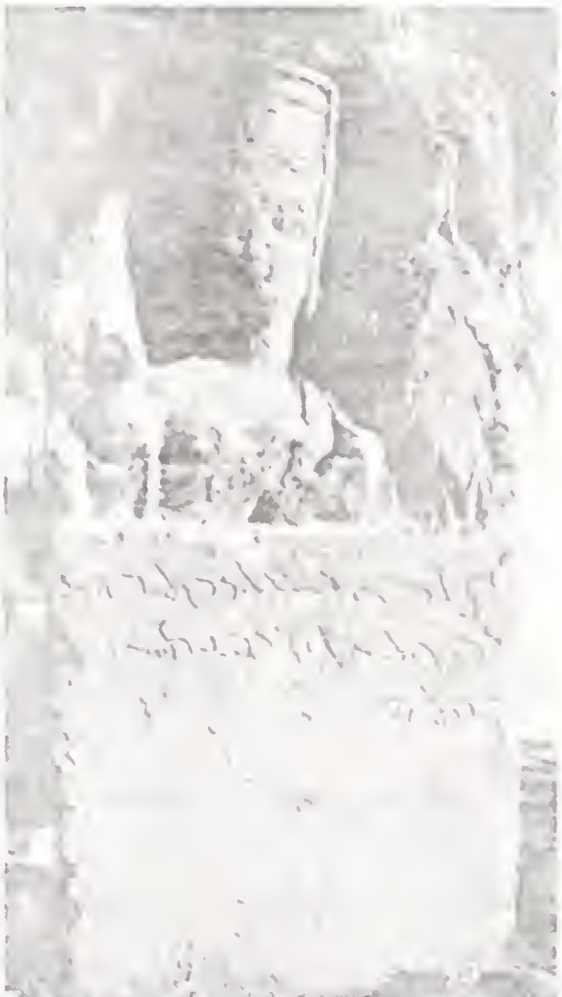

امرأة رهاوية وكتابة سريانية

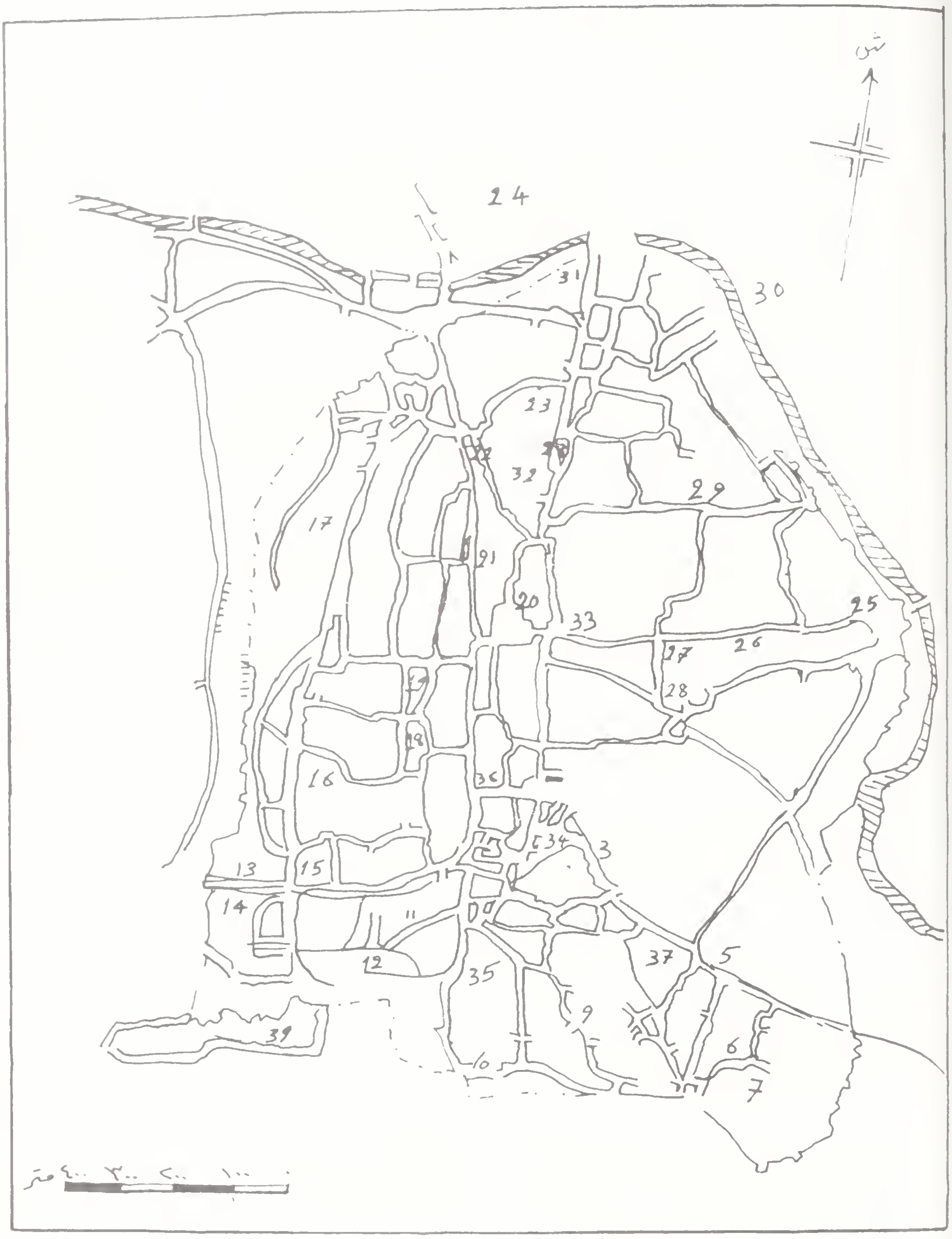

خارطة الرها (اورفا)

خارطة الرها (اورفـا)

١ ـ حي حسين باشا (كامي) (موقع كنيسة))
٢ ـ السوق (كامي ـ هاشمي ، بازار ـ موقع فناء البرج البيزنطي
٣ ـ دبخانـــة
٤ ـ حي هيزانو غلو
٥ ـ جكارى (موقع المسرح البيزنطي؟)
٦ ـ خير الله (موقع كنيسة برالاها؟)
٧ ـ هفـــرا
٨ ـ الايوبي
٩ ـ الحي آلعربي (موقع كنيسة القديس ميخائيل؟)
١٠ ـ حي يني
١١ ـ حسن باشا (كنيس يهود؟)
١٢ ـ مقام ابراهيم ، مولود خليل (موقع كنيسة المخلص)
١٣ ـ الرضواني (احمد باشا ، موقع كنيسة مار توما؟)
١٤ ـ خليل الرحمن (موقع كنيسة ام الله ، مدرسة الرها ؟)
١٥ ـ حمامات شتويـــة
١٦ ـ محطة كهرباء (موقع كنيسة مار يوحنا المعمدان ، ومار ادي؟
١٧ ـ فرفيلي (موقع كنيسة الرسل الاثني عشر ، كنيسة ارمنية؟
١٨ ـ مشهد الامام سكاكي ، (موقع كنيسة ملكية؟)
١٩ ـ شيخ نبي (موقع كنيسة الصليب ؟)
٢٠ ـ اولو (كيزل كيليسي ، موقع كنيسة الشهيد اسطيفانس؟)
٢١ ـ كتب الدين
٢٢ ـ كاديوغلو (موقع كنيسة المعترفين ؟)
٢٣ ـ يوسف باشا (موقع كنيسة مار قرياقس ؟)
٢٤ ـ حي سليمانية
٢٥ ـ كاراموسى (كابيسي بيك)
٢٦ ـ تزيكيـــن
٢٧ ـ مشهد هجياد يكار (موقع كنيسة الاثني عشر رسولا؟)
٢٨ ـ حي الك (موقع كنيسة القديس سرجيس؟)
٢٩ ـ حكيم ديدي

٣٠ ـ جرجس بيامبر (موقع كنيستي سرجيس وشمعون؟)
٣١ ـ مبان عامة
٣٢ ـ دائرة البريد
٣٣ ـ حمام يلدز
٣٤ ـ حمام ولي بيك
٣٥ ـ حمام السلطان
٣٦ ـ حمام المشير جرصيسي
٣٧ ـ حمام جينجيكلا
٣٨ ـ حمام الوزير
٣٩ ـ اطلال كنيسة (كنيسة القديس تيودوروس؟)

. . . .

وعرف الادب حالة متقدمة في الرها انما لم تسلم معظم الاثار الادبية ، لان حملة دينية متطرفة عملت على محو التراث "الوثني" الديني والدنيوي ٠ وقد تكرر ذلك مرات عديدة في التاريخ ٠ ننوه هنا بالحملة التي شُنّت في الرها ومجاوراتها ضد برديصان واناشيده فلم يسلم منها الا ماذكره خصومه٠ لكننا نستدل من كتابات التماثيل والجدران والاضرحة والاهمية المعنوية التي اكتسبتها الرها ، ان حالة متقدمة جدا ازدهرت فيها وانها عرفت ادبا وثقافة وحياة علمية متطورة ٠

وكان للمرأة دور متميز في مملكة الرها ، فاننا نلقى رسو منساء وشواهد مخصصة لهن وتماثيل جميلة يدل الوضع المتخذ فيها من قبل النساء على انهن سيدات وربات بيوت ذوات موقع ومكانة رفيعة في المجتمع ٠ بل اننا نلقى أختاماً ايضا باسم نساء بمعنى انهن كن يتمتعن بحق التملك، بل قد تأتي البنت قبل الابن ، كما في شواهد الاضرحة وهذا أمر له اهميته في تلك الازمنة الغابرة ٠ ويبدو ان العفاف كان

هو السائد في الاوساط ، فالثياب طويلة ملونة والحشـ
موفورة • اما الزينة فتدل على رخاء وثراء ، فالمجوهـرا
والاساور الذهبية والقبعات المرتفعة المزركشة والمرصعـ
بالذهب والفضة تدل على ذوق وغنى ومكانة • وثيـا
الشابات اقمشة خفيفة وامشاط تزين الشعر • ويرتـد
الفتيان ثوبا قصيرا ومعطفا اشبه بالقباء • وغالبا ماتكـو
الالبسة مزركشة وتكسو الجواريب الملونة الارجل كمـ
تغطي السيقان • ويستدل من الرسوم والنقـوش انالثيا
المستخدمة في الالبسة هي من نوع جديد ونفيس (٣٥) •

شاهد قبر عائلي من الرها

اول مملكة مسيحية في العالم ٣/٢

لم تسجل لنا صفحات تاريخ الكنيسة الاشيئا طفيفــا عن مملكة الحبشة المسيحية ٠ اما الممالك المسيحية الاخــرى فهي متأخرة عن زمن ابتداء المملكة المسيحية الرهاوية ٠ لــذا يحق لنا تبني هذا العنوان المثير (الرها : اول مملكة مسيحية في العالـــم) ٠

وقد اختلف الباحثون المحدثون في امر انتشار المسيحية في الرها ، ولو ان الاكثر تخصصا يرجحون اليوم القرن الاول للميلاد ٠ وقد تطرقنا الى الموضوع في باب (انتشار المسيحية في ديار المشرق) وأشبعناه دراسة ونقدا وتمحيصا واثباتات ٠ فلا داعي للعودة اليه،انما نعمق هنا ماجاء هناك لماماً ، بذكـر شواهد وادلة تضفي على مملكة الرها مسحة مسيحية نعتبرها سمة خاصة بها ، بدأت في القرن الاول او الثاني واستمرت اجيالا عديدة وتميزت بها عن سائر المناطق الاخرى . بــل عملت على ازدهار المسيحية وثقافتها في جميع ارجاء الشرق، ولدى جميع الناطقين بالسريانية ٠ لذا كان التعرف عليها امرا مفيدا جدا ، بل ضروريــا ٠

قلنا ان المسيحية انتشرت في الرها والمناطق المجاورة منذ القرن الاول للميلاد وخرجنا بنتيجة ، بعد امتحان النصوص التي داخلتها روايات قصصية واضافات معلومة الاساليب والغايات مفادها : ان بعض الرسل وتلاميذهم بشروا هــذه المناطق ، وان المسيحية ترعرعت فيها رويدا رويدا ، حتى غدت المملكة كلها ، ونقصد مملكة الرها ، مسيحية ، أقله منــذ عهد ابجر الثامن او الكبير (١٧٧-٢١٢) ٠ وكانت في الرهــا وغيرها من مدن مابين النهرين جاليات يهودية مهمة ٠ وشاعت

قديما حكاية الملكة هيلين (هيلانة Helena) الحديا
وولديها ، وهم من القرن الاول ، واختلطت قصتهم بقصة ا
هيلانة ام الملك قسطنطين الكبير (من القرن الرابع)،وكذ
قصة اكتشاف الصليب وماجلب هذا ، والرسائل المتبا
بين ابجر ويسوع ، من بركة خاصة ۰ ومن الجاليات اليه
المهمة ، جالية نصيبين اذا كان لهم مدرسة كبيرة امتدّ تأث
الى جنوب مابين النهرين ، بل الى فلسطين عينها وقـ
منها رابي يودا بن باثيرا النصيبيني ايام تسلط اليهـ
على مملكة حدياب (اربيل) ۰ ولاعجب فان اليهود تجار ، ك
يختارون السكنى في مناطق ومدن الطرق التجارية الكبر
فمن البحر المتوسط وموانئه وجزره الى بلاد الشام واعا
مابين النهرين حتى ارمينية وعبر البحر الاحمر او الخلـ
حتى الهند ۰ وحين يقطعون سهل حران نراهم يبتعدون ع
الصحراء مفضّلين الطرق الجبلية تجنّبا لاخطار السـ
والنهب ۰ وأهم بضاعتهم الاقمشة والتوابل والعطـ
والمجوهرات ۰ وقد شارك يهود الرها ونصيبين وحديـ
في صد قوات ترايانس سنة ١١٤ـ١١٥ ۰ ويرد في قصة ابج
ادي اسم طوبيا بن طوبيا من اهالي فلسطين ، كما نجـ
تأثيرا يهوديا جليّا على مسيحية الرها ، ظل ملازما كنيس
الشرق عبر مسيرتها في الزمن ، أبلغه الاحترام الذي يكنّ
الرهاويون المسيحيون والمسيحيون الشرقيون من الناطقي
بالسريانية بشكل عام ، لاسفار العهد القديم.وقد تمت تر
هذه الاسفار الى السريانية في الرها في عهد مبكر جدا بـ
ثمة عدة ترجمات سريانية (١) ۰

وللتقليد مكانة متميزة لدى المسيحيين المشرقيين ، و

تأثر بنزعة متزمتة في التمسك بالشريعة رغم جدة المسيحية والروح التجددية التي بثها المسيح ورسله . وترتبط بها عفويا نزعة احاطة الاشخاص والاماكن والمعتقدات والقوانين بهالة قدسية تجعلها بعيدة نوعا ما عن المتناول العادي الطبيعي الى حد رفض المحاولات الرامية الى التحرر من التقاليد حتى لو كانت بروح الانجيل . والامثلة على ذلك عديدة لانحتاج الى التطرق اليها .

ونسرع الخطى فنطلع مع السائحة ايجريا على وضع الرها عام ٣٨٤ ثم نعود لنتحدث عن الفترة التي سبقت ونكمل البحث فنتناولّ السنوات التي اعقبت ذلك .

الرها عام ٣٨٤ م

منذ ان اكتشف كاموّريني سنة ١٨٨٤ مخطوطا يرجع الى القرن ١١م يضم جزءا من رحلة امرأة . اتضح بعد القيام بدراسات عديدة اقضت مضاجع الكثيرين انها (ايجريا) وليست (ايتريا) كما كان يظن ، وانها على الاكثر راهبة فاضلة واوربية قامت برحلة طويلة الى الشرق والاراضي المقدسة ، ، ذلك في السنوات ٣٨١-٣٨٤ . وليس في القرن الرابع او في الخامس ، كما ظن بعض الباحثين في باديء الامر . اذ اثبت البولاندستي دفو بحجج دامغة لاتقبل الجدل ، ان رحلتها تمت في السنوات المذكورة . وتبعه في ذلك مارافال الذي قام مؤخرا باكمل تحقيق لهذه الرحلة ، نشرها في مجموعة (النصوص المسيحية) سنة ١٩٨٢ (٢) . ايجريا من اصل غولي (مقاطعة غاليا) قرب جبال الالب . على حدود فرنسا وايطاليا؟ على الاكثر ، أو من غاليسيا في اوربا الوسطى

(بولونيا واوكرانيا في الاتحاد السوفيتي) ، وراهبة ، او
الاقل من النسوة التقيات الفاضلات ، قامت برحلة طوي
الى الشرق او بالاحرى باربع رحلات منذ عيد القيامة س
٣٨١ وحتى اواسط سنة ٣٨٤ ، وكتبت مذكراتها باللات
بعنوان (رحلة itineranum) ، وصفت فيها انطلا
من بلاد الغرب الى القدس وديار الشرق ، وذكرت المواقـ
والاثار مركزة على ماهـو مسيحي من كنائس ومـز
ومواقع دينية ورهبان وطقوس ، متجولة في مصر والسا
والجليل وارجاء فلسطين وجبل سيناء وبلاد مابين النـ
فزارت انطاكية والرها ، وحران ، وسلوقية ، حتى بلغـ
القسطنطينية ، وعادت الى بلادها تاركة لنا وصفا مسهب
الاحتفالات الدينية والمراسيم والصلوات التي كانت ت
القدس . والرحلة غزيرة بالمعلومات الجغرافية والتاري
اضافة الى اهميتها الدينية والطقسية ، والنسكية ، فهي
الاهمية .

لم تسلم الرحلة كاملة ، وهي على شكل رسـائـ
مذكرات سطرتها ايجريا لاخواتها الفاضلات ، ضاع الـ
منها ، وسلم قسم مهم ، منه مايخص الرها نستعرضه هـ

. . . .

بعد مغادرتها انطاكية وصلت ايجريا مدينة الـرها فـ
نيسان ٨٤ ومكثت فيها حتى ٢١ منه، ثم مضت الى حر
تصف الفرات بانه نهر كبير مستشهدة بسـفر التكو
(١٨:١٥) ، ومشبهة اياه بنهر الرون في فرنسا ، مما جعـ
البعض يظنون انها من غاليا ، لكنها تؤكد بان الفرات أ
عرضا ، وكان لابد من لاستخدام قوارب كبيرة وذلك للوصـ
الى بطنان (سروج)،وفيها كنيسة ، واسقف قديس ، و

راهب معترف ، كما فيها مزارات واضرحة شهداء · فور وصولها مدينة الرها تقصد السائحة ضريح مار توما الرسول للصلاة وتلاوة نص يخص الرسول ، (هل هو فصل من اعمال توما ؟) ، ثم تزور كنيسة الرسول توما مؤكدة انها ضخمة ، فهي لاشك الكنيسة التي يذكر (تاريخ الرها) انها تضررت بفيضان سنة ٢٠١ ثم تجدد بناؤها سنة ٣١٢ـ٣١٣ بهمة اسقف الرها قونى‌و خلفه سعد ، ثم توسعت واكملت في السنوات ٣٢٣ـ٣٢٤ ، ٣٢٧ـ٣٢٨ ، ٣٦٩ـ٣٧٠ (٣) ، وينبغي تمييزها اذاً عن قبر القديس توما · ونحن نعرف بان رفات الرسول توما قد نقل من ضريحه الى كنيسة شيدّت خصيصا لاستقبال هذا الكنز الثمين الذي يعتز به الرهاويون والمشرقيون والهنود (٤) · ونعرف بان الضريح كان قائما في الجانب الجنوبي الغربي من المدينة خارج المدينة القديمة، بحسب العادة الجارية التي كانت تقضي باقامة الاضرحة والمزارات خارج المدن (٥) · وتؤكد ايجريا انها رأت في الرها عدة اضرحة شهداء ، كما تقول انها شاهدت رهبانا قديسين يقيم بعضهم قرب الاضرحة والمزارات ، بينما يسكن غيرهم في صوامع ومغائر بعيدا عن المدينة ·

وقد استقبلها اسقف المدينة،وهو انولوجيوس ٣٧٩ـ٣٨٧، احد المعترفين بسبب نفيه الى مصر بأمر من فالنسيوس الامبراطور ، واحتفى بها ، وأراها كل ماتستطيب نفسها، فهي قد قصدت مدينته من "أقاصي الارض" ، وانطلق بها الى قصر الملك أبجر (وهو ابجر اوكاما الخامس بحسب الاسقف ، بينما هو في الحقيقة ابجر الثامن او الكبير كما نستدل عليه من تاريخ الرها) · وقد كان تأسيس القصر

في شتاء سنة ٢٠٥ ـ ٢٠٦ وأراها هناك صورة او تمثا
المرمر الشفاف كالبلور للملك ، ينمّ عن ملامـــح ش
عاقل محترم (٦) وقال لها : هذا هو ابجر ، الملك الذي
ان يرى الرب (المسيح) آمن به • ورأت الى جانب الت
صورة اخرى مرمرية ، قال لها الاسقف انهـــا لابنه
وتستمر السائحة في وصف زيارتها فتقول : انـــها
القصر يرافقها الاسقف ، فشاهدت أحواض المياه المل
بالاسماك • وهناك قص عليها الاسقف حكاية مفادهـ
الفرس حاصروا الرها يوما ، فحلّت عليها ظلمات افز
واذ قطعوا مجرى المياه عن المدينة لكي يموتَ أهاليها ع
أنبثقت هذه العيون التي تسقي الاحواض الان •

وقد كان القصر مشيدا فوق مرتفع غير انه بعد تف
العيون ابتنى ابجر قصرا لابنه معنو احتضن الينابيع الع

وتكمل قائلة : اقتادني الاسقف الى الباب الذي
دخل حنانيا Ananias رسول الملك الى يسوع •
ذلك اليوم يقوم حراس على الباب لمنع دخول اي شيء
طاهر • وقد رأت كذلك شاهد (تذكار Memoria)
وعائلته (٧) ، ثم القصر العالي القديم • وأراها الاسـ
الرسائل المتبادلة بين ابجر والمسيح • وتبدي ملاحظ
جدا بقولها : اني رغم امتلاكي نسخا من هذه الرسائـ
بلدي قبلت بطيبة خاطر النسخة التي قدّمها لي الاسقف
اتساءل فيما اذا لم تصلنا نسختها ناقصة ؟ ويبدو ان
هو عينه بشأن نص الرسائل الوارد في تاريخ اوسا
(١٣،١) •

كان هذا وضع الرها في اواخر القرن الرابع • و

في زمن متأخر نوعا نسبة الى بدايات المسيحية وانتشارها في هذه المملكة كما في الاماكن المجاورة . يكفي ذكر مار افرام كبير آباء كنيسة المشرق ، فقد توفي منذ ١٠ سنوات وبالضبط سنة ٣٧٣ بعد ان علّم في الرها ١٠ سنوات اثر انتقاله اليها من نصيبين . ولنعد الى ماهو اقدم من هذا التاريخ .

مسيحية الرها قبل القرن الرابع :

قامت في الرها كنيسة كبيرة قبل القرن الثالث أودى بها فيضان سنة ٢٠١ كما يؤكد المصدر الموثوق (تاريخ الرها). ويأتي ذكر اكثر من شهيد رهاوي منذ عصور الشهداء الاولين . ولا تخلو وثيقة او شاهد اواثر كتابي من ذكر الرها كمنطقة انتشرت فيها المسيحية منذ فجر المسيحية. وشهيرة هي اسطورة ابجر - أدي - يسوع الواردة بشكل موسع كامل في (تعليم أدي). وبشكل موجز في (التاريخ الكنسي) لاوسابيوس القيصري المدون سنة ٣٢٤-٣٢٥، تؤيده شهادة السائحة ايجريا (سنة ٣٨٤) وشهادة مار أفرام (+٣٧٣) وغيرهم من الكتبة والمؤرخين . ورغم هذا كله نقول ان الامر لايعني وجوبا ان المملكة الرهاوية اصبحت في الغالبية من سكانها مسيحية منذ القرن الاول او مطلع الثاني ، كما لا يعني انها قد اصبحت منذ ذلك الحين مملكة مسيحية رسمية ولنحلل الامور بمنطقية وعلمية .

كانت الرها في فجر المسيحية تتمتع بشيء من الاستقلال انما في وضع منحاز الى الفرثيين لا الى الرومان . فان حرق الراحل من فلسطين وانطاكيا الى الرها دون اي اعتبار

للعداوة المستحكمة بين الرومان والفرتيين عملية مرفو
ولو اننا لا نتمكن من الحد من نشاط الرسل الغيـ
وتحجيم رسالتهم ضمن رقعة معينة مهما كانت الاسبا
والظروف لانهم شهود فداء • فلايجوز ايضا الاكتفاء بالح
عن انتشار المسيحية في البلاد التي كانت واقعة تحـ
حكم الرومان • بوسعنا تشخيص عدة مراحل بـل حـ
في حياة الرسول الذي بشرّ الرها ونشر المسيحية فيه
فثمة تركيز على ادي كرسول للرها فهو تقليد رهاوي
انه تقليد كل الناطقين بالسريانية • ويتصل به أمر ن
أدي نفسه البشرى الى حدياب (اربيل) ايضا • اما التق
اليوناني واللاتيني فيسمى أدي تداوس (تدى) . ويكـ
الاخير اما واحدا من الرسل الاثني عشر او احد الاثنـ
والسبعين او السبعين تلميذا كما لدى اوسابيوس و
سبب الخلط بين ادي ــ تدى ــ ويهوذا ــ توما ، ولو ان
على علم من مصادر عديدة بكرازة توما الرسول في د
المشرق وبلاد الديين والفرتيين • ويزودنا (تاريخ اربيـ
المنسوب الى مشيحازخا ، بمعلومات بشأن بشارة اد
حدياب •

وتصف (اعمال توما) استشهاد الرسول ، وهـ
مكتوبة في الرها في اواخر القرن الثالث . ويأتي فيها ا
الرسول هكذا يهوذا ــ توما ــ اي كما يقول اوسابيـ
تماما ، ويضيف اوسابيوس مساواة اخرى بين أدي و
ويدعم خبر توما وصلته بالرها ماروته السائحة ايجريا
تزور ضريحه وكنيسته،ولا تذكر ادي ــ تدى • وقد عثر
نسخة من رسالة يسوع الى ابجر في كرك مجره قرب ا
ترجع الى القرن الخامس جاء فيها ان تداوس (تدي)

توما عينه · ولا نغفلن بان ماني (٢١٥ـ٢٧٦) سمّى تلميذيه: أدي وتوما ، وذلك لاضفاء طابع جذاب على دعوته · لذلك كله نستطيع القول : ان الربط بين أدي ـ وتدى ـ توما هو منذ النصف الاول من القرن الثالث او بعده بقليل ، وتدل المصادر والقرائن انه يفترض واقعا حقيقيا قديما ·

ومن المفيد التنويه بما يذكره يوسيفوس المؤرخ بشأن مملكة حدياب ، ففي الاحداث ما ينيرنا هنا ايضا · وعلينا ان لا ننسى دور نصيبين وتأثيرها على الرها فان الربط بين المدينتين واجب وسنفعل في فقرة لاحقة من هذا الباب (٨)· ونصيبين واردة في قائمة المدن المذكورة في حجر ابرسيوس كما يرد كذلك اسم بلاد ما بين النهرين ·

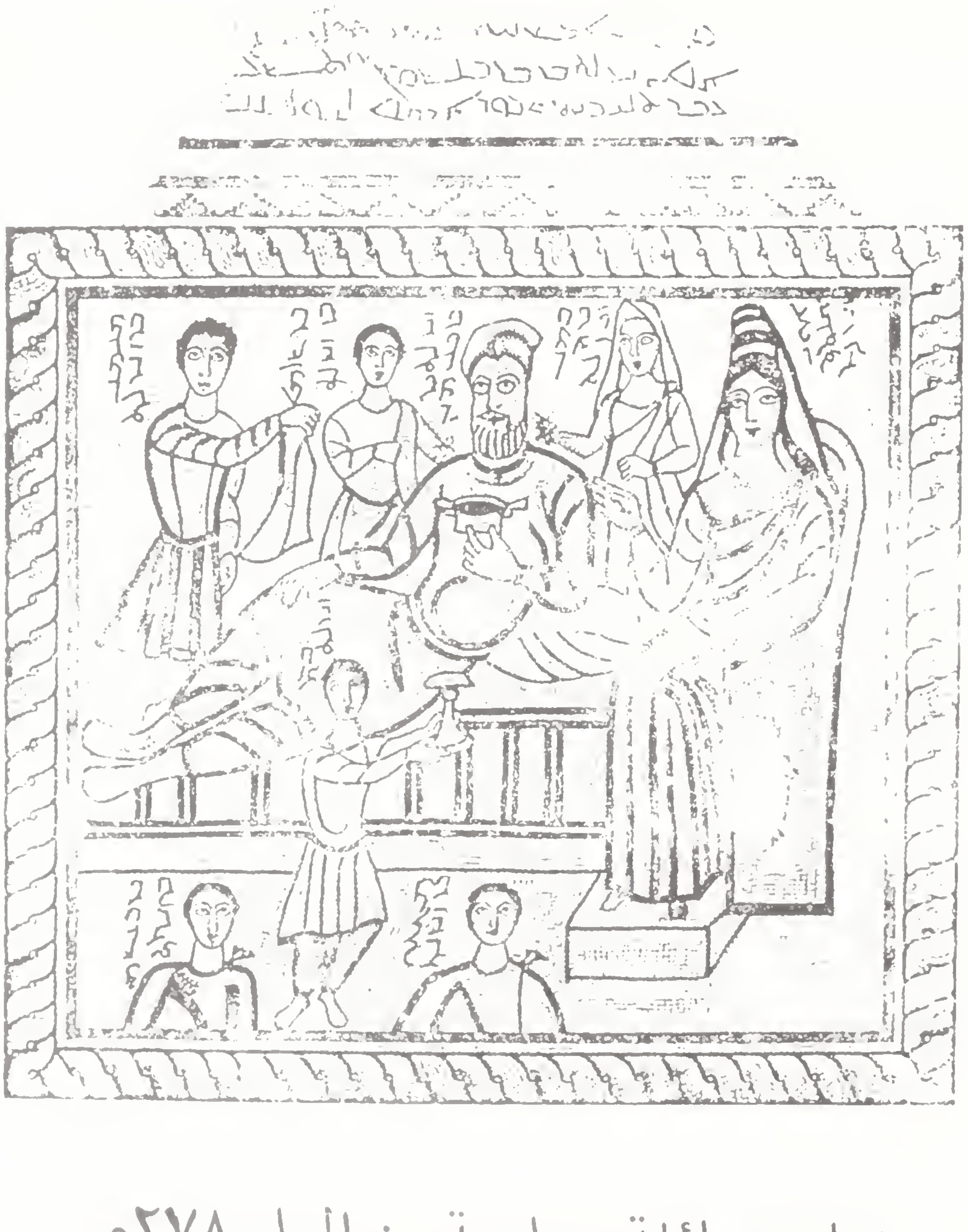

شاهد عائلة رهاوية من العام ٢٧٨م

ولسنا بحاجة الى تكرار ما قد امتحناه اعلاه لدى ب
بأن بدايات المسيحية في بلاد ما بين النهريـن ، انما لا م
مـن التأكيـد مرة اخـرى ان الملك المسيحي الذي تتحـ
عنه رواية ابجر ـ ادى ـ يسوع هـو ابجر الكبير (الثام
١٧٧ـ٢١٢) لا ابجـر اوكاما (الخامس ، ٤ق‌م، ثم ١٣ـ
واسم اب كليهما معنو ، واسم الزوجة شلمث • ويصـ
يوليوس الافريقي الملك ابجر الثامـن الكبير بالرجل الت
صديق برديصان ، وقد حضر مجلس الملك واعجب بفك
برديصان واحاديثه في حضرة الملك ، انما لاتؤهلنـا هـ
المعطيـات ان نجزم قطعا بان ابجر الكبير مسيحي ، اما م
الى المسيحيـة فواضح ، وابجر هذا هو الذي زار مع زو
روماواستقبل هناك استقبالا حافلا • ومعلوم بان القص
الرسائل المتبادلة بـيـن ابجـر ويسوع التأكيد على ق
المسيحيـة في الرها ورسولية كنيستها ، تمشيـا مع نز
سادت في جميـع الكنائس ، وتضيفـ (بركة المدينة) ا
تضعها القصة على لسان يسوع عنصرا جديدا ، هو تميـ
بل تفوقها على الممالك والمدن الاخرى ، فقد باركها المسـ
بنفسه وخصها برسمه دون سواها • اما اعتبار (فالو
خلفـا مباشرا لادي وتجاوز (أكي ـ أجي) كمـا يـ
التقليـد عادة فنظنه يرمي الى ابعـاد تهمـة الاريوسية
مسيحيـة الرها ، كمـا يريد لاشك ربطها بانطاكيـة
فهي مـن المعطيـات المتأخرة ولا تسبق القرن الرابع ،
يصحّ الاخذ بشخص فالوط كاسقف للرها في عهـد الم
ابجر الثامـن الكبير • ونضيـف اثباتات اخرى تدعم ق
المسيحيـة في الرها أهمها استشهاد شربيـل وبابي وبر

مرجحين وقوع الاستشهاد في عهد الامبراطور دقيوس (سنة ٢٥٠ـ٢٥١) وليس في ٢٨ نيسان سنة ٤١٦ يونانية ،اي سنة ١٠٤ للميلاد كما تريد الاعمال • ويبدو ان اعمال هؤلاء الشهداء مكتوبة بعد سنة ٤١١ بقليل اذ اننا نلقى تقويما كنسيا يرجع الى سنة ٤١١ لا ترد فيه اسماء شربيل ورفاقه الشهداء • اما اعمال الشهداء كوريا وشامونا وحبيب فهي أشدّ دقة ، غير ان استشهادهم ليس قبل سنة ٣٠٣م. وان تردد الحاكم في تنفيذ الاوامر الامبراطورية القاضية باضطهاد المسيحيين يعزز الراي القائل بان الرها المسيحية منذ القرن الثاني قد حافظت على طابعها المسيحي اكثر من المناطق والمدن الاخرى ، لكننا في زمن كان فيه حكم الاباجرة والمعنويين قد انتهى وغدت المملكة او المستعمرة الاخرى تابعة لروما دون استقلالية خاصة •

ومن المفيد ان نلاحظ كيف ان اعمال شربيل ورفاقه الشهداء وتعليم ادي تتوخى التاكيدعلى الطبقة الرفيعة من المجتمع وتريد بذلك ان عليّة القوم هم المستهدفون دينيا مسيحيا او وثنيا ، بينما تكتفي اعمال شامونا ورفاقه الشهداء بتناول اشخاص عاديين من بني المجتمع • ويعزز الامر ايضا ظهور شخصيات في الرها لها وزنها المسيحي الكبير كططيانس او على الاقل انتشار عمله (الدياطسرون) ، وبرديصان الفيلسوف، ومار افرام وتلاميذه ، كما تغدو الرها مسرحا لجدالات لاهوتية بين اتباع مرقيون وماني وبرديصان واريوس .ثم تصبح مدرسة كبرى يطارح فيها كبار الاساتذة والمفكرين بعضهم الاراء فلسفيا ولاهوتيا.وينحاز بعضهم الى ديودوروس وتيود

وروس ونسطور مـن جهة ، بينما آخرون الى قورلسـ
الاسكندري واوطيخا وديوسقوروس ويعقوب البرادعي م
الناحيـة الثانيـة ٠ ويتدخل الاساقفة والحكام المدنيـ
والاباطرة في شؤون المدرسة وكتابات المؤلفين وافكار الن
وليس بخاف على احد ، ان المدارس لا تقوم ، ولا تظهر المذا
ولا تنشأ الجدالات الا في اجواء ثقافيـة ، والاجواء التي تج
في الرها ثقافيـة دينية تفترض حتما ترسخ المسيحية فيـ
منذ زمـن واهتمام اهالي المنطقة . واساتذة المدرسة وتلامي
بالعلوم الدينية اهتماما كبيرا يؤشر وجود تقليـد قديم
وسوف نفرد لططيانس وبرديصان فقرتين خاصتين به
حين نتحدث عـن الرها كمركز حضاري متميز ٠ وننوه
الى (اعمال توما) فقد تكونت على الارجح في الرها ، على
اتباع برديصان وقد تناولنا (الاعمال) بالنقد في باب انتش
المسيحيـة .ونؤكد هنا على ما وصلت اليـه الرها ثقافيـ
وفكريا ، بل مسيحيـا ، مـن خلال هذا النص وغيره مـ
نصوص تكشف لنا مـن رسوخ المسيحيـة في المنطقـ
فقد بلغنـا نصان مـن اعمال توما ، واحد بالسريانيـة مـ
بدايات القرن الثالث واخر يوناني ، ولعله ترجمة للنصـ
السرياني ٠ ومـن المفيد عقد مقارنة فكريـة لاهوتية بـ
انشودة الروح الديصانية وانشودة اللؤلؤة والزواج الوارد
اعمال تومـا (٩) ٠

أما أفرام ، فرغم انه مـن نصيبين اصلا ، وفيـها عاش
وعلم، فانـه في الرها في اواخر سنيه ، وقد اقترنت مدر
الرها باسمه بشكل خاص ،وكانت الرها في زمانه أهـمّ م
نصيبين ، سواء كوريثة مملكة ذات شخصية مستقلة متم

وسواء كمركز حضاري له وزنه • وادار افرام مدرسة الرها ولو انه كان يعيش في صومعة واقعة على مقربة من المدينة• وتبنت مدرسة الرها منذ ايامه كتبه وتفاسيره نصوصا مدرسية رسمية لها استمرت حتى استبدلت بكتب تيودوروس المفسر • ونستدل من حياته انه كان في اطراف الرها عدة اديرة وصوامع يعيش فيها رهبان عديدون لهم قلاليهم في الجبل المقدس (طورا قديشا)،ويلتقون معا في ديارات كبيرة في المناسبات والاعياد ، حتى بلغ عدد الرهبان نحو ٩٠ الفا في عهد تيودوسيوس الثاني في النصف الاول من القرن الخامس (١٠)• ورغم تفشي نزعة صرامة نسكية وتقشف متطرف تجلت في الاوساط الرهاوية ايضا ، كما نلقى آثارها في (دياطسرون) ططيانس ولجوئه الى تحويرات حتى في النصوص الانجيلية عينها دعما لارائه المناوئة للزواج والعلاقات الجسدية بين الرجل والمراة ، نقول ، رغم ذلك ، كان فكر افرام اكثر استنارة ، متأتيا من منطلق طبيعي ومؤيدا بمعطيات انجيلية لا غبار عليها • فافرام ليس متوحدا ولا راهبا بالمعنى الناسك الحبيس،ولعله من (بني القيامة) أو من (بني العهد)، اختار البتولية دون ان يتنكر للزواج ولدور المرأة ، وهجر العالم واحب التجرد والفقر دون ان ينقطع عن العالم نهائيا ، اذ ظل في خدمة الاخرين سواء في التعليم والارشاد كما بالكتابة وتشكيل جوق ، وحتى بمؤاساة المصابين بالطاعون الذي تفشى في الرها ، ونهض بمهام عديدة اخرى تفيدنا بها قصته• وأولى افرام العلم منزلة كبيرة ، ولشدة اهتمامه بالثقافة قضى وقتا طويلا في التعلم والتعليم ، حتى اعتبر صاحب

اهم مدرسة مشرقيـة سريانيـة ، وترك كتابات كثيرة
الموضوعات الدينيـة والادبيـة ، باسلوب شعري بليـ
وسلس • وقد ترجمت اثاره الفكرية الى اليونانيـة والار
والقبطيـة والحبشيـة والعربية واللاتينية ثم الى اللغ
الاجنبيـة الحديثة في القرون الاخيرة ، ولتفهّم فكره نذك
قولا يعبر فيـه عما يجيش في اعماق ذاته ، فيتمنى لو خص
ثلاثين يوما للصوم مقابل يوم واحد ، وستين يوما للمحب
مقابل يوم واحد ، ومائة يوم للحقيـقة مقابل يـوم واح
ويصف افرام مدينة الرها بالحكمـة والفهم مملوة طهـ
مزينة بالفطنة والحكم السديدة ، محلّاة بالايمان ، مسلح
بدرع الحق ومائدة المحبـة (١١)•

وقد تفشت الاريوسية في الرها ايام قسطنطين الكبـ
(٢٧٤_٣٣٧) وحاربها مارافرام بشدة كما حاربها غيره • و
ان اختلف اتباع اريوس مع الغنوصيين اتباع فالنطينـ
وسببوا المشاكل في المنطقة حتى اجبرهم يوليانس الامبر
على دفع غرامات ، ثم استقرت الحال ايام الامبراطور فا
الذي زار الرها سنة ٣٧٢ ، وامر ان يختار مسيحيوها بـ
الاريوسية والموت ، ثم عدل عـن رأيه حيـن رآهم يقصد
بكل احترام المزار الجميـل والرائع المخصص لاكرام مار
الرسول الواقع خارج المدينة ، واكتفى بطرد الاسقف
وبعض رجال الاقليروس وذلك في ايلول ٣٧٣ • غـ
الاريوسيين استعادوا نشاطهم وانتشارهم بعـد م
الامبراطور (سنة ٣٧٨)•

ونتوقف عند (ربولا) اسقف الرها اذ به تتخذ الـر
شخصية مسيحيـة واضحة رغم التقلبات الذهنية الت

سوف تنهكها ، وسنفرد له فقرة خاصة وننوه هنا فقط بما يورده ميخائيل الكبير في تاريخه من ذكر(١٥) كنيسة كانت في الرها وقد خربت قبل القرن ١٢ . منها كنيسة تحمل اسم (أيا صوفيا) . بينما جمع البطريرك افرام برصوم في(اللؤلؤالمنثور) أسماء (١٢٠) مطرانا واسقفا جلسوا على كرسي الرها (٢)، ومن المفيد تشخيص القرن الاخير من عمر المملكة الرهاوية اي من اواسط القرن الثاني حتى اواسط الثالث . فقد كان عهدا زاهرا انتعشت خلاله الافكار الدينية وقامت فيه مدارس لاهوتية متعددة .أهمها ما سار في خط تقليدي يمتد حتى الرسل مع التأثير بنزعة متهودة ألمحنا اليها ، ومذاهب اخرى نتيجة تأثرات مشرقية قديمة ويونانية تغلغلت في المنطقة . منها الغنوصية التي صار لها اتباع ومدارس فلمع نجم فالنطينوس ، وانتشرت أفكاره • ولم تخل كتابات برديصان واعمال توما من تأثير غنوصي • وعرفت الديصانية انتشارا واسعا جدا حتى بلغت اماكن بعيدة واستمرت طويلا بحيث اننا نلقاها في اوساط اسلامية حتى القرن العاشر • وعرفت المرقيونية ايضا رواجا في منطقة الرها والمانوية كذلك بحيث قامت نزعاتَ خليطية ومذاهب توفيقية فيها من (التمازج والتأثيرات المتعددة) (Syncretismus - Eclectismus)، يؤمن اصحابها باله واحد ويتنكرون للانبياء ويكرمون الماء كمعين حياة ، ويقولون بمبدأين مبدأ ذكر ومبدأ انثى ، ويقبلون بالمسيح والروح القدس ، وبالتأنس ثانية . أو يضرب من التناسخ او عودة الارواح ثانية . كما يقولون بوجود عنصر دنس وجنس في الاجساد • ولم تكن حران بعيدة عن الرها،

وهي مركز مهم للصابئة ، وقد كان التركيز فيــها علـ
التنجيــم كما كان لدى الكلدانيين القدامى (١٣) ٠ ورغ
ما توحي هذا كله مــن سلبيات ، نود التأكيد على ايجاب
ايضا وتتلخص في اهتمام الرها بالثقافــة وينقلنــا هـ
الفكرة الى البحث التالي ٠

ثانيــا : الرها مركز حضارة ٣/٣

عنيت الرها بالثقافة وعرفت تيارات فكرية ودينيـ
شرقيــة وغربيــة ، متأثرة بحضارات الفرثيين واليـو
والرومان ، مع الاحتفاظ باصالة شرقية واضحة ، ففي الا
تشخيص اثار فرثيــة وهلنستية ، ادبية كانت ام فنيا
حضارية عامة ، انما تميز الرها بمشرقيتها واضح ، بــل
وضوحا مــن معظم المناطق والممالك الاخرى التي عرف
العالم ، فهي قد عبرت عــن اصالتها المشرقيــة بلغة مش
هي السريانيــة وليدة الارامية ، بعكس مناطق وممالك
لم تعبر عــن نفسها الا بلغة دخيلة كالفرثيــة والسا
والرومانيــة ، وحتى بعض المناطق الارامية من بلاد الش
فقد استخدمت الاولى اللغة الاشورية الارامية ، بينمـ
استخدمت الامبراطورية الرومانيــة وبعض المناطق الا
اللغة اليونانيــة لغة ثقافــة وادب وفكرة وعلوم ، ولا ن
السمة الثانيــة التي اتسمت بها الرها وأبانت بواسط
مشرقيتها ، وهي المسيحيــة التي تبنتها منذ القــرن
بشكل محدود ، ثم رسميــا منذ القرن الثاني للميــلاد
ونحاول هنا رصد اهم معطيــات الحركة الثقافيــة
قامت في الرها ، منذ القرن الاول للميلاد فما بعد ذلك ،و

قاريء الكريم الى ماذكرناه بشأن حضارة ما بين النهرين القديمة ، ففي ذلك ما يسري على منطقة الرها ايضا وسيكون تركيزنا على التراث الثقافي المدون بالسريانية بحيث نخلص الى نتيجة مفادها ان الرها مركز بالغ الاهمية نسبة الى الحضارة السريانية ولعلها أهم مركز قديم ٠

صورة للعماد ـ من انجيل ربولا (القرن ٥م)

١ـ كتابات المدافـــــن :

ان الكتابات التي عثـر على اضرحة المدافن الرهاو
مـن اقدم الكتابات السريانيـة المعروفة في العالم اذ ترج
الى القرنين الاول والثاني للميلاد ، اقدمها نقش(اشــ
ملكثا = الملكة). عثـر عليـه سنة ١٨٦٣، وهو محفو
متحف اللوفر بباريس ، ويرجع الى النصف الاول من ا
الاول للميلاد ، ولعله اقدم مـن ذلك ، وهو (مشمش ا
د شردوبر معنو =ام شمس امرأة شردو بـن معنو)، عث
عليـه على برج مربع قائم في خربة تسمى بدير يعقوب
جنوب شرقي الرها • ولعل في الموضع مقبرة عائلة كبير
كشف البناء المتهدم عـن برج المقبرة •وقد كان اول من ا
اليـه فون هلمت مولتكي سنة ١٨٣٩ • والنقش الاخـ
موجود في قلعة الرها جنوب غربي الرها ، بجواره عمـ
يعرفان بعرش (كرسي) نمردو ، والنقش مكتوب عـلى الع
الجنوبي ، وترجمته (انا فلان بـن فلان اقمت) (صنعت
العمود والصورة القائمة اعلاه لشلمث الملكة ابنة معنو)• و
مـن اشار اليـه المستر بادجر سنة ١٨٥٢ . وهـو مـ
سنة ٢٧٨م• ولانتناول هنا الكتابات الاراميـة القديمـ
ولا فروعها الاحدث ، بل ما يتصل بالرها بشكل خاص(
أما أقدم الاثار السريانيـة الكتابة المنقوشة فقد عثر علي
دورا ـ اوروبوس، اضافة الى الرها •

٢ـ خطاب مارا بـن سرابيـــون :

مارا مـن أهالي سميساط على ما يبدو مـن رسالتـ

تأثر فكريا بالفلسفة الرواقيــة كما بالمسيحية وقيل انه من اتباع زينون (٣٣٥–٢٦٠ق‌م) فلسفيا .سجنه الرومـان فـي سلوقية (قرب الاسكندرون على نهر العاصي ، أو سلوقيــة في اسيا الصغرى.أما السلوقيــة العاصمة الشرقية ففي موقع المدائـن بغداد) وذلك لاشتراكه في انتفاضة ضد حكمهم ، لكنه كان بريئا على ما يبدو • ولم يثبت بعد زمنه . ولا بالتالي تاريخ خطابه ، فقيــل انه مـن اواخر القرن الاول(٢). بينما قال اخرون مـن القرن الثاني (٣).وأبعده غيرهم حتى القرن الثالث(٤)• وهو يعرف المسيحية ويدعو المسيح" الملــك الحكيــم " ويذكره الى جانب سقراط وفيثاغوراس فهــو مطلع على الفكر اليوناني . وخطابه موجه‌الى ابنه أيام كـان ما يزال صغيرا بل ربيبــا يدرس على يد استاذ مـرب •

مارا مفكر ذو جاه كبير . يأسف لما اصاب مواطنيـه مـن نكبات اكثر مـن اسفه‌على نفسه . ويبدي النصح لهم ولابنه داعيـا الى المسالمـة رغـم الاتهام الكاذب الذي اودى به الى السجـن والنفي • مذهبه ان البشر يولدون لكي يقبــلوا صروف الزمـن • ويبدو ان الحياة قد علمته اكثر مما اقتبسه مـن الرواقيــة وغيرها . يقول "ما مـن احد تجرد يوما مــن حكمتـنا، لكي يتجرد مـن مقتنياته "• ولهذه الحكمة قيمــة كبرى في الحياة تجعل الانسان يتحمل مصائب الدهر مترفعا عـن التأثر بها . مبتعدا عـن خيور العالم وملاذه . فيسخــر مـن الزمـن الذي يقابله بالشر وهو ليس أهلا لــــه • وتضع الحكمة ، حسبه . الخير في العدل • فان أطلق الرومان سبيله يكون تصرفهم عادلا . والا فانه يمضي الــى المـوت مطمئنا . بل ينتظره برباطة جأش . انما لـن يكون للرومان

مـن نفع في موته ، كما لم يكـن مـن نفع في الحكـم عـ
سقراط بالموت ، وفي قتل فيثاغوراس،واعدام (حكيم النا
يسوع المسيـح • وهم ان قضوا على الجسد فالروح خال
وهو انما يتمسـك بالاعمال الخالدة ، ويدعو ابنه الى التمس
بها ، والى مطالعة الكتب . كما الى الاندفاع نحـو الحك
لانها معين كل خير ، وهي الاب والام والرفيق الصالح وال
الذي لا يفنـــي •

ومـن أقواله المأثـورة :

**حياة الناس زائلة من العالم ، أما مجدهم وفضائلهم فباقية الى الا
همّ الناس تكبير بطونهم وهي الرذيلة التي بها يتم الفساد.اني اضحـ
على الزمن الذي يرد الي سوءً لم يستعره مني من قبل • ولد الناس لكـ
يتقبلوا صروف الزمن • كل الارض عند الحكماء سواء ، لان للصالحيـ
في كل مدينة كثيرا من الاباء والامهـات •**

ولا يسعنا ان نأتي على النص الكامل لخطابه انما ينبغ
الاعتراف برصانة اسلوب مارا ومتانته وبعده عـن الاسه
وغزارة المعاني التي يستعملها • وأول مـن عرّف بهـ
الرسالة التي تعتبر مـن بواكير الادب السرياني العــ
كيورتون اذ نشرها في لنـدن سنة ١٨٥٥ .واشفعها بترجـ
انكليزيـة ودراسة موجزة(٥) ، ثم تناولها شولتيوس و
مـن باحثـين (٦) •

٣ـ رهاوي يمتدح القيصر انطونينوس

لقد نسب هذا المديح الى ميليطون السرديسي الفيلسو
مـن كتبة القرن الثاني ، ثم ثبت انه لمسيحي رهاوي مـ

القرن عينه ، نشر النص وليم كيورتون سنة ١٨٥٥(٧) وذلك عـن مخطوطة المتحف البريطاني رقم ١٤٦٥٨ وهـي من القرن ٧ ٠ ثم نشره رنان مـع ترجمة لاتينية وترجمه فيلتى الى الالمانيــة (٨) ٠

يتضمـن المديح اطنابا في مدح انطونينوس قيصر (أي في الفترة مـن سنة ٩٦ الى ١٩٢ ؟) ، وفيـه تحريض عـلى الاعتراف بالاله الحـق وتبيان سبيـل الحقيـقة والتنديـد بتعدد الالهة وعبادة الاصنام والاراء الفاسدة التي يبثهاالمجوس وقد ظـن بعضهم ان ما اقتطف منه اوسابيوس القيصـري للدفاع عـن المسيحيين المضطهديـن في تاريخـه الكنسـي (الكتاب ، ٤ ، الفصل ٢٦) هو قطعة هذا المديـح بينما ثبت بالتحقيـق ان ما نقله اوسابيوس مأخوذ مـن كتاباتميليطون السرديسي وهو يختلـف عـن مديـح الـرهـاوي ٠

د ـ كتابات ملوك الرها وتاريخ الرهـا

لقد اشرنا الى اهمية التوثيق في مملكة الرها ، وهو تقليد مشرقي نلقاه منذ أقدم العصور على جدران القصور الملكية البابليــة والاشورية ، وفوق التماثيـل والشواهد والمسلات. ثم جرت العادة ان تدون أهم الاحداث وتحفظ في خزائـــن خاصة ٠ ومـن سجـلات الرها استقى اوسابيوس القيصري ما أورده في تاريخه (ك١ ، فـ١٣) ، ويقول انـه استقاه مـن السجلات العامة الرسمية للمملكة ، وقد كانت الرها ماتزال في أيامه مزدهرة ، انما كمقاطعة رومانيـة ٠ ويذكـــر بـأن خزائنها الوثائقيـة تتضمـن بيانات وتقارير عـن العصور الغابرة ، كخبر واعمال الملك وصورة الرسالة التي كتبهــا

الحاكم ابجر الى يسوع المسيح وجواب يسوع الى الح
وأضيف اليها وصف بالسريانية ينقله اوسابيوس ا
اليونانية ٠ بينما نلقى السائحة ايجريا تتلقى من اس
الرها نسخة من الوثائق المتعلقة بالمراسلة بين ا
ويسوع ٠ فالرها في عهدها ايضا مستعدرة رومانية ،والو
الرسمية ستنقل الى خزانة دار اساقفة الرها منذ نح
سنة ٣١٣(٩) ٠

جمع (تاريخ الرها) أحداثا كثيرة مستقاة من هذه السج
أشهرها خبر فيضان نهر ديصان الذي اجتاح مدينة ا
في تشرين الثاني سنة ٢٠١ في عهد ابجر الثامن ا
فتصدعت مبان كثيرة ، منها القصر الملكي وكنيسة للمسيح
وأمر الملك كاتبيه (ماريب برشمش) و (قيوما بر مجرص
بتدوين هذه الكارثة التي أودت بحياة أكثر من ا
نسمة ، فسطرت سنة ٢٠٦ ، وحفظت في دار السجلات والو
الرسمية حتى نقلت الى خزانة وثائق اساقفة الرها ، ث
جمعت النصوص المبعثرة في كتاب تاريخ أطلق عليه
(تاريخ الرها)وذلك في القرن السادس ٠-

نشر العلامة السمعاني جزءا من (تاريخ الرها)
مكتبته الشرقية (ج ١ ، ص ٣٩٠) ولا سيما خبر الفيض
ثم نشر هذا الخبر العلامة بروكلمن في كتاب القوا
السريانية (١٠). ثم ترجمه الى الالمانية الاستاذ هال
ونشره سنة ١٨٩٢ ، ثم حقق التاريخ ونشره العلامة كوي
حتى عرف باسمه ، ونشره في جمهرة لوفان مشفوعا بتر
لاتينية ، وترجم الى الانكليزية سنة ١٩٦٥والى الروسي
سنة ١٩٦٧(١١)٠ والنص محفوظ في مخطوطة الفاتيكان

١٦٣ وهي مـن القرن ٧ · ويرجع تاريخ كتابة التاريخ الـى ما بعد سنة ٥٤٠ اذ انه يغطي احداث السنوات ١٣٢ق.م-٥٤٠م ونظرا للفوائد العديدة التي يمكـن ان تجتني من خبر الفيضان ننقله عـن ترجمة مراد ـ البكري ـ رشدي (١٢)· وهو يبـدو وكأنـه نقـل حرفي دقيـق عـن سجل وثائقي قديـم ·

"في سنة ثلاث عشرة وخمسمائة (يونانية / ٢٠١م) ايام ملك سويرس وفي عهد ابجر الملك ابن معنو الملك ، في شهر تشرين الثاني، اشتد نبـع المياه المتدفق من القصر الكبير الذي يملكه ابجر الملك الكبير ، أشتـد وارتفع كعادته الاولى وملا كل الجوانب وفاض عليها ، واخذت الحدائـق والاروقة والقصور الملكية تمتلىء بالمياه · فلما رأى ذلك مولانا ابجر الملك صعد الى الهضبة التي تعلو حيث يقيم عمال المملكة ويسكنون · وبينمـا كان الحكماء يفكرون ماذا يصنعون بهذه المياه الغزيرة التي تراكمت، حـدث ان هطل مطر غزير قوي بالليل ، وفاض ديصان في غير موعده ، وجـاءت المياه الغربية فوجدت القناطر مقفلة بحديد كبير مصفح وبمصاريع مثبتة · فلما لم تجد المياه لها مدخلا ، تكوّن بحر كبير خارج اسوار المدينة ، وابتدأت المياه تتسرب من بين حوائط سور المدينة · وبينما كان ابجر الملك قائـما بالبرج المسمى برج الفرس رأى المياه على ضوء مشاعل النار · وأمـــر فرفعت الابواب والقناطر الثمانية للسور الغربي للمدينة من حيث ينبـع النهر · وفي تلك اللحظة اندفعت المياه الى سور المدينة الغربي ودخلت الى المدينة وهدمت القصر الجايل (قصر) مولانا الملك ، اجتاحت كل ماوجدته من مباني المدينة الرقيقة الجميلة وكل ماكان قريبا للنهر من شمالا ، وجنوبه. واتلفت كذلك هيكل كنيسة المسيحيين · وهلك في هذا الحادث اكثر مـن الفين من الناس كان كثير منهم نائمين بالليل فطغت عليهم المياه فجاة وماتوا خنقا · وعندئذ امتلات المدينة باصوات العويل · فما رأى ابجر الملك تلـك الخسارة التي وقعت ، أمر ان يبعد جميع عمال المدينة اكواخهم من عنـد النهر وان لايبني احد له كوخا عند النهر · ووضعت الاكواخ بحكـمة المهندسين والعلماء كما يسمح عرض النهر ، كما زادوا على مساحته القديمة· ومع أن المياه كانت كثيرة وقوية الا ان عرض النهر كان صغيرا ، فانــه

يتلقى مياه خمسة وعشرين فرعا بجملتها من جميع النواحي • وأمر ابـ
الملك ان جميع الذين يقيمون في الاروقة ويعملون امام النهر لايبيتـــون
اكواخهم من شهر تشرين الاول حتى نيسان ، الا رجال الشرطة الــذ
يحرسون المدينة ، فان خمسة منهم يبيتون بالسور فوق المكان الـــا
دخلت منه المياه الى المدينة طيلة وقت الشتاء ، لكي يحسوا ويســـمعوا
الليل صوت المياه الغريبة التي تأخذ في الدخول الى المدينة • وكل مـ
يسمع الصوت ويهمل في الخروج فان المياه تنتقم منه لانه اهمل امر الملك
ووضع هذا الامر هكذا من ذلك الوقت الذي صدر فيه الى أبد الابـــدين
وعندئذ أمر أبجر الملك فبني له بناء لمقر ملكه في الشتاء هو بيت تبـــارا
وكان يسكن هناك طوال فصل الشتاء ، وكان ينزل في الصيف الى القصـ
الجديد الذي بني له على راس النبع • وكذلك بنى أشرافه مباني لاقامت
الى جوار قصر الملك في السوق الكبير المسمى "بيت سعرايا" • ولـــ
يستقر السلام الاول في المدينة ، أمر ابجر الملك فرفعت أعباء الضرائب
الذين في داخل المدينة وعن الذين يسكنون القرى والدساكـــــر ،ورفـ
الضرائب عنهم خمس سنوات حتى تغنى المدينة بالرجال وتزدان بمبانيها

٤ــ ططيانس والدياطســــــرون

تثار مع ططيانس مسألة تأثر الناطقين بالسريانيـــ
باللغة اليونانيـــة وتراثها الحضاري . لاسيما في بلاد الشام
فاسمه واسم الذي اختاره لعمله الاكبر (الدياطسرون) يدلا
على ان اليونانيـة قد تغلغلت بشكل كبير في الاجـــو
السريانية . ومــــع ذلك ينبغي ان لا نبالغ في الامــر ، لا
السريانيـــة ظلت المهيمنة . ولان نزعة مشرقيـــة استمــر
حتى في الشواهد الاشد تأثرا وتأثيرا • فأن مار ابن سرابيو
يقول في خطابه الى ابنه ان " النعاليم اليونانية كلها قـــ
تحطمت عند نشأة الحياة" • ويكتب ططيانس باليونانيـ
خطابا ضد اليونانيين • لكننا نعرف انه تعلم اليونانيـ

لغرض تنسم وظيفة مهمة ، كما يؤكد اوسابيوس وهيرونيمس(١٣)، وحتى عهد ربولا اسقف الرها (٤١٢-٤٣٥) نفهم بان اولاد الاغنياء فقط يتلقون تعلم اليونانية ٠ وان بعض المشرقيين الذين ألفوا باليونانية لم تعد كتاباتهم شائعة الا بعد ان ترجمت الى السريانية ، ففهمها عامة الناس ، لاناللغة التي ظلت سائدة في بلادالشام كانت الارامية وتطوراتها ٠

ولد برديصان في بلاد آشور كما يخبرنا هو نفسه في خطابه الى اليونانيين ٠ ويؤكد الامر تيودور بن قوني ٠ ولعله من حدياب (اربيل) ، لكنه عاش في اوساط رهاوية ٠ ولعله عاد الى موطنه نحو سنة ١٧٢ ٠ ترجع ولادته نحو سنة ١٢٠فهو من الرواد الاوائل في كنيسة المشرق وبين كتبة السريانية ، أهم اثاره قيامه بجمع نصوص الانجيل الاربعة في نص واحد بما أسماه (دياطسرون= Diateessaron) ٠ والخطورة عمله وانعكاساته السلبية فقد النص الاصلي ، وهو بالسريانية ، وسلم شرح اقسام منه في كتابات مار افرام ٠ نشر الشذرات السريانية العلامة الموار (١٤)٠ ومنه نقل عربي للشيخ عبدالله بن الطيب نشره جاسكا سنة ١٨٨٨ والاب مرمرجي سنة ١٩٣٥(١٥)٠ ونلقى شذرات منه في عدة ترجمات قديمة ٠

وقد أثيرت على الهامش من هذا الاثر مسألة خطيرة تريد الوصول الى أقدم ترجمة سريانية للانجيل .والتساؤل عن مصير انجيل متى الارامي والترجمة السريانية لاسفار العهد الجديد واسفار العهد القديم ، فهل هي الترجمة البسيطة (فشيطتا = العادية الدارجة ، العامة) ، أم يمثل

الدياطسرون أقدم ترجمة سريانيـة لنصوص الانجيل ؟ ا
رأي معظم الباحثين اليوم هو في الاخذ بترجمة قديمـة جـد
ترقى الى العقود الاولى التي تلت تدويـن النصوص الانجيلي
اذ لا يعقل بان الجماعات المسيحية مـن الناطقين بالسرياني
ظلت تنتظر اواسط القرن الثاني لكي تنعم بترجمة سرياني
للنصوص اليونانيـة والعبرية للاسفار المقدسة ، خاصـ
وان اهم ما يحدث في الاجتماعات والصلوات والوعظ والارشا
تلاوة الكلمة ، وقراءة الاسفار المقدسة وشرحها ٠ وتــزدا
قناعة الباحثين يوما بعد يوم بان النص المعروف بالبسيط
"فشيطتا" هو أقدم بكثير مما كان يظـن ٠ تليـه الترجمـ
المعروفة بالكيورتونيـة ، نسبة الى مكتشف مخطوطتهـ
الاقدم وليـم كيورتون في دير القديسة مريم في وادى النطرو
بمصر ٠ ثم الترجمة السينائيـة نسبة الى اكتشاف مخطوط
يرقى الى القرن الرابع في سيناء ٠ ثم الترجمة الفيلوكسيني
نسبة الى فيلوكسينوس المنبجي المتوفى سنة ٥٢٣ ٠ والحرقلي
نسبة الى توما الحرقلى سنة ٦١٦ ٠ والترجمة السريانيـ
الفلسطينية ٠ دون ان ننسى بان معظم الاباء والكتاب كانو
يجتهدون احيانا كثيرة بشيء مـن التصرف في نقل النصوص
وذكرها مما يقدم لنا ارثا نصيا كتابيـا ضخما (١٦) ٠

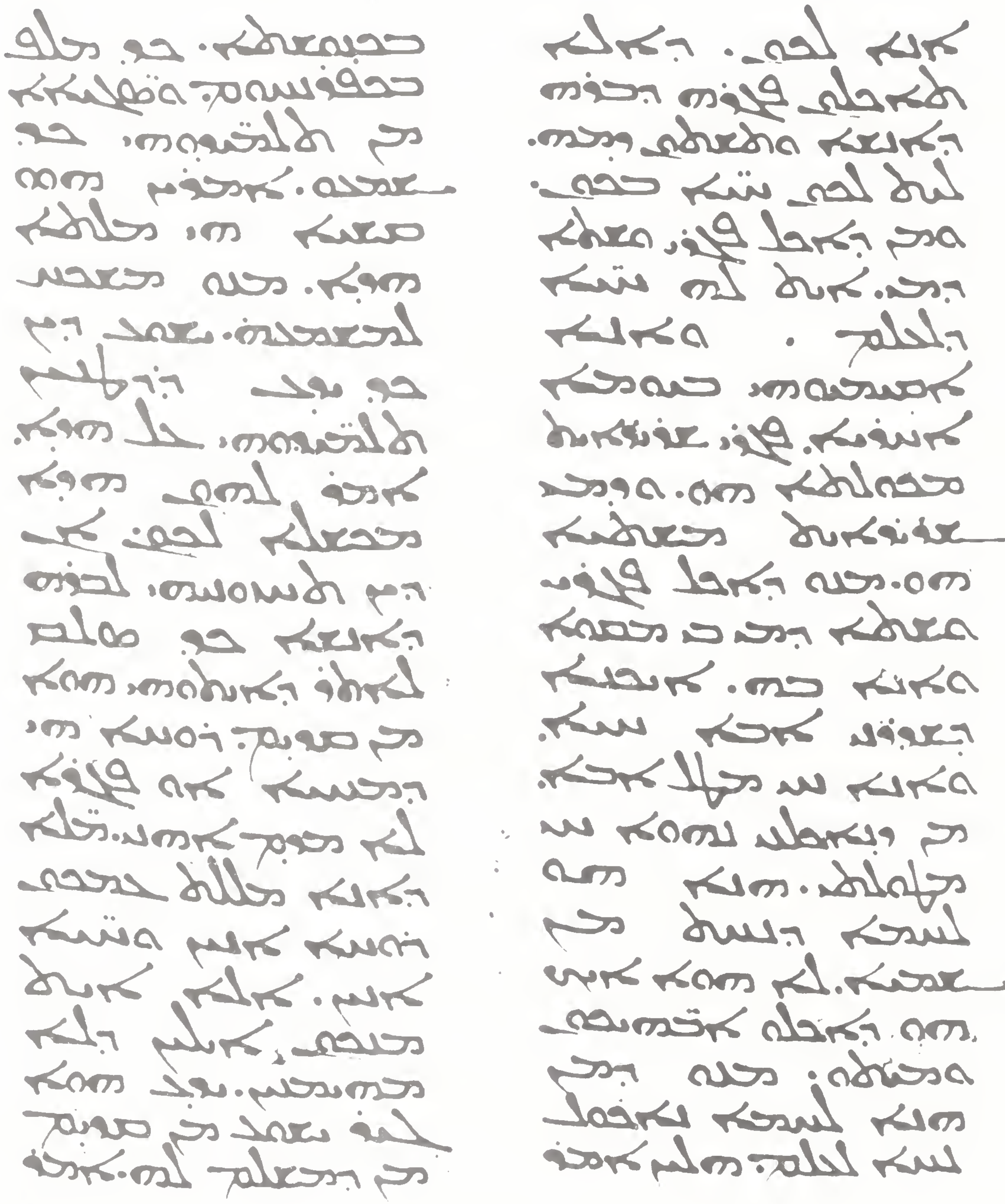

انجیل قدیم

ونعود الى ططيانس لنقول انه وضع انجيلــه المو
(الدياطسرون) قبل سنة ١٧٢ ، وفي روما على رأي الباحث
فهو قد مضى الى روما وتتلمذ هناك على القديـس الشهي
يوستينس الفيلسوف (نحو ١٠٠ـ١٦٥) وخلفه فـي اد
المدرسة ٠ويرى العلامة فوبس ان ططيانس وضع انجيل
للناطقين بالسريانيـة الذي راح عددهم يزداد في روما ، ح
ان البابا اينشنسيوس (١٥٤ـ١٦٥) كان مـن بلاد ما بـ
النهريـن (١٧)٠ ولم يعد احد يأخذ بعد برأي القائلين انـ
وضعه باليونانيـة أصلا ثم ترجم الى السريانيـة ، لان عـ
اباء شرقيين يستشهدون به بالسريانيـة . وهو شخص
يعتز بلغته المشرقيـة الارامية ـ السريانيـة ، ويسميهـ
على عادة الرومان "البربرية" ، كمـا يطلـق على نفسه ا
"الفيلسوف البربري" ، ويقول انه مولود في بلاد اشـو
وذلك في خطابه الى اليونانيين نحو سنة ١٣٠ (١٨)٠ كف
ططيانس الشاب (وهل كان له اسم شرقي نجهله؟) بمستق
عسكري باهر ، وترك بلاده وطاف في الدنيـا ، وعني بالفلس
فقد كانت مرغوبة جدا في زمانه ، واهتدى الى المسيحيـ
بعد ان اكتشف بان الوثنيـة تقود الى الهلاك عـلـى ح
تعبيره ، وكان اهتداءوه في روما نحو سنة ١٥٠ـ١٥٥ بفضـ
قراءاته لكتـب الانبيـاء واسفار الكتاب المقـدس الاخـ
فتتلمذ ليوستين ٠ ونظرا لخلافه مع السلطة الرومانيــ
ومنافسة الفيلسوف الرومانـي كريشنسيوس معلمـ
يوستينس في المدرسة ، عاد الى المشرق نحو ١٧٢٠ اسـ
مدرسة في نواحي انطاكيـة وقيليقية وبسيدية وفلسطـ
كما يقول ابيفانيوس واوسابيوس ٠ ولا يستبعد انه عـا

في الرها واطرافها لان انجيله كان معروفا فيـها بشكـل ملحوظ جدا • وقد نبذ ططيانس الفلسفة اليونانية في سنيه الاخيرة وانصرف الى الكتاب المقدس.ويعتبر من الكتبـة المتطرفين وذلك بسبب آرائه في البتوليـة والزواج ، كمـا بسبب انجيلـه الموحد انما لم يشك احد في صحة ايمانه قبل تيودوريطس القورشي (٤٦٦)• انطلق ططيانس من معضلة عويصة مفادها : ان يسوع المسيـح تكلم كلاما واحدا .وكانت حياته حياة واحدة ، فلمَ النصوص الانجيلية الاربعة بـل الاناجيـل الاربعة كماتسمى عادة ؟ فمن الافضل حسبـه جمعها في كتاب واحد يتفادى فيـه التكرار وتسهل قراءتـه فتزولّ الاختلافات الطفيفة التي قد شككت البعض من غـير المثقفين والمطلعين بالكفايـة • ولاريب ان محاولة كهذه لهـا فوائدها ، فهيتتوخى توحيـد نص الانجيـل الحرفي . لكنها تقضي ايضاعلى عناصر اخرى أهمها وجهات نظر الانجيليين الاربعة (متى ، مرقس ، لوقا ، يوحنا) كما عـلى أبعـاد ومفاهيـم تعبيرهم عـن ايمان الجماعات المسيحية في البيئة الاجتماعيـة والثقافيـة لكل منهم •وقد تمكـن علماء الكتاب المقدس مـن التوصل الى استنتاجات مـن خلال هـذه (الاختلافات) عينها بفضل المقارنات والمعارضة واستيعـاب الاساليـب•وتظل محاولة ططيانس ذات أهمـية وفوائـد • ولـن تكون الاخيرة.فان عالمين كبيريـن في الكتاب المقـدس قاما في عصرنا بمحاولة مماثلة هما الايطالي غالبياتي وغييـه الفرنسي،وقد نقلت المحاولة الاولى الى العربية(١٩)• وحصيلة هذا العمل وقوفنا على حيـاة ليسوع • كما حاول العديد من المؤلفين كتابة (حياة يسوع) • وقد اجاد ططيانس فـي عمله

فوحد في لوحة واحدة جميـع العناصر المهمة دون اغفال ا
تفصيلا(٢٠)، الامر الذي يدل على ثقافته الواسعة ومست
الفكري الرفيـع ولغته السريانيـة البليغة . فـلا عجب
يصفه عبديشوع الصوباوي (١٣١٨) بالانجيل العجيب(ا
واتخذ طط.انس في تركيبه الانجيـل الموحد سرد متى اس
ودمج فيـه نصوص مرقس ولوقـا ويوحنا ٠ وتعني تس
(الدياطسرون) ما سمي بالعربيـة:(الربـاعي) وهي حر
(على الاربعة) بينما بالسريانيـة (اونكاليون دمحلطي :
الانجيـل المختلط) ٠ نصه الاصلي مفقود ولنا منه شـذ
في شرح مار افرام خاصة ٠ لكننا نمتلك ترجمة عربيـة
بها عبدالله ابـن الطيـب الامر الذي يدل على ان الاصـ
السرياني كان موجودا في القرن الحادي عشر ٠ ونظـن ان سـ
انحسار النص السرياني ، بحيـث لم تسلم منه سوى نس
معدودة منها نسخة ابـن الطيـب، هو شيوع الدياطسـ
في كنيسة الرها واوساطها بشكل كبير وحتى عهد ربولا(
حين منع هذا الاسقف استعماله ، فأهمل وسلم ماسلم وش
لاسيما شرح مار افرام لاقسام منه،وشرح ايشوعدد لاق
اخرى ٠ وقد قال بعض المؤلفين بالاصل اليوناني للدياطس
اشهرهم هرناك وبركيت ولاكرانج٠ وسمّى موسى بن
(٩٠٣) ططيانس يونانيا، واكتشف قطعةمن انجيله باليو
في دورا ـ اوروبوس.الا ان رأي الاغلبيـة الساحقة من ال
ان الكتاب سرياني الاصل (بو ممشترك ، دفال . تـزا
بيترس ،جاسكا ٠ مرمرجي، درايفرز) ٠ وحجـة الاخر
ان العديد مـن الكتبة الغربيين القدامى لا يعرفون عـ
الدياطسرون سوى الاسم (كاوسابيوس ، وابيفانيوس)

انهم يتحدثون عن خطابه ضد اليونان دون التطرق الى الدياطسرون (كايريناوس وترتليانس واوريجين واقليميس الاسكندري وهيرنيمس ، والاخير مختص بالكتاب المقدس)، ويعني الامر انهم لا يعرفون الكتاب،فقد كان بالسريانية . بعكس المشرقيين الذين يعرفون الكتاب ويمتدحونه ويشرحونه ويستخدمونه حتى في الكنائس · ونفهم من (تعليم أدي) ان المؤمنين في الكنائس كانوا يستمعون الى الانجيل بحسب الدياطسرون · ويهمنا التبسط في الامر ، لان اسلوب ططيانس في الدياطسرون يدلل على مشرقية واضحة ، فهو يستعمل الافعال بصيغة شخصية ، وبفضل الجمل الظرفية على اسم الفاعل والمفعول والصيغ المعلومة على المجهولة ، ويستخدم مصطلحات شرقية كأرض المصريين وبلاد الجليل ونهر الاردن ويوم السبت ، بدلا من قوله مصر، الجليل ، الاردن ، السبت · ويعمل على تخفيف بعض العبارات الانجيلية مثال : كل من يأتي ورائي ولا يترك (شابق) بدلا من : ولا يكره (ساني) أباه وأمه ···(متى ١٤ ، ٢٦) ، بينما يعمل على تقوية النص الوارد في الاصل بصيغة المنادى ، كما في نصي (مرتا ، مرتا ·· : لوقا ١٠ـ١٤ ، وسمعان سمعان ··: لوقا ٢٢، ٣١ مفضلا الاسلوب المباشر) (٢٢) ·

قلنا ان الدياطسرون لم يسلم كاملا الا بالعربية · وكان العلامة جاسكا قد نشر النص العربي الذي نقله عبدالله ابن الطيب عن السريانية معتمدا مخطوطتين (فاتيكان عربي ١٤ من القرن ١٢ـ١٣ ، وفاتيكان بورجيا ٢٥ من القرن ١٦) · ثم حقق النص العربي الاب اوغسطين مرمرجي معتمدا ثلاث

مخطوطات اخرى (البطريركية القبطيــة المؤرخة سنة د
اكسفورد من العام ١٨٠٣ ، حلب مــن السنة ١٧٩٧). و
مخطوطة في بيروت كتبت في مصر سنة ١٣٣٢ وقد تبــ
الترجمة العربيــة مطابقة تماما لنصوص الانجيـــل بـ
الترجمة المعروفة بالبسيطة (فشيطتا)· وثمــة ترجمـ
عربية اخرى للدياطسرون اقــدم عهدا قام بها فيلاكسك
(Velasques) في قرطبة ســـنة ٩٤٦ ، لكنها عن اللاتيني
مما يدل على ان الدياطسرون نقل الى اللاتينيــة منــذ و
مبكـــــــر ·

وللدياطسرون ترجمة ارمنية ترقى الى القرن الخ
كما في الارمنية شرح للدياطسرون مــن تأليــف مار ا
ونشر الاب مسينا عام ١٩٥١ ترجمة فارسية للدياطسرون
وهناك شذرات مــن الدياطسرون بالجيورجية · كمـ
كرلينغ سنة ١٩٣٥ قطعــة يونانيــة منه اكتشفت في د
اوروبوس ، مكونة مــن ١٤ سطرا ، ثم اعقبه الاب لاكر
بامتحان النص اليوناني(٢٥) وادعى كلاهما ان الاسـ
اليونانيــة مــن بقايا النص الاصلي للدياطسرون باعتـ
حسبهما باليونانيــة اصلا ، فانــبري بلوك وبومشتــ
مبرهنين عكس ذلـــك ·

ونلقى ترجمات للدياطسرون بالايطالية والهولندية
والالمانيــة والانكليزيــة والفرنسيــة ، لذا قال ڤوبس
"ليس مــن اسم أعظم وأهم مــن اسم ططيانس في تــار
ترجمات الكتاب المقــدس وفي نشــأة نصــوص الع
الجديــد" (٢٦) ·

ويبدو بان ططيانس لم يكتفــ باستخدام نصوص الا

الاربعة القانونيـــة الرسمية (متى ، مرقس ، لوقا ، يوحنا).
بل أخذ ايضا عـن الاناجيل المسماة باناجيل الطفولة وانجيل العبرانيين الذي كان شائع الاستعمال في بلادما بين النهرين واستخدم كذلك انجيل يعقوب(٢٧)٠

ورغم الشبهات التي حامت حول فكر ططيانس وجاءت على ألسنة كتبة مـن القدامى لا سيما مـن الغربييـن، نلقى خطابه ضد اليونانين ومحاولته التوفيقية لجمع النصـوص الانجيلية الاربعة في نص واحد (الدياطسرون) خاليين من أية بدعة معروفة في أيامه ، كبدعة مرقيـون او بدعـة مانـي وفالنطينوس، بل أن أفكاره بعيدة ايضا عن آراء برديصان(٢٨) فهل كرَهه الغربيون لانه حمـل عـلى الثقافة اليونانية؟ لابد لنا مـن التطرق الى (خطابه ضد اليونانيين) الذي وجهه الى الهيلنيين باليونانيـة سنة ١٥٥، وقسمه الـى اربعة أقسام أوجز فيـها معتقده وآراءه فتحـدث في الاول (الفصول ٣ـ٦) عـن الله وكلمته والخلقة والحرية والارادة وسقطة الملائكة والابويـن الاوليـن ، بعد ان تطرق في المقدمة (الفصول ١ـ٣) الى غرض الكتاب ، وهو وداع للوثنيـة بشكل صريح ٠ وتناول في القسم الثاني (الفصول ٨ـ٢٠) موضوع الشياطين وممارسة الانسان لحريته واتحاده بالروح السماوي حتى بلوغه الخلود ٠ وتحدث في الثالث (الفصـول ٢١ـ٣١) عـن الثقافـة اليونانيـة ورد عليها ٠ وتنـاول في الرابع (الفصول ٣١ـ٤١) قيمة المسيحية وسموّها ٠ وقـد نشر الخطاب عدة مرات آخرها سنة ١٩١٤(٢٩) ، ويؤكـد اوسابيوس انه القى عدة محاضرات في أوائل حياته عـن علوم اليونانييـن ، وترك كثيرا مـن الكتب (التاريخ ٤ـ١٦) منها

ما يذكره في خطابه : مقال في الحيوانات وفي الكائنات الك
(الفصل ١٥ـ من خـطابه) ، وفي الشياطين (الفصل ١٦)،
كاشفي الامور الالهية (الفصل ٢٠)· ويقول تلميذه رهو
انه كتبمقالة في المعضلات اي في اشكالات الكتاب المقدس
بينما يذكر له (اقليميس) الاسكندري كتابا في الكـامـ
ويقول اوسابيوس انه فسر رسائل بولس وقد ضاعت ج
كتاباته هــذه ·

ويأتي التساؤل طبيعيـابشأن صرامة موقف ططيان
مـن بعض القضايا الدينية والقواعد الخلقية ، ونجيـب
بوركيت انها سمة اتصفت بها المسيحية المشرقية عهـ
ذاك(٣٠)· ونحـن نلقى المؤلفين الشرقيين يمتدحون ططيا
كتلميذ ليوستينس ويشيدون بمحاولته جمـع النصوص
الانجيليـة الاربعـة في واحد ، فهي قد لا تخلو من أخطاء لـ
حسبهم محاولة جيدة ، بينما يقسو عليه المؤلفون الغربيـ
فيقول اوسابيوس مستشهدا بايريناوس انه مـن الذيـ
تفرعوا عـن ساوترنينوس ومرقيون ، وممـن نادوا بالعزو
معتبرا الزواج فسادا وزنى ، ونهى عـن اكل لحوم الحيوا
وأنكر خلاص الانسان الاول (ادم)· ويضيف اوسابيو
ان ططيانس كان أول مـن ابتدع ذلك ، وانـه كشف عـ
آرائه بعـد استشهاد معلمه يوستينس · وبشأن الدياطس
يقول اوسابيوس ان ططيانس قد تجاسر وحرّف بعضاق
بولس الرسول وان محاولته التي بها جمع نصوص الان
في واحد ماتزال في أيدي البعض ، أي في ايـام اوسابيـ
(النصف الاول مـن القرن الرابع)، ويقول انه لا يدري
طريقة جمع ططيانس الانجيل ، الامر الذي يدل على ان ال

سرياني لا يوناني ، ويحتسبه من عداد الهراطقة ٠

نسب الى ططيانس أمور غريبة ، منها قوله بالهين : الـه مطلق واله خالق ٠ كما نسبت اليه مسائل أعتبرت في تلك الازمنة أخطاء ، بينما هي ليست بالحقيقة كذلك ٠ ولامه البعض لانه أسس مدرسة في روما ، وليس هذا بجريرة ، ولم يقل التاريخ انه ادّعى الرئاسة او التأسيس انما تخرج على يديه تلاميذ منهم رودهون في آسيا الصغرى واكليمنضص (اقليميس) الاسكندري الشهير ، ونرسيس القديس ٠

ويمكننا تلخيص فكره في قوله : ان الله واحد ولكنه ليس وحيدا عائشا في عزلة ٠ خلق الكون بكلمته وارادته ، وكلمته ابنه ، ولكليهما طبيعة واحدة ، لان الكلمة لا يترك مصدر الانبثاق بل هو كالنور يكون بوجود مصدر ، ويبقى ملازما له ، وكما ان المتكلم لا يغدو فارغا عندما ينطق ،بل كلمته هي فيه وان صدرت عنه ، هكذا الكلمة الابن ٠ وهو الذي يدير الكون ويعطي الشريعة ويلهم الانبياء ٠ بينما يسكن الروح القدس في الذين يحيون بالبر ٠ ويفصح عن المزمعات بلسان الانبياء لانقياء القلوب ، وبه يجد التائهون الله ان بحثوا عنه ٠ وقد تجسد الكلمة في الانسان وظهر حقا لاظاهرا رحسب ٠ أما الانسان فمخلوق يشارك الله في الخلود ، بينما عنصره المادي غير خالد٠ فالانسان مكوّن من نفس وجسد ، مخلوق على صورة الله ، يتمتع بأرادة حرة ٠ لذا بامكانه قبول الله أو رفضه بحيث يصير عدوا له في حالة الرفض وابنا في القبول ٠ وخلود الانسان بالنعمة لا بالطبيعة لان الخلود لله وحده ٠ ولئن كانت نفوس الصديقين ستنحل فترة من الزمن فهي ستولد مجددا عن طريق اتحادها

الذي يبدأ بهذه الحياة ٠

أما اخطاؤه ، وقد كانت سائدة في عهده ، فتنكّره للزوا
فهو يرى فيه فسادا وزنى على حد تعبـــير ايريناوســ(١
ويمكننا ان نستدل على رأيــه من اجراء ططيانس تغييرا عا
نص متى (١ ، ١٨) فهو عوضا عـن القول (قبل ان يجتمعـ
يقول (قبل ان تعطي مريم ليوسف)،وعـلى نص لـوقـ
(٢ـ٣٦) اذ يقلل حيـاة حنة النبية في الزواج مـن سبع سن
الى سبعة ايام ، بينما يؤكـد على حياة العزوبة ، وططيانس
يحرم السكر ، فلا يسمي في متى (١١ـ١٩) المسيح شريبـ
للخمر ، بل شريبا فقط ، ولا يشرب المسيـح عـلى الصلي
(متى ٢٧ ، ٣٣) خمرا ممزوجا بمرارة ، بل خـلا ممزوجـ
بمرارة ، ويحرم اكل اللحوم كما في خطابه ضد اليونانيين
فهو نباتي كما يقول هيرونيمس ٠ويرفض ططيانس الرسا
الاولى الى طيمثاوس ، اذ فيـها يحمل مار بولس عـــلـ
المتنكريـن للزواج ومحرمي الاطعمة ويأمر ان نشكر الله عل
الطعام وينصح الشابات والارامل بالزواج، ويشـــير عـلـ
تلميذه طيمثاوس بتناول قليـل مـن الخمر كدواء لمعدته
وهذه كلها آراء يرفضها ططيانس ٠

ان لاهوت ططيانس دفاعي اذ ان همه الحث ع
نبذ ضلالات الوثنيين وخداع الفلسفة ، ولا سيما السفسط
مبينا تفاهتها مـن جهة واصالة المسيحية من الناحية الاخر
ويقع في أخطاء لعلها بتأثير المرقيونية ، كتخفيفه من سلطـ
العهد القديم ، فهو يضيف الى نص متى (٥ ، ١٩ من يخالف
ادنى هـــذه الوصايـــا الصغار) عبـــارة (مـن يخـالف
احدى اصغر وصايا العهد الجديد) ، ويهمـل نصـــس لو

(٢ ، ٣٢ و ٣٤) ، محاولا بذلك تخليص المسيحية من نزعة يهودية كانت ماتزال مستحكمة (٣٢) ويكون ططيانس بذلك من اوائل من عملوا على اظهار وجه المسيحية الجديد ٠ واخذ ططيانس عن انجيل العبرانيين بظهور نور مشع في مياه الاردن ساعة عماد يسوع ونجاة يسوع باعجوبة من أيدي اهالي الناصرة ، بحيث يمكن اعتبار انجيل العبرانيين مصدرا مهما من مصادر ططيانس(٣٣) ٠ ولا نوافق ططيانس في تحامله المتطرف ضد الثقافة اليونانية فهو يرى في فلسفتهم الفساد بعينه، والفن لااخلاقيا، والادب امرا طفوليا، واللغة ناقصة بينما يبرهن على سمو المسيحية حتى في العلوم والتاريخ . ونقول ان الحذر من الفلسفة سيستمر لدى مار افرام وغيره من المشرقيين فهي نزعة أصيلة ، وتجنّب "التغريب" أمر محمود ، أما الحوار الثقافي فضرورة ٠

٥ـ برديصان والديصانية

بدءا باسمه ، يمثل برـ ديصان (ابن ديصان، النهر الذي يروي الرها) ،مملكة الرها بشكل متميز ٠ وهو بابلي الاصل بشهادة بورفيريوس(٣٤) ٠ ولد في الرها في ١١ تموز سنة ١٥٤ (٣٥) من والدين وثنيين ، واسم ابيه (نوحاما) اي البعث والقيامة واسم امه نحشيرام واسم احد اولاده (هرمونيوس)، من النغم الايقاعي والانسجام الموسيقي (الهرمونيا). واسم الاخرين ابكرون وحمدو من الاسماء المشرقية الاصيلة ٠

قيل انه درس في مدينة هيرابوليس(منبج) معقل العبادة للالهة المشرقية (ترعتا = اناركاتيس ـهيرا) ، كما

ذكر انه درس في الرها ، وكان من زملائه ابجر الثامـ
الكبير • بل قيل انه تربى في قصر الملك معنو الثامن• ولعـ
هو الذي حمل ابجر صديقه على اعتناق المسيحية (٣٦) •
اهتدى برديصان الى المسيحية على يد الاسقف هيستا
(ايشتاسب) الذي له دفاع ضد مرقيون • وقيل انه رسـ
شماسا ، بل كاهنا ايضا (٣٧)، لكنه كان متحررا فكريـا
صعب عليه قبول العقائد والتفاسير ، حتى ان الاسقف عق
ابعده عن الكنيسة •

انتشرت آراء برديصان سراعا في اماكن عديدة وصار
اتباع كثيرون . وأضاف بعضهم الى افكار برديصان ما لـ
يأخذ به، فألصقت به تهم عديدة، مما جعل الكثيرون يحملو
عليه • ومن اشهر من عارضه وفنّد آراءه مار افرام (٣٧٣)
بينما نعرف من يعقوب الرهاوي (+ ٧٠٨) ا
الديصانية (أي البرديصانية) معروفة في زمانه
وتؤكد مصادر عربية اسلامية انها انتشرت في البطائح بـ
واسط والبصرة في القرن العاشر (٣٨) بل انها بلغت خراسا
وتركستان في الصين(٣٩) •

ولا عجب ، فقد كان برديصان فصيحا بارع الكلام متفنـ
في الاساليبُ الخطابية والادبية • صنفّ مقالات فلسفـ
ودينية ، ونظم قصائد ولحنها وعلمها جوق عذارى ، وبهـ
خاصة لاقت أفكاره رواجا كبيرا ، فقد نظم (١٥٠) نشيدا عل
نسق المزامير لم تصل الينا، لان ما افرام تصدى لهـا وطعـ
في تعاليمه وكتاباته ، وقال :"كان روح العالم قد نفخ برديصـ
وخلبت البهرجة والابهة لبه "• وقال : انه ضمن الاناشيـ
مذهبه الغنوصي ولقنها شباب الرها فاجتذب القلوب واستحـ

لقب ابي الشعر السرياني واحتل مكانة مرموقة في تاريــخ الادب والفكر السرياني(٤٠)٠

يدعوه اوسابيوس شخصا مقتدرا جدا وباحثا ماهرا(٤١)٠ ويقول انه كتب ابحاثا ضد مرقيون وغيره من المبتدعــين ، ويضيف بان له بلغته السريانيــة مؤلفات اخرى كثــيرة واتباعا وتلاميذ عديديــن ، فقد كان مدافعا عــن الايمان بقوة وحماس ٠ وترجم تلاميــذه كتبه الى اليونانيــة ، منها بحث في القضاء والقدر موجه الى انطونينوس (هــو على الاكثر شرائع البلدان الذي وضعه تلميذه فيليبس عن لسانه) ومؤلفات اخرى كتبها بفرصة الاضطهاد الذي حدث له ٠ ويذكر له ابــن النديــم في الفهرست (٤٢) كتاب النور والظلمــة ، كتاب روحانيــة الحــق ، كتاب المتحرك والجمــاد ٠

ألصقت ببرديصان تهم وبدع ، منها قوله بالقدر وبوجود الهة كثيرة وبعدم قيامه الاجساد ، ويبدو انه كان يميل الــى التنجيــم ، فيذكر له جرجس اسقف العرب كتابا في ذلك(٤٣) ولعله درس الفلك والتنجيم في منبج (هيرابوليس) ٠ ولنفور الكتبة الكنسيــين عادة مــن هذا العلم لم يتحملوا عبــارات برديصانيــة مثل(الشمس ابو الحياة ، لان الشمس مذكــر بالسريانيــة ، والقمر ام الحياة ، لان القمر مؤنث) واتهموا برديصان بالسحر والتضليل ٠ وقــال ابــن العبــري ان برديصان يزعم بان ام الحياة تخلع لباسها وتدخل عــلى ابي الحياة كل شهر لتلد اولادا يمدون العالم السفلي بالنمــو والزيادة(٤٤) ٠

واعتبر برديصان غنوصيا وصاحب بدعة منبوذة، فلم يشفع له سحر شخصيته ولاسمو فكره ، بل راح ضحية فكر ديني

متزمت بدأ يتخذ ضربا من السكون بسبب النزوع الى الجمو
وحب التقليد بدرجة متطرفة ، وهو انما مال الى مذهـ
فالنطينوس بسبب النزعة المشرقيـة التي اتصف بها هـ
المذهب ، بينما لم يستهوه مرقيون لصرامة تزهده • ورغـ
انه صار عرضة للحرم الكنسي فهو عبقري كبير ،و فيلسوف
عميـق وشاعر مبدع ، دافع عـن حرية الانسان وكرامته
وقد امتدحه الخوريني الارمني فقال :«كان برديصان رجـ
غيورا على مصالح المسيحية ، بذل مساعي الجد والجهـد
ادخال الارمـن اليها" (٤٥) •

اما المؤلفون المحدثون فقد اختلفوا بشأنه • فمنذ ان نش
ويليم كيورتون سنة ١٨٥٥ مخطوطة سريانيـة من القرن٦ـ
فيها نصوص قديمة ، منها (كتاب شرائع البلدان) ، اخـ
العلماء يهتمون ببرديصان • فقال كيورتون انه حـوار
القدر موجه الى القيصر انطونينوس مـن حمص المعـروف
باسم هليوغبال نحو سنة ٢٢٢، او الى القيصر مركـوس
اوريليوس ، نلقي شذرات منـه في (الاعـداد الانجيلي
لاوسابيوس و (الاستدلالات المنسوبة الى اكليمنضص)
والقسم الثاني مـن الحوار الـى (سيزاريوس) اخـ
غريغوريوس النزينزي • وقد اتضح بان هؤلاء نقلـوا عـ
(شرائع البلدان) الذي كتبه بالاصل فيليبس تلميـ
برديصان مما جعل ايفالد يقول بالاصل اليوناني لكتـا
برديصان ـفيليبس ، وكذلك لاندناسباً الكتاب الى فيليبس
وحده ، بينما عاد ليبسيوس فأكد انه لبرديصان ، وكذلـ
كرهنير وهاهـن مؤكديـن بان غنوصيته تدل عليه ، الا ا
ميركس خصص سنة ١٨٦٣ كتابا كاملا للموضوع ، اثبـ

فيـه بان الاصل سرياني ، وتبعه هيلكينفيد مستشهدا الاخير بابـن النديم والشهرستاني ، واوضح هورت بأن فكـر برديصان في كتابه هذا مشرقي أصيـل · وبعد نشر اثـار مار افرام ضد ماني ومرقيون وبرديصان مـن قبل اوفربوك سنة ١٨٦٥ ، وحيـاة ربولا وفيـها ما يخص الديصانيـة، ثم (نشيد النفس) في اعمال توما مـن قبل رايت ، نهض نولدكه وماكي بعقد العلاقة ما بين نشيد النفس وكتاب برديصان ، وكشف كونتشميد عـن رأى موسى الخوريني الايجابي بشأن برديصان وهو رأي يتعارض مع راي اوسابيوس ، ونشـر لانكلوا ما كتب قديما عـن برديصان بارمنية ، وتم ربط ذلك بما جاء لدى ابـن النديم وفي اعمال بولس (او الرسالـة الثالثة الى القورنثيين وهي مـن الرسائل المنحولة)وترجمتها السريانيـة القديمة وما اقترحه فيتر ، بحيـث قال تزاهـن ان اصل كتاب برديصان بَنهري (من بلاد ما بين النهريـن)· ودرس ريسيل قضيـة التنجيـم والقدر وما نلقاه لـدى جورج اسقف العرب ويعقوب الرهاوي وكتـاب العنايـة لفيلون الاسكندري · وقال دفال في تاريخ الرها بالتأثيرات العديدة التي اجتمعت في الرها ، مع بقاء اصل الكتاب سريانيا وكان هرناك قد جمع ما كتب عـن برديصان باليونانيـة واللاتينية قديما ، فقال كريكر ان ظاهرة برديصان خاصـة ، ولا يسعنا البت في أمر تشخيص هويته الفكرية والادبية · وانبرى نومشخّصا خصوصية برديصان مؤكدا عـلى التنجيم لديه ، ونشر حياة برديصان الواردة في تاريـخ ميخائيـل الكبير ، وانتهى الى القول ان كتابه حوار في القدر ، واثبـت علاقته بماني ، بينما عاد دفال في كتاب الادب السرياني فأكد

على الاصل السرياني للحوار ، وانتهى الى القول انـه م
الصعوبة التعرف على هرطقه برديصان وسبب حرمه مـ
قبل المؤلفين القدامى ولو ان نشر ما جاء على لسان مارو
وفي كتاب القوانين المشرقيـة في باب (الهرطقات) يؤكد عا
ماني ببرديصان وقال شولتيس ونولدكه ان النص السري
لا يفهم بدون اليونانيـة وقال بالعلاقة القائمـة بـين الك
ودفاع ميليطس ، بينما عـاد هينتزي وقـال بعلاقتـه م
الاستدلالات والاعداد الانجيلـي • ويرى ليفي ديلا فيدا
فكر برديصان الاصيـل محفوظ في كتابات ما افرام ، امـ
الحوار الذي بـين ايدينا فتشويه متأخر متأثر بالمانوية
وقال غيره بتأثر الحوار باناشيـد سـليمان •

وحاول شيدر ان يبرهـن عما وقع فيه برديصان مـ
أخطاء في تصوره للكون اذ مزج حسبه الفكـر اليونـ
بالمسيحي ، وطعم حصيلة ذلك بما في التنجيم مـن مداخل
معتبرا برديصان قناة نقلت الفكر اليوناني الى ماني • ون
نلقى ماني فعلا يعقد في (كتاب الاسرار) مناقشة طويلة م
برديصان بشأن النفس • ويؤكد شيدر على تأثير الرواقي
وطيماوس افلاطون وعلم الكواكب على فكر برديصـا
ويقترح امكانيـة فهم اسم انطونينوس كترجمة يونانيـ
لاسم (عويذا) الذى يحاوره برديصان في كتاب شرائع البلد
بحيـث يمكننا تسميـة برديصان بالفيلسـوف الارامي
السرياني • بينما يفضل باور فهم (كتاب شرائع البلدان) ع
انه حوار بـين الديصانيـة والمرقيونيـة باعتبارهما مذهـ
كانا منتشريـن في الاوساط الرهاوية) بشكل كبير ويع
بيترمان ليؤكد ما قاله شيدر بشأن الديانة الديصانية (٤٦

ان اهتمام عشرات الباحثين بكتاب برديصان (شرائع البلدان) دليل على اهمية الكتاب وصاحبه ٠ ويظل السؤال قائما : هل ان الكتاب الذي بين ايدينا هو حقا حوار برديصان دوّنه فيليبس أم انه نص اخر متأثر بالحوار الاصلي المفقود ؟ وهل يرجع النصان،الحوار الاصلي ونسخته، التي طرأ عليها تحويرات متأخرة الى اصل أقدم منهما هو الاصل ؟ ٠

من المفروض ان يكون النص الاصلي لكتاب (شرائع البلدان)مكتوبا بحدود سنة ٢٢٠ ٠ الا ان أقدم نسخة في حوزتنا ترجع الى القرن ٦ـ٧ . انما لنا ما يشبه ما في الحوار باليونانية في كتاب الاعداد الانجيلي لاوسابيوس المكتوب سنة ٣١٣ والاستدلالات المنسوبة لاكليمنضص (اقليميس) نحو سنة ٣٦٠ وكتاب ديودروس الطرسوسي (٣٩٢) ٠ فهل الاصل اليوناني لان هذه جميعها باليونانية؟ (٤٧) ٠

تأتي شهادة هيرونيمس (٣٤٠ ـ٤٢٠) مقنعة ومن صالح برديصان فهو حسبه قد كتب كثيرا ضد المبتدعين في ايامه٠ ومن اشهر تاليفه كتاب في القدر وجهه الى انطونيوس وكتابات اخرى ترجمها اتباعه من السريانية الى اليونانية (٤٨)٠ ويؤكد ذلك تيودرويطس القورشي (٣٩٥ـ ٤٦٠) اذ يقول : انه كتب عدة مؤلفات بالسريانية (ميامر)، منا ماترجم الى اليونانية وقد رأى منها مقالة في القدر ضد مرقيون كمارأى غيرها(٤٩)٠ وتظل المشكلة قائمة اذ ان ماجاء في كتاب اوسابيوس (الاعداد الانجيلي ٤ ، ١٠، ١ـ١٠ ولا سيما ٦ ، ١٠، ١١ ـ٤٨) يطابق تماما ما جاء في (شرائع البلدان

٥٥٩ ، ١١-٥٦٣ ، ١ ، ٥٨٣، ٥-٨) • كما ان المقـــــــ
الاخير يطابـــق مـا جـا في (الاستدلالات ١٩٠٩ -
بحســب النـص اللاتيني الــوارد لــدى روفيـ
(الباترولوجيا اليونانية ١، ١٠٤٩-١٤١٥) والنص اليو
كما استعملها سيزاريوس أخو غريغوريوس النزينزي(٠
وثمة ما يشبه حوار برديصان - عويذا في حيـاة ابرسـ
وحواره مع اركسينياس ولنا منه شذرة• ويؤكد ابيفانيو
(٣١٥-٤٠٣) بان عويذا هو فلكي منجم(٥٢) وكتاب ابيفان
موضوع نحو سنة ٣٧٤ وهــــو يعرفـ بالسريانيـ

نظـن اذا مـن كل ما ذكر انه بوسعنا القول ان اصـ
الحوار (كتاب شرائع البلدان)سرياني • وندعم كلامنـ
بشهادة اوسابيوس القيصري عينه فهو يقل في (التاريـ
الكنسي ٤ ، ٣٠)•

**"بارديسانس السوري (ويقصد السرياني) ، وكتبه التي لاتزال
وفي عهد نفس الامبراطور اذ كانت الهرطقات تتزايد في اقليم مابين النـ
ظهر شخص يدعى بارديسانس وهو شخص مقتدر جدا ومباحث ما
باللغة السريانية ، وقد كتب ابحاثا ضد اتباع مركيون وضد غيرهم
آراء مختلفة ، كتبها بلغته ، مع مؤلفات اخرى كثيرة • أما تلاميذه ،
كانوا كثيرين لانه كان مدافعا قويا عن الايمان ، فقد ترجموا هذه المؤ
من السوريانية الى اليونانية ، وبينها ايضا بحثه القوي "عن القضاء و
الموجه الى انطونينوس ، ومؤلفات اخرى يقال انه كتبها بمناسبة الاضـ
الذي حدث له وقتئذ" (٥٣) •**

فاوسابيوس يعترفـ لبرديصان بالمهارة وقوة البحث ويـ
خاصة كتابه في القضاء والقدر (كتاب شرائع البلدان) ا
الى انطونينوس (الامبراطور) ، مؤكدا بان كتاباته بالسر
أصلا وان تلاميذه ترجموها الى اليونانيـة • ويتضح مـ
قوله ايضـا مناهضـة برديصان لمرقيــون •

اما ابن النديم فيجعل قرابة بين برديصان وماني فيقـول:

"الديصانية : انما سمي صاحبهم بديصان باسم نهر ولد عليه ، وهو قبل ماني • والمذهبان قريب بعضهما من بعض ، وانمـــا بينهما خلف في اختلاط النور بالظلمة • فان الديصانية اختلفت في ذلك على فرقتين : فرقة زعمت ان النور خالط الظلمة باختيار منه ليصلحها ، فلما حصل فيهـــا ورام الخروج عنها امتنع ذلك عليه • وفرقة زعمت ان النور اراد ان يرفـع الظلمة عنه لما احس بخشونتها ونتنها شابكها بغير اختياره • وزعم ابـن ديصان ان النور جنس واحد ، والظلمة جنس واحد • وزعم بعض الديصانية ان الظلمة أصل النور ، وذكر ا ان النور حي حساس ، عالم ، وان الظلمـة بضد ذلك ، عامية ، غير حاسة ، ولاعالة ، فتكارها • واصحاب ابن ديصان بنواحي البطاح كانوا قديما ، وبالصين وخراسان أمم منهم متفرقـــون لايعرف لهم مجمع ولابيعة" (٥٤) •

ان نص ابـن النديم متأخر يتحدث عن مرحلة بعيدة زمنيا عن أيام برديصان مؤشرا حدوث اختلافات بل فرق واراء متعددة في الديصانيـة نفسها ، ولا يستغرب ان بعضها تأثر المانوية فعلا ، ولا عجب ، فان فهرست ابـن النديم مكتوب سنة ٩٨٨•

غير ان ابـن النديم ايضا يميز ما بـين برديصان (ابـــن ديصان)نفسه وبين فرقة الديصانيـة المتفرعة عنه • وقـد أشرنا سابقا الى شهادة موسى الخوريني في تنزيه برديصان عـن البـــدع •

ويمكننا تلخيص فكر برديصان فيما يلي : ان الله هـو حقا ووجوبا واحد • وانه خالق الكون والانسان ، لكنه خلق الانسان حرا ، انما الانسان واقع تحت تأثير عناصر ثلاثـة : الطبيعـة ، القضاء ، القدر ، الارادة ــ الحرية • وتظـل

أفعاله بقوة ارادته الذاتية لابحكم الجسد • وبينما تخضـ
الطبيعة لشرائع لا تتبدل ، خولّ الله الكواكب سلطة تتـ
في البشر بواسطة القدر ـ القضاء مؤثرة عليه منـــذ سا
الـــولادة •

اتهّم برحذبشا عربايا (العربي) برديصان باغلاط خـ
هي : قوله بعدة عناصر ،وليس للعالم حظ سعيـد ، وان ا
قد كان في المشرق اصلا والهواء في الغرب والنار في الجنـ
والماء ازاءه في الشمال ، والرب في الاعلى(فوق) والظلمة
الاسفل(٥٥) وقال موسى بن كيفا : ان اصل العالم حسـ
برديصان من النار ، والهواء ، والماء ، والنور ، والظلمة
في جهة مـن الجهات الاربع ، والرب في الاعلى والظلمة فـ
الاسفل (٥٦) كذلك قال يوانيس (يوحنا) الداري وتيودور
برقوني (٥٧) • وتشبه هرطقة الديصانيين حسب مارو
الميافرقيني هرطقتي المرقيونيـة والمانوية ، لان الديصا
يقولون بالقضاء والقـدر وينكرون حريـة الانسان وقيا
الاجســـاد •

أما فيلوكوسينوس المنبجي وميخائيـل الكبير وابو ال
ابـن العبري فيتحدثون عـن سبعة عناصر في تصور برديـ
الكوني ، ثلاثة منها كبرى هي : العقل والقوة والفكر ، وا
موجودات أو عناصر : النار والماء والنور والهواء ، منها تكـ
العوالم الـ٣٦٦(٥٨) وقيـل بل مـن العناصر الاربعة المعر
والظلمـــة •

ويمكننا الاستمرار في سرد قائمة طويلة جدا لمؤلفـــ
تحدثوا عـن برديصان والديصانية ، ننتهي منها الى القو
انه لا يمكننا التوصل الى فكر برديصان الاصيل على و
التحديد اذ داخلت فكره معطيـات متعددة وتأثيرات كثـ

وبوسعنا ان نفهم من مجمل البحث ان برديصان احد الذين دافعوا بشدة عن الحرية بحيث يمكننا تسميته فيلسوف الحرية في تلك العصور الغابرة دون ان يتعارض دفاعه عن حرية الانسان مع قوله بتأثير الكواكب على مقدرات الناس ومصائرهم ٠

لا ريب ان الشخص الذي افادنا اكثر من الجميع بمعلومات تنير في هذا الموضوع هو مارافرام ٠ ونظن انه تعرف على فكره كما على افكار غيره ممن قاموا في الرها ومجاوراتها سواء حين كان في نصيبين ولا سيما بعد انتقاله الى الرها عام ٣٦٣ وتجديده مدرسة الرها ، بحيث انها غدت في غضون سنوات قليلة جدا مدرسة لها منزلتها الكبيرة ، وقد تمكن افرام لهذا السبب بالذات من محاربة البدع والاراء التي لم تكن مقبولة في البيئة التقليدية والمناخ الاعتيادي السائد بفضل التلاميذ العديدين الذين توافدوا على مدرسة الرها وتعلقوا بمعلمهم افرام وبارائه وتعاليمه ٠ لكننا لانبتعد عن الصواب ان قلنا ان فكر برديصان لم يظل نقيا خلال قرن ونصف ٠ لقد كانت المنطقة مشحونة عهد ذاك بتيارات فكرية كثيرة ، وكان امر القبول بالجوهر كأساس ، وترك الامور الثانوية متعددة ، شيئا يستصعبه انسان تلك الازمنة لذا نلقى افرام وغيره كثيرون يحملون حملة شعواء على اهل البدع وينعتونهم بالهرطقة وقد كان بينهم فعلا من ابتعد عن الروافد الاصيلة ٠ ونزيد بان المرقيونية والمانوية وغيرهما من بدع كانت قد عرفت رواجا كبيرا في بلاد ما بين النهرين ، وانتشرت في مناطق بعيدة ايضا، فكان لا بد ان تحرك هذه الظواهر مشاعر واقلام المتمسكين بالقديم والتقليد ، وهاتان نزعتان محببتان الى كنيسة المشرق ٠

ومع ذلك فان شهادة ما افرام بشأن الديصانية ومؤسس
برديصان بالغة الخطورة،ذلـك انـه حفظ من خلال انتقاد
التي وجهها الى برديصان الكثير مما ضاع مـن اقواله ، و
انه ذكرها ليبين تناقضها ومعطيـات الكتاب المقدس٠ نلق
خاصة في مقالاته وقصائده (ميامر) ضد الهرطقات وعد
٥٦ ، نشرها ادموند بيـك بطبعة نقديـة في جمهرة لـوف
سنة ١٩٥٧ (٥٩) ، وكذلك في مقالاته النثرية ضد ماني ومرق
وبرديصان ، نشرها ميتشيل سنة ١٩١٢ ، واكمل نشره
بيفان وبركيـت سنة ١٩٢١(٦٠).ويمكننا تجميـع معطيـ
أخرى مـن اناشيـد افرام النصيبية لا سيما في النشيد
٤٦ و ٥١ (٦١) ٠ وثمـة قصيدة منسوبة الى افرام يبدو ا
ليست له نشرها دنكان جونس والرحماني (٦٢) ، وشـ
للرسالة المسماة الثالثـة الى القورنثيين تنسب الى افر
وهي ليست له ، درسها كلين (٦٣)، ومقالات قصيرة ضـ
الديصانيـة نشرها اوفربوك ونسبها الى افرام (٦٤)، لك
ليست له بالتأكيـد ، فينبغي اهمالها هنا ٠ وبينما ينتق
افرام تعاليـم برديصان الخلقيـة بشكل خاص، يقبل بار
فافرام "فالوطي" مـن الخط الميال الى انطاكيـة مع احتف
باصالته المشرقيـة (٦٥)٠ ينتقد مار افرام برديصان لانـ
يتنكر للخلق مـن العدم ويقول بحدوث الخلق عبـر مس
ومراحل ، وليس مـن وضوح حسبه في عددالعناصر الاو
فيلومه افرام لانه يقول بخمسة عناصر ، بل بستة جاعـ
للعناصر الاربعـة المعروفة عنصرا اخر في الاعلى واخر ف
الاسفل ، ويذمه خاصة لانه يعتبر الظلمة كائنا ـ وجـ
(ايثيـا)، ويقول بسبعة عناصر بعدد الابراج والسيـار
وقواها ، ويعتبر النفس ايضا صنع الكائنات ، ويقـ

بتركيبها من العناصر السبعة جميعا .ويلح على تفاصيل تكون العناصر وأسبقية بعضها على البض الاخر . ووجود ذرات روح وقوة وفكر هي عناصر مختلفة عن العناصر المذكورة • ونعرف من مار افرام بان برديصان لا يقبل بالتعارض بين المعرفة والايمان بشأن اصل الانسان والعالم. فالجسد البشري نتيجة مزيج من العناصر • أما (نسمة الحياة فمن الله . نفخها في الجسد بحيث كانت الحياة هبة الله . أخرجها من مزيج العناصر الى حيز الوجود • ولاندخل في التفاصيل لكي نبرهن كم ان برديصان غير مخطيء في اراء كثيرة طرحها حتى ان بعض اقواله تشبه ما يأخذ به الفكر المعاصر من طروحات •

ويمكننا عقد مقارنات واضحة بين نشيد برديصان في النفس وبين ما جاء من افكار مماثلة في أساطير قديمة شتى، لا سيما تلك التي تتحدث عن وصال الشمس والقمر وجنة وعدن • ويلو مافرام برديصان ايضا على تنكره لقيامة الاجساد • ولعلنا نصحح وجهة النظر الافرامية اذ نذكر بأن برديصان ، كغيره من مفكري بلاد ما بين النهرين وغيرهم يقول بتكوين الانسان من روح وجسد ونفس ، وبينما يؤكد على قيامة النفس ينفي قيامة الجسد لان طبيعته فاسدة • وبديهي ان ينتقد افرام اعتقاد برديصان بالقضاء والقدر وربط مصائر البشر بالكواكب والنجوم ، انما لاننسى بان برديصان يجعل القدر بين يدي الله ،ويحترم حرية الانسان بل يقدسها •أما قوله بهذا الرباط الكوني بين الانسان والكائنات الاخرى ففكر مستديم نظنه نيرا ، ونلقاه في حضارة وادي الرافدين ، وقد اخذ منذ عقود من السنين علماء ومفكرون ينادون به (٦٦)،وثمة تقاليد

مختلفة بشأن برديصان منها باليونانية ومنها بالعربية و
بالارمنية ألمحنا الى بعضها تدل لاشك على أهمية فكـ
ومدى انتشار ارائه ٠

ويخلص درايفرز الى القول : ان برديصان جمع في شخـ
وفكره مؤثرات ثقافية ودينية متعددة كانت قائمة فـ
الاوساط الرهاوية في النصف الثاني من القرن الثاني(٧
ونظن ان هذا وحده كاف للتأكيد على ماقلناه سواء بشـ
الرها كمركز ثقافي بالغ الاهمية وسواء بشأن برديصان عـ
كواحد من عباقرة الدنيا النادرين ٠ ولا ننسى اننا في عـ
ابجر الكبير ومملكة الرها الزاهرة المسيحية ٠

٦ ـ هرمونيوس

ابن برديصان ولعل اسمه اليوناني رمزي بمعنى ايـ
الاصوات وانسجام النغم ، فهو من الهرموني= rmony
في الموسيقى ، أرسله أبوه ليدرس في آثينا كما يخبرنـ
سوزومين وتيودوريطس(٦٨)، قرض الشعر حتى فاق
في نظم الاناشيد وتلحينها واشتهر امره في الرها ومجاوراتـ
فقدت اثاره ولم يسلم منها شيء ، ورغم حملة مار افرام علـ
وعلى ابيه نراه يسلم بمقدرتهما الشعرية ومواهبهما(٦٩

٧ ـ عويذا

رئيس شمامسة في كنيسة الرها أيام مجمع نيقية سـ
(٣٢٥) ، ومن تلاميذ برديصان او من اتباعه بالاحر
لان الفارق الزمني اكثر من مائة عام ٠ لذا فهو ليسـ
المذكور في كتاب شرائع البلدان ، اسند اليه تأليف عـ
من الرؤى اعترف بها اتباعه ، وهي رؤيا ابراهيم ورؤ

يوحنا وكتاب الاجانب ، تدل على روح غنوصية مع ميل نحو التنجيم ، وقيل انه اخذ بالنور والظلمة وشرح سر التجسد في ضوء ذلك،لم تصلنا آثاره انما نعرف بعض الشيء عنه من اخرين (٧٠) ·

٨ ـ اسونا

راهب في الرها عاش في القرن الرابع نظم الشعر وكان شعره جذابا فأنشده الكثيرون حتى اوائل القرن السادس· ينسب اليه شعر ذو ستة مقاطع فيه حوار كثير ، ويبدأ بالالف دوما · وله مرثيتان ما تزال الكنيسة السريانية تترنم بهما في جنانيز الموتى ، المشهور عنه انه مات من جراء سقوطه من الجبل عندما هم بركوب مركبة تعرج به الى السماء اثر مسّ جعله يفكر في التمثّيل باليشع تلميذ ايليا النبي (٤ ملوك٢) · وقيل ان مار افرام تتلمذ عليه(٧١) وقد نشر شيء من كتاباته في مجموعة كتابات مار افرام (٣ ، ٣٢٤) ودراسات سريانية للبطريرك افرام الرحماني (٤ ، ٩٥ـ٩٧، ٧٤ـ٧٥ من الترجمة اللاتينية) ·

٩ ـ مار أفرام

يقترن اسم مار افرام بالثقافة السريانية ضرورة لذااطلق عليه بحق لقب (نبي اسريان) · و (قيثارة) أو (كنّارة الروح القدس) ، وهو كبير آباء السريانية ، واستاذ أو ملفان الكنيسة الجامعة · لقي من الجاه والصيت والشهرة أما لم يلق غيره من الكتبة والاباء · وانتشرت آثاره في كل مكان متخطية حدود مملكة الرها ومنطقة نصيبين وبلاد

مابيـن النهريـن • وادخلت العديد مـن كتاباته في طقـ
وصلوات الكنائس المشرقيـة بحيث لا يخلو كتاب من كت
الصلوات الطقسيـة لدى الكلدان والسريان والاثوريـ
والموارنة والاقباط والملباريين والملنكاربين وغيرهم مـ
صلوات وطلبات وتضرعات مـن نظم مار افرام العظيـم
كما نقلت مؤلفاته الى اكثـر من لغة ومنذ الازمنة السح
في القدم واستخدمت مصنفاته نصوصا مدرسيـة في مدر
الرها ردحا مـن الزمـن •

قد يحتسب على نصيبين ، فهو وليدها ، فيها ابصر ال
نحو سنة ٣٠٦، غير انه قضى السنوات الاخيرة في الرها (
٣٦٣الى ٣٧٣) كما انالا ثر الثقافي العلمي الذي طبعه فـ
مدرسة الرها، يحتم علينا ادراجه ضمن مـن ينبغي الاعتر
لهم بالفضل الكبير في تكويـن ظاهرة الرها المسيحيةوالثقا
اذ لولاه لانحسرت هذه الظاهرة ضمـن نطاق محدود كمـ
ونوعيـة ، بينما أخذت بفضلـه ابعـاداًلا حصر لها •

تتلمذ على يعقوب (اسقف نصيبين فيما بعد) • ولما ك
هذا راهبا قيـل بتسرع ان افرام ايضا انخرط في السلـ
الرهباني • وككل عظيـم حيكت حول سيرته عشـر
الحكايات والاساطير • فقد ضاعت السيرة التي دونها تلمي
زنوبيوس (زينوب) شماس الرها وشمعون السميساطي
بينما وصلتنا سيرة متأخرة فيها الكثير من المبالغة والتفخ
فقيـل ان والديه وثنيان ، بل ان اباه كاهن صنم ،وانهرا
يعقوب النصيبيني الى مجمع نيقيـة ، وهو بعمر ١٩ سنـ
وانه أنقذ نصيبين مـن حصار الفرس سنة ٣٣٨ بفضـ
صلواته المستجابة • وتقول بعض المصادر انه قصد مصـ
وقضى في اديرتها الشهيرة ثماني سنوات • وما تزال في د

السريان بوادي النطرون في مصر ، قصة شجرة قائمة حتى اليوم ، يقال ان اصلها عصا لمار افرام ٠

الاكيد الثابت ان افرام حارب الاريوسية . وكتب الكثير ضد اريوس ٠ وقيل ان باسيليوس الكبير اسقف قيصرية (+٣٦٩) ، عمل المستحيل لكي يجعل افرام اسقفا على احدى كوره فلم يفلح ٠ وقد وصف افرام بقصر القامة وضخامة الجثة والصلع وصغر اللحية وارتدائه ثيابا رثة ٠ وذكر انه زار قيصرية والتقى باسقفها باسيليوس ٠ وكانت وفاته في ٩ حزيران سنة ٣٧٣(٧٢)٠ اشاد يعقوب السروجي (٤٥١-٥٢١) بعبقرية مار افرام وشبهه بالينبوع الفياض الذي روت مياهه ارض الايمان ، ووصفه بالفيلسوف والمعلم الصالح والفلاح والمزارع الصالح والمهندس الماهر والكاتب القدير والشاعر المبدع ٠ ويمتدحه لمناهضته البدع واصحابها ، كما لتعليمه الفتيات تراتيل رخيمة من نظمه وتلحينه ليترنمن بها في بيوتهن ويشنفن بها اذان المؤمنين في الكنائس ٠ وقد شبّهه السروجي بنسر انتصب بين حمامات وديعات (٧٣) ٠ ولغريغوريوس النوسي (٣٩٦) تأبين مار افرام باليونانية يستدل منه انه عرفه شخصيا وقرأ له لذا فهو يتمناه سراجا يوضع فوق المنارة ليضيء لكل من في البيت٠ ويجله يوحنا فم الذهب (٤٠٧) مشبها اياه بسيف ذى حدين مسلط على الهراطقة. ويذكر هيرونيمس(٤٣٠) ان لافرام كتبا عديدة ، وان كنائس مختلفة تتلو مختارات من قصائده وكتاباته ، وانه شماس الرها ٠ وقال سوزومين المؤرخ(٤٢٣) انه فاق الكتبة اليونانيين بحكمته ورونق كلامه واصالة رأيه وسداد برهانه ٠ ونعته حنا نيشوع برسروشوى (أسقف الحيرة في القرن ٩) بمحيط العلوم وقال : من يسعه ان

يصف غزارة كنوزه! فليصمت العلماء ليتكلم افرام!وقد خص
بلاديوس فصلا كاملا في تاريخه التصوفي الرهباني (اللوزياكي
المكتوب سنة ٤١٩/٤٢٠) لمار افرام جاء فيه : ان افرام يستحق
الثناء لانه امتاز بموهبة العلم الطبيعي واللاهوت · ويذكر انه
كان يقضي ايامه بالنسك والزهد اذ كان في الرها في سنواته
الاخيرة دون ان يهمل المدينة والناس ، فقد قام بتنظيم
حملة اغاثة للمنكوبين حين داهمت الرها موجة جوع حاد
وحل فيها الوباء · ونفهم بان مار افرام كان شماسا ومعلما
وراهبا متصوفا معا ، لذا فهو لم يعتزل العالم كحبيس في
صومعة او كراهب في دير ، انما كان ينقطع عن العالم في
احدى الصوامع القريبة من الرها لكي يعود الى العالم
للتعاليم والخدمة الكنسية والاجتماعية (٧٤). لذا يظن
بانه واحد من بني العهد (بني قياما) الذين انتشروا في
كنيسة المشرق والذين سنتحدث عنهم في باب الرهبانية

نسبت الى مار افرام الاف الابيات الشعرية ، والعديد
من الكتابات النثرية ، حتى قال سوزومين المؤرخ الكنسي
أن اشعاره تربو على الثلاثة مليون شطرا(٧٥)· وقيل انه
ابتدأ بقرض الشعر وهو من نصيبين في سن مبكرة جدا
دفعه الى ذلك شعر برديصان وهرمونيوس ابنه ، ورغبة من
افرام في مناهضتهما ودحضهما مستخدما الاسلحة عينها التي
استخدماها : الشعر واللحن · لشعر افرام في نصيبين قيمة
تاريخية ، اذ يذكر ماعانته المدينة في ضيق أيام حرب
مستديمة بين الفرس والروم · كما نستدل من اناشيد
النصيبينية على نشاط اساقفة المدينة ، يعقوب بابو ، ولغش
وابراهيم ، ونقف على اوضاع الجماعة المسيحية فيها وفي
المناطق المجاورة · والاناشيد النصيبينية التي ألّفها أفرام

في نصيبين ٢١ قصيدة (ميمر)، اصبحت في الرها ٥٦ ثم ٧٧. انما جميعها تقريبا في نصيبين • نظم الثلاث الاولى منها بعد حصار الفرس لنصيبين ثالث مرة منذ وفاة قسطنطين الملك سنة ٣٥٠، ونظم القصائد ٤ـ٧ و ٩ ـ١٢ ايام حرب ربيع سنة ٣٥٩. ومدح في الاناشيد ١٣ـ٢١ اساقفة نصيبين الاربعة في السنوات ٣٥٩ ٣٦٣، ونظم القصائد ٢٥ـ٣٠ نحو سنة ٣٧٠، والاناشيد ٣١ـ٣٤ بعد هجرته الى الرها فذكر فيها محاربة الاسقف الحراني فينوس للوثنية في الرها • وتعتبر المجموعة التي تليها من روائع الادب الافرامي، سميت بالتراتيل (سوغياثا) منها ٣٥ـ٤٢٦ في الام المسيح ٤٣ـ٥١، ثم ٦٦ـ٧٧ ضد ماني ومرقيون وبرديصان وفي القيامة والموت ٥٢ـ٦٨ محاورة بين الموت والشيطان(٧٦) نختار منها هذه المقاطع:

(في مدح ابراهيم أسقف نصيبين)

لايجدر بالنور أن يظلم	ولايليق بالملح ان يفسد
ولايروق الدنس بالرأس	ولا القذارة بالمرآة
ان فسدت الادوية	لا شفاء للامراض
ان أظلم السراج	كثرت العثرات
ليطرد نورك ظلامنا	مبارك من جعلك مصباحا لنا!
صن النعجة السليمة	وابحث عن الضالة
ارعها في مروج الكتب (المقدسة)	اسقها مياه العلوم
ليكن لك الحق سورا	ليكن لك الصليب عصا
ليكن لك العدل سلاما	مبارك من أثرى سناك!

(حوار بين الموت والشيطان):

سمعت الموت والشيطان يتخاصمان	مَن منهما الاقوى على الانسان
أظهر الموت سلطانه خاذلا الجميع	أظهر الشيطان مكره معثرة للكل

(الموت) ـ انت ايها الشرير لاينقاد اليك سوى من يريد

اما انا فمن شاء أو أبى أتى الي صاغرا
(الشيطان) ـ انت ياموت تختبر اسمك في المريض
اما انا فأقهر الاصحاء خاصــة
(الموت) ـ انت ياشيـطان تنصب الفخاخ بجبن
وانا كالملك اتصرف بسلطان
(الشيطان) ـ انت ياموت قاصر عن معرفة عظمتي
لاني تمكنت من اقتناص كامل الحرية
(الموت) ـ بغيضٌ اسمك ياشيطان لاتجمّله
الكل يلعن اسمك فاخفِ عارك
(الشيطان) ـ اذنك ياموت ثقيلة لاتسمع
كل الناس يصرخون بوجهك ، فاختفِ
مبارك من اثار العبدَين اللعينين الواحد على الاخر. لتشمت بهما كما شمتا بنا وسخرا منــــا .

كانت مهمــة مار افرام في المدرسة (نصيبين ثـــم فـي الرها) تفسير الكتاب المقدس . فالمعلم الاول في المدرسة هو المفسر (مغشقانا) . وقد الفــ افرام شروحا وتفاسير لاسفار الكتاب المقدس كاملة سلم بعضها وفقد بعضها ، بينما نسبت اليــه تفاسير لعلها لغيره . وألفــ في اللاهوت والتصــوفــ والاخلاق ، فنظم القصائد ودبج المدائح وسطر نثرا مقـــالات دينية وخلقيــة ، وشرح دياطسرون ططيانس ، وكتب رسائل في شتى المواضيــع . اما نتاجه الشعري الاخر فيتكون مـن مقطوعات وعظيــة (مداريش) ومدائح تعليمية كان يعلمهـا جوق العذارى بطريقة الانشاد . وله مئات المقالات المنظومة (الميامر) ، والقصص الشعرية المطولة ، نلقى هـــذا التراث

(الكنارة : مريم تنشد لابنها يسوع) :

الردة : المجد لك ، سيدي ، وبواسطتك ، لابيك ، يوم ميلادك

١ ـ بك ابتدىء وانا واثقة اني بك انتهي

أنا افتح فمي ، وانت املأ فمي

أنا ارض لك ، وانت الحارث

فازرع في صوتك ، يازراعا ذاته في حشا امه

٢ ـ كل العفيفات متعجبات مني

بنات العبرانيين والبتولات ، بنات الزعماء

بك محسودة ، بنت المساكين

وبك مغبوطة ، بنت الضعفاء ، من اعطاني اياك ؟

٣ ـ ياابن الغني الذي كره حضن الغنيات

من جذبك نحو المساكين

فيوسف محتاج ، وانا معوزة

بجارك حملوا الذهب ، وأتوا به الى بيت المساكين

٤ ـ رأت المجوس فتوافرت نغماتها بقرابينهم

ها ان الساجدين لك محدقون بي ، وقرابينك محيطة بي

تبارك الطفل الذي جعل امه كنارة الحانه

٥ ـ ان الكنارة تنظر الى صاحبها ، وفمي ينظر اليك

فلتحرك ارادتك لسان أمك ،

واذ عرفت بك حبلا جديدا

فليعرف بك فمي ميلادا جديدا لتسبيح جديد

٦ ـ اذا كانت الامور العسيرة ليست عسيرة عليك

بل سهلة لديك

فالحشا حملك بدون زواج

والبطن حملك بدون بطن

فسهل على الفم ان ينشىء ويفيض في تسبيحك العظيم

٧ ـ ها انني متهمة ومظلومة ومبتهجة
أذناي مملؤتان هزءا وعارا
وقليل علي مهما احتمل
فتعزية واحدة منك يمكنها ان تبدي الوف الاحزان
٨ ـ وان انت ياابني لاتحتقرني ، أظل مبتهجة
ولاني متهمة ، في الحبل والولادة
فيا ديان الحق الذي يبرئني
ان كانت تامار تبرأت بيهوذا
فأحرى بي ان أتبرأ بك
٩ ـ داود ابوك أنشد لك أنشودة قبل مجيئك
بان سيقدم لك ذهب سبأ
الانشودة التي أنشدها مجردة ، فد تحققت
امامك تجمع المر والذهب
١٠ ـ والمئة والخمسون مزمورا التي أنشدها
انت أصلحت طعمها
لان كل أقوال الانبياء ، تحتاج الى طيبك
فبدون ملحك ، جميع الحكم هي تافهة · (٧٧)

الضخم في مئـات المخطوطات السريانيـة . كما نلقي لافرام ترجمـات قديمـة جـدا باليونانية والسلافية واللاتينيـة والارمنية والجيورجية والحبشية والقبطية والعربيـة وغيرها مـن لغـات ٠

واول من عني بنشر تأليف مار افرام العلامة يوسـف سمعان السمعاني ، فطبع ستة مجلدات في روما في السنوات ١٧٣٢ـ١٧٤٣ ، وقام بترجمتها الى اللاتينية الاب اليسوعي الماروني مبارك ، ثم قام اوفر بك بنشر مختارات من كتابـات افرام وربولا وبالاي صدرت سنة ١٨٦٥ ، ثم نشر العلامـة توما لامي اربعة مجلدات تضم مصنفات اخرى لمار افـرام في السنوات ١٨٨٢ـ١٩٠٢ وجاءت طبعته وترجمته اللاتينيـة أفضل من الطبعات السابقة ٠ ثم نهض البطريرك افـرام الرحماني فنشر اناشيده في البتولية وفي اسرار ربنـا و ٣١ نشيدا في موضوعات شتى ، منها في القيامة والميلاد ووصيته الاخيرة ، حتى نهض البندكتي ادمـون بيك فاخذ يحقـق تحقيقا علميا كتابات مافرام ، وينشرها تباعا من جمهرة لوفان مترجما اياها الى الالمانية ، وواضعا لها فهارس ومدبجا كتبـا تعين على قراءة افرام وفهمه والرجوع الى اثاره بشـكل موثوق وسهل ومفيد . ولايسعنا ان نذكر جميع من قامـوا بنشر او ترجمة نصوص افرامية ، كما لايمكن حصر من تناولوا كتابات مار افرام ودرسوها وافادوا منها فالقائمة طويلـة جدا ٠ لذا نحيل الى اخر ما صدر منّ قوائم (بيبلوغرافيـا) بشأنه والى ملف مجلتنا (بين النهرين) العددين ٦١ـ٦٢ للسنة ١٩٨٨ ففيه مايمكن الرجوع اليه بالعربية خاصة ٠ ونختـار قصيدة اخـرى منّ شعر افرام وفكره :

وبوسعنا الاضافة في سرد كتابات افرام ومختارات مـ
قصائده . انما نقولها بايجاز : لم يقم في كتبه السريانيـ
شخص أغنى الادب والشعر خاصة نظيره ، فهو بحق امـ
الادب السرياني ٠

ويطيل بنا الحديث لو شئنا ان نأتي على مناقب مـ
افرام وروائع ادبه وافاق فكره ، وهدفنا هنا تبيان دور الـ
لادور افرام او غيره بشكل مجرد ٠ ويحق التصريح بان الـ
في عهد افرام كانت مركزا حضاريا ودينـيا مهما ، يقطـ
اطرافها متوحدون شهيرون امثال يوليان سابا (الشـ
والحبيس ابراهيم القيدوني وولغش اسقف نصيبين (فـ
كان ناسكا في اطرافها قبل ان يصبح اسقفا) ٠ ولانستغـ
كيف ان واحدة مثل السائحة ايجريا لم تذكر افـرا
مذكراتها ، وقد زارت الرها ١١ سنة بعد وفاته ، فهذه هـ
الرهبان والمزارات والصلاة ، ومع افرام تبدأ ظاهرة جديـ
في الرها ، كانت معروفة قبله ، انما اتخذت طابعا متمـ
وابعادا وافاقا واسعة منذ ان حل فيها ، بحيث يمكنها حقـ
تسميتها بالظاهرة الجديدة العجيبة ، نعني بها الحركـ
الثقافية المتطورة بفضل (مدرسة الرها) ومنشّطها افـر
وسوف نتحدث عن الاثر الرهباني في فقرة خاصة (في الـ
الخاص من هذا التاريخ) ٠

لايجب ان ننسى ايضا الاثر الذي تركه مار افرام ليس
الادب السرياني وحسب فهذا بوضوح الشمس ، انما في الا
الغربي المسيحي ، اضافة الى تأثيره على الفـكر الديـ
والروحانية الطقسية والتصوفية لمعظم االكنائس الشرقـ
في القرون الاولى ، فان بنية الطقس البيزنطي (الليتورجيـ
متأثر ببنية القصيدة الافرامية ، وكثيرا ما صوّر مار افـ

جنبا الى جنب مع آباء هذه الكنيسة وردد ابناؤها اقوالـــه ، وقد تُرجم نحو اربعين مقالة وكتابا لافرام الى الارمنـــية . بحيث يسمي الارمن انفسهم اولاد افرام • وتشدد الكنيســة القبطية على دور مار افرام في مجمع نيقية ومساندتـــــه لاثناسيوس اسقف الاسكندرية ، ولقاء افرام بباسيليوس الكبير كلها دلائل على شركة القديسين المتجسدة في حيـاة افرام • وعديدة هي الالحان والصلوات الافراميـــــة التـي استعملتها الكنيسة الاثيوبية منذ القدم (٧٨) • فهو هـــذا الذي صار للارامية كلها اكليلا وهو الذي صار بليغا كبيـــرا للناطقين بالسريانية (يعقوب السروجي) •

وتلاميذ افرام هم كل الذين تخرجوا من مدرستي نصيبين والرها في زمانه • نخص بالذكر آبا مفسر الانجيل ، وشمعون كاتب سيرته ، وبولونا صاحب الاناشيد والكتاب ضـــــد مرقيون ، وزينوب مفنّد مرقيون ايضا ، وعبسميا (عبـــار شميا) ابن اخت افرام ، وله قصائد في غارة الهونيين علـى بلاد الروم ، واسحق الاكدي ، وله قصائد في التوبة ومريـم العذراء والشهداء • وافرام اخيرا لاآخرا معلم الاجيال التـي انجبتها مدرسة الرها نصيبين •

ثالثا ـ مدرسة الرهـا ٣/٤

نرجع في وصف هذه الظاهرة الحضارية الكبيرة الى اهم البحوث التي دبجت بعنوان مدرسة الرها ، أو مدرســـــة نصيبين ، فهما مدرستان متشابكتان بل اننا نعتبرهمـــا مدرسة واحدة نبتت هنا ؛ واينعت هناك ، ونمت في الاولى ، لكي تزهو في الاخرى ، وتثمر هنا وهناك ، وبشكل لاينطبق على مدرستين اخريين • فهم الاساتذة عينهم ، والتلاميـــذ

أنفسهم ، والمناهج ذاتها ، تارة في الرها ، وتارة في نصيب
واحيانا في كلتيهما معـــا ٠

النزوع الى الثقافة قديم في كنيسة المشرق بقدم الا
الرافدية.لم توقفه الاضطهادات الدموية ، ولم تخنقه المض
والصعاب ، ولو انها اخرت وعرقلت واتلفت الكثير ٠ ول
السبب الكبير ايمان بالحكمة ، وانفتاح على الحق انفتاح
كونيا ٠ وقد تكرس هذا النزوع الحضاري في تاريخ كن
المشرق في تبني الرهبانية حركة ثقافية واضحة والعمل ع
فتح المدارس قرب الكنائس والاديرة ، حتى قيام كليات
جامعات ومستشفيات مستقلة ، اشهرها ولاريب مدرس
الرها ــ نصيبين ، ثم مدرسة جنديسابور ، وثمة مدارس
اخرى ذات شأن ، سوف ياتي ذكرها في اجزاء اخرى من
التاريخ (٢) ٠

ولانظننا نغالي ان اطلقنا تسمية جامعة على مدرســ
الرها ــ نصيبين ونحن في القرن ٤ــ٥ م٠ فهي من حيث ال
النسبي يومذاك ، ومن حيث الاختصاصات وتنوع المعــا
والضبط العلمي ، والنظام التدريسي والمناهج والتحص
تتمتع بكل السمات الاساسية التي تؤهلها حمل هذا ال
كما سنرى ٠ لذا فمن الغبن القول انه علينا انتظار العصـ
الوسيط لكي نلقى ظهور الجامعات في الغرب ٠ ولعلنــ
نكتشف "جامعات" اقدم منها ٠ كما اننا نعتبر جنديسا
وبيوت الحكمة والمعاهد البغدادية ، ثم بيوت الحكمة ودور
في عواصم عربية واسلامية مختلفة ، كليات وجامعات بالمف
الذي يمكن القول بشيء منه في تلك الازمنة السحيقة ، أي
فارق الحجم والاساليب والتفرعــــات٠

يسميها تيودوروس انانيستس (٣) "مدرسة الفرس" ، "الديداسكاليون المسيحي للفرس" ، ويقصد المشرقيين الواقعين عهد ذاك تحت حكم الساسانيين ٠ لكننا نرى وجوب اعادة اصالتها المشرقية اليها ، فان تأسيسها يرجع الى عهد سحيق وقد عرفت الشهرة حين قصدها مار افرام سنة ٣٦٣ وعلم فيها حتى وفاته (سنة ٣٧٣) ، وكان انتعاشها لانه قصدها مع جملة من تلاميذه اثر احتلال الفرس. لنصيبيين (٤) ٠ فهو لم يؤسسها ، انما رفع من شأنها ، كما يقول برحذبشبا الحلواني (٥) ٠ لذا لايصح تسميتها بمدرسة الفرس ، لان افرام وتلاميذه انما لجأوا اليها هربا من الفرس وترجع تسميتها هذه الى الفئة الغربية التي كانت تتحسس من كل ماهو مشرقي ٠

ينقلنا هذا الكلام الى نزعة المدرسة المشرقية التي تأصلت فيها واستمرت طويلا جدا ، وكانت كلما حاول بعض اساتذتها وتلاميذها جرفها نحو الغرب الهلنستي والبيزنطي ، تعود فتحنّ الى اصالتها المشرقية رافضة الغربة والتغريب ٠ ولاننسى ان الرها ثقافيا ابنة ططيانس وبرديصان ومشرقيين اخرين كثيرين ٠ يريد (تعنيم ادي) انه منذ عهد فالوط (تلميذ ادي) جرت محاولة بتر العلاقة مع اليهودية ومع التقليد الشرقي القديم الذي كان سائدا ، ثم ادخل التراث اليوناني بتأثير مدرسة انطاكية وزعيمها لوقيان (٣١٢) تلميذ مكاريوس احد تلاميذ مدرسة الرها ٠ لكننا نرفض ذلك لان مار افرام خاصة لم يكن يوناني النزعة بل كان مشرقيا خاصا ٠ وسوف تتأثر مدرسة الرها ـ نصيبين بالتيارات الفكرية والمذاهب الدينية المختلفة ، وستحاول ان ترجع من حين الى اخر الى كنه الذات لتعميق هويتها مستفيدة من

التأثيرات الدخيلة للعمل على نموها وازدهارها رغم تكون
قد سببّت لها من مشاكل· ولو آمن اساتذتها وتلاميذهـ
بالتعددية يومها لافادوا من التأثيرات اكثر . انما لايحـ
لنا ان نطالبهم بذلك فأناس القرون ٤ـ٧ ليسوا أناس عصـ

يقول برحذبشبا عربايا ان قيورا (٤٣٦/٤٣٧) خلـ
مار افرام في ادارة المدرسة وانه هو الذي ابدل كتابات ا
كنصوص مدرسية بكتب المفسر تيودوروس ، ودفع هـ
القرار على التفكير بالترجمة · انما علينا انتظار هيبا(٧
لكي نلقي ترجمات كتب المفسر (تيودوروس)، بعد ان اصـ
هيبا اسقفا على الرها سنة ٤٣٦ ، ولعله هو نفسه قـ
بترجمة بعض اثار المفسر (٦)، أو وضع برنامجا للعمل و
به آخرون ، فاننا نلقى معنا وكومى وبروبا من أساتذة المدر
يترجمون لارسطو لا سيما كتبه المنطقيـة ، كما يؤكد ع
يشوع الصوباوي (٧)· كما ان معنا الشيرازي ينصرفـ
ترجمت كتب تيودوروس الطرسوسي ، وهو احد اقطـ
الجناح المشرقي (٨) · ولم تسلم مـن ترجمته سوى شذر
مع ان معنا قد اصبح جاثليقا لكنيسة المشرق · اما كتـ
تيودوروس (corpus Theodrii) فقد عرفتها هذه المدرسـ
قبل ربولا ، اي قبـل وفاة مؤلفها سنة ٤٢٨(٩)· وقد وصـ
فعلا مقالة بروبا في الانالوطيقاالاولى (تحليـل القيـاس
لارسطو ، تولى دراستها ونشرها هوناكر سنة ١٩٠٠ ·
وصلتنا ترجمـة العبارة (باربرمينياس) نشرها هوفمـ
سنة ١٨٦٩ ، بينـمـا نشـر البينو ترجمة البرهـ
(ابوديقطيقا) (١٠) · ولنا ترجمتان سريانيتان لايساغوجـ
فرفوريوس ، الاقدم مـن نتاج هذه المدرسة في القرن٤ـ٥(

عل يمكننا القول ان مدرسة الرها اصبحت بذلك جسرا ثقافيا بين الشرق والغرب ؟ اجل ، انما الى حدّ ما ، فان مدرسة الرها ـ نصيبين سيتنازعها دوما حنين عارم الى الاصالة المشرقية • ولكن لا ننسى بان معظم الاساتذة من بعد افرام على الاقل كانوا يتقنون اليونانية ايضا. بل أخذ بعضهم يكتب باليونانية مع ان معظم من بلاد ما بين النهرين ومن شرقي الفرات ، والعديد منهم اصبحوا اساقفة وجثالقة ، وأسس بعضهم المدارس في نواحي المشرق وشيدوا الديارات ، ولانها ملتقى الدولتين الرومانية والفارسية عملت الرها نصيبين على نقل الثقافة اليونانية الى ديار المشرق • وفعلا فان اقدم الترجمات اليونانية الى السريانية رهاوية الاصل أهمها :

١ـ قوانين منسوبة الى اقليميس (اكليمنضص) معروفة بالكتاب الثماني • (Octateuchus)

٢ـ قوانين منسوبة الى الملوك الروم. وهو مايعرف بالكتاب السرياني ـ الروماني •

٣ـ خطب طيطس ـ اسقف بصرى ضد المانويين •

٤ـ تاريخ شهداء فلسطين لاوسابيوس القيصري •

٥ـ التاريخ الكنسي لاوسابيوس كما في مخطوطة ليننغراد من السنة ٤٦٢ •

٦ـ بعض مؤلفات ارسطو لا سيما المنطقية في مخطوطة لندنية من القرن الخامس، وايساغوجي فرفوريوس ، الترجمة القديمة (١٢)

انما تظل اللغة السائدة هي السريانية ، بل ان السري
عرفت تطورها عـن الارامية وذروة اكتمالها وتنوع اسال
الادبية في مدرسة الرها ــ نصيبين بالذات.

النهـج اللاهوتي والعلمي في المدرسـة :

كان التفسير في المقدمة مـن برنامج مدرسة الرهـ
نصيبين • وعلينا ان نفهم التفسير ووظيفة المفسر بالمعنـ
التالي : صون الوديعة ، حفظ الامانة ، وضمان استمرار
التقليد ، ويعني التقليد هنا (مشلمانوثا) أي "التعليـ
ما يسلمه الاباء والجدود الاقدمون الى الاولاد والاحفـ
والتلاميـذ ، وعلى الاخريـن تسليمه الى مـن ياتي بعده
وقد كان"التقليد الارامي" هو السائد ،حتى تمـت ازاح
والاخذ بالتفسير التيودورى خاصة ، فكان تقليـد اسا
المدارس(مشلمانوثا دربّاني دإسكولي).وان جاز لنا اقا
تشبيه ، قلنا : ان المعلّم الاول ، اي المفسّر ، كان يرسم
المدرسة ، وعلى جميـع الاساتذة الاخرين ان ينهجوا عـ
منواله • ومعلوم ان للقيـام بالتفسير لابد من شرح النصو
الكتابيـة • ومـن هنا ضرورة اجراء التحليل اللغوى (ع
النصوص)، وامتحان النص وضبط الترجمة (فهو بالعبـ
أو باليونانيـة اصلا) ، وعقد المقارنات اللازمة والمفيـد
وتخطي هذه المرحلة الى مرحلة النقد الادبي ودراسة تاري
النص ، والسماح اخيـرا للنفس باستنتاجات روحـ
ورمزيـة مفيدة •

لقد كتب الكثير بشأن الاسلوب الذي استخدمته مدر
الرها ــ نصيبين وقيـل بكلمة بسيطة وعابرة انه اسلو

المدرسة الانطاكية • لكننا نميز ثلاث مراحل : تتمثل المرحلة الاولى في ظاهرة افرام ، فهو فريد ومهم ، وهو ليس ارسطوطاليا ـ منطقيا كما كانت مدرسة انطاكية• والثانية مرحلة نرسي وغيره ممن كوّنوا هوية متميزة للمدرسة تختلف عن المدارس الاخرى ، ولانها اتسمت بهذه الخصوصية وليس بسبب اختلاف الرأي والمذهب وحسب ، لاقت المناهضة بل المعارضة الشديدة من قبل مدارس مختلفة النزعة ، واما المرحلة الثالثة فهي سابقة ولاحقة زمنيا ، وتتمثل في برديصان وامثاله ، فهو مشرقي اصيل ولكنه ذو أفكار خاصة • ونأمل أن ينفسح المجال يوما فنوضح هذا الطرح الجديد مكتفين هنا بالقول : ان منهجية مدرسة الرها ـ نصيبين قريبة الى الانطاكية ، بعيدة عن الاسكندرية ، ذات خصوصية متميزة ، وان بعدها عن المنهجية الاسكندرانية جعلها تصطدم بهجمات عنيفة شنت عليها لم تعرف ان تصمد بوجهها بالحكمة والفطنة المفيدتين في حالات مثل هذه • ولعل شيئا من من "غرور العلم" دفع اساتذة الرها وتلاميذها الى تفضيل الانفصال على محاولات التوفيق•

ونعود الى القول ان (التفسير) كان هو المعيار الاساس في المدارس المسيحية القديمة ، كتواصل ثقافي للتقليد الرابيني من جهة ، وقد كان الناطقون بالسريانية مطلعين بما فيه الكفاية على التقليد اليهودي ، وكمحاكاة لتقليد المدارس اليونانية فيما بعد واتخاذ (الشروح) اساسا للتعليم (١٣) •

وبينما كان الاتجاه روحيا في مدرسة الاسكندرية ، والتركيز على التشابيه الرمزية في التفسير ، بمعنى ان المسيح موجود في كل صفحة من صفحات الكتاب المقدس ، والتأثير

بالافلاطونيـة والافلاطونيـة المحدثة كبير ، كانـت المدا
المشرقيـة ، انطاكيـة ، والرها ـ نصيبيـن،تميـل الـ
النص وتقبل الرمزيـة بفطنة ، وتؤكد على الغاية الدينيـ
هدفا اخيرا كالمدرسة الاسكندريـة ، رافضة العلـوم البحـ
لان العلم حسب هذه المدارس يجب ان يكون في خدمة الـ
وهذه عقلية ستظل قائمـة زمنا طويلا جدا ، بل ماتزال اثا
باقيـة هنا وهناك حتى يومنا هذا • ولعلنا نضيف بـ
المدرسة الاسكندرانيـة كانت تشدد على اللاهوت المسيحـ
بينما كان اللاهوت الانطاكي والرهاوي والنصيبيني أعـ
بمعنى انه يحتضـن كل الجوانب والابعاد • وهنا ايضا لا
لنا مـن تحاشي التعميمات السريعة ، فان الحديث عن المدار
لا يعني اننا نقر بوجوب شمول كل العلماء الذيـن نبغـوا
احدى هذه المدارس بضرورة تبني خط مدرسته التقليدي
فيعقوب السروجي مثلا وهو رهاوي المدرسة ، تبنـى الخـ
الاسكندراني الذي تغلغل في مدرسة الرها ـنصيبين منـ
عهد ربولا ، ويعقوب الرهاوي سيلقى مقاومة من الرهبـ
السريان بسبب انحيازه لليونانيـة • ومعلوم بان مركـ
الثقل في الجدالات المدرسيـة يومذاك كان اللاهوت بالدر
الاولى ، ولتعارض المنطلقات والمفاهيم والابعاد بين وجهـ
النظر والمنهجية والاساليب بين الاسكندرانيين والانطاكيين
الرهاويين ، كان لا بد مـن احتكاك ، وصدام ، وتباعد ،بـ
تباغض • ولانغالي ان قلنا ان هذا التعارض كان يدفع بهؤ
واولئك الى اتخاذ مواقف مشـددة لتبـيان الاختلافـ
فالاسكندرانيون ، كرد فعل ضد التيودوريين ، لم يعـود
يقيمون وزنا كبيرا للعقلانيـة ، مكتفين بالاعتراف بالمسيـ
مصلوبا ، ويحاول بعضهم التوفيق ، كيعقوب السروجي

يقتفي آثار افرام وقورلس ، انما يبتعد عـن ديودورس وتيودوروس ، فيقف ضد نسطور ظانا ان الاخير لا يضمن وحدة الكلمة المتانس بالقدر الكافيء والمؤسف ان الاختلافات تبان في الخلاف اكثر مما هي عليه اساسا ، وهو ما حصل بين المدرستين ، لا سيما اذ تداخلت قضايا شخصية عنصرية سياسية بين الاسكندرية والقسطنطينية ، راحت الرها ونصيبين وانطاكية وغيرها ضحيتها ، وتكرست في مجمعي افسس وخلقيدونية • بينما لو رجعنا الى كتابات مشاهير المدرستين ، لما رأينا تناقضا جوهريا في العقيدة واللاهوت كماظن القدامى في حينه ، بل لامكننا ايجاد نقاط عديدة التلاقي رغم اختلاف الطرق والوسائط • فالانطاكيون ـ الرهاويون ايضا يؤكدون على الوحدة في المسيح ، وافرام ايضا يتحدث عن موت الاله من اجل خلاص البشر ، والاسكندرانيون ايضا يقيمون وزنا للعقلانية ، وكلتا المدرستان تأخذان بالرمزية في التفسير ولو بوضوح أقل أو أكثر(١٤) • ولا ننسى بان الخط الفكري لم يظل جامدا ، ولم يستمر هو عينه خلال قرون ، أو لدى جميع الاساتذة والمؤلفين •

ونختم هذا التحليل بملاحظة الاب ده هاليه الصائبة ، فان الشقاق حسبه دخل كنائس (ومدارس) الناطقين بالسريانية حين تخلوّا عن التقليد الافرامي ، وارتضوا ان تسحرهم تعاليم المدرسة اللاهوتية الجديدة ، كلاهوت تيودوروس المصيصي وقورلس الاسكندري ، حتى انهم حرموا بعضهم بعضا وتباعدوا وتباغضوا(١٥)• وهذه قناعتنا اذ يتخلى المرء عن اصالته وخصوصيته ، يصبح فريسة التغرب والضياع فيرتكب أخطاء جسيمة •

يقول عبد يشوع الصوباوي(+١٣١٨):ان الدراسة كان
مدة ثلاث سنوات ٠ تؤكد قوانين المدرسة بان الطلبة خلا
ينقطعـون الى الدواسة كليا ، بحيـث يتركون بيوتهـ
واماكنهم ويعيشون في المدرسة نفسها ، فهي مدرسة داخل
ايضا ٠ ولا يحق لهم اثناء مدة الدراسة العمل أو التجارة ، و
الارتباط العائلي ان كانوا مـن المتزوجين ٠ وللصـلاة د
كبير في حياتهم بحيـث ان مـن لا يحضر المراسيم الدينيـ
والصلوات يوبخ امام الجميـع(١٦)٠ كان الطلبة يقـرأو
في السنة الاولى مـن أسفار الكتاب المقدس المسماة(بيـ
موتبي = المجالس)، والمقصود بها اسفار يشوع بـن نـو
والقضاة وصموئيـل والملوك والامثال والجامعة وراعـو
ونشيد الانشاد وايوب ، اضافة الى رسائل الرسول بول
وأسفار التوراة الخمسة (التكويـن ، الخروج ، العـ
اللاويون ، تثنية الاشتراع) ٠ كما كانوا يتعلمون الهجـ
والقراءة والالحان تشييع الموتى ، والكتابة عـلى اللوح
وتخصص السنة الثانيـة لاسفار المجالس الاخرى:المزام
كتب الانبيـاء ، والقراءة والكتابة على اللوح وتراتيل القدا
وفقا للسنة الطقسيـة (والمقصود مدائح او عونياثا دقنك
ودرازي) ٠ وتشتمل مواد السنة الثالثة على القسم المتب
مـن أسفار الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، وترات
البيـم (وهذا يعني بان كلا مـن عونياثا البيم لها لحن خا
وليست كلها بلحـن واحد) ٠ وتدخل ضمـن هـذه الدرا
مواد النحو ، والصرف والخط ٠ أما قراءة المزامـير وتعل
غيبا فأول ما يبدأ به الطالب وفقا للطريقة المدرسية الخاص

واتبعت المدرسة في عهد مار افرام الطريقة اليونانية السباعية في التدريس ، فكان على طلبتها تعلم القواعد ، والخطابة ، والجدل ، والموسيقى ، والالحان ، والهندسة ، والحساب أي الرياضيات ، والفلك لاحتساب التقويم والاعياد والاصوام ، ولم يكن التاريخ منسيا ، وكذلك كتب التصوف الروحي وسير القديسين ، واعمال الشهداء وكتابات الاباء. كما اصبح للمنطق والفلسفة اهمية بعد حصول التأثر الهلسنتي ، عقيب ترجمات تيودوروس وكتابات يعقوب السروجي الذى تأثر بفيلون الاسكندري وتيوفيل الانطاكي والقبادوقيين ، وللاخيرين تأثير كبير على الناطقين بالسريانية(١٧) . وعلينا ان نشخص من اسباب ازدهار المدرسة كما من اسباب ضعفها وتدهورها ايضا ، عدا ما ذكرناه من خلافات مذهبية ، تدخل الاساقفة في شؤونها بشكل مباشر ، فهي مدرسة قائمة بذاتها على ما نعتقد ، انما تابعة بشكل "رسمي" الى الرئاسة الكنسية. مهما يكن من امر فان تدخل الاساقفة في شؤونها كان واضحا(١٨) .

هكذا كانت المدرسة تنير الشرق باسره على حد تعبير التيودوريين ، بينما اعتبرها القورلسيون علة فساد(١٢٧) . اما يعقوب السروجي فيصف مدرسة الاسكندرية بابنة النور ، اذ يمتدح مدرسة(الرها) بشكل عام يقول صراحة ان التعاليم التيودورية التي درسها فيها كانت كسم الحية القديمة (١٩) .

ويمكننا اعتبار مرسوم التوفيق (Henotikon) الذى اصدره الامبراطور زينون سنة ٤٨٢ حدا فاصلا بين الخطين

المشرقي والمغربي، النيودوري النسطوري من جهة والمونوفيزي الارثوذكسي من الجهة الثانية ، مع احتساب الخلقيدوني الى جانب الاول ، والقورلسي الى الثاني .فانفصل بذلك الشرق عن الغرب ، وكان مركز المشرقيين الرها لذا كان لا بد من تعطيل عمل مدرستها • فأمر امبراطو الغرب بغلق المدرسة ، واستجاب الى طلبه بفرح(٢٠) قيور اسقف المدينة • والسروجي ، رغم اعتزازه بالرها، وتبعـ مدينته سروج ٤٠ كم عنها ، نراه يعتبر اغلاق المدرسة : نفض الغبار عن وجه الرها • ويفيدنا شمعون الارشمي بـأ كنيسة بنيت مكان المدرسة ، وحملت الكنيسة لقـ (ام الله أي تيوتوكس)، فانتصر بذلك القورلسيون والخط المغربي •

وبينما اظلمت الرها شعت نصيبين • لكننا قد اجتز الاحداث بسرعة فلنعد الى الوراء قليلا •

نصيبين :

تقع نصيبين ، وبالسريانية (صوبا ، نصيبين) الـ الشرق من الرها ، فهي أكثر مشرقية منها ، وهي المدين الحدودية بالدرجة الاولى • وبحكم موقعها هذا كحد فاصـ بين المملكتين الرومانية والفارسية قديما • والعراق وترك وسوريا حاليا ، اتخذت اهمية متميزة ، كما انها كانـ عرضة للمناوشات والحروب الفارسية والرومانية • ينسـ تأسيسها ايضا الى نمرود الجبار (٢١) ، وقيل أنها أكد وهي كالرها محطة قوافل ومركز تجارى مرموق وبقعـ زراعية خصبة ، واسمها يشهد عليها ، فهي من نصب ، زر وجاء : لاجل مافيها من البساتين • كانت عاصمة لمملكة وطنـ

حتى جدها سلوقس الاول نيقاطـور (٣٥٥ـ٢٨٠ ق‌م) . ودعاها انطاكيـة مقدونيـة (Antiochia Myglonia) (٢٢). وتنازع عليها الرومان ، حتى اصبحت بأيدي الرومان منـذ سنة ٢٩٧ ، فجعلها ديوقلسيانس (٢٨٤ـ٣٠٥) قلعةالشـرق الحصينة ومقراً لقائدبلاد ما بين النهريـن. (Dux Mesopotamiae)

المسيحية قديمة في نصيبين وأهم شاهد قديـم حجـر ابرسيوس المنقوش نحوسنة ٢٠٠ ،كما رأينا في باب البدايات. وقصة المسيحيـة فيها مرتبطة بقصة توما وأدي وأجي (احي) وماري . وقد كان فيها كنيسة كبيرة على اسـم فبرونيا . وهذه شهيدة مـن المنطقة نسجت حولها قصة طريفة نشرها بيجان في سير الشهداء والقديسيين (ج ٥، ص ٥٧٣ـ٦١٥) ونقلها الى العربيـة ادي شير (شهداء المشرق ج١، ص ١١٢ـ ١٤٢) ، ثم تحولت كنيسة الشهيدة فبرونيا الى جامع باسم زيـن العابديـن(٢٣). ولم يتح الحظ لنصيبين ان تشتهر في القرون الثلاثة الاولى للميلاد كمااشتهرت الرها، لانها لم تكـن مملكة . وتأخر أمر اشتهارها ككيان مسيحي متميز ، اذ علينا ان ننتظر يعقوب النصيبيني لكي تتخذ نصيبين مكانة مرموقة بالمعنى المذكور ، فهوذا افرام يسمي يعقـــوب ابا لنصيبين ، وهو الذي حسبه أنجبها وارضعها حليب الطفولة وحملها في احضانه كابنة عزيزة (الاناشيدالنصيبينية١٤) . ويؤكد ايليا برشينايا في تاريخه ان يعقوب بنى كنيستهــا الكبرى واستغرق بناؤها سبع سنوات(٢٤) . واليه يعزى تأسيس مدرستها وانقاذها مـن حصار الفرس سنة ٣٣٨ . ومنذ القرون الاولى غدت نصيبين ابرشيـــة كبـــرى (مطرافوليطيـة) مـن ابرشيات كنيسة المشرق ، واستمرت حتى العصور المتأخرة . يعقوب وبابو وولغش وابراهيم من

الاساقفة الذين عرفهم مار افرام· وهوشع يوقع باسمها
مجمع اسحق سنة ٤١٠ · وثمة اسم يتبادر فورا الى الذه
هو برصوما ، وتاريخ يخطر على البال عفوا هو ٤٨٥/٦
انما نصيبين اكثر بكثير من ذلك فهي مدينة عظيمـ
وأبرشية مهمة ، ومدرسة كبرى · ولاننا نود البقاء في جـ
الرها ـ نصيبين ، نركز على ظاهرتها الثقافية بالدرج
الاولى ،ولانبالغ ان قلنا ان اهمية نصيبين الثقافية تفـ
أي اعتبار اخر · فافرام ونرسي معلمان كبيران ، وليسـ
اسقفين ، والاساتذة والتلاميذ الذين قاموا في مدرسـ
نصيبين منذ اواخر القرن الخامس فما بعده ، من كبـ
أدباء السريانية وعظماء الاشخاص الذين تبأووا أعلـ
المناصب في كنيسة المشرق · نكتفي بذكر اشهرهم د
التطرق اليهم بالتفصيل وهم من تلاميذ نصيبين واساقفتـ
ايليا برشينايا ، عبد يشوع الصوباوي ، يشوعياب بـ
ملكون،والجثالقة سرجيس عبد يشوع العريض ، ايليا
حليم ، يهبالاها الثاني ، مكيخا الثاني ، فقد كانوا اساقـ
على نصيبين قبل ان يصبحوا جثالقة ـ بطاركة(٢٥)
ولا يمكننا هنا ايضا ان نفصل بين الابرشية والمدرسة ،
دور اساقفة نصيبين كان مؤثرا جدا في مسيرة المدرسة

مدرسة نصيبين :

تحدثنا فيما فيه الكفاية عن مار افرام الذي خـ
يعقوب النصيبيني في التعليم وادار المدرسة حتى هجرتـ
الى الرها عام ٣٦٣ على الاكثر · وكانت نصيبين قـ
عرفت دمارا وخرابا شديدين في اطرافها سنة ٣٥٩، بـ
ان الارياف خلت من تسعين بالمائة من سكانها (الاناشـ

النصيبينية ٤ و ٦) ٠ وحاول الامبراطور يوليانس الجاحد ان يقضي على المسيحية في نصيبين كما في المناطق الاخرى ، وان يرفع فيها عبادة الاصنام ،لكنه باء بالفشل، واضطر خلفه جوفيان الى التنازل عن مدينة الحدود (نصيبين) لقاء عقد السلام مع سابور الثاني سنة ٣٦٣ ٠ ودام هذا السلام بين المملكتين ثلاثين سنة ، أنما على حساب اهالي نصيبين الذين غادروها الى الاراضي الخاضعة للروم ، ولا سيما الى امد (ديار بكر) ، كما الى الرها ، بينما اسكن سابور اثني عشر الف فارس من اصطخر واصفهان وغيرهما في نصيبين(٢٦) ٠ ولا يحق ان نفهم هجرة اهالي نصيبين الا بمعنى تفضيل مملكة مسيحية على وثنية ، لاتخلصا من الشرق ٠ فالاكثرية يختارون آمد والرها ، وكلتاهما مدينتان مشرقيتان أصيلتان ، وسوف يحن افرام الى مدينة (نصيبين) فيقدم لها المعونة ابان مجاعة سنة ٣٧٢ ٠ الا ان نصيبين عرفت تحولا جذريا بسببهذا التحول السكاني والدم الجديد الذي اخذ يسري في عروقها مما أثر علىمسيرتها الثقافية اللاحقة ٠

ونأتي الى هجرة الادمغة الرهاوية بمعنى الدرس والعلم لا الانتماء والاصل ، الى نصيبين في عهد برصوما (نحوسنة ٤٥٠-٤٩٠) ٠ وهنا تتضارب الاراء ٠ فقد تكرست القطيعة بين انصار ديودوروس وتيودوروس ونسطور من جهة ، وبين اتباع قورلس الاسكندرى من الناحية الاخرى ٠فنحن في أيام تلت مجمعي أفسس وخلقيدونية ، والخلافات على اشدها ٠ وتجدر الملاحظة الى ان برصوما ابتدا حياته في نصيبين مفسرا (٢٧) ، وهو تلميذ مدرسة الرها ، فلا عجب ان احتضن استاذ العلم يومذاك نرسي الملفان واساتذة

وتلاميـذ الرها سنة ٤٧١ و ٤٨٩(٢٨) ، وقيـل منـذ سنة
٤٥٧ . ومما لا شك فيـه ان مدرسة نصيبين عرفت تجـدد
ماحوظا بفضل ذلك بل ان طفرة المدرسة نحو الافضل بنـو
مذهل ، جعل نصيبين تغدو "أم المدن" و «ام العلوم» (٢٩)
وتمكـن برصوما من اقناع نرسي بترك الدير الواقع شرق
المدينة ، حيـث استقر بادىء الامر ، كما كان قد فعل افر
حين غادر نصيبين الى الرها ،وجاء به الى المدرسة التـ
شيدهـا خصيـصا له قرب الكنيسـة في مربط الابل(٣٠)
ولكـن قبل ان نغوص في احداث هجرة نرسي وانصاره الـ
نصيبين وتشخيص اسباب هذه الهجرة وابعادها ، نعود ال
الوراء قليلا لاكمال مسيرتنا مع الرها وصولا الـى زمـ
الازمنة الكبيرة ، مؤكدين هكذا وحدة المدرسة الـرهـا
نصيبيـين .

ربولا اسـقف الـرهـا :

ولد في قنسرين قرب حلب من اب وثني وام مسيحية . زه
في أملاكه وذويه وصار ناسكا . عاش حياة تقشف صارمة
حتى تم اختياره اسقفا على الرها سنة ٤١١/٤١٢ . وكـا
منقطعـا الى الصلاة والتأمل والصوم وحياة الزهد . وطال
كهنته والعاملين في الكنيسة بالصلاة وشظف العيش . وبد
ان يبني كنيسة جديدة كاسلافه ، شيّد دورا للمرضـ
والمعوزيـن مـن ذكور واناث ، وشرع قوانين تلزم الرهبا
ورجال الاقليروس بحيـاة فيـها من الصرامة . فهو يقول
لا ينبغي ان يدخل الرهبان القرى والمدن، بل عليهم ان يلازم
اديرتهم، انما المدبّر وحده يطوف البيوت لجمع الصدقات

ولا يحق له المبيت لدى أهل العالم • ولايعمل الرهبان على جمع الناس في الديارات ، وليجتنبوا معاشرة النساء• لا يقوم الدير بالمتاجرة • وكل ما يمتلكه الاخوة ملك للجميع •ولايكن في الدير غير كتب الايمان(٣١) • وشن ربولا حملة عنيفة على المبتدعين • وقد سمعنا كيف انه يوصي بكتب الايمان وحدها ، الامر الذى يدل على نزعته الدينية المتشددة، هكذا ايضا كان موقفه من اختلاف الاراء واصحاب البدع ، حتى انه أرغم نبلاء الرها من المنساقين في تيارات الديصانية والاريوسية والمرقيونية والمانوية ، على طلب العماد من جديد للسماح لهم بالدخول في جسم الجماعة المؤمنة ايمانا قويما ، وهو رأي يبتعد عن تقليد المشرقيين ، بينما ينسجم مع رأي الاسكندرانيين والافارقة • فان قضية تعميد (الساقطين) العائدين ممن كانوا قد ارتدوا عن الايمان بالمسيح ابان الاضطهاد بسبب الخوف ، معروفة في تاريخ الكنيسة ، وقد سبب خلافات بل صدامات عنيفة بين اقطاب المسيحية ، وما تزال كنائس قليلة تقول بوجوب التعميد من جديد ، بينما تعتبر معظم الكنائس العماد صحيحا ايا كانت الجهة المصدر • ومضى ربولا ابعد من ذلك فضم عشرات الالوف من الوثنيين الى المسيحية وبعض اليهود مستخدما اساليب التشويق والاكراه ، اذ حول مجمعا يهوديا الى كنيسة دعاها باسم الشهيد اسطيفان ، وهدم أربعة هياكل وثنية • فكان من الطبيعي ان تثير اعمالا كهذه حفيظة الكثيرين ، حتى قامت بدعة جمعت بين آراء برديصان واقوال من سموا بـ (عودايي) ما عتمت ان لاقت رواجا في بلاد ما بين النهرين وفلسطين وديار العرب حتى بلغت السكتيين والغوط • وانتشرت بدعت المصلين (مصلياني)

رسميـا بفضل اديلفس الرهاوي ، الذى تنسك في مصـ
وسيناء وعاد الى الرها فانشأ طريقة جذبت اليـه العديدي
وكانت حياته حيـاة صلاة وزهد وتوحّد ، وقال بقوة الص
العجيبة ،بها يتمكـن المرء مـن قهر كل الخطايا بحيث لا يع
يخشاها ، ولا يحتاج بعد الى القيـام باى عمل اخر ، وحتـ
الامانة ذاتها تغدو بدون جدوى • وسوف تعرف بدعـ
المصلين انتشارا عجيبا ، وتضطر مجامع كنسية رسميـ
عديدة، ولا سيما في كنيسة المشرق الى تحريمها • ومن جم
اتباعها آسونا الراهب الذي ورد ذكره وكانت قصائده تتر
على الافواه وظل الناس يتوارثونها مدة قرنين تقريبا •

ولم يكتفـ ربولا بهذه الصرامة والتشديدات ، بـل خـ
الرهبان ما بين حياة صارمة او مغادرة مقاطعة اوسرهوني
ولـم يفطـن بان الزمـن قد تغير وان ايامه ليست ايـام م
أفرام ، ولا بد مـن السماح لرياح جديدة لكي تهب في كنيس
ايضا ، اذ لم يعد بوسعه ان يوصد كل المنافذ ، فالاراء قـ
تعددت وليس في الامكان توحيـد الراي قسراً.وكانت تعال
ديودوروس وتيودوروس ونسطور قد انتشرت ، وكان عـ
ربولا ان يختار بين مجاراة هذا التيار العنيفـ ، او الانحيـ
الى المدرسة الاسكندرانية ، وعلى رأسها قورلس، فتعاط
ربولا في باديء الامر مع الخط النسطوري ، ثم عارضه ، ح
انه ترجم بعض كتب قورلس مـن اليونانية الى السريانيا
بعد انْ تصالح مع اسقفـ (بطريرك) الاسكندرية وتمـاد
ربولا فعقد مجمعا في الرها سنة ٤٣١ حرق فيـه كتـ
تيودوروس ، وتصالح مع بطريرك انطاكيـة يوحنا سن
٤٣٢ ، فتمكـن مـن طرد هيبا معلم مدرسة الرها • واستـ
في تعزيز المذهب المونوفيزي حتى وفاته سنة ٤٣٥/٤٣٦ •

ويصعب الحكم على آرائه اللاهوتيـة فان اصحاب مذهب الطبيعتين (الديوفيزيتي) يعدّونه ضدهم ،حتى قـال هيـبا ان ربولا زاغ عـن تعاليـم الحق ، وذلك في رسالته الى ماري اسقف ريواردا شير (٣٢) ٠ ويشرح هيبا الامر ذاكرا انقسام الرها الى جماعة الاسقف والى جماعة اخرى ضده ٠ وتفيدنا الرسالة المذكورة بان كتابين فقط مـن كتـب المفسـر تيودوروس العديدة سلما من الحرق هما : شرح الاناجيـل وشرح الجامعة (قوهلت) (٣٣)٠ وتعتبر الرسالة ترجمة ربولا لكتاب قورلس اساسا لبداية الادب واللاهوت المونوفيـزي في المشرق(٣٤)٠ ومعذلك فان اصحاب الطبيعـة الواحدة (المونوفيزية) حملوا هم ايضا على ربولا ٠ مما لا ريب فيـه ان ربولا كان يتمتع بشخصية اداريـة وفكرية ، انمـا وقف ضد زملائه واصدقائه مـن جماعة مدرسة الرها ابان انعقاد مجمع أفسس (٢٢ حزيران ٤٣١) ، مؤشرا بذلك مرحلـة حاسمة في تاريـخ المسيحيـة في الشرق ٠ وهو الذي قلل من استعمال دياطسرون ططيانس بالاكثار من استعمال نصوص الانجيـل الاربعة المعروفة ، ولما مات ربولا ، خلفه هيبا ٠

هيبـا المعلـم والاسقف

او يهيبا او ايبا Hibas ، خلف ربولا على الكرسي الاسقفي(٣٦) كما خلف دمغوس عمه يوحنا الانطاكي على كرسي انطاكية ، وخلف ديوسقوروس قورلس على الاسكندرية ٠ وبـدأ برصوما تحركاته في سوريا وما بين النهريـن وفلسطـين وفينيقيا وجزيرة العرب البتراء وسيناء وبلاد قلوذيا واسوريا- اشور (٣٧) ٠

حاول هيبا ان يوازن بـين الميـل الى هذا الجناح او ا
الجناح الثاني ، لكنه كان ميالا اكثر الى جناح المشرقيـ
التيودوريين ـ النساطرة ، ولا عجب فهيبا أحد اركان مدرس
الرها قبل ان يغدو مطرانا على المدينة ، وهو احد الثلاثـ
الذيـن ترجموا مؤلفات ديودوروس وتيودوروس مـ
اليونانيـة الى السريانيـة ، وكان معجبا بالمفسر وكتاباته
فكرهه المغاربة • بل ان ربولا إبّان انحيازه الى القورلسيين
طرده مـن الرها سنة ٤٣٣ ، وان رسالته الى ماري الاسقف
طبعت فكره بالتبعيـة النسطورية او التيودورية ، كما يطيب
للباحثين المحدثين ان يصححوا الامور . فرفعت الشكوى ضد
في مجمـع أفسس سنة ٤٤٩ (وهو المجمـع المسمى باللصوص
(Latrocinium) مـن قبل الرها وبعض تلاميـذ مدرسة الره
فحرم هيبا ، وتم عزله ، وخلفه نونا على كرسي الرها ، واتهم
خصومه في المجمـع المذكور بحبه للمال والسيمونية وتفضيل
ذويه في المناصب والخدمات • وكان هيبا قد سبق فحـر
الكهنة معارضيه ، فرفعت القضيـة الى البطريك الانطاكـ
سنة ٤٤٨ ، ولم يـرَ هذا بان المطران (هيبا) قد تجاوز حدو
صلاحيته ، فلجأ الطرف المناوىء الى القوةالمدنية ،فامتحن
قضيته لجنة امبراطورية قانونية في صور وبيروت ، ومـر
ثانية برأت ساحته ، لكـن اللجنة اوصته بمعاملة رعـايـ
معاملة طيبة ، غير انه اذ عاد الى الرها سنة ٤٤٩ لقى هياجـ
شعبيا ضده ، فقد تشققت المسيحية الرهاوية ، فغادر المدين
وطالب خصومه بسجنه. فعمل الوالي على عقد المجمع اللصوص
(سنة ٤٤٩) وفيـه حرم هيبا غيابيا ، وحرم معه فـلافيـوس
بطريرك القسطنطينية ، ودمنوسـ بطريـررك انطاكيـة

وتيودوريطس القورشي ،وايريناوس الصوري ، واوسابيوس الدوريليمي ، ودانيال الحراني ، وسوفرنيوس التلي • الا ان مجمع خلقيدونيـة المسكوني سنة ٤٥١ الغى هذا القرار وردّ اعتبار هيبا ورفاقه ، واوضح دقائق الامور فيما يخص الاعتقاد بالطبيعتين والوحدة في المسيـح •وعاد هيبا الى الرها حتى وفاتـــه •

مـن الرها الى نصيبيـــين

كنت على وشك ان اضع عنوانا لهذه الفقرة (غلـق مدرسة الرها) ثم ابدلت العنوان ليقيني بان مدرسة الرها ـ نصيبيين مدرســة واحــدة •

وقد لاحظ القارىء المتتبع كيـف ان مدرسة الرها غدت مسرح احداث مشوشة ومؤلـمة كان لا بد ان تؤثـر عليهــا سلبا • انما يختلف الباحثون في تحديد سنة غلق مدرسـة الرها ، او بالاحرى في سنة هجرة الاساتذة والتلاميذ من مدرسة الرها الى نصيبيين وعلى راسهم نرسي الملفـان • فالعلمـاء مارتـن ، رايت ، نولدكه ، ساخـو ، لابور ، بروكلمـن نيلتز ، هونيغمـن يقولون ان الامر تم سنة ٤٨٩ • بينما قال منكنا ، ريومشترك،وبارد نهيغر ، وهرمان ، وهيس،وتيسران ولكليرك ، وباردي ،واورتيزدي اوربينا ، وشبولر انــه كان سنة ٤٥٧ • وقد تردد في اعطاء حكم قاطع كل مـن دفـال ، شابو ، أدي شير وغيرهـم ، وسبب ذلك ؟

يفهم من (علّة تأسيس المدارس) لبرحذبشبا ، كما مـن (تاريخ اربيـل) طبعة منكنا ثم كافيراو : ان الهجرة قـد تمت في عهد هيبـا • وقد راينا بان وفاة هيبا كانت سنــة

٤٥٧ • بينما يفهم من رسالة شمعون الارشمي انها حدث
بعد نونا ، اي في عهد قيورا اي مابين سنة ٤٧١ و ٤٨٩
ونحن مع فوبس الذي يرجح الرأي الاخير(٣٩). لنمتح
النصوص وفقا للاحداث كما يمكن تركيبها •

خلف نونا هيبا على كرسي الرها ، وقد كان م
القورلسيين ، انما باتزان • اذ لاننسى بان مدرسة الرها كان
ما تزال مشرقية • ونحن ان اخذنا برأي الباحثين الذي
يجعلون نرسي مديرا لمدرسة الرها منذ سنة ٤٣٧ (٤٠)
وجب علينا القول بسيادة الخط التيودوري - النسطور
في المدرسة الرهاوية حتى ايام ميل اساقفة الرها الى الخ
القورلسي • لكننا نتمسك بالرأي القائل بهجرة اسات
وطلبة الرها الى نصيبين بعد سنة ٤٧١ اي سنة تنصيب
قيورا اسقفا ،لان نرسي كان يدير مدرسة الرها منذ اي
هيبا ، ولان نونا الاسقف لم يكن متزمتا ، فعلينا ان ننتظ
خلفه الذي، على حد قول رسالة لنرسي سلم منها جزء بسي
كان قد حركه الشيطان ، فاندفع الى مناهضة هذا المفس
(نرسي) ، لانه يتبع فكر تيودوروس ونسطور • وجاء ف
الرسالة ان نرسي لو لم ينج بنفسه ليلا لكانوا القوا به ال
النار ، لذا هرب وحده(٤١) • فنقول : لقد كان الهروب الخ
الانفرادي نحو سنة ٤٧١ . اما الجماعي المؤدي ال
تجميد المدرسة ، ولجوء اساتذة وطلبة عديدين الى نصيب
فقد حصل نحو سنة ٤٨٩ • ويقول (التاريخ السعردي) ا
نرسي " هرب الى نصيبين ، ووجد هناك اسكولا صغيرا ك
شمعون الجرمقاني نصبه ، فاقام فيه واعتنى به برصوم
المطران واعانه على امره "(٤٢) • وقد جاء ان نرسي سكن
البداية ديرا حتى اقنعه برصوما بادارة مدرسة انشأه

خصيصا لهذا الغرض • فهل كانت ثمـة مدرسة صغيرة قرب الدير الذي سكنه شرقي المدينة ، هي التي أسسها شمعـون الجرمقي وقضى نرسي فيهاسنوات حتى تأزمت الامور اكثر في مدرسة الرها ، فغادرها الاساتذة والطلبة الاخرون الى المعلـم الاكبر نرسي ، فاهتـم برصوما بهم وشيد مدرسة جديدة في قلب المدينة مالبثتان غدت كليـة بل جامعة مرموقة تخرج منها علماء وشخصيات كبار ؟ مهما يكن فان برحذبشبا الحلواني يؤكد في (علة تأسيس المدارس) ان برصوما هـو الذي أجهد النفس لكي يؤسس المدرسة (٤٣) • ويضيـف برحذبشا عربايا في تاريخه ان شهرة نرسي جذبت معلمين وتلاميذ كثيريـن ، فقدموا اليها مـن كل مكان حتى من الرها واربيـل واماكـن عديدة اخرى(٤٤)•

نرسي الملفـــان

شاعر نوهدري ، مولود في دلب (عين دلبا) في مقاطعـة معلثايا القديمة (مالطة) في نوهدرا (دهوك وزاخو)(٤٥) نحو سنة ٣٩٩ ، في فترة كانت المزدكيـة تحاول استعادة قوتها ونفوذها فشددت الخناق على المسيحية فكانت اضطهادات في السنوات الاخيرة مـن حكم يزدجرد الاول (٣٩٩ـ٤٢٠) وفيما بعد ، تخللتها فترات سلام • انصرف الى العلم منـذ صغره وفقد والديه وهو مايزال يافعا • فتبناه عمـه عمانوئيـل ، رئيـس دير كفر ماري في بازبدى ، وهذا احد تلاميذ مدرسـة الرها ومؤسس مدرسة في الدير المذكور ، وسوف يصبـح اسقفا على امد (٤٦) ، فيسحب نرسي مـن الرها الى الديـر لكي يترأسه ويدير المدرسة • وكان مـن الطبيعي ان يمضـي نرسي ايضا الى الرها لكي يتبحر في المعرفة وعلومها فالرها

قبلة انظار محبي العلم ، قضى نرسي فيها عشر سنوات وبلـ
درجة رفيعـة من العلم جعلته يتبوأ كرسي التعليـم فيهـ
وسرعان ما اخذ عدد المعجبين بفكره واسلوبه يزداد يوما بعـ
يوم . فتقاطر الكثيرون الى الرها وأربى عدد طلاب العلم فـ
مدرستها على الثلاثمائة ، لذا نراه اذ يضطر الى مغادرتهـ
الى دير ومدرسة كفر ماري ، تلبيـة لرغبة عمه، سرعـان مـ
يضطر الى العودة الى الرها بعد سنة واحدة ملبيا نـــد
مسؤوليـة أعظم ·

لا تتفق المصادر في تثبيـت السنوات التي قضاها نرسـ
معلما في مدرسة الرها ومديرا لها ، فلا نستطيـع بالتالـ
تشخيص مـن ادار المدرسة وعلم فيها خلال سنوات عديدة
فهل اشتهر امر نرسي منذ ايام كان ربولا مديرا للمدرسـة
فاحتسبت الرئاسة له وهو ما يزال معلما ؟ أم علينا ان ننظـ
رسامة ربولا اسقفا على الرها ، وخلافة قيورا عـلى ادار
المدرسة،لكي نتحدث عـن نرسي استاذا (ملفان) لـه وزنـ
الكبير ، كما يريد برحذبشبيا الحلواني في(علـة تأسيـس
المدارس)(٤٧) ؟ · يصعب الجزم في الامر ، لان ادارة المدرسـ
كانت تعهد الى شخص يعاونه اساتذة واشخاص عديدون
وقد تغلب شهرة احد الاساتذة بحيـث تحجـب الاخريـن
لا سيما بعـد ان يتمكـن هذا مـن تقلّد منصب الادارة
فتأتي المصادر وهي متأخرة نوعا ما عـن آنيـة الاحداث لتدو
الوقائع بنور الحالة الاخيرة ، كما هي الحال بشأن نرسي
فان شهرته حجبت مـن سبقه في الادارة فاحتسبت له منـ
سنة ٤٣٧(٤٨)، بينما يبدو انه لم يترأس المدرسة قبل سنـ
٤٥١ (٤٩) ·

مهما يكن من امر ، فان نرسي يمثل مرحلة مهمة ومكتملة الجوانب من عمر مدرسة ذات شأن كبير ، بحيث يمكننا القول ان عهده يطبع مدرسة الرها بطابع متميز سواء بسبب مقدرته الادارية وكفاءته العلمية ، وسواء لان ايامه أشرّت تحوّلا جذريا ، بل انتقالا للمدرسة من الرها الى نصيبين • وهو الذي شرع قوانين المدرسة ، منها نعرف الكثير عن منهجيتها ونظامها ، وضمن استمرار المدرسة التي تهدد كيانها عهد ذاك بالانهيار • ونظرا لمنزلته وقيمة عمله ، اقترنت المدرسة باسمه الشخصي ، فجاء في بعض المصادر انها مدرسة ال نرسي (دبيث نرسي) (مخطوطة لندن ١٧٢١٩) •

ابتدأت مشاكل نرسي لاتخاذه موقفا مضادا من قورلس الاسكندري وكتاباته ، حتى ان يوحنا بن افتونيا يقول في حياة سويريوس : ان نرسي عندما كان في الرها كان يسبّ قورلس ، فصعب ذلك على قيورا اسقفها وعلى ساورى ويعقوب ، فاحتالوا في تلفه (٥٠) • ولقي نرسي معارضة شديدة من قبل يعقوب السروجي (٤٥١-٥٢١) ، فهذا ايضا تلميذ مدرسة الرها (نحو سنة ٤٦٩-٤٧٣) ، ومن أشد المعارضين لانتشار كتب تيودوروس المفسر في المدرسة ، مع انه واحد ممن ترجموا لتيودوروس من اليونانية الى السريانية ، لكنه مال الى خط البطريرك الانطاكي سويريوس ، فرسمه اسقفا على بطنان (سروج)• انما لايحق ان نعتبر قضية الرها قضية شخصية ، انما مذهبيه عامة ، راحت ضحيتها مدرسة الرها ، لان اساتذتها وتلاميذها انقسموا فريقين : أيد البعض مجمع افسس (٤٣١) ، بينما فضلت الغالبية الابقاء على الخط التيودوري ، فالنسطوري ، الذي كان سائدا في المدرسة عهد

ذاك . وعلى رأسهم نرسي • بينما شنّ يعقوب السروجي الحمل
ضد تعليم ديودوروس وتيودوروس ونسطور وتيودوريطس
يقول عبد يشوع الصوباوي : ان نرسي . "كنارة الروح
عمل شروحا لاسفار التكوين،الخروج،اللاويين،العدد،ابـن
نون . القضاة . الجامعة . اشعيا . ارميا ، دانيال ، الانبيـا
الاثني عشر ، و ٣٦٠ مقالة وقصيدة (ميمر) ورتبة (نافـورة
قداس وتفسير القداس والعماد • ويذكر له تعازي وتراجم
وابتهالات ومواعظ وارشادات وكتابا في فساد السيرة (٥١)
ويؤكد هذا كل من برحذبشبا عربايا (٥٢) وبرحذبشـبا
الحلواني (٥٣) وقد طبع له منكنا ٢٧ مقالة ـ قصيدة (ميمر
في الموصل ١٩٠٥ وتضم مخطوطة دير السيدة (الرهبانيـة
الكلدانية) رقـم ١٦٠ و ١٦١ (فهرس فوستي) ٧٠ ميمرا
وكذلك مخطوطة المتحف البريطاني رقم ٥٤٦٣ ، وتضـم
مخطوطات اخرى قصائد غير موجودة في المخطوطات المذكـورة
بحيث يبلغ عدد القصائد التي سلمت من الضياع ٨١ قصيدة
وقد يعثر على غيرها في مخطوطات اخرى •

يدور معظم انتاج نرسي الادبي حول الكتاب المقـدس
بأسفاره كلها وشروحها وتفاسيرها . فهو مفسر (مفشقانـا
المدرسة والمعلم الاكبر . يتناول شرح الخلقة بشكل مفصـل
ويسهب في موضوعات كالطوفان وبرج بابل وتاريخ الابـا
البطاركة الاولين ، ولاسيما يوسف . والملوك . شاول ، وداود
وسليمان ، بالاضافة الى شمشون وايوب وبركة نـوح
ومعجزات موسى . وحنانيا وعزريا وميشائيل ، ورؤيا اشعيا
وارتفاع احنوخ وايليا • ويخصص قصائد عديدة للتحدث عن
حياة يسوع وصفاته واعاجيبه وامثاله وآلامه . وبعض الاحداث
بشكل خاص كتغسيل الارجل والمرأة الكنعانية والسامريـة

وقيامة لعازر والقيامة والصعود وحلول الروح القدس . كما يتناول بعض شخصيات العهد الجديد : كيوحنا المعمذان واسطيفانس الشماس الشهيد والانجيليين الاربعة والرسل الاثني عشر والرسولين بطرس وبولص ومريم العذراء . ويتحدث نرسي عن سر التنشئة المسيحية ، العماد ، وسر الغذاء الروحي ، القربان والقداس ، ويشرح مفهوم الايمان ومعاني اهم الاسرار والاعياد والممارسات ، كما له كتابات في اصول الاخلاق المسيحية ومبادئها والفضائل ·

ويتلخص فكره اللاهوتي في محاولته تفهم سر الله الذي رسم تجلياته في ضمير البشر ، فراحوا يرسمون صورا روحية شبيهة بصورة الله ، لان الانسان حسبه فكرة ازلية في العقل الالهي ، وماهية انعكاس لماهية الله ، بحيث ان التشابه قائم بين الله والانسان في الجوهر والخواص ، لان في الانسان طبيعة وكلمة وحياة · وقد كشف الله للبشر عن الخفايا بتجليات شتى · والانسان روح ومادة ، والجسد نصف الانسان ، تحبه النفس فيحقق المرء ذاته بفضل صراع مستديم حتى يبلغ بصورة اوضح معانيها ، فتكون اقرب مايكون الى الاصل ولايتوقف الصراع ضمن نطاق بشر بل يتجاوزه الى صراع كوني شامل ، تتضافر فيه جميع قوى الطبيعة بعالميها الروحي والمادي · الانسان قصبة مرضوضة انما مرتكزة على حب أزلي عظيم ، هو امل الانسان ، واساس قوته وضمان انتصاره · وسيلته الى تحقيق عظمته ، حريته الخلاقة (٥٤) ·

قوانين مدرسة نصيبيين

فضل نرسي على مدرسة نصيبيين كبير لانه هو الـذ
أرسى قوانينها فسارت بانتظام زادها رسوخا وازدهـــارا
ولايعني هذا انه لم يكن للمدرسة قبل نرسي انظمة تسـ
بموجبها ، انما تم في عهد نرسي تشــــريع قوانين اصبح
دستورا يسار عليه ، نعرف منها نوعية الحياة التي أرادهـ
نرسي ومسؤولو المدرسة للاساتذة والطلبة ، بعد ان تمر
عليها افرام ونرسي وغيرهما من عظماء المدرسة.انها حيـ
انصراف الى العلم . والصلاة والتامل ، والزهد والتصوف
والفقر والتجرد والقداسة · أقدم القوانين التي نملكها هـ
التي رسمها نرسي وكرسها هوشع مطران نصيبين سنة٩٦
وقد كان لمدرسة الرها انظمة تعمل بموجبها · كما ان برصو
مطران نصيبيين ، عندما عهد بمدرسته الجديدة الى نرسـ
أراد لها قوانين واضحة · وفعلا فان القوانين الحالية التـ
سلمت من الضياع تشير صراحة الى انها قوانين مستمدة
الملافنة والاساتذة القديسين والاباء الطوباويين ومدبـر
الكنيسة (٥٥) · بل ان الجماعة (المدرسة) قبلت القوانيـ
التي كان برصوما قد وضعها وايدتها بتواقيع الجميع (٥٦)
ولاشك ان قوانين المدرسة التي بين ايدينا الان مؤرخـ
ايام هوشع اسقف نصيبيين ونرسي مدير المدرسة.ويونا
الكاتب والاسباب الموجبة : حفظ النظام لكي لايتصرف الاخ
كل وفق هواه ، أي لكي يسود نظام موحد في مدرسة اخـ
عدد اساتذتها وطلبتها يزداد بشكل ملحوظ · وسوف يجر
توثيق هذه القوانين على عهد بولس مطران نصيبين والكاه
المفسر ابراهيم (من آل ربن) ونرسي الشماس والمقـرىء

السنوات ٥٥٢ـ ٥٦٦ ، بينما سوف تشرع قوانين اخرى بعد نحو قرن ايام شمعون ومطران نصيبين . والكاهن والاستاذ حنانا سنة ٥٩٠ ، ثم يتم تصديقها في ايلول سنة ٦٠٢ في السنة ١٣ من حكم كسرى انوشروان ، على عهد احادبوى مطران نصيبين ومدير المدرسة حنانا ٠

وقد كان عدد القوانين التي شرّعت سنة ٤٩٦ اثنين وعشرين قانونا ، وعدد القوانين الصادرة سنة ٥٩٠ واحدا وعشرين قانونا ٠ تبدو المدرسة من خلالها بشكل جمعية ذات مسحة رهبانية تتمتع بشخصية معنوية مستقلة لها امتيازاتها وسلطتها القضائية ٠ وادارتها بيد الاستاذ (ربن) الذي هو المعلم الاول المفسر (مفشقانا) ، يعاونه اساتذة اخرون ، هم المقرئون (مقريانا) او اساتذة النحو والالحان الطقسية ، والكاتب (سبرا) ، واساتذة التهجئة والخطابة (مهگيانا). والباحثون (بادوقا) وللمدرسة مدبّر (رب بيتا) ويعنى بكل الامور الادارية المالية ، وناظر يسهر على حفظ النظام الداخلي ومدير مكتبة ٠ وعلى الرغم من تدخل الاساقفة في شؤون المدرسة ، كانت صلاحيات الادارة كبيرة تسمح للمدير والاساتذة والقيمين على المدرسة تحقيق اهدافها من خلال حياة صارمة تقتضي التفرغ التام ، بحيث كان طلبة المدرسة مطالبين بالتخلي عن بيوتهم وعائلاتهم اثناء فترة الدراسة ، والعيش معا دون السماح لهم البتة بمزاولة اي عمل اخر اثناء الدراسة ، والامتناع حتى عن الزواج والقيام بالواجبات المنزلية دون ان يتجردوا عن املاكهم او يتخلوا عن عائلاتهم نهائيا ، لانها حالة مؤقتة ، يعودون بعدها الى العائلة والعمل، ولايسمح لهم بمزاولة اعمال تجارة ألا اثناء العطلة الصيفية ومدتها ثلاثة اشهر ٠ ويشترط على الاساتذة والطلبة في حالة

عمل وصية ما ، ان تتم بحضور المدبّر ، والا فان اموالهـــ
وممتلكاتهم تؤول الى المدرسة · ويطالب التلاميذ المجتهد
بتعليم الاخرين انما لايحق لاي منهم فتح مدرسة جانبيـ
اثناء مدة الدراسة . ولاتلقّي علوم اخرى عدا دروس المدرس
وتتخذ العقوبات في حالة مخالفة الانظمة ، تبدأ بالتوبيـ
الفردي والعلني لكي تنتهي بالطرد نهائيا من المدرســة د
السماح باللجوء الى اية سلطة خارجيـــة ·

اول من قام بطبع قوانين مدرسة العلامة اغناطيـــو
كويدي سنة ١٨٩٠،ثم تحدث عنها هايس ، وادي شير ، وشا
ولكليرك ، ونشرها ثانية محققة ومترجمة الى الانكليز
ارثر ڤوبس سنة ١٩٦١ (٥٧) · وقد ورد شيء منها في مجمو
قوانين عبد يشوع الصوباوي وفقه النصرانية لابن الطيب(٨

تطرقنا الى مواد التدريس ومنهجية المدرسة سابقا لـ
نكتفي بالقول ان عدد الطلبة كان يبلغ احيانا (٦٠٠)و(٠٠
بل الالف فتشكل هذه المدرسة كلية ، بل تمثل جامعـ
وتسبق بكل حق كليات وجامعات العصور الوسطى بقر
عديـــدة ·

فكان لابد ان يسري تأثيرها على المنطقة باسرها ، بـ
يمتد الى بلدان كثيرة ، سيما وان المتخرجين منها كانـ
يتبأوون اعلى المناصب في كنيسة المشرق بفروعها التي تفر
اليها فيما بعد ، فيصبحون جثالقة ، بطاركة ، رؤساء اساق
(مطارين) ، واساقفة ، وعلماء ، يؤسسون مدارس جديدة
طول البلاد وعرضها ، او يعملون على تجديد مدارس قديم
بينما يقيم غيرهم ديارات مايلبث قسم منها ان يغدو منـ
ثقافة وقداســة ·

اخيرا وليس آخرا نود ان نشير الى ماتحذّر منه القوانين بوضوح ، أي المضي الى بلاد الروم، للحفاظ لاشك على أصالة مشرقية طبعت هذه المدرسة (الرها ـ نصيبين) بطابع متميز فريد ومنحتها خصوصيتها الخاصة والفذة . وقد رأينا كيف ان التوجه نحو الغرب الانطاكي اولا ، ثم البيزنطي خاصة (٥٩) ، أولد فيها خلافات ما عتمت ان عملت على تقسيم كنيسة المشرق الى جناحين بل شقين ، شرقي وغربي مايزالان قائمين حتى ايامنا ، بعد ان انشطر كل منهما الى قسمين اخرين أو اكثر ، كانت سلبياتهما اكثر من ايجابياتهما ، لان الوحدة دوما افضل من التجزئة . أما التنوع والتعددية فشيء اخر يمكن بل يجب ان يكونا ، انما مع "الحفاظ على وحدة الروح برباط السلام" (أفسس ٤،٣) .

اليشع بن قوزبايي

اليشع من قرية قوزبو في المرج (باعربايا) ، لذا اطلق عليه اسم اليشع عربايا (العربي) . يشهد له المؤرخون بصفاته العالية وقابلياته الكبيرة (٦٠) . زميل نرسي في مدرسة نصيبين ، واليه عهدت مهمة التفسير بعد وفاة نرسي ، فبقي في الادارة مدة سبع سنوات . أو انه ادار المدرسة بعد ابراهيم ربن ، انما الترجيح للرأي الاول (٦١) . لكنه على اي حال ليس اسقفا على نصيبين كما يقول (التاريخ السعردي ومجدل ماري) (٦٢) ، فقد جرى الخلط بينه وبين هومشع الاسقف . وهو ليس اليشع الذي نازع بابي على الجثلقة كما ظن السمعاني وجميل (٦٣) . توفى سنة ٥٠٩ . كان استاذا ومفسرا ووضع تآليف كثيرة تناولت خاصة شرح الاسفار المقدسة (٦٤) ، بعثت حمية جديدة في المدرسة (٦٥).

يذكر له الصوباوي شرح سفر ايوب وخمس رسائل لبولس
هي : ١ و ٢ الى اهل قورنثية ، والى اهل غلاطية . وافسس
وفيليبي ، وعلل الاسفار المعروفة بالمجالس ، وتراتيل
للشهداء ، وافعال شكر ، ومقالات ، وقصائد (٦٦) ٠ ويذكر
له التاريخ السعردي : شرح القضاة ، والملوك . وكتابا في
الامانة الصحيحة في ٣٨ فصلا تكلم فيه على الجوهر الالهي
والتليث والخلق والشيطان والمجيء الاخر (٦٧)٠

ابـراهيم ربـن

نسب الى آل ربن (دبيث ربن) لانه من اقارب المعلم
الكبير نرسي من جهة اخته . ويكون نرسي خاله (٦٨)
ولاعلاقة له بدير بيت ربن في داسن ، وبالاسقف من آل ربن
يخصص له برحذبشبا عربايا فصلا كاملا في تاريخه الفصل
٢٣ ، ناعتنا اياه بالكاهن ومفسر الكتب الالهية (٦٩) . ونظن
بان مثال خاله شجعه على ترك نوهدرا والالتحاق به في مدرسة
نصيبين ٠ واذ برع في العلم واشتهر في التفسير اصبح
من اساتذة المدرسة حتى ادارها بعد وفاة اليشع على الاكثر
اي نحو سنة ٥١٠ ٠

يصفه تاريخ اربيل (٧٠) بالعلم والتقوى ٠ ويكشف لنا
برحذبشبا عن الصعوبات التي اخذ اساتذة المدرسة يلاقونها
من جراء اختلاف وجهات النظر في التفسير واللاهوت
فالذين كانوا يأخذون بكتب المفسر (تيودوروس) ، كنرسي
واليشع وابراهيم ، شرعوا يتحسسون الموقف الرافض
لكتابات تيودوروس وديودوروس ونسطور من قبل البعض
وتؤكد المصادر على ان معظم مادبجه ابراهيم انما كان في
شرح اسفار العهد القديم . لذا فانه لايدخل كثيرا ضمن
الجدالات التي كانت مركزة حول لاهوت المسيح ٠ ولم تسلم

من كتابات ابراهيم شيء كما لم تسلم كتابات العديديـن من اساتذة نصيبين بسبب النزاعات العنيفة التي حصلت بعـد سنوات . فقوضت كيان المدرسة واتلفت كنـوزها · شيء زهيد جـدا نتلمسه في هـذه الاثـار في تفاسير ايشو عـدد المروزي (٧١) ·

ويعود لابراهيم الفضل في ازدهار المدرسة وازدياد عدد طلبتها فقد بلغ الالف (٧٢) ، واقتضى توسيع ابنيتها ·

وهنا تحضرنا خاطرة كنا نود لو تمكنا من خلالها الكشف عن هندسة بناء المدرسة . ولاتسعفنا المصادر بما فيه الكفاية. انما من السهولة القول انها كانت واسعة جدا بحيث تتسع لهذا العدد الضخم وتشتمل على مرافق عامة متنوعة ، كغرفة أو غرف الطعام والمكتبة والكنيسة وغرف النـوم وصفوف الدراسة وغرف الادارة ودار للمرضى وايواء الغرباء وحمامات. يؤكد لنا برحذ بشبا عربايا ان مباني المدرسة كانت كبيرة وواسعة تفي باحتياجات الذين كانوا يقصدونها مـن كل مكان وتمكنهم من اداء درسهم وكتابتهم وعملهم بصـورة صحيحة (٧٣) · وبوسعنا اعطاء صورة تقريبية عن المدرسـة من نماذج ابنية المدارس والاديرة القديمة المدرسة او التـي مازالت شاخصة حتى يومنا هذا ·

ان توسعنا كهذا أولد مشكلة هي أزلية قوامها تأميـن سبل العيش وطرق ايجاد المادة اللازمة . فمصاريف المدرسة باهظة . وهذا العدد الضخم بحاجة الى ميزانية عالية · فنلقى في فترة سبقت ابراهيم لجوء الادارة الى قبول طلبة يسكنون خارج المدرسة ، الامر الذي سبب تشويشا وكان بوسعه ان يقضي على نظام المدرسة المحكم ، لذا لجأ ابراهيم الى طلـب المعونة من الدولة عن طريق قشوى طبيب الملك كسرى (٧٤)·

وسوف يؤثر هذا سلبيا على المدرسة • ويذكر (تاريخ اربيل ان ابراهيم سن قوانين تمكن بواسطتها من تسيير الامور وقضى على الفوضى التي كانت قد دبت فيها، فحقق بذلك نقلة نوعية مهمة كان من المفروض ان تمضي بالمدرسة صعدا ، غير ان مشاكل جديدة اخرت المسيرة بل عطلت المدرسة . اذ اغلقت ابوابها ومضى بعض الاساتذة والطلبة الى المدارس التي فتحها مار آبا الجاثليق (٧٥) ، حتى تم فتح المدرسة من جديد بعد سنتين (٧٦) •

يوحنا ربن

هذا ايضا من اقارب المعلم نرسي انما من اخيه ، فنرسي عمه (٧٧) ، ولقب بيوحنا ربن (يوحنا دبيث ربن) ويوحنا من آل نرسي (مار يوحنان دبيث مار نرسي) (٧٨) • وقيل ان اسمه كان ابراهيم ، فلما جاء الى نصيبين ابدله عمه بيوحنا لتجنب الخلط بينه وبين ابراهيم الذي تحدثنا عنه(٧٩ ويؤكد برحذبشبا عربايا ان كليهما ، ابراهيم ويوحنا ، صار اهلا لادارة المدرسة بعد ان ارتويا من بئر الحكمة (٨٠) ويبدو انه ايضا لجأ الى البلاط الساساني لطلب معونة مالية تخفف من اعباء المدرسة المادية • ونصطدم بمشكلة لعلها اخذت تزداد بعد وفاة افرام ونرسي وعدم قيام مدير ذي وزن كبير كما كان لهذين ، ولايسعنا ان نعزو المشاكل الى ضعف شخصية من قام على ادارة المدرسة وحسب ، دون أثارة مسالة الخلافات اللاهوتية التي كانت قد تصاعدت منذ ايام برصوما • ولعل الخلاف بلغ أوج احتدامه في عهد ابراهيم بحيث أدّى الى اقالته من منصبه واعادة اليشع (٨١) ، أو تعيين يوحنا كمعاون شخصي لابراهيم في ادارة المدرسة (٨٢) أوتعيينه مكانه مديرا اصيلا •

كان يوحنا غزير الانتاج الادبي.واهم اسهام قام به هو في حقل تفسير اسفار الكتاب المقدس على غرار سابقيه من مدراء المدرسة ، فهو هذا اختصاصهم الاولي . يذكر له عبد يشوع شروحا لاسفار الخروج واللاويين والعدد (٨٣). ويؤكد برحذبشبا الحلواني والتاريخ السعردي على اشتغالاته في التفسير (٨٤) ، ويمتدحان شرحيه لسفر ايوب الامثال ، بينما يذكر الصوباوي شرحه لسفري ارميا وحسقيال . لم تصلنا اعماله الا لدى اخرين ولاسيما ايشو عدد المروزي (٨٥) .وله شروح في اسفار العهد الجديد كما نستدل من كتابات ايشو عدد ، سواء حين يذكر يوحنا صراحة ام ضمن قوله (آل ربن) ، وحتى حين يستشهد بتقليد المدرسة وأعلامها اللامعين .

لم يبق لنا من اثاره اللاهوتية سوى (صورة ايمان) (٨٦). وهو يعتبر صدى للجدل العقائدي الذي اخذ يملأ الاجواء في عهده . وقد اغنى يوحنا المكتبة المشرقية بكتابات جدلية ودفاعية عن الايمان المسيحي ، فتذكر له رسالة ضد اليهود (٨٧) ، ومصنفات ضد المزدكية والمجوس (٨٨) ، وضد اوطيخا (٨٩) ، وله قصيدة (ميمر) في احتلال كسرى لنجران (٩٠) واخرى في كارثة الوباء الكبير (٩١) ، ولم يبق من طلباته (باعوثا) العديدة سوى النزر القليل ، منها جنائزية ، وتعاز ، كما له تراجم وعظية (توركاما) (٩٢) .

ولعلنا نستنتج من قصيدته في الوباء الكبير الذي حدث في السنة العاشرة من حكم كسرى ، اي سنة ٥٦١/٥٦٢ م ، بان وفاة يوحنا التي كانت ابان الوباء ومن جرائه ، قد حدثت مابين سنة ٥٦١ و ٥٦٤ ، لان الوباء دام ثلاث سنوات ونصف (٩٣) . اما اذا كان الوباء قد دام مدة اطول ، كما

تذكر مصادر اخرى ، فتكون وفاة يوحنا نحو سنة ٥٦٦/
(٩٤) · وثمة مصادر تسبق تاريخ الوباء فتنعقد المشكلة
ونميل الى موافقة فوبس في استنتاجه : ان يوحنا سقط
ضحية الوباء في عهد الجاثليق يوسف اي سنة ٥٦٦/٧
أو ضحية الوباء الكبير سنة ٥٤٤ـ٥٤٧ (٩٦) · يوحنا وج
من وجوه مدرسة نصيبين البارزة ·

اساتذة اخـــرون ٣/٥

قبل ان نتناول مشكلة (حنانا الحديابي) وماحصـ
للمدرسة في أيامه علينا ان لاننسى تلك الوجوه اللامعة ا
زينت المدرسة بمثلها وتعليمها وكتاباتها ، نقصد بهـ
الاساتذة الذين قاموا في مدرسة نصيبين وبفضلهم عـ
المدرسة ومدارس اخرى وكنائس عديدة واديرة ، منزلـ
وقيمة ، فكتب لهم ولها الخلـــود ·

١ ـ آقــاق

من اقارب بابوي (بابويه) الجاثليق (١) ، وزميل نر
وبرصوما ورفاقهما · ترك الرها اثر الخلاف الحاصل ، و
بابوي حتى اختير جاثليقا بعده سنة ٤٨٥ · وكان غيـ
فلقي مقاومة شديدة من المجوس حتى عملوا على حبسـ
وحاول برصوما الايقاع به فلم يفلح · عقد اقاق مجمعا سـ
٤٨٦ اوضح فيه اعتقاد كنيسة المشرق بشـــان الطبيـ
والوحدة في المسيح وشرع قوانين ضد المصلين (مصليا
واخرى تسمح بالزواج للاقليروس حتى الاساقفة والجا
بسبب الضعف البشري والا فاختيار العفة التامة · وقد
شابو اعمال هذا المجمع ضمن كتاب المجامع (٢) ·

٢ ـ معنـــا

من اساتذة مدرسة الرها ، غادرها نحو سنة ٤٥٧ـ٤٨٠ ·
هو احد مترجمي ديودوروس وتيودوروس من اليونانية الى السريانية · قام بترجمة بعض الكتب من السريانية الى الفهلوية · اصبح مطرانا على ريوأرد اشير (٣) · وهو ليس معنا الجاثليق (٤) ·

٣ ـ توما الرهاوي

احد تلاميذ مار ابا الجاثليق ومرافقه في بعض أسفاره الى الديار المصرية والبيزنطية (٥) · توفي في بيزنطية (٦) · وهو ليس توما الحرقلي ، ولامعلم اليونانية لمارابا ، بل رهاوي عرفه قوزما مرافقا لمار ابا ، وبواسطته تعرف على كتابات تيودوروس المصيصي ومنهجية مدرسة الرها ـ نصيبين حتى انه دونّ موسوعته الطوبوغرافية الكنسية باسلوب أساتذة مدرسة نصيبين ، كما تقول الباحثة فاندا فالسكا ـ كونو في مقدمتها للطوبوغرافية في طبعة سنة ١٩٦٨ (٧) · أخذ توما عن ابا الشيء الكثير (٨) ، فهو تلميذ له لا معلم · يسميه تيورا في مقالته في الصوم والفصح "ربن" اي الاستاذ ·

يقول الصوباوي انه ألفّ علّة الميلاد والدنح ، ورسالة في النغم (الموسيقى) ، ودحضا للتنجيم ، وتعازي ومناظرات مع الهراطقة (٩) · وترجم هو ومار آبا قداس نسطور المطول (١٠) · وتنسب اليه تسبحة الصباح (رحميك نهوون). نشر مقالته في الميلاد كار سنة ١٨٩٨ وهي في ١١ فصلا ، وتقع ضمن مجموعة علل الاعياد من نتاج مدرسة نصيبين · وقد اختص اساتذة نصيبين بتأليف مقالات وقصائد في علل او

اسباب الاعياد والمناسبات الدينية ، رأينا منها في الميــلا
والدنح لتوما ولقيورا غيرها ، وكذلك لايشاي كما لاســتا
اخر مجهول الهوية (١١) ٠

٤ ـ مــار آبــا

يحمل لقب الكبير عن جدارة واستحقاق وسوف نفــر
له بحثا خاصا في مجلد آخر ٠ لذا نكتفي بالقول هنا انه مــ
حالا ، درس في نصيبين والاسكندرية ، واختير جاثليقــب
لكنيسة المشرق سنة ٥٤٠ ٠ ترجم وفسر كل أسفار العهــ
القديم ، وكانت ترجماته من اليونانية الى السريانية ٠ شر
أسفار التكوين ، المزامير ، الامثال ، الرسائل الى اهل رومي
واهل قورنثية الاولى والثانية واهل غلاطية وافسس وفيليب
والعبرانيين ٠ له مقالات وتراجم عظيمة وقوانين المزاميــ
داود ٠ ورسائل مجمعية وادارية وتشريعات نشرها شابو
المجامع (١٢) ٠ يقول الصوباوي ان تلاميذ مار ابا وضعــو
شرح دانيال وتراتيل وتعليمية (١٣) وتلاميذ ابا كثيرون (١٢
سيرد ذكر بعضهم ٠

٥ ـ يوسف الاحوازي

اختلف العلماء بشأن يوسف الاحوازي ، فقد جاء في مجد
ماري انه جلس في ملفنة مدرسة نصيبين بعد يوحنا ربن (١٤
وقال ابن العبري انه ادار مدرسة نصيبين (١٥) ٠ وانكر اد
شير ذلك فقال انه لم يصبح مفسرا في المدرسة ولم يترأسه
بل كان مقرئا فيها فقط ٠ وكرر فوبس ذلك (١٦) ، والسبب
ان برحذبشبا لم يذكر اسمه في عداد رؤوساء مدرســـــ

نصيبين ٠ وجاء في ديباجة كتابه في النحو صراحة انه مقرىء (مقريانا) (١٧) ٠ وقال ماري انه اخترع تسع نقط كبيرة لتسهيل القراءة (فوحامي) ٠ وادعى ابن العبري في كتاب النحو (صمحي) ان الاحوازي قلب اللفظ الغربي الى مشرقي ٠ واعترض الكثيرون على هذا القول (١٨) ٠ وقيل ان الاحوازي نقل كتاب (تكني) لديونيسيوس التراقي في النحو اليوناني وانتفع به في وضعه كتاب النحو (١٩) وله مقالة في الاسماء المتشابهة ٠ توفي سنة ٥٨٠ ٠

٦ ـ بولس النصيبيني وبولس البصري

تعلم وعلم في مدرسة نصيبين ٠ يقول (تاريخ اربيل) ان ابراهيم ربن ارسله الى احدى مدارس اربيل فمكث هناك ٣٠ سنة ، بعد ان كان مقرئا (٢٠) . وذلك لمناصرة حنانا الذي تسلم ادارة كنيسة حدياب حتى رسمه مار ابا مطرانا على نصيبين سنة ٥٤٠ او سنة ٥٥١ ، فهو يوقع على أعمال مجمع مار ابا سنة ٥٥٤ (٢١) ، وقد بقي في خدمته ٠ هل هو بولس المسمى بالبصري او الفارسي الذي التقى به يونيليوس الافريقي في البلاط البيزنطي (٢٣) كما ظن الكثيرون ؟ ام انهما شخصان مختلفان ؟ يغلب الرأي الاخير (٢٤) ٠ فبولس البصري مضى الى القسطنطينية نحو سنة ٥٣٢ وبقي فيها مدة من الزمن يشرح الكتاب المقدس كما يقول يونيليوس في كتابه(أقسام او ضوابط الشريعة الالهية) الذي نشره لاند سنة ١٨٧٥ مع ترجمة لاتينية (٢٥) ٠ يقول الصوباوي ان له دفاعا ضد قيصر ورسائل شتى (٢٦) ٠ وقد كتب ميركاتي سنة ١٩٠١ عن الدفاع ضد يوستينيانس قيصر ٠

٧ ـ قيـــورا

ليس مطران الرها الذي ورد خبره ، بل احد تلاميـــذ مدرسة نصيبين ، ثم من اساتذتها (٢٧) ٠ ضاعت اثاره.يذكر له عبد يشوع عللا وتفاسير وتراجم وعظية (٢٨) ٠ وهــو احد تلاميذ مارآبا ، رافقه الى المدائن وترأس مدرستها ، ونقل رفات معلمه آبا الى الحيرة وبنى ديرا فوق ضريحه وأسسر مدرسة هناك (٢٩) مخلدا هكذا ذكره ٠ وقد اكمل شـــرح معلمه الاخر توما الرهاوي (٣٠) ٠

٨ ـ ايشـــاي

كـــاهن واستاذ (ملفان) في نصيبين (٣١) ، مايلبث ان يغدو استاذا في مدرسة المدائن (٣٢) ٠ له شرح تراتيـــــل الشهداء وكان احد المرشحين للجثلقة ٠ ولعله عضو الوفادة الى الامبراطور يوستينيانس (٣٣) ٠

٩ ـ راميشـــوع

من تلاميذ مار آبا ايضا (٣٤) ، واحد المشتغلين في النحــو كيوسف الاحوازي وحنا نيشوع (٣٥) ٠ خلف ايشـــاي في مدرسة المدائن ، ثم اختير اسقفا على الانبار (٣٦) ٠

١٠ ـ نرســـي

يظهر في قوانين مدرسة نصيبين كمساعد مدير المدرســـة ابراهيم ربن سنة ٥٥٢ـ٥٦٦ ٠ تصفه هذه القوانين بانـــــه شماس ومقرئ (مشمشانا ومقريانا) (٣٧) ٠

اساتذة ومدراء آخـــرون

ايشوعياب الارزني

من مقاطعة باعربايا،تلقى العلم في مدرسة نصيبين علـــى ابراهيم ربن (٣٨) ، وتولى ادارة المدرسة نحو سنة ٥٦٥/٥٦٨ مدة سنتين تقريبا (٣٩) ، ثم رقي الى اسقفية ارزن ، حتـــى اختير جاثليقا سنة ٥٨١/٥٨٢ · عقد مجمعا سنة ٥٨٥ ســن فيه ٢٢ قانونا كنسيا ووجه رسالة مجمعية الى يعقوب اسقفـ داراي (البحرين) ·

يذكر له الصوباوي كتابا ضد اونيمس ودفاعا ضد اسقفـ مبتدع و ٢٢ مسألة في الاسرار الكنيسة ورسائل ومدخلا (٤٠) ويقول عمرو / صليبا انه فسر القداس (الرازين) مختصرا ، وعمل كتابا في روايات المزامير ، وكتابا في التعزية ، وكتاب تراجم وعظية ، وكتابا في المراسلات (٤١) · وقد كان تأثـــره ملحوظا بمنهج مدرسة نصيبين اذ يخصص مكانا مرموقـــا ضمن تشريعاته للدفاع عن ســـــلطة تيودوروس المصيصي التعليمية (٤٢) ·

ولانه لم يساير كسرى الثاني ، وبسبب تمكن جبرائيـــل السنجاري وطيمثاوس النصيبيني الطبيب من استمالـــــة شيرين الملكة الى الصف الغربي ، اضطر ايشو عياب علـــى اللجوء لدى النعمان بن المنذر في الحيرة ومكث هنـــاك حتى وفاته سنة ٥٩٤/٥٩٦ ، ودفن في دير هند (٤٣) ·

ابراهيم النصيبيني

خلفـ ايشوعياب الارزني في ادارة المدرسة ســـنة ٥٧١.

لكنه لم يبق سوى سنة واحدة حيث توفي . كان من منطقـ
آرامايي (وسط العراق) . تلميذ مدرسة نصيبين وتلميـ
ابراهيم الكسكري . اصبح استاذا في مدرسة بيت سـهدي
ولعله هو الذي يذكره الصوباوي في فهرسه باسم ابراهيـ
القرداحي ويقول ان له تراجم وتعازي ومقالات وتعاليـ
ورسالة ضد شسبان لعلها ضد المجوس (٤٤) . وثمـ
اعتراض على اعتبارهما شخصا واحدا ، لان القرداحي يقو
انه من حدياب على الاكثر (٤٥) . يقول يشوعدناح انه مفس
وشهيد نصيبين ، أصله من بهقباذ من مقاطعة آرامايي وقـ
استشهد بطعنة حربة احد لصوص بينما كان يقصد احـد
قرى الدير فدفن في مدرسة بيت سهدي (٤٦) .

حنانا الحـديـابي

نأتي اخيرا الى الفترة التي كان لها دور كبير في توقف
المدرسة وشل نشاطها نظرا لما حدث فيها من مشاكل وخلافا
تعين حنانا مديرا لمدرسة نصيبين سنة ٥٧٢ . اصله من حديا
يثني عليه برحذبشبا (٤٧) ثناء كبير . كان قد قرأ على موسـ
ومنذ سنيه الاولى اتضحت افكاره المخالفة للخط الذي كـا
سائدا في المدرسة . فطرده بولس مطران نصيبين من المدينـ
تنفيذا لقرار المدرسة . وقد كان ابراهيم ربن مديرها يومذا
فطاف حنانا في ديار المشرق ثم عاد الى نصيبين بعد وفـ
ابراهيم سنة ٥٥٢ . نلقاه حيا سنة ٦١٠ (٤٨) . وسرعـا
ماعرفت افكاره انتشارا واسعا حتى بلغ عدد تلاميـذ
الثمانمائة (٤٩) .

ولابد هنا من اثارة سبب الخلاف . لنقل حالا انه تعليمي أي "لاهوتي لا عقائدي" بتعبير ايامنا ، اما السلف فكانوا يساوون بين الصعيدين . لذا حرم بعضهم البعض الاخر ونضيف انه من الطبيعي جدا ان يمتدح الانصار من ينتمون اليه ، بينما يذم المناوؤن الشخص بعينه ويكيلون له التهم . فقال الخصوم بشأن حنانا انه قال بالقدر وانكر قيامة الاجساد والدينونة والعقاب الابدي . وقد عبر عن هذا الرأي بابي الكبير في كتاب الاتحاد (٥٠) بينما من يقرأ مقالتيه في الطلب (الباعوثا) وجمعة الذهب لايلقى هذه الاراء ، مع ان بابي من مؤيدي حنانا . فما السبب ؟

لقد كان الخط السائد في المدرسة منذ بدايات القرن الخامس مرتكزا بالدرجة الاولى على تعاليم تيودوروس المصيصي، وجعلت كتابات تيودوروس اساتذة الرها وتلاميذها يميلون في غالبيتهم الى جانب نسطور ، ويأتي حنانا فيخالف هذه المسيرة ، فلا بد ان يرفض ، وتلصق به اتهامات ، ويقول حتى انصاره انه علم تعاليم مختلفة عن تعاليم الاخرين .

بوسعنا الاستفاضة في اثبات هذا الامر ، انما يكفي التنويه بما جاء في اعمال مجمع ايشوعياب الارزني (٥١) ، ورسالة ايشوعياب الثالث الحديابي (٥٢) ، واعمال مجمع غريغور الجاثليق (٥٣) ، والنبذة التاريخية الواردة في كتاب المجامع (٥٦) . يقول ايشوعياب الحديابي صراحة ان تعاليم حنانا وتعاليم اشعيا التحلي وسهدونا (مرطوريس) هي واحدة.

نكتفي بتلخيص ماجاء في مجمع ايشوعياب الاول الارزني سنة ٥٨٥ الموقع من قبل ٢٨ شخصا . هم الجاثليق ـ البطريرك نفسه والمطارين المطرافوليطيون والاساقفة وخمسة مندوبين

عن مطارين واساقفة • وقد كان الهدف الاول تحديد الايمان الصحيح وقوانين الحياة الفاضلة النافعة . كما تقول مقدمة المجمع • وبعد اعطاء صورة ايمان تؤكد على الثالوث ضد اريوس وعلى الطبيعتين الالهية والبشرية في المسيح واتحادهما وحدة تامة من دون ان تتلاشى الطبيعة البشرية ضد اوطيخا ، والتحدث ضد المانويين والشمعونيين (السيمونيين) ، والاستشهاد بالاباء والتقليد ودحض المقدونيين ، ينتقل المجمع في القانون الثاني الى الدفاع عن تعليم تيودوروس مؤكدا بان صحة تعليمه مقرونة بفضيلته الرفيعة كما يشهد له يوحنا فم الذهب نفسه • وينوه المجمع الى قيام اشخاص ضد تعليم (المفسر) يضللون الناس متخذين تفسيره لسفر ايوب حجة • لذا ينهي المجمع ايا كان عن تشويه صورة هذا المعلم (تيودوروس) سواء بالعلن او في الخفاء • وقد كان حنانا واحدا من الذين خرج عن الخط السائد وكان يشهر المفسر ، لذا استحق اللوم وسوف يلاقي مشاكل كثيرة . فهي ليست قضية "صحة التعليم او خطأه" بالدرجة الاولى ، كما هي الحال بين المشرقيين والمغربيين اي التيودوريين ـ النساطرة والقورلسيين من اتباع اوطيخا ويعقوب البرادعي في الخلاف القائم بين الجناحين ، بقدر ماهو الاخذ بسلطة المفسر تيودوروس التعليمية او رفضها • لم تخدم الظروف حنانا ، لان مطران نصيبين السابق ، جبرائيل روفينا ، كان منكبا على علم الفلك والتنجيم حتى ابعده اهالي نصيبين عن المدينة (٥٧) • واختاروا مكانه غريغور الكسكري الذي تعلم في مدرسة المدائن ثم في مدرسة نصيبين على ابراهيم ربن ، وطلبه اهالي حزة مفسرا لهم في مدرستهم ، وبعد ان مكث ١١ سنة هناك عاد الى كسكر وواصل التعليم فيها ، وكان يطالب

المتعلمين بالصوم والصلاة ، واكرهه ايشوعياب الارزني على قبول اسقفية كسكر . ثم نقل بامر الملك الى مطرانية نصيبين فاصطدم فيها بما كان حنانا يبث من تعاليم مخالفة لـــرأي المفسر فوبخه ، ولما اصر حنانا حرم كتبه. وكتب الى سبريشوع الجاثليق يعلمه بامره.فانفذ حنانا ايضا كتابا الى الجاثليـــق والاساقفة يشرح فيه تعليمه ، فشجبه الاساقفة . بينما لــم يأخذ سبريشوع برأيهم . ولعله لم يشأ ان تتضخم الامـــور لكنه كان من المفروض ان يتخذ قرارا واضحا • ومن المفيـــد ان ننقل بعض بعض ما جاء في التاريخ السعردي•

"وكان الملفان في ذلك (الزمان) بنصيبين حنانا الحزي ، تلميذ موسى وله مدة طويلة في الاسكول • وكثر نظره في كتب المخالفين • وكان قـــد فسر أشياء خالف فيها مر (مار) تياذوروس المفسر وعدل عن الاستواء ومال الى بعض مذاهب المخالفين • فلما صار جريغور (غريغور) مطرانا علـــى نصيبين ، ذكر له اهل العلم ماسمعوه منه ، فانكر عليه ووبخه على فعلـه، فلم يعدل عما قاله ، فحرم كتبه التي وضعها ، فاظهر الرجوع عما انكـــر عليه ، واقام زمنا على ذلك حتى وجد سبيلا . واستعان بجماعة من طـــب كسرى ممن كان جريغو المطران قد منعهم من التزوج بامراتين وحرمهـــم (عند المقام) على الاصرار في ذلك • وكتب الى مرسبريشوع ، وقد صـــار جاثليقا ، يعرفه فساد اعتقاد حنانا • وانفذ ايضا حنانا الى سبريشـــوع كتابا يخدعه فيه بما ضمنه اياه ، كما فعل النبي الكذاب بالنبي المحـــق• ووقف جماعة الاباء (الاساقفة) على الكتاب فانكروا ماقال فيه ، واحتجـوا منه على حنانا وحرموه • فلم يسمع الجاثليق وقبل قول حنانا • فلمـــا وقف جريغور على ماجرى خرج ونفض التراب عن خفيه على باب نصيبيـن ومضى عنها •

"وغاظ على الاسكول (مدرسة نصيبين) مافعله سبريشوع الجاثليق من تركه قبول قول المطران في أمر حنانا ، واخذتهم الغيرة كما قال النبي : غرت غيرة الرب القوي• وخرجوا من الاسكول وفرقوا قماشهم، واخذوا معهم اناجيل وصلبانا في مقبلان (قماش) اسود وفيارم (مباخر) ، وخرجوا عـــن المدينة بالصلاة يقولون عناني الباعوث (تراتيل الطاب) ، وكانوا نحـــو ثلاثمائة نفس ، واهل المدينة ينوحون ويبكون على خروجهم ورؤوساؤهـــا

الاشقياء يفرحون بطردهم جريغور ولايعلمون العذاب والعواقب التي تنز
بهم وتاحقهم وخلاص الاتقياء منهم ، ولم يبق في الاسكول غير عشرين نفس
أو دونهم صبيان • ثم كره احا واشعيا التاحلي ومسكين العربايي تلميـ
حنانا ونفر يسير من شيعتهم • فلما بلغ الخارجون باب المدينة ختمـ
الصلاة وودع بعضهم بعضا وتفرقوا • فبعض مضى الى عمر مار ابراهيـ
(دير ابراهيم الكسكري) ، وبعض قصد مرقوس اسقف بلد (اسكي موصل
فعمل لهم اسكولا خارج المدينة وجمعهم فيه •

وكان في جملة الخارجين عن اسكول نصيبين : ايشوعيب الجـدلا
(الجدالي) الذي صار جاثليقا ، وحذبشبا (برحذبشبا) العربي وصـ
مطران حلوان ، وايشوعيب العزي وصار جاثليقا ، وفولوس المفسر الـذ
في دير ابيملك ، وميخائيل الملفان ، وجماعة من الملافنة • وبعد قليـ
نزلت باهالي نصيبين العقوبة" (٥٨) وكانت العقوبة في ان ملك الفـرس
انفذ اليهم قرات فتكوا بالمدينة واهاليها بعد ان قتل اهالي نصيبين مرزبا
المدينة فعلموا انهم اخطأوا بحق غريغور مطرانهم فلما مات كتبوا اسـ
بين الابــاء •

لقد تعمدنا الاطالة في خبر غريغور مطـران نصيبـين ا
على فهم موقفه يتوقف تشخيص خط حنانا • ولم يبـالـ
مؤلف (التاريخ السعردي) في وصفه الاحداث لان موقـفـ
يشوعدناح مطران البصرة صاحب الديورة ، وقـد كتب قبا
بثلاثـة قرون تقريبا ، أشد صرامة ولوما ، اذ يقول "القديس
غريغوريوس مطران نصيبين الذي كتب في الحياة النسكيـ
وتفرغ طويلا للتبشير •• وفي ايامه كان حننيا (حنانـا
الحديابي مفسر نصيبين الذي أفسد الايمان فحرمه البار ،ولـ
أبغضه اهل نصيبين فخرج مـن عندهم ليلا ولعـن المدينـ
ويمم بلاد الوثنيين وبشر كثيرا والف كتبا شتى وتاريخـ
كنسيا ثم قدم الى (كسكر) بلده وهناك قضي نحبـه(٥٩)
وقد كانت وفاة غريغور سنة ٦١٢ •

اما سبريشوع الجاثليق (٥٩٦ـ٦٠٤) فمن منطقة باجرمي

ومن تلاميذ نصيبين • عقد مجمعا سنة ٥٩٦ أكد فيه على وجوب حفظ الايمان القويم وفق تقليد الرسل والاباء وتفسير المعلم الاكبر تيودوروس ، وحرم كل من يخالف تعليمه(٦٠). وله رسالة الى رهبان دير برقيطى محفوظة ضمن اعمال المجامع • وشهد له (التاريخ السعردى) بالطهر والقداسة ، قضي سنوات عديدة في الزهد والتوحد حتى اختاره أهل لاشوم اسقفا ، وانتشر خبر الاعاجيب التي كانت تجرى على يده منها شفاؤه النعمان بن المنذر ، كما انه خلق جو ود بين موريقى ملك الروم كسرى وملك الفرس ، فقد كان رجلا قديسا(٦١) •

وتتأزم الامور حين يهيج اسقف شهرزور واسمه نثنائيل واحد تلاميذ مدرسة نصيبين الشعب ضد حاكم المدينة الفارسي وذلك سنة وفاة سبريشوع ٦٠٤ ، اثر هدم احدى الكنائس ،فثارت ثائرة كسرى ، وامر فألقي نثنائيل في السجن ، ثم اخرجه بعد ست سنوات وصلبه • ويسميه يشوعدناح بالمفسر والشهيد ، اذ فسر المزامير • وقد نشر تفسيره فاندرهوف سنة ١٨٩٩ كما له كتاب ضد المجوس(٦٢) وقال الصوباوي انه وضع كتاب دفاع ضد السوريانيين والمانويين والكنتيين والمندريين (٦٣) •

هل علينا ان نلقي على حنانا وزر انهيار مدرسة نصيبين، أم على السياسة التي انتهجها سبريشوع الجاثليق ، ام على غريغور مطران نصيبين ، أم على اخرين ؟ نظن انه من الانصاف القول بتغير الازمنة • فحنانا من حقه مخالفة رأي المفسر بحكم عوامل التطور الطبيعية • والرئاسة الكنسية من حقها ان تدافع رسميا عما كان تقليدا سائدا على صعيد التعليم والتفسير ، فهذا من باب صون السلطة

وهيبتها ، وسبريشوع بفضل قداسته يحاول ان يتخذ م
مسالما فهو مع الخط التقليدى الرسمي كما في المجمع، و
مع مدير المدرسة حنانا مـن حيـث العلم وحركته · ولا
ان موقفـ مطران نصيبين العنيفـ الهب الموقفـ لكنه ك
موقفا مبدئيـا ·

ويذكر تاريخ قديم ان خروج الاساتذة والتلاميذ من مدر
نصيبين كان سنة ٥٨٢ (٦٤) وبذلك انحط شأن مدرس
نصيبـــين ·

واراد حنانا تدارك الامر فشرع قوانين جديدة ثبتهـ
شمعون مطران نصيبين الجديد · ولم تستقم الامور· فك
أحاد ابوى خليفة شمعون بعض التلاميذ فأتوه بالقوانين
شرعت أيام هوشع الاسقفـ ونرسي الملفان سنة ٤٩٦ ونس
من القوانين الجديدة فأقرها ، وأمر بوجوب التمســك
وذلك سنة ٦٠٢(٦٥) · غير ان السلبيات كانت اكثر بك
من ان تصححها اعمـــال فوقيـــة أو شكليـــة ·

وكان نتاج حنانا غزيرا حتى قال برحذبشبا(٦٦) ان
يترك فصلا او اية في الكتاب المقدس الا وانشأ فيها مقـ
وقصائد ووضع مجادلات · ويقول الصوباوي ان كتبـ
المقبولة هي : شرح التكوين ومزامير داود وايوب والا
والجامعة ونشيد الاناشيد والانبياء الكبار والانبيـاء ال
عشر . وانجيل مرقس ورسائل بولس وتفسير الايمـــ
والاسرار واسئلة وعلل عيد السعانين وجمعة الذهب وال
(الباعوثا) والقيامة . وكتب اخرى كثيرة اهملت(٦٧) · ،
يسلم مـن تاليفه سوى مقالتي جمعة الذهب والطلب ، نش
أدي شير في الباترولوجيـا الشرقيـة (٧ـ٥٣ـ٨٧) كما س
شروح كتابيـة له في كتب ايشوعدد · وليس حنانا هـ

سفف حدياب الذي يحمل الاسم عينه وخليفة يوسف سنة ٥١ . فأن حنانا مدير مدرسة نصيبين لم يصبح اسقفا بل كان كاهنا .

يمثل حنانا ظاهرة خاصة في مدرسة نصيبين ويمكن عتباره بالولد العقوق الذي لم يطع الاباء والجدود ، اذ شذ ن التقليد وخط له نهجا لم يكن من السهل ان يوافقه لسلكيون عليه . فلحق المدرسة الاذى بسبب الخلاف لكبير الناجم عن ذلك .

تلاميذ حنانا

ذكر التاريخ السعردي جملة تلاميذ لحنانا ، نصحح اسم واحد منهم برحدبشبا فثمه شخصان بهذا الاسم : واحد هو برحذبشبا عربايا صاحب التاريخ الكنسي الذي يذكره عبديشوع ، والثاني وهو الذي يقصده التاريخ السعردي برحذبشبا الحلواني مؤلف (علة تأسيس المدارس) وهو خطاب ألقي بمناسبة افتتاح مدرسة نصيبين في احدى السنوات ٥٨١ـ٦٠٤ . وقد نشره أدي شير في الباترولوجيا الشرقية سنة ١٩٠٧ (٦٨) . وبرحذبشبا وهو كاهن ورئيس المفتشين (بادوقي) في مدرسة نصيبين(٦٩) . ولمسكين عربايا كتاب رد عليه حنانيشوع الراهب(٧٩) . اما اشعيا التاحلي فقد رد عليه بابي الكبير مفندا ما وضعه ضد المعتقد المشرقي وحرمه ايشوعياب الحديابي (٧١) .

وعلينا ان نضيف اسقفي نصيبين شمعون واحاد ابوى من جملة تلاميذ حنانا . فانهما ساندا حنانا ، كما يجب القول ان قرياقوس الذي رافق ايشوعياب الجدالي في سفره الى

بلاد الروم كان على رأي حنانا ، وربما ايشو عيـاب الجدا

عينه ، كما اقر في حضور هرقل ملك الروم ٠ وايشوعيـ

مولود في جدالا (قرب سنجار) وخريـج مدرسة نصيبين

توجه الى بلد اثر الخلاف الذي نشب في عهد حنانا فصـ

استاذا هناك ، ثم اسقفا حتى اختير جاثليقا سنة ٦٢٨ ومض

الى هرقل بوفادة مكونة مـن عدة اساقفة وعلماء باسم الملك

بوران ، وتمكـن مـن عقد الصلح بين الفرس والروم ٠ ولم

ظهرت الدعوة الاسلاميـة ارسل الى نبي المسلمين الهداي

التكريميـة ٠ وتوفي سنة ٦٤٦ يذكر له الصوباوي شـر

لداود ورسائل وقصصا ومقالات شتى (٧٢) ، وجاء في مجد

عمرو/صليباانه عمـل كتاب الرؤوس في توبيخ المخالفين ع

المذهب وكتابا في الاسامي والاشيـاء المتفقـة في اللفـ

والمختلفة في المعنى وكتاب اسرار البيعة في ٢٢ مسألة(٧٣)

لم تسلم سوى رسالته في التجسد نشرها الاب لويسـ

ساكو (٧٤)٠

اما أخص تلاميـذ حنانا فسهدونا وبابي الكبير ٠

سـهدونا (مرطوريس)

ولد في هلمون في اعالي نوهدرا ، درس في مدرسـ

نصيبين ، ثم انقطع في جبل الازل (ايزلا) بحيـاة تصوفيـ

صارمة ٠ اختير اسقفا لابرشيـة ماحوزي اريفان في باجر

نحو سنة ٦٣٥ــ٦٤٠ ، وأقصي عـن كرسيه بعد ان ذاعـ

اراؤه المناوئة للخط التعليمي السائد ، واحتسب على حنان

فهرب الى "الغرب" في عهـد البطريرك مار امه (٦٤٠ــ٦٥٠

لكنه ما لبث ان عاد بعد هدوء الحال ٠ ثم طرد ثانيـة في ع

البطريرك ايشوعيـاب الثالث الحديابي فقصد الرها وعا

حياة توحد حتى وفاته.

اشتهر سهدونا بكتابه في الحياة الكنسية . طبعه بيجان سنة ١٩٠٢ ثم حققه ونشره ده هاليه سنة ١٩٦٠ واشفعه بترجمة فرنسية (٧٥) · ويعتبر احد كبار من كتبوا في الحياة الروحية التصوفية ·

بابي الكبير

اشهر تلاميذ حنانا على الاطلاق . لكنه من أخص معارضيه بل السبب الاكبر في حمل كنيسة المشرق على اتخاذ موقف صارم من حنانا وحرمه في اكثر من مناسبة · يختلف عن بابي النصيبيني تلميذ ابراهيم الكسكرى والراهب في جبل الازل · ولد في بيت عيناثا في بازبدى سنة ٥٥٣ · درس في نصيبين · ولم يكتف بالدروس الدينية ، بل تعلم الطب وتمرس عليه في بيمارستان نصيبين · وكان من عائلة ثرية جدا · وزع امواله على الفقراء وانضم الى تلاميذ ابراهيم الكسكرى في جبل الازل · وعاد الى قريته وبنى ديرا كبيرا واقام فيه مدرسة · ثم عاد الى دير مار ابراهيم وخلف داديشوع في رئاسة الدير سنة ٦٠٤ . وكانت كنيسة المشرق تمر في فترة صعبة . اذ ان الاساقفة انتخبوا بعد سبريشوع غريغور مطران نصيبين ،فخشي أعيان نصيبين ان ينتقم منهم لانهم كانوا قد عادوه ، فلجأوا الى الملكة شيرين يساندهم في ذلك جبرائيل السنجارى والجناح المغربي ، فسعت المملكة الى تسمية غريغور اخر هو غريغور الملفان بطريركا سنة ٦٠٨ · وكان من بلدهاميسان · فغضب كسرى لما اكتشف اللعبة ، واضطهد الجاثليق الجديد الذى

لم يبق طويلا ، اذ توفي بعد اربع سنوات • ومنع الملك م
انتخاب بطريرك جديد . فترملت كنيسة المشرق حتى و
كسرى سنة ٦٢٨ • وقوي حزب المغاربة وانتشرت بدع
المصلين • فاجتمع الاساقفة واختاروا بابي زائرا عمومي
(ساعورا كاوانايا) للابرشيات كلها . فقام بالمهمة خير ق
كما يشهد له توما المرجي بقوله :

**"في ذلك الزمان كان الطوباوي مارباباي الكبير يمتاز بين الرهبان با
والسيرة الفاضلة • فتكاتب المطرافوليطون المتجاورون وهم مارقرياقو
النصيبيني ومار يوناداب الحديابي ومار جبرائيل من كرخ بيث سلو
فان أديرة مقدسة كانت تقام في ذلك الزمان ، وكان هؤلاء الرؤساء يخا
من ان يبذر فعله الشيطان في هذه الامصار تعليم المصلين ، فتخيم علي
ظلمة الهرطقة • ولم يكن بوسعهم ان يزوروا الكنائس خوفا من ان يتـ
كسرى الملك بانهم اقاموا لهم بطريركا فيسومهم العذاب • فرأوا ان يك
الى القديس مار بابي معلم الكنيسة ، وكان الجميع يعرفونه راهبا و
اسقفا ، طالبين اليه ان يزور الاعمار واديرة الرهبان ، وان يسد كل
وينبذ من الكنيسة كل سقيم ومصاب بالنفاق ، حتى يقيض الرب بجو
فرجا للكنيسة • وقد وضعوا رأيهم هذا موضع التنفيذ فكتبوا اليه رس
فيها يناشدونه القيام بهذه المهمة • فتقلد خدمة الكنيسة كالفاعل النش
والعامل الصنديد وحرسها ورفع شانها الى ان أغتيل كسرى الملك •
اقيم لها جاثليق عاد فانزوى في صومعته " (٧٦) •**

يبدو واضحا ان تحرك بابي على المصلين كان يعنـ
ايضا تحركه على كل بدعة ورأي مخالف للتعليم التقلي
السائد . فلا عجب ان ينال حنانا واتباعه ما يناله المخالف
سيما وان قضية حنانا كانت في اشد هيجانها •

لنقرأ ما يذكره صاحب التاريخ السعردي بعنـ
(خبر الهراطقة ومناظرة الاباء وتحريم حنانا) •

**"لما مات جريغور الجاثليق وخلت البيعة من رئيس ، انتشـ
الهراطقة اعني المخالفين واصحاب حنانا وتلاميذه ، وانبسطوا في النو
بمعاونة جبريل السنجاري المحروم ، (لمكانه) في خدمة الملك كسـر**

أفسدوا نيات الناس واتصل خبرهم بكسرى ، وامر بان يتناظر الفريقان حضر لذلك يوناداب مطران حزة وشبحاران (شوبحالمارن) مطـــران اجرمي • وايشوعياب العرباي ، اسقف بلد الذي صار جاثليقا ، وحنايشوع راهب الذي بنى العمر بداربان وجيورجيس الراهب من عمر مار ابراهيم لذي استشهد ، وسرجيس الشهار الملفان من اهل كشكر ، وجبريل اسقف هر جوير • وتناظروا ، وعملوا كتبا ضمنوها الامانة الصحيحة ووضعوا فيه سائل صعبة وعرضوه على كسرى كما التمس فوقف على صحة قولهـــم• عاونه (وعاونهم) مر بابي بكتبه ، لانه لم يتمكن من الحضور لضعفه وكبر ســـنه •

وعمل كتابا في نقض ماعمله حنانا من تفسير امانة الثلثمائة والثمنيـة عشر (ـ اباء مجمع نيقية سنة ٣٢٥) ، الذي خالف فيه رأي تيادوروســـ المفسر • وانفذه الى الاباء فقبلوه • ثم اجتمع سائر الاباء بكرخ جـــدان بمعاونة الخير يزدين ، وجدد (جددوا) حرم حنانا ومن يعتقد مذهبه ، وبينوا المواضع التي خالف فيها المفسر الاكبر وجميع الاباء ، ومنعوا من النظر في كتبه وحرموا من يقرأوها •

وقد كـان ايشوعيب حـرم كتبه عنـد وقوفه عليها • ولما اجتمـــع الاباء في ايام مرسبريشوع الجاثليق ، صححوا ماعمله ايشوعيب • وحرمـه ايضا جريغور لما صار مطرانا لنصيبين ، واوضح الاشياء التي خالف فيها، واعترف بخطأه • وقد كان فولوس مطران نصيبين طرده منها في ايـــام ابراهيم قرابة مار نرسي (٧٧) •

الفـ بابي ٨٣ كتابا على حد قول الصوباوي (٧٨) ، منها علة السعانين ، وكتاب الاتحاد ، وتفسير كتاب المئات ، وكتاب مرقس ، وقصة ال ديودوروس ، وعلة عيد الصليب وبقيـة الاعياد والتذكارات ، والكتاب الذى نظم به دوريا خصـائل مريم العذراء ، وقوانين للرهبان وللمبتدئين والعلل ، ورسائل يوسفـ الرائي ، وفي متى السائح وابرهيـم النصيبينـــي وجبرائيـل القطرى ، وتفسير الكتاب المقدس • وقال المرجي انه وضع ٨٤ كتابا (٧٩) • ويفرد السعردى فقرة خاصـــة يستعرض فيها كتبه(٨٠) ، نورد مالم يذكر : كتاب في الــرد على مـن يقول ان الاجسام تقوم يوم القيامة مثل الكـــرة

مخالفة لهذا الترتيـب ، كتاب في الرد على اصحاب(٠٠٠
المعروفين بالمصلين الذيـن يقولون انهم قد لحقوا واستغ
عـن الصوم والصلاة وتناول القربان ، كتاب جمع فيـ
دلائل مـن كتب الاباء المحقين اليونانيين والسريانيـين عـ
سبيـل الجدل ، كتاب فيـه نقض كلام فروبلا فطـر
قسطنطينية واخسنايا صاحب منبج ومسيا الهرطيق، كتا
فيـه نقض ما عمله يوسطانس ملك الروم في الاعتقاد ، كتا
فيـه نقض مذهب اشعيـا الناحي المخالف ٠ ولم يصلنا سو
كتابه في الاتحاد طبعه فاشالد سنة ١٩١٥ ، وهو في سبعـ
أقسام يتحدث فيـه عـن الله والثالوث والتجسد ٠ وطبع
بيجان قصة الشهيد كوركيس وبعض النصائح الى الرهبا
وشرحه لاواغريس محفوظ في الفاتيكان طبعه فرنكينبرغ (١

اتصف بابي بالغيرة وصلاح السيرة حتى ان الاساقفـ
اختاروه بطريركا سنة ٦٢٨ حين أذن لهم شيرويه بالانتخا
لكنه اعتذر فاختاروا ايشوعيـاب الجدالي ٠ وتوفي بعد ذل
بقليـل ، بعمر ٧٥ سنة ٠

يعقـوب السـروجي

لايمكننا ان نتغاضى ونحن في هذا المجال عن ذكر شخصيات كبي
انجبتها مدرسة الرها ـ نصيبين ، قبل بلوغنا اخر المطافـ
وفي مقدمة تلك الشخصيات يعقوب السروجي وقد جاء ذك
لماما ٠ فالمدرسة (الرها ـ نصيبين) ظاهرة ثقافيـة كبـر
لا تقوى الخلافات التي حصلت بين خريجيها على الانتقاص
مـن شأنها وقيمتها ٠ ولد في قورتم(كورنك) على ضفـاف
نهر الفرات نحـو سنة ٤٥١ وتربى في قرية حورا ٠ درس

مدرسة الرها ، ثم ترهب وتنسك • وأنشد قصيدته الشهيرة في مركبة حزقيـال في بطنان (سروج) بمحضر خمسة اساقفة وهو بعمر ٢٨ سنة • رسم كاهنا ثم زائرا لحورا وفي أواخر عمره اسقفا على بطنان ، وتـوفي سنــة ٥٢١ •

ألف قصائد وكتابات كثيرة ، حتى قال ابـن العبري ان سبعين ناسخا كانوا يكتبون قصائده التي بلغت ٧٦٠ ، اولها في مركبة حزقيـال واخرها بالجلجلة ، كلها على البحر الاثني عشري • وتناول شرح الاسفار المقدسة والايمان والفضائل والتوبة والقيـامة وحمدالله ومدح مريم والانبيـاء والرسل والشهداء ، حتى لقب بالملفان (الاستاذ) والمفسر وكنـارة الروح القدس • وقد طبـع بيجان العديد مـن قصائده فـي خمسة مجلدات ١٩٠٥ـ١٩١٠ ، ثم موس وموتيرد وزنكرلي ، بينما طبع اولندر بعض رسائله (٨٢) •

ليس سهلا تشخيص معتقد يعقوب السروجي كمـا هـي الحال بشأن علماء اخرين ، فنحن في مرحلة انتقال ،والخلافات ما تزال غير واضحـة المعالم ، فهل هــو مونوفيزي ، أم ارثوذكسي ، ام خلقيدوني ؟ لقد انقسم الباحثون بشـأنه • امر واضح انه ضد الخط المشرقي •

نختار مقتطفات من نظرتـــه الى الكـون اذ يعتبـــر (المكــــان) مـا على الانســـان ان يهيئـــه لاســـعاد ذاته • وكذلك بشأن الكون والعالم ، فقد هيأهما الله لسعادة الكائنات والبشر ، بل ان الله هو المكان الحقيقي الذى تلقى فيـه جميع الكائنات حياتها وسعدها • وهذا الكائن الاعظم مبجل في جوهره ، يسكـن في ذاته ، ولا يوجد مكان الا ملأه• وقد احترم المسيـح قانون المكان ، سواء بتأنسه وسكناه في

عالمنا اتماما للتدبير الخلاصي ، وسواء بنزوله لدى الموتـى في
العالم السفلي (شيؤل) • فالسروجي على غرار تيودوروس
المصيصي يقول بعالمين : الاول مادى والثاني روحي • ويضع
يعقوب الملائكة في الجلد ، المكان السامي ، العالي ، بينما البشر
على الارض ، والشياطين في العالم السفلي ، الهاويـــة •
فكرة العلو تدل على سمو الكائنات الروحيـة التي تستنشق
الحياة من الجوهر وتتمتع به روحيا ، وفي العلى تضمحل عجلة
الزمـن فتنعدم الفصول ولا تهب الرياح ويكون كل شيء في
حالة ثابتة • «فالجد. مكان • أما السماء فغير الجلد • والجلد
بشكل القبة والخيمة ، انما بدون اعمدة • خلقه الله لفائـدة
العالم ، وجسمه الصلد يمنـع وصـول النور • اما النجـوم
فأجسام ضوئيـة على شكل كريات في حركة دائمة، فهـي
شبيهه بالمركبة • ترمز الشمس الى البرارة والكمال البشري
والقمر الى الحيـاة البشرية ، والارض مثل كرة يغطيهـــ
الجلد مثل السقفـ ، بل الارض مثل لبنة او بساط يطـوفـ
على المياه ، أعمدتها واسسها رمزيـة ، لذا فهي كـرة ملقـاة
في الفراغ يسندها الرمز الالهي مـن السقوط كالعصـفور
الطائـر في الهواء ، فهي الحياة التي تسند الارض • ويقـول
السروجي بالهوة المائيـة ، انما يخلط ما بين اللجة ، والقبر
والجحيم ، حيـث تسكـن الحيتان ولوياثان ، فهو المكان المملوء
ظلاما ، كما ان مسكـن الله مملو نورا (٨٣) •

صموئيـــل الرهـــاوي

من الكتاب الادباء.كان كاهنا • عارض هيبا وشكاه الـى
مجمع أفسس المنعقد سنة ٤٤٩ ، ونقض اراءه وبدعة اوطيخا

ذكره في القسطنطينية جناديوس المرسيلي في النبذة ٨٢ من (الرجال المشاهير) التي أكمل بها كتاب هيرونيمس نحو سنة ٤٩٦(٨٤) ·

اسحق الرهاوي الانطاكي

كاهن رهاوي ، شاعر واستاذ رحل الى انطاكية على عهد البطريرك بطرس الثاني المعروف بالقصار(٤٧٠-٤٨٨)، حين رفض الجناح المشرقي عبارة "يامن صلبت من أجلنا"، فهو من القائلين بتألم الاله ، وشاهد شخصا يحمل ببغاء تردد العبارة فأعجب بذلك ونظم قصيدة في ٢١٣٧ بيتا · وله قصائد أخرى كثيرة في الاعياد والشهداء والحروب ، وشهد مجمع افسس سنة ٤٣١ · وقد ذكره يعقوب الرهاوي · وقال المنبجي انه تلميذ مار افرام · وقد طبع اثاره زنكرلي وبيكيل وبيجان ولامي وموس وفورلاني وغيرهم (٨٥) ·

اسطيفان بن صوديلي

ولد في الرها في النصف الثاني من القرن السادس · ترهب ورحل الى مصر ، فلازم رجلا اسمه يوحنا يقول بأن الاله هو الكائنات جميعا (بانثيسم) ، فاذاع هذه الافكار في الرها ، فطرد منها ، فمضى الى القدس فلقي رهبانا من مذهبه ، وشرع يراسل اشخاصا في الرها فكتب ضده فيلوكسينوس المنبجي حتى حرم · وقيل ان كتاب ايرثاوس Hierotheus له ، وفيه نكران لابدية جهنم ، والقول ان كل طبيعة مساوية في الجوهر للذات الالهية والجوهر الالهي · ولعل اسطيفان متأثر باراء اوريجانية واواغرية ·

حاربه السروجي والمنبجي وقد نشر كتابه مارش (٨٦) ٠

فيلوكسينوس المنبجي (اخسنايا)

يمثل المنبجي وجها مؤشرا من اوجه الرها يتيح لنـ
أن نتعمق في الاسباب التي أدت الى انقسام المفكرين المشرقيـ
الى جناحين شرقي وغربي ، والى لجوء الجناح الاخير الى غر
هلسنتي انطاكي وبيزنطي ، بينما تم تركيز الجناح الشرقـ
على تعليم سمي "تقليديا" ، وهو ليس كذلك تماما لانـ
تيودوروي ونسطوري ٠

وبين هذا الميل وذاك تارجح العلماء الناطقو
بالسريانية واختلفوا . رغم ما ابدعوا من كتابات ، فقد و
من سمي بالمنبجي في بلدة تحل في باجرمي ، أي في منطقـ
شرقية خالصة في منتصف القرن السادس ، انما رحل
أهله الى طورعبدين فدخل دير قرتمين ، حيث درس هـ
واخوه ادى ، ثم انتقل الى مدرسة الرها ، واخيرا الى ديـ
تلعدا في مقاطعة انطاكية ، فترهب ورسم كاهنا ثم اسقـ
على منبج فسمي بالمنبجي ، كما سمي بالغريب (فيلوكسينو
اخسنايا) مما يدل على التباعد بين المشرقيين والمغربيـ
قد حصل ، بحيث ان شخصا يحمل الافكار عينها وينتمـ
الى الكنيسة الخاصة ذاتها، يعتبر غريبا بمجرد ولادتـه
منطقة اكثر شرقية ، مع انه من اشد من قاومـ
الخلقيدونيين والتيودوريين ، وغالى في دفاعه عن" اليعقو
والارثوذكسية والمونوفيزية ٠ فنراه يمضي الى القسطنطيـ
يشكو الى ملك الروم البطريرك الانطاكي فلبيانس الثاني
الا ان الحرب الدائرة بين الروم والفرس حالت دون بحـ

قضايا مذهبية • لكنه لم يكف بل قصد القسطنطينية ثانية وتوصل الى عزل البطريرك ، فخلفه سويروس الانطاكي سنة ٥١٢، لكنه نفي الى بعد تولي يوسطينوس امور المملكة ومعه عدة اساقفة في خريف ٥١٨ ، ومات في غنغرة سنة ٥٢٣• وهذا ايضا دليل على ان ايا من المذاهب لم يكن قد اتضح بما فيه الكفاية ، واتخذ استقلاله بمفرداته واشخاصه وجماعاته الكنسية • ترك المنبجي تاليف عديدة في التفسير واللاهوت والجدل والحياة النسكية والطقوس . فقد صنف في اللاهوت والتثليث والتجسد ، ، وطبع ذلك فاشالد، وله بحث في ان اقنوما من الثالوث تجسد وتألم . طبعه بريير ، واخر في البشارة طبعه كروكر، وضد الهراطقة والبدع طبعه نو ، وضد القائلين بالطبيعتين والشخص الواحد في المسيح طبعه بدج ، وسيرة الكمال في الحياة النسكية طبعه بدج أيضا، ثم لمو ان في سلسلة المصادر المسيحية، ثم مجمع اللغة السريانية في بغداد سنة ١٩٧٨ • وقد سلمت ١٦ رسالة لاهوتية وزهدية نشرها فاشالد • نو ، كويدي ، ده هاليه ، فروتينكهام ، لافنان ، ماي ، الرحماني ، اولندر، تاكي وغيرهم • وجاء في سيرته انه فسر العهدين القديم والجديد استشهد به ابن الصليبي، وثمة شذرات من شرح انجيل متى ولوقا ويوحنا. وله ليتورجيتان ، وخطب للاعياد. اما احسن مصنفاته فكتاب (سيرة الكمال) في ١٣ مقالة بحث فيها سبل التلمذة للمسيح والايمان والبساطة والورع والفقه والزهد والعبادة (٨٧) •

يعقوب الرهاوي

خير من نختم به هذه الجولة الواسعة علامة من عمالقة

الادب السرياني ، يمثل لنـــا بأجلي بيان قيمة المنطقة:الرها
نصيبين واطرافهما والثقافة السريانيـــة في عصر اصبحت
هي المتبوأة عرش الحضارة والتمدن ، بعد انحسرت اليونانية
فغدت السريانيـــة نقطة التماس وحلقة الوصل بين الحضارات
القديمة والحضارة التي كان لها ان تغدو بعد سنوات قليلة
وريثة المدينة العالميـــة وتزهو بلغة عربية وتنتشر في الامصار .

انه يعقوب الرهاوي.

ولد في عيندابا احدى قرى جوميـــة التابعة لانطاكيـــ
بحدود سنة ٦٣٣ . وقرأ على قرياقوس زائر كورته ثم قصد
دير قنسريـــن فترهب فيـــه ، ودرس على ساويرا سابوخت
العالم الكبير . ومـــن زملائه اثناسيوس البلدي الذي اصبح
بطريركا . ولم يكتفـ بهذا القدر فهو " محب العلم والعلـــم "
لذا رحل الى الاسكندرية وتبحر هناك في اليونانية لكي يعود
الى الرها في اوائل سنة ٦٨٣ ، وتنسك هنـــاك . ووقـــع
الاختيار عليـــه ، فرسم اسقفا سنة ٦٨٤ ، لكنه لم ينجح في
ادارة ابرشية الرها بسبب صرامته في تطبيق القوانين، فهجر
الابرشية بعد اربع سنوات ومضى ، الى دير مار يعقوب في
كيسوم ، ثم انتدب لتدريس اليونانيـــة في دير اوسيبونـــا
القريب مـــن انطاكيـــة ، وقضى فيـــه ١١ سنة حتى احس بكره
الرهبان لليونانيـــة ، فمضى الى دير تلعدا مع سبعـــة مـــن
التلاميـــذ . وطلبه اهالي الرها مرة اخرى بعد وفاة اسقفهم
حبيب فعاد اليهم في اواخر كانون الثاني ٧٠٨ . الا ان المنيـــة
وافته بعد اشهر . وتدلل حادثة ابتعاده عـــن دير اوسيبونا
ان الحنين الى اصالة مشرقيـــة سريانية كان شديدا في اعماقه

الناطقين بالسريانية حتى لدى اولئك البعيدين جدا عن قلب السريانية ، والذين كان من المفروض ان يتأثروا اكثر من غيرهم باليونانية ، لقربهم جدا من انطاكية . ولا ننسى اننا في اواخر القرن السابع. خلف الرهاوي آثارا عديدة وقدكان له الوقت الكافي للدرس والمطالعة والكتابة .

ذكر له الصوباوي : كتاب الازمنة واليوميات أي التاريخ وقد طبعه بروكس ونقلته الى العربية ضمن (تواريخ سريانية) ونشرته سنة ١٩٨٣ . ومجرد ذكر الصوباوي اياه دليل على قيمته ، لان صاحب(فهرس المؤلفين) لا يذكر عادة سوى المشرقيين.وليعقوب كتاب (الايام الستة) وهو هكساميرون على غرار الموسوعات التي وضعها قبله باسيليوس وامبروسيوس وغيرهما ، قام شابو بنشره . واعاد يعقوب النظر في ترجمة الكتاب المقدس السريانية المعروفة بالبسيطة أو العادية الجارية (فشيطتا) مستعينا بالترجمة اليونانية السبعينية والترجوم السامرى ، ولم يسلم من عمله هذا سوى الاسفار الخمسةالاولى من العهد القديم واسفار صموئيل واشعيا ودانيال وشذرات . وله ضوابط الاسماء والقراءات في اسفار الكتاب المقدس وشرح للالفاظ العبرية ، فقد كان يتقن العبرية واليونانية ، وافاده ذلك في اشتغالاته . كما فسر اسفارا كتابية عديدة . وله كتب ومقالات ورسائل لاهوتية وفلسفية عديدة ، وكتابات طقسية وخطب ، كما انه نقل خطب سويريوس الانطاكي من اليونانية الى السريانية وبلغ عدد الخطب التي نقلها ١٢٥ . وجمع القوانين الكنسية وكتب في هذا الموضوع . كما تميز في ميدان اللغة والنحو ، واليه يعزى وضع الحركات السريانية

الغربيـة • وله عدة قصائد • وقد قام كثيرون بطبـع ما سل
مـن تصانيفه ، أجلهم السمعاني شابو ، فيلبس ، فورلاني
اوجين منا ، اوكوليني ، رايــت ، كرافـن ، فــوبـس
وغيرهــــم(٨٨) •

وللتعرف على ما بلغه علم الناطقين بالسريانية في القر
السادس ـ السابع ، نسوق هنا محتوى الموسوعة التي كتبه
يعقوب الرهاوي بعنوان (الايام الستة = الهكساميـرون :
اشتنت يومي) ، فهو كتاب يتكون من مقدمة وسبعة مقالات ،
المقدمة حوار بين الكاتب وتلميذ له • ويتناول المقـال الاو
الخلقة الاولى العقلية اللاجسميـة للقوات السمـاويـ
والملائكيـة ، وكلمة في العلة الاولى الخالقة الازلية القادرة عل
كل شيء • الملائـكة اشعة النور الاول ، صور حيـة ناطقـ
للمثال الحي وهاب الحيـاة ، خلائق منذ الازل ، ابتدأ
ولا نهاية لهم،قديسون اطهار ، قوات حكماء ، لامنظورون
يتمتعون بمعرفة ثابتة راسخة ، عملهم المستمر اطاعة باريهم
فهم رهـن مشيئته ، متحدّون بالخالق بالفكـر والارادة
ويتدرج في تعداد مراتبهم ، مبتدئا من الاقرب الينا الملائكـ
صعودا الى رؤوساء الملائكة والرئاسات والسلاطين والعروش
والسادات والقوات والكروبيـم والسرافيـم • فهـي تسـ
مراتب معروفـة • اما عددهم فغفير • ثم يبحث في سلـطا
ارادتهم الذاتيـة فيقول : انه واحد اوحد الكامل ابدا • أ
جميـع الذيـن لهم بدايات فمتغيرون بطبعهم، لانهم مخلوقون
ويتحدث عن الملائـكة في العهديـن القديـم والجديـد •

ويتناول في المقال الثاني تكويـن السماء والارض بـد
بالخليقة الثانيـة ، الماديـة الهيولية ، وعناصرها الاربعـة

التراب ، الماء ، الهواء ، النار • فان الكلمة الخالق جاء بالخليقة الحسية الجسمانية من عدم الوجود الى الوجود ، بعد ان كانت مختلفة غير متميزة ، كرة واحدة كثيفة ومتماسكة • ولكن بما ان لكل من العناصر طبيعة خاصة تحركت ضمن بعضها ، فكان التراب اصل الثقل والبرودة ، والارض مصدر العطور والابخرة والمذاقات • وما اكثر الاختلافات في تكوين الارض وطبيعتها • فهناك جبال وعرة وكهوف وهضاب ووهاد وجداول مياه وقسم لا يصلح للسكنى • وتندفع النار في أماكن مرتفعة عن سطح الارض ، واخاديد مملوءة هواء ، واخرى ممتلئة نارا • ويتطرق الى حجم الارض وقياس الكتلة الترابية وكميتها ، والى تقسيم محيطها الى ٣٦٠ جزءا ، وكيف ان العنصر الثاني بعد التراب هو الماء ، والثالث الهواء ، والرابع النار • ويتحدث عن التكوين الذي يطلق عليه اسم سماء ، وعلى ما فيها من سحب وجلد والسيول التي تهبط من الجو ، والرياح وحركة الهواء •

ويبحث في الثالث عن الارض البادية للعيان بفضل انحسارها عن المياه ، وظهور اليابسة الصالحة للسكنى • ويتطرق الى البحار والخلجان والجزر والبحيرات والانهار والجبال ، والزروع والعروق والاشجار والثمار ، مقدما بحثه بكلمة في دور الله الخلاق • وفي المقال معلومات طبيعية وجغرافية نفيسة •

ويتحدث في الرابع عن النيرات التي أوجدها الله في فلك السماء ، مشبها اياها ببيت ملوكي يعمل الله على تزيينه بعد ان استكمل بناءه ، خالقا الجو الرائع الصافي المنير في الارض اليابسة الفسيحة الملائمة للسكن ، ومنظما فيه

البحار والانهار والينابيع ، وواضعا فيه الانوار لتنير لي
نهار ، فيتجهز البيت من اجل الانسان ،ويتم تحديد الزم
بالشمس والقمر والكواكب وعلامات الليل والنهار · ويوض
الرهاوي جوهر كل جسم من النيرات ، مؤكدا على انه
ليست عاقلة كما زعم الاقدمون · ويتطرق الى مدى ارتفا
الشمس وحركة السيارات الدائرة حول الارض وبعض
التغيرات التي تحدثها الشمس في الارض والى خطوط المسكون

ويتكلم في الخامس عن الحيوانات والزحافات والطيو
وطرق الولادة والتربية لدى الاسماك والطيور ، ووصف
هيئاتها واشكالها وتمييز الطيور الطاهرة التي تأكل العش
وتلتقط البذور ، من الطيور الجارحة اكلة اللحوم · والحشرا
باصنافها ، مقدما فوائد في علم الحيوان · فضلا ع
المصطلحات العلمية العديدة · ويخص المقال السادس
للتحدث عن البهائم والوحوش والزحافات ، مشبها الل
بالمهندس الحكيم الذي بعد ان زين المياه والجلد والاسم
والطيور ، زين الارض بالبهائم والدبابات والوحوش
اضافة الى النباتات والاشجار · ويتطرق الى اصناف
الحيوانات كالبقر والماشية والعظايات والعقارب والدبابا
ويتطرق الى خصائصها المنسجمة مع تكوين كل منه
فمنها ما له اسنان من فوق ومن اسفل ، ومنها ماله أسن
من أسفل فقط ، أو مخالب حادة ، ولغيرها حوافر ، اواظلا
ولغيرها بطون مجترة ، وأثدية كثيرة أو قليلة ، ومنها م
يعيش في البر والماء ، وغيرها في البرارى أو في الجبال ، منو
بذكاء بعض الحيوانات كالكلب والايل والحردون والقط
والفئران ،ويذكر حيوانات سامة كالحيات والنحل والعناكب

ويكرس المقال السابع للانسان مشبها اياه بعالم صغير ذ منحه الله كرامة اسمى من سائر الكائنات المحسوسة لتي خلقها، لكي يتسلط عليها وتكون في خدمته • والانسان مركب من عنصر منظور واخر غير منظور، محسوس وعاقل، جسماني هيولي، وروحي • ويفيدنا بمعلومات جيدة في تركيب الجسم مشبها اياه بالقصر حتى يبلغ المخ، فيقول ان فيه العقل الذي خلقه الله على صورته ومثاله • ويقول بالاختلاف الذي جعله الله بين الذكر والانثى من اجل الولادة • ويتحدث عن ميزات الانسان، كالمشي على رجليه وانحناء الركبة الى الامام، ومسكه الاشياء باليد وعدم وجود غطاء طبيعي له بحيث يحتاج الى ثياب، وبقاء الراس مرفوعا عاليا •

ويعقد مقارنة بين الله وعقل الانسان فيقول: الله ازلي عاقل، غير مرئي، والعقل عاقل وغير مرئي • الله لامتناه وغير مدرك، والعقل كذلك • الله لطيف وحاذق، ويرى كل شيء وصالح وعادل، ويتمتع بصفات القوة والرحمة والحكمة والنقاء والقداسة والمسالمة والهدوء، والعقل البشري على شبه خالقه • ويدعم يعقوب الرهاوي اقواله بشهادات مستمدة من الكلدانيين القدامى، واليونانية، ولا سيما بآيات من الكتاب المقدس، كما بآباء الكنيسة كقورلس وغريغوريوس، حتى يخلص الى تعريف النفس انها جوهر مخلوق، حي، ذاتي الحركة، عاقلة، بغير جسم، بينما العقل هو العين العاقلة، قابلة النور، مرشدة النفس • ويتطرق الى بعض ماتوصل اليه العقل من اكتشافات، منها المفيدة كالفلاحة والعمران والحكمة، ومنها المؤذية كالاسلحة•

ويفيدنا بامور تخص الولادة ، والنمو ، وعمر الانسان ، واتحا
النفس والجسد ، والهدف من خلق الانسان ، والبعـ
والقيامة ، والدينونة ، والعقاب والثواب• ويختم معتذر
ان لاحظ القارىء في كتاباته ما يخالف تعليم بعض معلمي
الكنيسة ، لان كل واحد يتحدث عن الخليقة بحسب ادراك
واجتهاده ، غرضه اولا واخرا : ادراك الحقيقة •

اسهام مدرسة الرها ـ نصيبين في الحركة الفكرية

لا يسعنا ان ننفض اليد من هذا المبحث دون التنويـ
الى ان مدرسة الرها ـ نصيبين لم تنته في سنة محددة ، فقـ
استمر تأثيرها طويلا ، بل مازالت كتابات عباقرتها تغـذي
الكثيرين ، اضافة الى ما تناقلته كتب مؤلفين اخرين مـ
عصارة فكر اولئك المعلمين الاوائل ، فاضحى تراثا شاملا
واذا كان لابد ان نذكر امثلة وشواهد اخر فـ
فلا نغفل شخصا عالما مثل ايوب الرهاوي الـذي
خلف موسوعة شهيرة بعنوان كتاب الكنو
(كثابا دسيماثا) طبعه منكنا (٨٩) • والامثلة كثيرة • انمـ
نكتفي بالتطرق الى ما المحنا اليه في تضاعيف الحديـ
لدى رصدنا العلماء والمؤلفين الذين أنجبتهم الرها ونصيبين
فهم يمثلون اسهام هذه المدرسة العظيمة في الحركة الفكريـ
والادبيـة عبر قرون عديدة •

فاللغة السريانية غدت بفضل الرها ـ نصيبين لغـ
فكر وعلوم ، سلسة ، محكمة البناء،غنية المفردات ، متعـدد
الاساليب ، يبرز الشعر في المقدمة ، ويليه النثر •
واول ميدان برع فيه اساتذة هذه المدرسة : الكتـا

دس ، بترجمة أسفاره، وشرحها وتفسيرها، وتبيان عللها،
ضافة الى مئات القصائد والمقطوعات والقصص المستوحاة
، الكتاب المقدس • وتأتي الاسرار والطقوس في المرتبة
ثانية اذ لم يترك الادباء جانبا الاطرقوه،وتبنت كنيسة المشرق
سائر فروعها ومذاهبها ، العديد من اثارهم في طقوسها
صلواتها فكتب لها الخلود • وتاتي في المرتبة الثالثة الكتابات
لاهوتية والفلسفية والجدلية ، رغم ان العديد منها اصابها
تلف ضحية المنازعات والتعصب في الماضي • وتأتي في
المرحلة الرابعة كتب اللغة والنحو والصرف وشرح الالفاظ
المبهمة والمصطلحات ، وقد أفادت جدا في انتقال العلوم • وترد
في المرتبة الخامسة كتب موسوعية من اروع ماورثناه عن
الاقدمين بدءا بكتابات افرام ذات الطابع الديني • وكتابات
نرسي ذات الطابع الفلسفي الادبي والسروجي اللاهوتي
الانساني ، وصولا الى موسوعات يعقوب الرهاوي وايوب
الرهاوي العلمية • اما الجانب التاريخي فلم يلق اهتماما
كبيرا من قبل علماء هذه المدرسة وكذلك الجانب التصوفي
الرهباني،رغم ان بعض خريجي المدرسة انصرفوا الى حياة
الزهد وأسسوا الاديرة ووضعوا القوانين الرهبانية ودبجوا
مصنفات نسكية ، على رأسهم ابراهيم الكسكري وداد يشوع
وسبريشوع واخسنايا وسهدونا ، أما الترجمات فقد
حظيت بعناية خاصة . اذ كانت النقول الاولى والكبرى من
نتاج الرها ـ نصيبين ، بحيث يمكن القول ان مدرسة الرها ـ
نصيبين هي الجسر الاعظم بين الحضارات القديمة واللاحقة
وبنوع خاص في ايصال الثقافة اليونانية الى ديار الشرق •
ويعود الفضل الى اساتذة وتلاميذ هذه المدرسة في وضع

قوانين وانظمة كنسية ذات اهمية بالغة ، اذ تبوأ قسم منه
مناصب كنسية عالية في عدة اماكن . كما ان قوانين المدرس
من وضع نرسي وحنانا وغيرهما وقد أفادت المدارس الاخر
منهــــا ٠

بحق اذا نقول : كانت مدرسة الرها ـ نصيبين مركـ
ثقل ومعين وحي للحياة الفكرية الادبية ،الايمانية، الروحيـ
لكنيسة المشرق ٠ وقليلا هي جدا المدارس التي كان لهـ
دور مدرسة الرها ـ نصيبين في التاريخ البشـــري ٠ فه
كمدرسة اثينا ، والاسكندرية ، وبغداد ، ومدارس اوربيـ
كبرى ، سوف تزدهر في العصر الوسيط ٠ وهذا هو التاري
حين تخلد ظاهرة ثقافية اجتماعية دينية وانسانية ، تطبـ
بصمات خاصة يكون لها من العمق والاصالة مايترك الاثـ
اجيالا ، هو ما فعلته مدرسة الرها ـ نصيبين ٠

مار أفرام الملفان

٤

شهداء النور

الاضطهادات ١/٤

تمهـــــيد

نتطرق في هذا المبحث الى الاضطهادات التي شـــــ
الرومان اولا ، ثم الفرس على المسيحيين ، مركـــزين ع
الاخيرة ، لان موضوعنا (كنيسة المشرق) ومعظم رعاياها م
اهالي البلاد التي كانت واقعة تحت حكم الفرس ، الفـرثي
والساسانيين • والعنوان الذي اخترناه مستقى من (أعما
أو سير واخبار الشهداء وكتابات اباء الكنيسة • وســـو
نترك للقسم الثاني والاخير من هذا المبحث (٣/٤) ، تقـ
كيفية فهم (أعمال الشهداء) . ونموذج واضح بشكل مفصـ
مع التنويه الى امثلة اخرى ، املين ان يتمكن القـــارىء
تطبيق كل القصص الاخرى وفقا للمقاييس المذكورة ، وتـ
المحاولة ناقصة ، لان موضوع الشهادة والشهداء خطيـــــ
وواسع ، وجذاب • وللشهداء موقع كبير في النفوس (١)

عرض القضيــة :

مما اقض مضاجع علماء التاريخ محاولاتهم اعطاء تعال
فيها مابوسعه ان يبرر ، اقله قانونيـــــا ورسميا ، اضطه
المسيحية من قبل الدولة في القرون الاولى للميـــــلاد ، فـ
ظاهرة بارزة ، رغم ان الاضطهادات بسبب الدين موجـــو
ومتكررة في التاريخ •

وبينما انبرى اكثر مفكر ومؤرخ محاولا
ستيعاب الواقع ورسم صورة واضحة المعالم قدر الامكان
ن الاضطهادات الرومانية واسبابها ، لم تلق الاضطهادات
لفارسية اهتماما مركزا ، الا من قبل القلائل (٢) ، ليس من
حيث تشخيص الاضطهادات ووصفها وحسب ، فهذا قد
فعله كل من كتب في تاريخ هذه الكنيسة وتناول الاضطهادات
والشهداء ، بل من حيث تقصي الاسباب والدوافع والخروج
بنتيجة هي درس وعبرة للاجيال ٠

لذا نحاول هنا بحث اسباب الاضطهادات الفارسية في القرون ٣-٥ م ، فنتعرف على ما دفع الفرس المجوس الى شن حملة شعواء ضد المسيحيين من رعايا مملكتهم واسامتهم شتى انواع العذابات ، والتنكيل بهم ، بل محاولة ابادتهم والقضاء على المسيحية في المشرق ٠

أسباب الاضطهادات عامة :

جاءت المسيحية ديانة حب واخوة وسلام ٠ ولم تنتشر الا بقوة مبادئها وبفضل مثالية حياة يسوع المسيح وتلاميذه٠ فلمَ شن الملوك والولاة والحكومات الحرب والاضطهاد عليها ؟ لقد كانت حصيلة دراسات مؤرخي الكنيسة الغربية ، ان الرومان ، وهم أناس قانون من الطراز الاول ، اعتبروا المسيحية خرافة مستحدثة ووصموا اتباعها على انهم مثيرو مشاكل وقضايا جديدة تتنافى مع ماتعود الناس عليه من حياة وسلوكية فكأن المسيحيين قد عملوا هكذا على خلق مجتمع جديد ، بل كونوا قوما وجنسا اخر يختلف عن جسم المجتمع الاعتيادي ، ويعكر صفو حياة الناس الذين يطيب لهم

الخلود الى العادات والتقاليد، والسطحية واللامبالاة، وكل مايدعو الى الكسل والجمود · وازاء ظاهرة جديدة "مزعجة" كهذه، من حق الحاكمين مناهضة اصحاب الدعوة الجديدة وشن الاضطهاد عليهم للحد من انتشار مايدعون اليه، وخير وسيلة قمعية قطعية، ازالتهم من الوجود (٣) ·

وان شئنا التعمق في الامر تسألنا : كيف كانت حياة المسيحيين الاولين ؟ ولمَ كانت تصرفاتهم تزعج الاخرين الى هذا الحد بحيث انهم حملوا لهم الكراهية والبغضاء، وجر المسيحيون على انفسهم شتى اصناف العذاب والموت ؟

حياة المسيحيين تزعج الاخرين :

يفيدنا التاريخ ان المسيحيين الاوائل كانوا غيورين جدا على وديعة الايمان، متحمسين لمبادئهم ومثلهم، ساعين في تجسيدها في سلوك حياتي متشدد، فهم شهود قيامة وابناء نور، بل ابناء الله واخوة للجميع، حتى دفعهم الامر الى تجنب الاخرين، **لئلا يساقوا الى مسايرتهم في** تصرفات حياتهم الوثنية، فباتوا لا يشاركونهم في الملاهي والملاعب، ففيها من الصخب والعنف والمنكرات **وامتنعوا** عن حضور الاعياد والمناسبات الشعبية ففيها من الاحتفالات الوثنية والشعائر الدينية المنافية لمعتقداتهم، وقد سبق ان نبذوها الى الابد، وسلكوا جدة حياة فيها من التيقظ المرهف لكل مابوسعه ان يعكر صفو نقاء السيرة · ولتحقيق ذلك اخذوا يتملصون قدر المستطاع منْ تقلد مناصب رسمية، لان ذلك يرغمهم احيانا على التصرف بما لا يليق وكرامتهم الدينية والخلقية · وقد كان لبولس الرسول دور كبير،

سيما في الامبراطورية الرومانية ، في ترسيخ مسلك مسيحي
خاص . فهو في رسائله العديدة التي بعث بها الى امهات المدن
الرومانية واليونانية يحذر المسيحيين من معاشرة الوثنيين ،
رغم وضوح فكره بشأن الحرية ، وعلى الرغم من مطالبة
المؤمنين المسيحيين بالمحبة الشاملة ·

ولعل خير ما نسوقه في هذا مقطع من رسالته الاولى الى
اهل قورنثية (قورنثس) · اذ يقول بولس :

"ومع اني حر لدى الناس ، فقد جعلت من نفسي عبدا لجميع الناس كي اربح اكثرهم · فصرت لليهود يهوديا لاربح اليهود ، وصرت لاهل الشريعة (الناموس) من اهل الشريعة ، وان لم اكن من اهل الشريعة ، لاربح اهل الشريعة· وصرت للذين لهم شريعة كالذي ليس له شريعة لاربح الذين لاشريعة لهم ، مع اني لست بلا شريعة من الله ، فانا في حكم شريعة المسيح · وصرت للضعفاء ضعيفا لاربح الضعفاء ، وصرت للناس كلهم كل شيء لاهدي بعضهم مهما يكن الامر· وافعل هذا كله في سبيل البشارة ، ليكون لي نصيب من خيراتها ·

أما تعلمون انهم في الميدان يجرون كلهم ، ولا يحرز قصب السبق الا واحد منهم ؟ فاجروا انتم مثله حتى تفوزوا ، وكل مسابق يحرم نفسه كل شيء · فهؤلاء يفعلون ذلك من اجل اكليل يزول ، واما نحن فمن اجل اكليل لايزول ·

فلذلك اهربوا يااحبائي ، من عبادة الاوثان ·· كل شيء حلال ، ولكن ليس كل شيء ينفع · كل شيء حلال ، ولكن ليس كل شيء يبني ··" (١ قور ٩ ، ١٩ــ٢٥ و ١٠ ، ٢٤و٢٣) ·

ومضى المسيحيون الاوائل ابعد من ذلك ، فبشروا بر كائ
ايمان هي المساواة ، والاخوة ، والمحبة ، والسلام ، وهذه قي
تتنافى وما يدين به الرومان وغيرهم عهد ذاك • فالنـــاس
أحرار وعبيد ، رومانيون من درجة اولى وغير رومانيين مـ
صنف أوطأ ، فكيف يكون الجميع متساوين ؟ وغير الموالي
أعداء تجب محاربتهم حتى الابادة ، بل الحرب ضرورة للتوس
والسيطرة ، فكيف القبول بالمحبة والسلام ؟ •

لذا ، فالمسيحيون ـ حسبهم ـ يعلمون تعاليم "غريبة"
لايسع الرومان ان يقبلوها بأي شكل من الاشكال •

المسيحي روح في جسد ، في العالم وليس من العالم

**مسيحي نجهل اسمه صاحب رسالة حفظها لنا التاريخ من الفيـــ
موجهة الى ديونيتس ، لعله كلاوديوس ، وذلك نحو سنة ١٩٧ ، أو ٢٠٢ـ٢٠٣
ننقل من الفصل الخامس والسادس ماياتي :**

**الفصل ٥:١ ـ فان المسيحيين لايختلفون عن الناس الاخرين ســو
بالارض ام باللغة ام باللباس •**

**٢ ـ انهم لايسكنون مدنا خاصة ، ولا يتكلمون بلغة غير مستخدمة ، وليـ
في الحياة التي يعيشونها اية غرابة •**

**٣ ـ ليس تعليمهم ثمرة اعتبارات واجتهادات اشـــخاص فضوليين ، و
يجعلون انفسهم كالبعض اصحاب نظرية تشرية •**

**٤ ـ يسكنون المدن اليونانية والبربرية (غير الرومانية) كأي انســـان
ويسلكون وفقا للعادات المحلية فيما يخص اللباس والاكل والحيـ
الاعتيادية كلها ، انما يظهرون بطابع عجيب وخارق من نمط حيـ
يبدو للجميـــع •**

**٥ ـ يسكنون في وطنهم الخاص ، انما كغرباء • يشاركون في كل شـــ
كمواطنين ، ويحتملون كل شيء كمسافرين • كل ارض غربة وطنه
وكل وطن ارض غربة •**

**٦ ـ يتزوجون كبقية الناس ، ويلدون الاولاد ، لكنهم لايعرضون حـــدي
الولادة للمـــوت •**

ـ مائدتهم مشتركة ، لا السرير ٠
ـ انهم في الجسد ، انما لابحسب الجسد ٠
ـ يسكنون الارض وهم مواطنو السماء ٠
١ ـ يطيعون الشرائع الموضوعة ، وبحياتهم يتخطون الشرائع ٠
١ ـ يحبون الجميع ، لكنهم مضطهدون من قبل الجميع ٠
١ ـ غير معروفين ، ومع ذلك يحكم عليهم ٠ يقتلون ، غير انهم يحيون ٠
١١ ـ انهم فقراء ، ويغنون الكثيرين ٠ ينقصهم كل شيء ، ويفيض عندهم كل شيء ٠
١٤ ـ مهانون ، انما في التحقير يكتسبون مجدا ٠ يشتمون ، ويشهد لهم في الوقت عينه بالبراءة ٠
١٥ ـ يمتهنون فيباركون ، يعيرون فيقومون بواجب الاحترام ٠
١٦ ـ لانهم يفعلون الخير يعاقبون كمجرمين ، ورغم العقاب يفرحون وكأنهم ينالون الحياة ٠
١٧ ـ يحاربهم اليهود كغرباء ، ويضطهدهم اليونانيون ، انما لايعرف من يبغضهم كيف يفسر سبب معاداته اياهم ٠

الفصل ٦ :

١ ـ لكي نقولها باختصار : يمارس المسيحيون في العالم وظيفة النفس في الجسد ، بعينها تماما ٠
٢ ـ فالنفس منتشرة في جميع اعضاء الجسد ، هكذا المسيحيون منتشرون في جميع مدن العالم ٠
٣ ـ تسكن النفس في الجسد ، لكنها ليست من الجسد ٠ ويسكن المسيحيون في العالم ، لكنهم ليسوا من العالم ٠
٤ ـ النفس هي غير مرئية وسجينة في الجسد المنظور، والمسيحيون مرئيون لانهم في العالم ، أنما تظل غير منظورة العبادة التي يوجهونها الى الله ٠
٥ ـ الجسد (اللحم) يكره النفس ويحاربها دون نشوء اية عداوة ، فهي تمنعه من الاستسلام للذات ، هكذا المسيحيون مبغضون من قبل العالم رغم انهم لايسببون له أي ضرر ، فهم يرفضون اللذات ٠
٦ ـ تحب النفس الجسد والاعضاء التي تكرهها ، كما يحب المسيحيون من يبغضهم ٠
٧ ـ النفس محصورة في الجسد الذي تسنده ، هكذا المسيحيون ، فمع انهم سند العالم ، نراهم محبوسين فيه كما في سجن ٠

٨ ـ تسكن النفس الخالدة في مسكن لائق ، ويعيش المسيحيون كغربـــاء فيما هو فاسد لكنهم يرجون عدم الفساد السماوي •

٩ ـ تغدو النفس افضل باماتات الاكل والشرب ، ويغدو المسيحيون افضل كل يوم ، مع انهم مضطهدون •

١٠ ـ لقد اعد الله لهم مكانا رفيعا جدا لايحق لهم التخلي عنه " •

(ترجمتي عن : A Diognete, Introl., trad. e note: Sergio Zoncone, 2 ed ., Borla 1981 .

اسباب الاضطهادات الرومانية

نستدل من الحكم على بولس وسيلا السبب الاكبر الذي كان يدفع الرومان الى شن الاضطهاد على المسيحيين • فحين جروا الرسولين (بولس وسيلا) الى ساحـــة مدينة فيليبي (ولاية مقدونية ، مقاطعة رومانية) ، لدى القضاة ، نسمعهم يقولون : "هذان الرجلان يوقعان الاضطراب في مدينتنا ••• يدعوان الى سنن لا يحل لنا قبولها ولا اتباعها ، ونحـــــن رومانيون" (اعمال ١٦، ٢٠ـ٢١) • فالمسيحيون يخلقـــون الشغب والسجس في المجتمع ، ويشكلون بالتالي خطرا علـى كيان الدولة وسلامة امنها ، لذا يستحقون السجن ، والعذاب والمـــوت •

وأضاف بعض المؤرخين سببا مهما اخر ، هو تحـــريك الجاليات اليهودية التي كانت في الامبراطورية الرومانيـــة يومذاك • واليهود الد أعداء المسيحية لانهم رفضوا الايمان

بالمسيح المنتظر ، وتنكروا لكتبهم عينها وانبيائهم. واعتبروا المسيحية تحديا صارخا لدينهم ، فراحوا يحاولون الايقاع باتباع الناصري بشتى الوسائل . واكبر وسائلهم الحيلة وتحريك الاخرين • يطلعنا سفر اعمال الرسل على شيء من هذه الدسائس ومحاولات الايذاء (الفصول ٢٢ـ٢٦). كما ان اعمال الشهداء طافحة بمكائد اليهود وما تسببوه في حمل الولاة والحكام على الايقاع بالمسيحيين •

ولم يقتصر الرومان على الحد من المسيحية بالكلام والتهديد والوعود . بل اصدر اباطرتهم مراسيم تقضي بابادة كل من يدعى انه مسيحي ، وكأن المسيحي والمجرم سواء بسواء • وحتى حين كانت تخف موجة الاضطهادات . تظل الاوامر القاضية باعدام من يعلن انتماء الى الدين الجديد قائمة . كما في مرسوم ترايانس (تراجان) سنة ١١١ـ١١٣ •

تقرير بلينيوس الصغير الى ترايانس سنة ١١١-١١٣

"حري بي ، سيدي ، ان ابلغك بكل ما ارتاب فيه ، اذ من بوسعه ان يعنى بسؤالي ويعلم جهلي افضل منك ؟ انها لمعلومات بشان المسيحيين • فانا لااعرف كيف ومتى يجب ان يعاقبوا ، او يبحث عنهم •• لم اتردد لكي اضع فرقا بين الاعمار • وفي حالات ابدائهم اية امارات ندم • ام ترى يكفي الاسم وحده (أي انهم مسيحيون) ؟ ••

مهما يكن من امر ، فاني اتبعت الطريقة التالية : سالتهم (هل هم مسيحيون)؛ ، فاعترفوا تكرارا • واذ سالتهم ثالثة ، توعدتهم بالتعذيب • ولما أصروا ، اقتيدوا للمحاكمة (يذكر بانهم عديدون ، ومن المواطنين الرومان ••) • جريرتهم انهم يجتمعون قبل بزوغ الشمس وينشدون للمسيح • لكنهم لايسرقون ، ولايزنون ، ولايحلفون بالزور ، ولاينكرون الوديعة • وقد رأيت ان استشيرك بسبب خطوره العدد ، فانهم تترهمن كل الاعمار ، وسائر الطبقات ، وكلا الجنسين ، ومن المدن والارياف والبراري •

مرسوم ترايانس سنة ١١١-١١٣

ترايانس الى بلينيوس٠

لايبحث عنهم ٠ اما اذا قدموا (الى المحكمة) واصروا ، فليعاقبوا ٠ وان انكر احدهم بانه مسيحي ، يعفى عنه ٠

(ترجمتي عن (نصوص تاريخ الكنيسة ، انكريديون)، ص ٢٢-٢٤)

الاضطهادات الرومانية :

سمح القانون للرومان ان يشنوا الاضطهادات الدموية القاسية على المسيحيين بعد ان اعتبرت البدعة الجديدة "خيانة عظمى" حكمها الاعدام ، لان اصحاب الدين الجديد شكلوا (قوما) أو (جنسا) ثالثا ، ومجتمعا غربيا ، متعارضا وجنس الوثنيين وقوم اليهود . لذا عد المسيحيون اعداء الجنس البشري ، او المجتمع الروماني ، ووصموا بالكفر والالحاد والتخريب . لمناداتهم بالمساواة بين البشر ومحبة الجميع ، اضافة الى اتهامات الصقت بهم بسبب اجتماعاتهم٠

ولعل اول ذكر لاضطهاد روماني ضد المسيحيين هو سنة ٤٩ . حين طرد قلوذيوس المسيحيين من روما . اثر جدالاتهم بشأن شخص المسيح٠

اما اول اضطهاد دموي ، فهو على يد نيرون الذي تخلصا من المسؤولية بعد حرق روما . اذ شبت النار في عشرة احياء من احياء روما الاربعة عشر ، راح ضحيتها الالوف . القى الجرم على المسيحيين ، واصدر مرسوما مفاده "لايجوز ان يكون ثمة مسيحي christianum esse non licet

أودى بالوف الشهداء . هلكوا حرقا او صلبا او طعاما للوحوش منهم بطرس كبير الرسل سنة ٦٤ ، وبولس

رسول الامم سنة ٦٧ ·

تلاه اضطهاد دوميسيانس في اواخر سني حكمه (توفي سنة ٩٦) · ورغم قصر المدة ، فقد كان سريان الاضطهاد على مناطق عديدة من المملكة الرومانية ، راح ضحيتها الكثير من الشهداء ، منهم فلافيوس اكليمنضص (اقليميس) والقنصل اشيليوس كلا بريوس · اما ترايانس (٩٨-١١٧) فقد اصدر مرسوما بعدم البحث عمن هم مسيحيون ، للتخفيف من الوشايات والتهم الكاذبة لكنهم يحاكمون في حالة مثولهم امام القضاء وتاكيدهم بانهم مسيحيون · واستمر الوضع في عهد خلفه حتى سنة ١٣٨ ، ورغم ذلك سقط شهداء كثيرون ثم اشتدت وطأة الاضطهادات في عهد ماركس اوريليوس (١٦١-١٨٠) ، فاستشهد القديس الفيلسوف يوستين في روما وبوليقاربس في ازمير ، وشهداء ليون · واستمر الاضطهاد في عهد كومودوس ، فاستشهد العديدون في روما وشمال افريقيا واسيا الصغرى والمناطق الغربية من بلاد مابين النهرين ·

وغدا الاضطهاد منذ القرن الثالث مركزا ، اذ خشيت الدولة نفوذ الكنيسة . فحاولت محوها من الوجود ، فنلقى سبتيموس سيفيروس (١٩٣-٢١١) يمنع اي اهتداء الى المسيحية ، ويعاقب شديدا كل من يخالف ذلك . كما انه يوعز باغلاق مدرسة الاسكندرية (ديداسكاليون) بعد ان غدت مركز اشعاع فكري وفلسفي لاهوتي مسيحي . فيستشهد البعض في الاسكندرية ومصر وافريقيا ، منهم بيربيتوا وفيليسيتاتي ويركز مسيميلنس (٢٣٥-٢٣٨) الاضطهاد على رؤساء الكنيسة من اساقفة وكهنة ضاربا الرعاة لتتبدد الرعايا ·

وزاد دقيوس من التشديد والتضييق ، اذ اراد اصـــــلاح المملكة المنهارة على اسس دينية وثنية ، فامر الامبراطــور ان يقدم الجميع افعال اكرام للالهة . فكثر عدد الشــــهداء والمعترفين . كما ارتد البعض خوفا · وحصل سلام في عهـد فالريانس (٢٥٣ـ٢٦٠) . ولو ان مرسوما صدر في العاميــن ٢٥٧ و ٢٥٨ حرمت فيه الاجتماعات العامة . فاستشـــهد قبريانس اسقف قرطاج والبابا سكستس الثاني · ونعمت الكنيسة بفترة سلام في حكم غاليانس (٢٦٠ـ٢٦٨) ومن تلاه حتى هبت العاصفة الهوجاء سنة ٢٧٩ بتحريض من غالريوس القاصد . واشتدت سنة ٣٠٣ ، فاستشهد الالوف ، حتـــى خفت في الغرب منذ سنة ٣٠٥ ، ثم عامي ٣٠٦ـ٣٠٧ في الشرق الا ان غالريوس لم يمنح الحرية للمسيحيين الا قبل وفاتـه (سنة ٣١١) بقليل ·

وكان ان اصدر قسطنطين الكبير مرسوم ـ ميلانو سنة ٣١٣ . فنعمـت البلاد بالسلام ، اذ قضي المرسوم بحـــريـة المعتقـــد ·

لم تتخذ الاضطهادات الرومانيـــة وتيرة واحدة ، بل كانت ثمة موجات حادة واخرى اخف وطأة . وقد عاش المسيحيون ابان سنيها الطويلة تحـت حكم السيف والعنف والتعذيب والنفي ومصادرة الاموال والممتلكات والتهم والامتهـــان ودفعوا ثمـن انتصاراتهم وشجاعتهم غاليـا ، اذ سفــك الالوف دماءهم الزكيـــة ، غير ان دم الشهداء كان خير بذار لانتشار المسيحيـــة وتوطدها في كل مكـــــــان ·

سم القنصل : ساتورنينوس · الشهداء : سبيراتوس ، نارتزالس ، ليتينوس ، دوناتا ، سيكوندا : فيستيا (ثلاثة رجال وثلاث نساء) -
القنصل : بوسكعم ان تنعموا بعفو سيدنا الامبراطور ان عدتم الى رشدكم·
سبيراتوس : نحن لم نجرم ، ولم نقم بأي فعل اثيم : اذ أننا لم نلعن: بل شكرنا دوما رغم معاملتنا بالسوء : وانا نحترم امبراطورنا ·
القنصل : واننا متدينون ، وديانتنا بسيطة ، نحلف بصورة سيدنا الامبراطور ، ونضرع من اجل سلامته ، فعليكم ان تفعلوا كذلك ·
سبيراتوس : ان كنت تعيرني اذنيك ، فاني سأدلي بسر بسيط
القنصل : لقد شرعت تتلفظ بالسوء بشأن الهتنا ، فلن اعيرك اذنا صاغية وعليك ان تحلف باسم اله الامبراطور ·
سبيراتوس : انا لااعترف بربوبية هذا العالم ، لاني اخدم الله الذي لم يره انسان قط بتعينه · انا لم اسرق ، وان انا اشتريت شيئا ،اعطي عوضا عنه · اعترف بربي ملك الملوك وامبراطور الامم كلها ·
القنصل : الا ابطلت هذا الادعاء ·
سبيراتوس : الادعاء السوء هو القتل والحلفان الكاذب ·
القنصل : لاتكن شريك هذا الجنون ·
كيتينوس : نحن لانخشى غير الله ربنا الذي في السموات ·
دوناتا : انا نحترم قيصر كقيصر ، اما المخافة فهي (واجبة) لله
فيستيا : اني مسيحية ·
سيكوندا : ما انا عليه ، اود ان ابقى عليه ·
القنصل لسبيراتوس : هل تبقى مسيحيا ؟
سبيراتوس : اني مسيحي ، والجميع متفقون معي ·
القنصل : الا تريدون لكم وقتا للتفكير ؟
سبيراتوس : لاتفكير في امر عدل كهذا ·
القنصل : ماذا في جعبتكم ؟
سبيراتوس : كتب ورسائل بولس الرجل البار ·
القنصل : لكم مهلة ٣٠ يوما ، ففكروا ·

سبيرأتزس : اني مسيحي ، والجميع متفقون معي ٠
القنصل : يقرأ المرسوم : الموت بحد السيف ٠
سبيراتزس : نرفع الشكر لله ٠
نارتزالس : سنكون اليوم شهداء في السماء ٠ الشكر لله ٠
الجميع : الشكر لله ٠
(ترجمتي ، عن نصوص تاريخ الكنيسة ، انكريديون : ص ٨٩)

وهكذا برر الرومان اصحاب القانون وسادة العالم المتحضر في تلك العهود ، حملاتهم العنيفة واضطهاداتهم الدموية ضد اناس مواطنين لم ينسجموا والواقع اللاانساني السائد . واستهدفوا ابادتهم الكلية لازالة هذا العنصر الغريب من جسم المملكة المترامية الاطراف . لكنهم لم ينجحوا لان الخميرة الجيدة ليست كالفاسدة . ولا يمكن ان تحجب الظلمات مجتمعة انوار الحق الساطع . فكان الانتشار العجيب . وكان الانقلاب من وثنية ذهنية ومسلك ، الى روحية عميقة وحياة مثالية ، فكانت الامبراطورية الرومانية المسيحية ٠

الاضطهادات الفارسيــة ٢/٤

سباب الاضطهادات الفارسيـة

نقول فورا ان الاسباب التي حركت الرومانيين عـلى صدار أوامر تعسفيـة تقضي باضطهاد العديد من رعاياهم ر القضاء عليهم بشتى أصناف التنكيـل والموت ، بحجة انهم لا يدينون بديـن الاغلبية الساحقة ولا يتخلقون بالاخـلاق عينها السائدة في الامبراطورية الرومانيـة . لا يمكن عكسها كما هي تماما على المملكة الفارسيـة . لان العقلية الفارسية لم تكـن قانونية بالشكل الـذى كانت عليـه الذهنيـة الرومانية(١) • لذا ينبغي البحث عـن اسباب اخرى تشرح لنا ظاهرة الاضطهادات التى شنها الفرس المجـوس عـلى المسيحيـين الاوائل فيديـار المشرق •

لا ريب ان التحريك اليهودى كان قائما في المملكة الفارسية ايضا لان اليهود كانوا قد انتشروا في بلاد ما بـين النهـرين وفارس منذ ايام قام ملوك بأبليون واشوريون باخلاء سكان بعض مدن فلسطين من اليهود الذيـن كانوا يسببون مشاكل تضر بأمـن الدولة ، واسكنوهم مناطق ومدنا في المشرق • كما كان انتشار اليهود ايضا بسبب التجارة وهـم مـن المستميتين عليها • وكان رسل المسيـح يلتفون حولهـم في بدايات التبشير بالانجيـل لسهولة التفاهم واياهم بلغـة ارامية: فلسطينية وتلمودية بابليـة ، فمنهم مـن كانـوا يعتنقون المسيحيـة ، ومنهم مـن كانوا يصرون عـلى البقاء متمسكين بيهوديتهم ، ويتزمتون ، فيغدون أشد المناهضين للديـن الجديد • فلا عجب ان استخدموا ذكاءهم ونفـوذهم في التحريض ضد المسيحيين •

وقد كان تأثير اليهود الديني كبيرا علـــى المسيحية ، لا
سيما في الطقوس والمراسيـم والتشريعات ، وبشـكل خاص
في فلسطين والرها ومناطق مشرقيـة اخرى (٢)، وشهـير
هي الظاهرة المسماة بالنزعة المتهودة او اليهودية المسيحية
في تاريـخ الكنيسة ، لا سيما في الاجيـال الاولـــى ٠

اما اليهود الذيـن كانوا يرفضون اعتناق المسيحية فكان
يدفعهم التعصب الى القيـام باعمال مضادة ، والى استخدا
شتى الوسائل للنيل مـن المنحرفين او المنشقين عن دينهم
كما كان يطيـب لهم ان ينعتوا المسيحيين ، وتبـدو مواقفهم
العدائيـة في كثير مـن اعمال الشهداء الذيـن نالوا اكليـل
الشهادة على عهد الفرس (٣) ٠

انما ينبغي ان نبحث عـن السبب الرئيسي للاضطهادات
الفارسيـة ، ونحـن نعتقد اننا نلقاه في عقليـة الفرس ومناخهم
الحضـاري ، واننا مـن خلال قراءة سريعة للتاريخ نستـدل
على نزعـة عدائيـة للفرس الاريين المجوس ضد الساميين
المشرقيين الموحديـن بصورة عامة ، وضد اهالي العراق وبلاد
ما بين النهريـن والعرب بصورة خاصة ٠ وقد تفاوتت هذه
النزعـة العدائيـة في التاريخ ، بحيـث ارتفعت في حقبـات
تاريخيـة حتى بلغت درجة الحروب والاضطهادات الدموية
العنيفة ، وانخفضت في فترات اخرى حتى بلغت االهدنـة
والتعايش ، وفقا للظروف والاشخاص(٤)٠

وبينما يصرح معظم الباحثين بان التحريك اليهـودي
عامل ثانوي في الاضطهادات الفارسيـة ،يجمعون عـلى ان
الدافع الاقوى هو تحريك كهان النار المجوسي ، فقـد كـان
تاثيرهم كبيرا في اكثـر مـن عهد ، لا سيما حـين شاء اكثـر
مـن عاهل فارسي ان يستغل الديـن المجوسي عاملا لكي يلـ

شعب ويوحد الصفوف ، فاغتنمت طغمت الكهان هـــذه
الفرص لترسيــخ دعائم تعصب ديني ذميـم . ولعل ابـرز
المظاهرة في هذا المجــال ، محاولة سابور الثاني (٣٦٩ـ٣٧٩)
لتأكيــد على رسمية الديانــة المزدية (المــزدكيــــــة) .

فقد كانت ديانة المديين والفرثيين والبختياريين والفرس
(جنوب ايران)المزدية أو المزدكيــة ، واصبحت هي الرسمية
منذ عهد سابور الثاني وحتى انتشار الاسلام في البـلاد .
والمزدية ديانة تقول بتعدد الالهة ، على رأسها أهور ـ مـزاد
(ومزدا يعني الكلي المعرفة)، او السيد او الرب الحكيــم،
الساكـن في السماوات ، ومدبر الخلائق ،تراءى لزرادشـت
(من القرن ٧قم ؟)واوعز اليــه بالقضاء على تعــدد الالهة.
يعاونه المزديون (المجوس) ، ومرجعهم الافستا (٢١ كتـــابا
مزديا) ، فيـــه تركيز على الخير والشر ممثلين كيانيـــا
باهورمزدا واهريمان ، وطقوسيــا في الشمس والناس رمز
تطهير المادة ، وعلى (الموبيد) او الكهان الكبار ان يشعـلوا
النار ويعطروا الامكنة المقدسة ، فوق زقورات عالية ، خمس
مرات في اليوم ، كما تحمل النار المقدسة الى البيوت ايضا .
وكان التأكيــد على الصحة الجسدية (فالاكل أفضل مـــن
الصيام). والخصوبــة (عدم الامتناع عـن الزواج ، وتعـدد
الزوجات)، وهم يدفنون موتاهم ، بل يعرضون الجثـــث
للطيور الجارحة ، لئلا تدنس الارض .

وفات المؤلفين القائلـين بتحريـك كهان المجوس انهـــم
بذلك يرجعون اسباب الاضطهادات برمتها الى بواعـــث
دينية ، دونما تشخيص بواعث اخرى ، أهمها ما نوهنا اليه
مـن نزعة عدائيــة لذا ، فنحـن نرى ان الاسباب الحقيقية

للاضطهادات الفارسية هي قومية ـ حضارية ـ سياسية اجتماعية ـ ودينية ، وذلك بشكل متشابك ٠

اما العامل السياسي الذي يطيب للكثيرين ان يؤكدوا عليه في دراساتهم ، ونقصد به عداوة الفرس والروم الابدية، وتنازعهم على المناطق الحدودية،واعتبار الفرس النصارى بالنتيجة موالين للروم رسميا ، منذ ان اصدر قسطنطين الكبير مرسوم ميلانو عام ٣١٣ ، على الاقل ، فهذا حسبنا سبب ثانوي ، لا رئيسي ، كما يريد الكثيرون (٥) ٠

كذلك سبب ثانوي اتخاذ الاضطهادات تغطية للضعف الاداري والسياسي والاقتصادي لدولة الفرس ، سواء في عهد الفرثيين أم في عهد الساسانيين ٠ فقد كانت الانقسامات الداخلية تنخر دولة الفرس بسبب هزال نظام الحكم،وانفراد ولاة الحدود،بعض المناطق الاخر بحكم ذاتي شبه مستقل ، وتفشي نظام العبيد وما ينجم عن ذلك من تفسخ خلقي وازمات اقتصادية متعددة ، واستعلاء طبقة النبلاء والاشراف واستئثارهم رغم قلتهم بمقاليد الامور ، وتنافسهم مع طغمة كهان المجوس ، واحتدام الاقطاع وتحركات الاقطاعيين ضدالحاكمين للتهرب من دفع الضرائب الباهظةالتي كانت تفرض عليهم لا سيما في ازمنة الحروب (٦) ، وقد كانت الحروب مستديمة ٠

ولا بد لنا قبل تفصيل الاضطهادات الفارسية من كلمة توضح العلاقات الفارسية المسيحية في القرون الاولى للميلاد ٠

العلاقات الفارسية المسيحية في القرون الاولى

لن نتطرق هنا الى سائر العلاقات التي قامت بين المسيحيين في ديار المشرق ، الساكنين خاصة في بلاد حكمها الفرثيون والساسانيون في القرون الاولى، لان الموضوع يتطلب الكثير ، وسوف نعود الى ذلك بين الحين والاخر ،انما نركز هنا فقط على توتر العلاقات التي سببت اضطهادات شنها حكام الفرس على المسيحية ، ابان الاجيال الاولى من ترعرع المسيحية في البلاد ۰ فهذاهو موضوع بحثنا هنا ۰

لقد قامت علاقات شتى بين ديار المشرق وفلسطين منذ أقدم العصور ، كما تشهد بذلك نصوص مسمارية كثيرة. وحضارة وادي الرافدين التي انتقلت جوانب متعددة من تراثها الى العبرانيين عبر الكنعانيين خاصة ، فافادت كثيرا في وضع اسفار العهد القديم من الكتاب المقدس(٧)۰واستمرت العلاقات على عهد الفرثيين ايضا ، بل ان مواقف ملوك الفرس كانت بعض الاحيان أفضل من المعاملة القاسية التي عامل بها الملوك البابليون والاشوريون اليهود ، فأن هولاء كانوا يثورون على نظام الحكم في بابل واشور ، فيتخذ حكام الامبراطوريتين اجراءات قاسية ضدهم ، اشهرها أخلاء بعض المناطق الفلسطينية واسكان اهاليها في بابل او نينوى واماكن اخرى ۰ وقد تعلم اليهود دروسا وعبرا من هذه الاجراءات ، لذا مالوا الى الرضوخ ايام الفرثيين ، بل انهم عدوا كورش (٥٥٩ــ٥٣٠ق‌م) مسيحا مخلصا (اشعيا ٤٠ــ٥٥)۰ وكورش مؤسس السلالة الاخمينية ، وشعارها الاقتدار والتحرر وعظمة الشعب ، أصدر مرسوما يقضي بعودة اليهود الى فلسطين في ٢٣ اذار ٥٤٨ق‌م(٨)۰ وبوسعنا

ان نستشف روابط اخرى كانت قائمة بين اليهودية
والمزدية ، الفرس واليهود ، وذلك من خلال سفري طوبيا
واستير ونبؤة دانيال ·

ثم يأتي درو (المجوس) الذين يذكرهم انجيل متى
(٢ ، ١–١٢) · ويختلف بشأنهم علماء الكتاب المقدس ، انما
يتفق الجميع بشأن بعض سكان البلاد التي كانت واقعة
تحت الفرس في القرن الاول للميلاد ، ممن حل عليهم الروح
القدس يوم الخمسين (العنصرة) ، واعتمدوا ، وانطلقوا
شهودا للمسيح القائم ، مبشرين بالانجيل في كل مكان ·

وقد حاول بعض المحدثين ، لاسيما في اواخر القرن الاخير
ومطلع الحالي ، ان يرجعوا أصل بعض "الاثوريين
أي المسيحيين المشرقيين ممن سموا بنساطرة عبر التاريخ
الى سبط أوأكثر من اسباط اسرائيل الاثني عشر(٩) لكنها
نظرية خيالية اكثر منها علمية واقعية ، اساسها
محض افتراض ، والغرض سياسي اكثر منه توثيقا تاريخيا
موضوعيا ، يجوز ارجاعه الى ما المحنا اليه من اصول
مسيحية اولى ·

ليس من الهين الكشف عن مواقف ملوك الفرس من
المسيحية التي اعتبروها ديانة وافدة من خارج المملكة
فالمصادر شحيحة ، ومعظم من كتبوا في الموضوع أخروا
انتشار المسيحية في ديار المشرق الى القرنين الثالث
والرابع · وقد اثبتنا ان المسيحية عرفت تغلغلها في البلاد
التي حكمها الفرس منذ النصف الثاني من القرن الاول ،أي
منذ حكم الفرثيين ، ثم تولى الساسانيون الحكم سنة ٢٢٦م
وكان لابد ان يفرض تركيزهم على المزدية عدم تشجيع
الاديان الاخرى ·· ويفيدنا (تاريخ اربيل) ان المسيحية

كانت قد ترعرعت ونمت في ديار المشرق . ولها سبع وعشرون اسقفية في الثلث الاول من القرن الثالث (١٠) · ويتغير الموقف رويدا من متسامح الى متزمت ·

فأن اول ما فعله اردشير الاول (٢٢٦ـ٢٤١) زيادة معابد النار ، وتعيين اشخاص كثيرين لاتمام عبادة الشمس الاله الاعظم ، والزام الجميع باكرامه كاله · فيضيق الخناق على المسيحية ، حتى ارتد البعض عن ضعف ·

اما ابنه سابور الاول (٢٤٤ـ٢٧٣) فمال الى المانوية في بدايات حكمه ، ودافع عن ماني (١١)· واقتاد بعض الرومان ابان حملته الثالثة على انطاكية والرها ، واسكنهم في فارس كما يذكر هو نفسه في نقش روسطم (١٢)، وكان على رأس الاسرى الامبراطور فالريان نفسه ، وكان معظم الاسرى من الانطاكيين ، فاسكنهم سابور في منطقة جند يسابور في خوزستان (السوس Susiana) وعمل الاسرى على بنيان سد على نهر الكارون (١٣)، بينما تذكر مصادر غربية بان سابور اهان الاسرى وحقرهم(١٤) ، ·

ويقول (التاريخ السعردي)

"في السنة الحادية عشرة لمملكة شابور بن اردشير ، قصد بلاد الروم، واقام بها مدة ، وخرب عدة مدن ، وظفر بالملك اوليفرانيوس (فالريانس) واخذه اسيرا ، وجاء معه الى النبط (نظن يريد منطقة : بيت لافاط ، عيلام، الاحواز) ، فاعتل من الغم ومات هناك ·· ولما انصرف سابور ما بلاد الروم ومعه السبي ، اسكنهم تلدان العراق والاحواز وفارس بهذا السبب · وبنيت الديارات والبيع · وكان فيهم كهنة سبوا من انطاكية ، فسكنوا جند يسابور وأختاروا ازدق الانطاكي فجعلوه اسقفا عليهم ، لان ديمطريوس فطرك أنطاكية اعتل ومات من الغم ، وكان قد خرج منها قبل هذا السبي الثاني وصار الفطرك على انطاكية بعدما سبى ديمطريوس فطركها فولي الشمشاطي (بولس اسميساطي)· وقد شرح دانيال با مريم خبره شرحا بليغا" (١٥) ·

وكان سابور قد حمل على الروم قبل ذلك ، في حملة ثانية ، وتمكن من انطاكية ، وسبى اهاليها سنة ٢٥٧ ، ومن جملة من جاء بهم الى الاحواز (بيت لافاط)،ديمتريانس (ديمطريوس بحسب التاريخ السعردي) اسقف انطاكية(١٦) الذي خلف فابيان منذ سنة ٢٥٣ ·

وسوف يستمر ملوك الفرس في استخدام هذه الخطة ، أي سبى اناس من ديار الروم وجلبهم كرهائن . واسكانهم في مناطق واقعة تحت حكمهم ، فهي خطة سياسية عسكرية ، علاوة على الافادة من هذه الطاقة البشرية في العلم والحرف والصنائع ، فنلقى سابور الثاني ، وقباد الاول ، وكسرى الاول وكسرى الثاني يستخدمونها تباعا · وكانت نتيجتها زيادة الحضور المسيحي كما يقول التاريخ السعردي صراحة·

ويمكننا القول بان حكم سابور الاول كان متسما بالتسامح(١٧) · واستمر هرمزد (اهورمزد) الاول(٢٧٢ ـ ٢٧٣ او ٢٧٣ـ٢٧٤) على هذا الموقف ، وكذلك بهران (وهران) الاول في السنوات الاولى لحكمه ، ثم انقلب على المسيحيين، ونكون بذلك قد بلغنا مرحلة الاضطهادات الدموية العنيفة ، وسنتحدث عنها مفصلا في الفقرة اللاحقة · اما الان فنكمل قليلا وصف العلاقات الفارسية المسيحية ·

ويذكر (التاريخ السعردي) ان (بهرام بن وهواران بن سابور) ،والمقصود بهرام الثاني ،"قصد في اول مملكته الاهواز وبحث عن اعتقاد النصارى ، كما فعل جده سابور ، وكان يعرف طرفا منه ، لانه تربى في كرخ جدان على ما قال ميلاس الرازي ، وتعلم شيئا من لغة السريانية ، فاحضر جماعة من الاباء وسألهم ،وشرحوا له المذاهب ··ثم تغيرت نيته عما

كانت عليه"(١٨) ، ويعزو التاريخ السعردى هذا التغيير الى اتصال العاهل الفارسي بالمانوية ، ولا سيما الى تاثير كريتر الذي سيأتي خبره بعد قليل ·

ولو قفزنا الى مطلع القرن الخامس ، لوجب القول ان المسيحية تمتعت انذاك بفترة هدوء اعقبت فترة اضطهادات دموية قاسية ، بل ان شخصيات كنسية مرموقة سوف تغدو واسطة صلح بين الفرس والرومان ، اذ يأتي أساقفة من ديار الروم الى البلاط الفارسي ، ويمضي اساقفة وجثالقة من كرسي المشرق الى الغرب من وفادات رسمية تعمل على تحقيق السلام · حتى قال كريستنسن ما ترجمته : " لقد كانت المسيحية دوما مقبولة في امبراطورية الساسانيين حتى في الفترات الاشد قسوة من فترات الاضطهاد ··"(١٩)

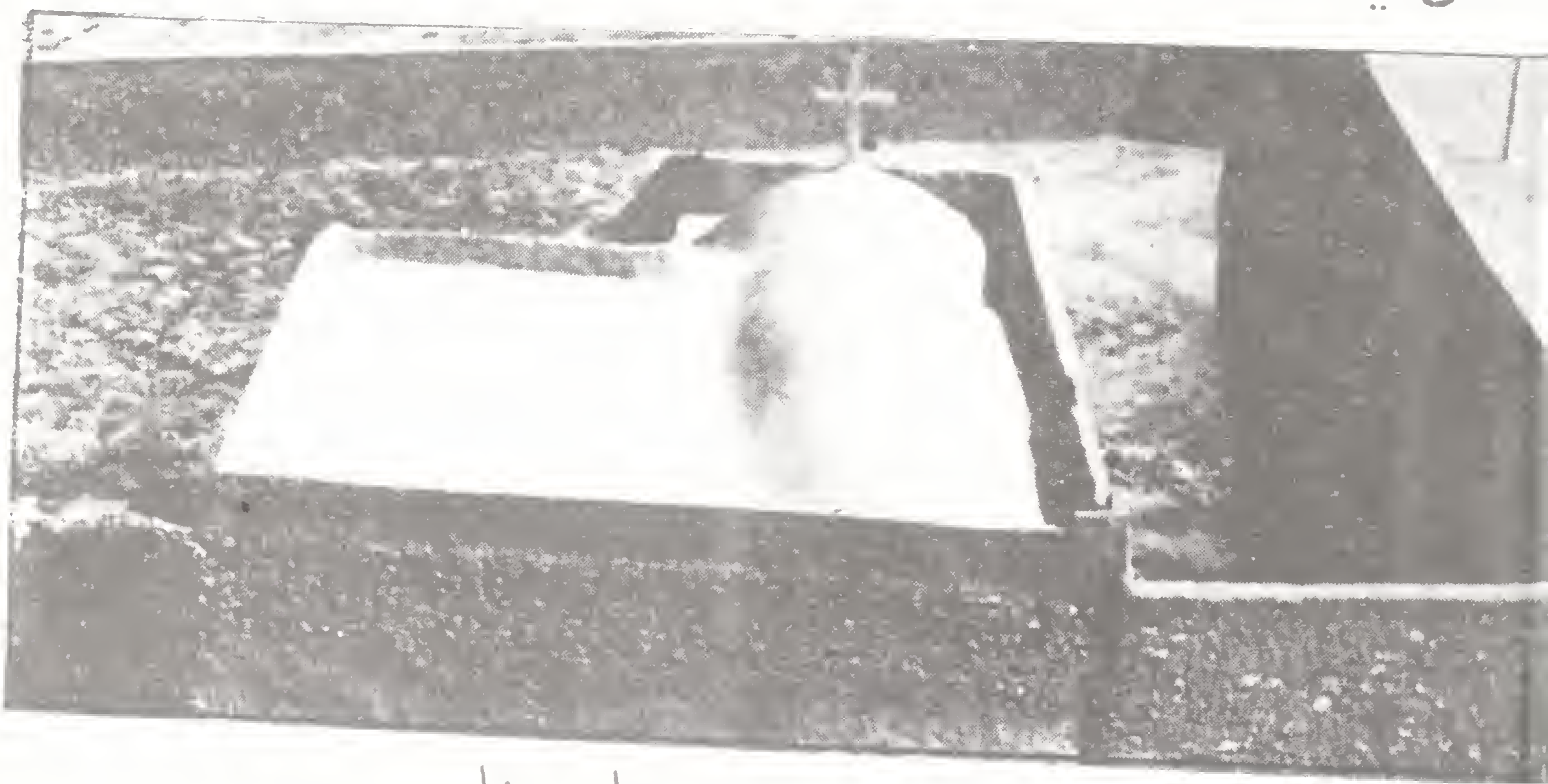

جب مار بهنام

الاضطهادات الفارسية

ان جدة المسيحية وعدم قبولها أي شكل ولون من مساومة على الصعيد الديني والخلقي ، وغيرة بعض المسيحيين كرسل غيارى اندفعوا اندفاعا كبيرا في نشر كلمة بشرى الخلاص(٢٠) ، وتحريك رجال الدين من كهان الزدية ،

وقد كانوا يمثلون طبقة اجتماعية مرموقة ، علاوة على وظيفتهم الدينية ، وخلافات كنسية ما لبثت ان نشبت منذ عهد فافا ، ثم زمن داديشوع الجاثليق ، وبين الجناحين المشرقي والغربي لكنيسة المشرق (من سموا بنساطرة ويعاقبة)، اضافة الى العداء الفارسي للمشرقية ، هذه مجتمعة هي في الاصل من الاضطهادات الدموية التي أودت بالالوف واستفحلت حين غدت المسيحية ديانة رسمية في المملكة الرومانية الخصم اللدود للملكة الفارسية ٠

لم يجمع المؤرخون على تحديد أول اضطهاد شنه الفرس المجوس على المسيحيين ٠ فمنهم من يرجعه الى أواخر القرن الاول للميلاد . بينما يبعده غالبيتهم الى القرن الثاني(٢١)٠ مهما يكن من امر ، فان الشهداء المسيحيين الاوائل ، من أتباع كنيسة المشرق ، كانوا من منطقة الرها وبابل ، وذلك منذ حكم الفرثيين(٢٢)، وعلى أيدي الفرس ما خلا ببعض الذين استشهدوا في منطقة الرها ومجاوراتها على ايدي الرومان قبل القرن الرابع ٠

لا تفيدنا المصادر كثيرا بشأن موقف مؤسس السلالة الساسانية اردشير الاول ابن بابك ، على الرغم مما يمكننا ان نستشفه من نقوشه على المسكوكات ، فهو يضع رمز اهورمزدا والنار المقدسة تعبيرا عن تعلقه بالدين ، لكنه لم يقف ضد المسيحيين بشكل صريح ، فنراه يضم كنيسة مار ماري التي في كوخي الى المدينة الجديدة التي شيدها قريبا من طيسفون واسماها فيه ـ اردشير ، فلو كان متعصبا للمجوسية لهدمها(٢٣) ٠

وجاء بان سابور الاول كان متسامحا ، حتى ان مصادر تاريخية سريانية تذكر له مرسوم تسامح(٢٤) ٠ لكننا نظن

بأن معظم امثال هذه المراسيم الملوكية من تركيب مسيحي تدل لا شك على تسامح من نسبت اليه ، انما لا ينبغي أخذها على علاتها . ويمكننا بالنسبة لسابور الاول ان نعزو تسامحه تجاه المسيحيين والاديان الاخرى الى رغبته في الحد من نفوذ الطبقة الدينية المجوسية ومنعها من الهيمنة على شؤون الدولة (٢٥) . وقد اتبع سابور هذه السياسة عملا بنصيحة مستشاره كرتير . اما قتل احدى زوجاته ، واسمها اسطاسه (اوسطاثيا) لانها اعتنقت المسيحية ، فيمكن اعتباره فعلا منعزلا هدفه عدم تشويش اوضاع قصره ، وكذلك اقصاء اخته شيراران وتزويجها من مرزبان مرو الساساني شيراوان ، فقد تأثرت اخته بايمان مار سابا المسيحي الذي شفاها ، فاعتنقت المسيحية ، واكتفى سابور الملك بابعادها الى مرو في خراسان حيث عملت على نشر المسيحية ,ساعدت مار سابا ، الذي اصبح مطرانا هناك ، على بنيان كنيسة (٢٦) ولا نظن انه كان بوسع سابور ان يفعل اقل مما فعل فالمزدية هي الديانة الرسمية في البلاد .

ولم يحكم هرمزد الاول الا مدة وجيزة جدا ، كان نجم المجوسي كرتير المستشار يتلالا خلالها ويتزايد يوما بعد يوم ، وانقلب الى متعصب ديني بعد ان اصبح موبيدا ، أي رئيسا للكهان المجوس .

اما اولى علامات الزوبعة فقد بدت في عهد بهرام (ورهاران) الاول (٢٧٣-٢٧٦) ، وكانت في بداية الامر محاولة للحد من انتشار المانوية ، فقداستفحل امرها ، وظن الملك ان المسيحية والمانوية شيء واحد ، فقد جمع ماني بين المجوسية والمسيحية ليجتذب الجميع ، وسمى تلاميذه توما وادى، ووجه ادى الى اليمين، وتوما الى الهند، وادعى انه الفارقليط الذي وعد المسيح

تلاميذه بارساله اليهم (٢٧) ، ومع ان بهرام كان قد تربى في جيلان (كيلان) على يد معلمين مسيحيين وتعلم السريانية وجادل الاساقفة ، وكانت له زوجة مسيحية من سبايا الروم(٢٨)، فقد اخافته الظاهرة الجديدة ، انتشار المانوية والمسيحية ، فانقلب الى مضطهد عنيف ، بتأثير كرتير ، كما نقرأ في نقش روسطم في الكعبة الزرادشتية • ومن جملة الشهداء في عهده: قنديرة زوج الملك(٣٠)، وقريبا بن حنانيا ، وتعرض مار فافا عينه للمضايقات ، وهدمت بعض الكنائس لكنه لم يكن بعد اضطهادا دمويا شاملا،وما لبث ان بطل في عهد بهرام الثاني (٢٧٦ـ٣٠٢) ، واستمر السلام في عهد بهرام الثالث (٢٩٣ـ٣٠٢)، لا سيما بعد ابعاد كرتير وعزله• اما هرمزد الثاني فلم يضطهد سوى المانويين•

الاضطهـاد الاربعينـي

تجمع المصادر التي تتحدث عن الاضطهادات والشهداء على ان مضطهد المسيحية الاكبر في ديار المشرق هو العاهل الفارسي سابور الثاني(٣٠٩ـ٣٧٩) ، وقد لقب بذي الاكتاف لانه كان يستخدم طريقة خلع الاكتاف ، علاوة على شتى انواع التنكيل والتعذيب • فسابور هذا مجوسي متعصب حاول ان يؤسس وحدة سياسية مناوئة للامبراطورية الرومانية مبنية على وحدة دينية مفروضة قسرا • فهل اراد بذلك التشبه بقسطنطين الكبير الذى بعد ان اعلن عام ٣١٣ حرية الدين ، عقد مجمعا مسكونيا في نيقية سنة ٣٢٥،وغايته جمع الشمل وعدم التفريط بأي من الاطراف المذهبية المتنازعة ،فحقق وحدة مسيحية وكنسية باسلوب سياسي دبلوماسي • ولتنفيذ مخططاته ، شن سابور عدة حملات على

الرومان ، والعرب . والبرابرة(٣٠) . واعلن حربا شعواء على المسيحية دامت اربعين عاما ، لذا عرف هذا الاضطهاد بالاضطهاد الاربعيني ، وذلك منذ سنة ٣٣٩ وحتى وفاته سنة ٣٧٩ ٠

بعد موت قسطنطين(سنة ٣٣٧) ، عاود سابور هجماته على الحدود الرومانية، لكنه ما عتم ان انسحب عن نصيبين حين علم بوصول الجيش الروماني ، ثم عاد لكي يستجمع قواه ، ويجند اضخم ما يقوى على تسخيره من قوى وامكانات بشرية ومادية ، فامر بجمع ضرائب مضاعفة ٠ وكما يحدث دوما ، فان الضعيف هو الضحية في اوضاع مماثلة ٠

تم الاضطهاد وفق مخطط باشر بتنفيذه كهان المجوس بصورة ضيقة النطاق منذ عام ٣١٨ ، حتى غدا شاملا بفضل مرسوم اصدره الملك يقضي بجمع جزية وضرائب مضاعفة ٠ وفي حالة الامتناع والرفض ، اصدار مرسوم ثان يقضي باضطهاد المسيحيين في سائر انحاء المملكة ، ابتداء برئيس كنيسة المشرق ، جاثليق المدائن ، والاساقفة والكهنة والشمامسة وبني وبنات القيامة (العهد)، والمؤمنين نبلاء كانوا ام فقراء ، رجالا أو نساء أو اطفال ، وكانت موجة الاضطهاد تشتد كلما احتاج الملك الى اموال في حروبه مع الروم ، فراح ضحية ذلك الالوف ، وهدمت الكنائس،وامسى كرسي كنيسة المشرق شاغرا مدة ثلاثين سنة بعد استشهاد مار شمعون برصباعي(٣١) ٠

وأعطت رسالة الملك قسطنطين الى سابور عام ٣٣٦ نتائج عكسية (٣٢)٠وأوغر صدر العاهل الفارسي غضبا وحقدا اثر فشله في الاستيلاء على نصيبين سنة ٣٣٧ واسترداد مقاطعات

خمس كانت قد فقدت ايام الامبراطور غالريوس(+ ٣١١) . فأجج نيران الاضطهاد التي لم تبطل ابان حكمه الطويـــل ، حجته ان الدولة المناهضة مسيحيـــة ٠

ومن الشهداء الذيــن تكللوا في ايامه ، انما قبل الاضطهاد الاربعيني ، شهداء بيــت باجرمي (بيث كرماي) ٠ لنـــــا بشأنهم نصوص ثلاثة هي : جهاد مار سابور ومار اسحق ، ومجموعة شهداء كرخ سلوخ ، وتاريخ كرخ سلوخ ، وهي من النصوص التاريخيــة المهمة (٣٣) واستشهــد يونـــان ، وبريخيشوع ورفاقهما ، وبادي الكاهــن ، والقديسة مهدوخت واخواها ، ومار كوربد لاها واخته قازو(٣٤) ٠

اما الاضطهاد الاربعيني فقد ذهب ضحيته الوفــ الشهداء الذيــن كانوا يسامون شتى انواع العذاب افواجا وافرادا ٠ وشهير هو اضطهاد العامين ٣٤١ـ٣٤٢ ، فقد ذهب ضحيتــه مار شمعون برصباعي (ابــن الصباغين) جاثليق كنيســـة المشرق ، وكدياب وسابينا اسقفا بيت لافاط ، ويوحنا اسقف كرخ ميسان ، وبسبعة وتسعون كاهنا وشماسا ، وكوشتازاد رئيس الخصيان وغيرهم كثيرون (٣٥) ٠

وكان سابور قد كتب الى حكامه ان يكرهوا شمعــون برصباعي ويرغموه على التوقيــع على المرسوم القـــاضي بتحصيــل جزيــة مضاعفة مــن رعاياه ، الا ان جواب شمعون كان ثابتا :"ان ما يطالبني به الملـــك مــن أخذ الجبايات من النصارى مضاعفة ليس هو مــن شأني ٠٠"٠ فصــدر الامــر بايقافه وتعذيبه ، هو ورفاقه ، ثم كان استشهادهم بحــد السيفــ يوم الجمعة العظيمة في ١٧ نيسان سنة ٣٤١(٣٦) ٠

" كتب (سابور) الى الحكام الذين في بلد الاراميين (بيث اراماي - منطقة بابل : وسط العراق في المصادر السريانية القديمة) ان يقبضوا على شمعون (برصباعي)ورئيس اساقفة النصارى (جاثليق كنيسة المشرق) : ويضطروه ان يمضي صكا (عهدا) اخذا على نفسه ان يجمع ويستلم الجزية من جميع النصارى مضاعفة • فلما وصلتهم رسالة الملك ، احضروا مار شمعون : وتلوا على مسامعه ماكتبه الملك •

فجاوبهم القديس باتضاع عظيم وبشجاعة قائلا :

"اني اسجد لملك الملوك وأقر امره من كل قوتي : الا ان ما يطالبني به من أخذ الجبايات من النصارى مضاعفة ليس هو من شاني • واظن انكم انتم ايضا عارفون بهذا الامر • فان السلطان المعطى لنا عليهم ليس في مايرى بل في مالايرى ، اي في التعليم والوعظ بكلام الله والصلوات الطاهرة والضراعة الحارة • فلو كان سلطاننا قائما بالامور الدنيوية لما تمسكنا بالامور الروحانية ، بل لتحلينا بالحلية العالمية • ومع هذا كله التمس الى حضرتكم ان تتنازلوا وتقولوا لي في اي طريقة نثقل نحن بالجزية ؟ العلنا أغنياء ؟ يعلم الجميع بحال كوننا فقراء ، غير مفضلين من المال • او لعلنا اعداء الدولة ؟ لا لعمري • ولا بد من ان يوجد فيكم من يعلم اننا نحب جميع الناس وخصوصا ملك الملوك • لانه اذ كنا قد امرنا ان نحب الذين يبغضوننا ونصلي لاجل اعدائنا ، فكم بالحرى نحن جديرون ان نحب حضرتكم ونصلي لاجل الملك الذي جعلنا الله تحت نير طاعته • وها ان كتبنا نفسها تأمرنا قائلة : لتخضع كل نفس للسلطنات الرفيعة ، فانه ليس سلطنة الا من الله • ومقاومو السلطنة سيأخذون دينونة لانفسهم • ومكتوب ايضا ان ندعو للملوك والعظماء اذ يقول لنا احد ملافنتنا : قبل كل شيء قدموا الصلاة من اجل الملوك والسلاطين • فان كانت كتبنا تأمرنا هذا كله ، فكيف يمكننا ان نبغض ملك الملوك ونكون اعداء له " •

فما فرغ مار شمعون من مقالته (قوله) ، جاوبه رئيس الحكام قائلا:

"ان اقوالك لعذبة ومملوة حكمة • فمن حيث ان كل سلطنة من الله كما قلت انت ، فاخضع اذا لسابور الملك ••"

قال القديس :«لاسبيل لنا أن نخالف ماتقوله كتبنا ، لكنها وان كانت تعلمنا أن نخضع ، فهي قد اظهرت لنا مقدار هذا الخضوع ، اذ قالت : ادوا لكل انسان حقوقه» •

فاجابه الحكام : "افتكر في ماتجلبه على نفسك من البلاء ٠٠"
قال القديس : "انكم قد سمعتم اقوالي وعرفتم افكاري ، فاكتبوا وعرفـ
الملك ، ان امره يفوق طاقتنا ، فلا نقوى اعطاء الجزية مضاعفة لانـ
فقـراء ٠٠"
فاخبر الحكام الملك بكل ماقاله القديس ٠٠
فلما اتصل قوله بسابور ٠٠ قال : "ان شمعون يروم ان يحمل تلاميـ
وملته على خلع طاعتي ويجعلهم عبيدا لقيصر (الروماني) الذي هو م
مذهبهم ، فلا فعلن بهم ولاصنعن ٠٠
فجاوب الملك الحكام ما نصه : حالما تصلكم رسالتنا الالهية هذه ، استدعو
شمعون امامكم ، وقولوا له من قبلنا : لمَ تتجرأ على اتلاف حياتـ
وحياة ملتك ٠٠
فاستدعى الحكام القديس شمعون وقرأوا امامه رسالة الملك ، فاجاب :
"ان قولي الاول والاخر هذا هو : اني لست بمسّلم الشعب الـ
اودعني اياه المسيح سيدي للخراج والجزية مبعدا اياه عن الحـ
واني لقابل الموت من اجله ٠٠ لاحنين رأسي تحت السيف من اجـ
اغنامي : (٣٧) ٠

ذخائر قديسين ـ كنيسة مسكنتة (الموصل)

ومن شهداء الاضطهاد الاربعيني الاخرين : بوسي وابنته مرتا ، ازاد الخصي ,امريا ومقيما الاسقفان ورفاقهم ، تربو اخت الجاثليق مار شمعون برصباعي واختها وتلميذتها من بنات العهد (بنات قياما) ، ميليس اسقف السوس(شوشان) وابروسام الكاهن وسيناى الشماس ، برشبيا رئيس الدير ورهبانه ، دانيال الكاهن ووردة الراهبة ، شهدوست الجاثليق ورفقاؤه المائة والثمانية والعشرون بربعشمين الجاثليق ورفاقه السنة عشر ، الاربعون شهيدا ، بدما رئيس الدير، شهداء باجرمي (بيث كرماي) وحدياب (اربيل)، نرسا اسقف شهرقرد واسحق وفافا الكاهنان وغيرهم ، الشهداء الكيلانيون المسبيون واخرون كثيرون (٣٨)٠

وتحتاج قراءة اعمال الشهداء الى منهجية سنتطرق اليها في الفقرة اللاحقة ، اما الحفاظ على نصوص السِيَر كما هي فواجب ، لانها عادة قصص شعبية غايتها اذكاء الايمان ,العمل على زيادة الاكرام والتعليق بهولاء الابطال الذين ضحوا بأغلى ما عندهم في سبيل الحق والخير ٠من هذه القصص ، المكتوبة في اوقات مختلفة ، ومن قبل اشخاص متفاوتي الاسلوب والنزعة يخلص العالم المختص الى معطيات موثوقة ، كثيرا ما تكون مفردات بسيطة جدا ، تدعمها شواهد تاريخية أكيدة ٠ وستقدم لنا سيرة بهنام وسارة مثالا جليا ٠

اضطهادات أخرى

بعد وفاة سابور الثاني ، تسلم زمام الملك أخوه اردشير الثاني ، وكان صارما وطاغية ، فخلع ، ونصب مكانه سابور الثالث سنة ٣٨٣ ، واستتب السلام في ايامه ، كما في حكم بهرام الرابع وعقد الاخير الصلح مع الروم ٠ ثم جلس يزدجرد الاول (٣٩٩ـ٤٢٠) عوض ابيه ، وكان متبصرا حسن التدبير والسياسة ، محبا للسلام(٣٩)، فاحسن الى المسيحيين ،وفي عهده كانت وفادة ماروثا اسقف ميافرقين ومجمع اسحق الجاثليق ، لذا نرى المصادر المسيحية تمتدحه ، بينما يقول الطبري، معتمدا مصادر فارسية ، انه كان اثيما. ويعلق نولدكه بانه كان طاغية نظير الملوك الساسانيين الاخرين(٤٠)٠ لكنه أكرم ماروثا رسول القسطنطينية والملك اركاديوس (٣٩٥ـ٤٠٨) ، وتجاوب واياه ، وكان قد أبراه من مرضه ، وسمح الملك لماروثا ان يعقد مجمعا ، هو الاول في سلسلة المجامع المشرقية ، يرأسه جاثليق المشرق وبحضور الاساقفة الذين مكنتهم ظروفهم من المجيء ، فلا عجب ان يوغر هذا المسلك صدر المجوس ،فيحاولون الايقاع بماروثا ، واذ ينكشف امرهم، يأمر الملك فيقتل منهم خلق كبير، الا ان يزدجرد اضطهد المسيحيين في اخر سني حكمه ، بعد ان هدم احد كهنة النصارى معبدا للنار ، فهاج الشعب ، وأرغم الملك على اتخاذ اجراء مضاد ، دفاعا عن ديانة الدولة الرسمية٠ وخلفه بهرام الخامس(٤٢١ـ٤٣٨) ، ومن اشهر ضحايا اضطهاده يعقوب المقطع(٤١) ٠

استؤنفت الاضطهادات المركزة والعنيفة في عهد يزدجر الثاني (٤٣٨ـ٤٥٧) ، بعد هدنة قصيرة ،وراح ضحية اضطهاده شهداء عديدون ، لا سيما من منطقتي باجرمي وحدياب ، اشهرهم فثيون (بيثون)، ومطران حدياب وخمسة اساقفة ، وغيرهم كثيرون .

واستمرت الاضطهادات على المسيحيين ، تارة تخف وطأتها وتارة تشتد ، فيتساقط الشهداء كالورود ، وكثيرا ما كانت تتحكم في الامر العلاقة التي تربط الدولتين الكبيرتين الفارسية والرومانية ، فتشتد الاضطهادات اذ تستحكم العداوة ، وتخف ويسود السلام اذ تعقد معاهدات صلح بينهما · ولن تعرف الاضطهادات الفارسية نهايتها الا بسقوط دولة الفرس على أيدي العرب المسلمين وسوف نفرد بحثا خاصا في حينه للفتوحات العربية ومشاركة مسيحيي كنيسة المشرق في عمليات التحرير والاستقلال ·

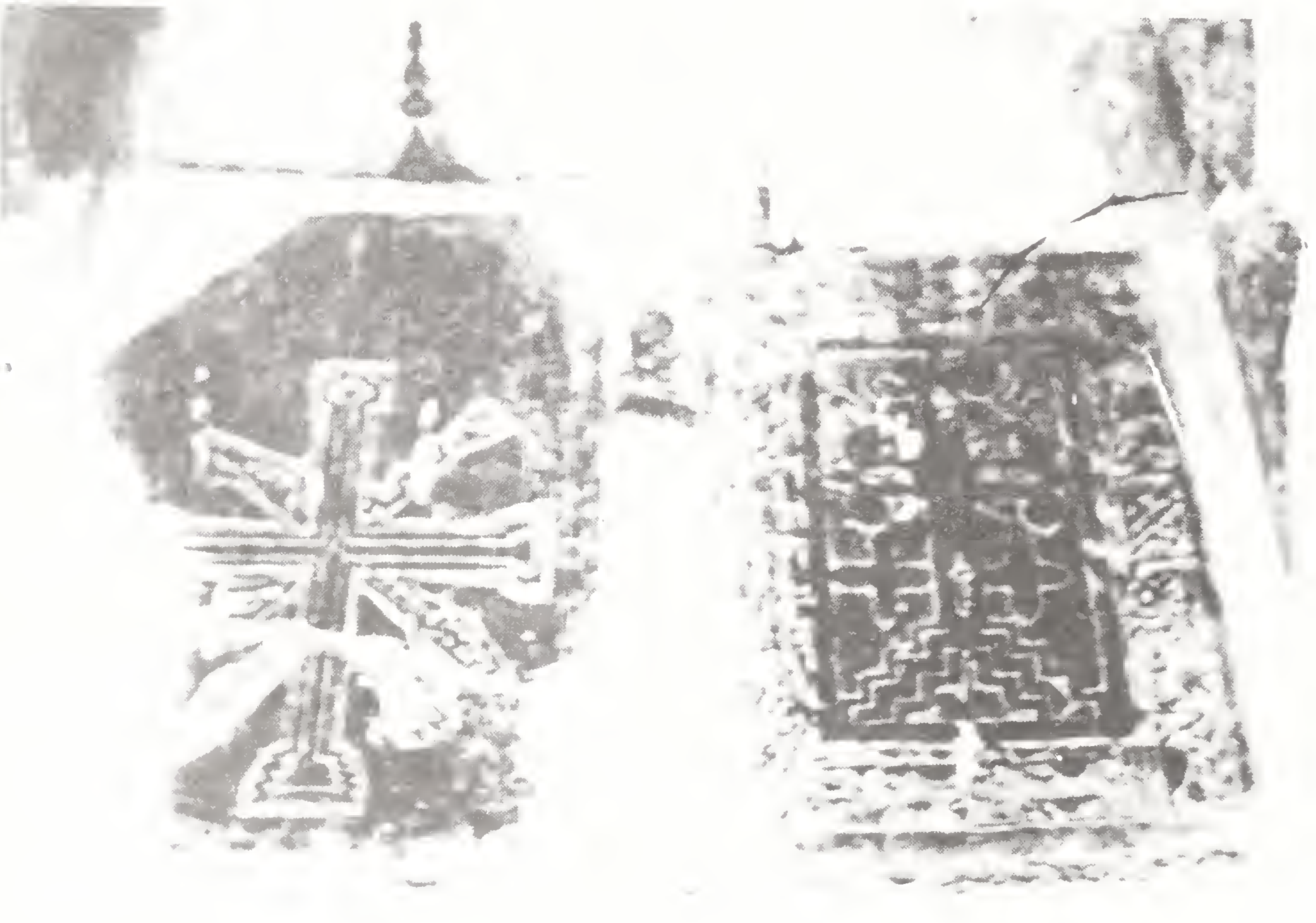

أضرحة شهداء وقديسين في كنيسة الطاهرة الخارجية

مار بهنـــام بـــين الحـدث والقصة ٣/٤

مقدمـــــة

وتتنازعنـــا رغبـــة ورهبـــة ٠

رغبة الانسان المعاصر الذى يريد توثيق كـــل امر . اذ يبغي صحة الحدث فوق كل شيء ، ومصداقيـــة الشهـــادة. مـــن جهـــة ٠

ورهبة التقليد القديم السائد. مـــن الناحية الاخرى٠

فنحـــن حيـــال عظيـــم ، قديس ، شهيد . فكيف لا تعترينا الرهبة ولا يتملكنا الخشوع ؟ ولئن كانت ثمة شكوك . بل شواهد أكيدة تنفي جوانب عديدة مـــن السرد القصصـــي الشائع . بل تثير الانفس ضد اقاويـــل وتقاليد لا اصل لهـــا ولا سندا . محاولة التنكر لشائعات تبدو المبالغة فيها واضحة. فاننا حيال ظاهرة تدعونا الى القول دون تردد : أنه لا بـــد مـــن ذكرى عظيمـــة وعجيـــبة . لكي يبقى هذا الاثر الجميـــل والشاهد العجيـــب (دير مار بهنام)، خالدا ، بحيث لا يحـــق لنا جميعا ، مهما كانت درجة علميتنا وعصريتنا . التقليـــل والانتقاص مـــن قيمـــة مار بهنـــام واخته ساره ورفاقهما الشهـــــدا ٠

وان كان ثمه خطأ كبير في عدم التمييز بين تاريخيـــــة القديس ـ الشهيد ورفاقه مـــن جهة . وبين قصـــة الشهد والشهداء مـــن الجهـــة الاخرى . فأن الخطأ فادح ايضا في عدم اقامة وزن لتقليـــد قديم . كنسي ، شائع جدا ، بالاضافة الى تاريخ الاثر الثابت والمعروف ٠

يدخلنا هذا الحديث في موضوع شيق وخطير معا . مدى صحة الحقيقة التاريخية في الروايات والسير والقصص والحكايات ·

ويصعب التحدث عن هذا الموضوع في أوساط تعتبر كل ما قيل وكتب حقيقة لاغبار عليها . لا سيما ان كان الامر مما هو شائع ومتداول تقليديا · بل ان قدسية المكتوب كبيرة جدا في مثل هذه الاوساط . بينما تلزمنا الروح العلمية - من الناحية الاخرى - ان نبحث عن الاصالة من خلال مصادر موثوقة وشهادات اكيدة . ونحن ان اعترانا التشكيك واظهرنا الريبة في ما يقال وما كتبه الاسبقون ، فليس انتقاصا من قيمة الحدث او القول ، متى كان صحيحا ، انما لغرض توثيقه واعطائه معناه الصحيح الاصيل ·

وقد سبقنا الى ذلك علماء قالوا بمبادىء هي اليوم قوانين عامة وحقائق اكيدة ، ترتكز على ما يسمى بالاساليب . أو الاجناس أو الانواع أو الاشكال أو الانماط الادبية للسير والقصص والحكايات والاعمال والروايات والتقاليد ، منها سير القديسين وقصصهم واعمال الشهداء وقصص جهادهم· انه ميدان واسع يضم قضايا ومسائل كثيرة ذات اصول مشتركة اشبعها العلم والدراسات العلمية تحليلا وتصنيفا·

وليسمح لي ان اقدم أهم المرتكزات العلمية لعلم النقد التاريخي بشكل عام ، وما يتناول السير والقصص والحكايات والتقاليد بشكل خاص ·

وبشأن الموضوع الحالي ، سبقني الخوري افرام عبدال ، لا سيما في (كتاب اللؤلؤ النضيد في تاريخ دير مار بهنام الشهيد)(١) · والاب حنا فيي في الجزء الثاني من كتاب

(آشور المسيحيــة) ، فميز الخوري عبدال منذ سنة ١٩٥١
ما بين القصة والتاريخ ، وميز الاب فيي سنة ١٩٦٥ بــين
الاسطورة والتاريخ والكنز الاثري(٢) ٠

وافضل أنا شخصيا التقسيم التالي :

١ـ القصـــة ٢ـ التاريخ ٣ـ الاثـر

وبينما أترك القسم المتاخر مــن القسم الثاني والقسم الثالث ، أتناول القسم الاول والاول مــن القســم الثاني معززا البحث بركائز علم النقد الخاص بسير القديسيــن واعمال الشهداء ٠ واستقي خلاصة هذه الركائز مــن كتــاب العلامة دلهاى(٣)، ومستعينا بمراجع اخرى وبما تكوّن لدي مــن قناعات خلال سنوات انصرافي الى مثــل هذه البحوث ٠

أبدأ بذكر مضمون (قصة) مار بهنام الشهيد ، وتفصيل مصادر القصة ، ثم آتي على ايضاح الجنس الادبي لسيــرة مار بهنام واعماله ٠ محــللا عناصر القصة وتاريخيتها ، حتى أختم بخلاصة للموضوع عساها تلقي الاضواء عــلى العديد مــن امــور ٠

اولا ـ القصـــة

القصة ، فــن ادبي يسمو بما للاسلوب المستخدم مــن جماليــة وتكويــن ، وسلاسة تعبير ، وتنوع الصور الجذابة، وتضفي عليــه قوة الاحداث وعمق الفكر ووقع الكلمــات درجات اخرى مــنّ الجماليــة والبلاغة .

وقصة مار بهنام واخته سارة ورفاقهما الشهداء مــن أروع ما كتب الادباء في باب السير والاعمال والقصص ٠ وردتنا في جملة مخطوطات . نشر نصها السرياني الاب بولس بيجــان

في موسوعته (سير الشهداء والقديسين : شربي دسهدي وذقديشي (ܫܪܒܐ ܕܣܗܕܐ ܘܕܩܕܝܫܐ) المجلد الثاني ، باريس ١٨٩١ ، ص٣٩٧ـ٤٤٢(٤)٠ نقلها الى العربية بشيء من التصرف ، المطران ادي شير ، ونشرها في المجلد الاول من كتابه (سيرة أشهر شهداء المشرق)٠ ثم دبجها الخوري افرام عبدال باسلوب مختلف قليلا ، ونشرها بالعربية عام ١٩٤٩(٦) ٠ وقد طبعها مؤخرا الاب (الخوري) فرنسيس جحولا في بغداد (٧) ٠ وجاءت تحت الرقم ٢٥ من(شهداء المشرق للاب البير ابونا ، الجزء الاول (٨) ٠ وثمة ترجمة المانية وجملة دراسات واختصارات اجنبية(٩) ٠ ولها موجز بالعربية طبع في الموصل منذ سنة ١٨٩١(١٠) ٠

لا بد لنا من تقديم القصة بايجاز ، ليسهل امر تحليلها والخروج بنتائج علمية في الموضوع .

ولما استولى يوليانس الجاحد على عرش المملكة الرومانية (٣٦١ـ٣٦٣) ، شن الاضطهاد على المسيحية فأجتمع رهبان عديدون في دير زوقنين ، واجمعوا على الموت دفاعا عن الايمان والقيم ، فقتل الكثير منهم ، بينما تشتت غيرهم في البلاد ، ولجأ بعضهم الى الجبال والمناطق الواقعة تحت حكم الفرس يومذاك ٠ وكان بينهم الشيخ القديس مار متى ، الذي قصد نينوى ، وسكن في جبل مقلوب ، وكان الله يجري الايات والعجائب على يديه ٠ فسمع بخبره الملك سنحاريب ، أحد ملوك سابور الثاني ملك الفرس(٣٠٠ ـ ٣٧٩م) ، وكان لسنحاريب ولد وسيم اسمه بهنام ، وابنة اسمها ساره مصابة بالجذام ، فاستدعى بعض المسيحيين ليقف منهم على حقيقة مار متى ، لكنهم لم يفيدوه بشيء خوفا لئلا يبطش بالراهب القديس ٠

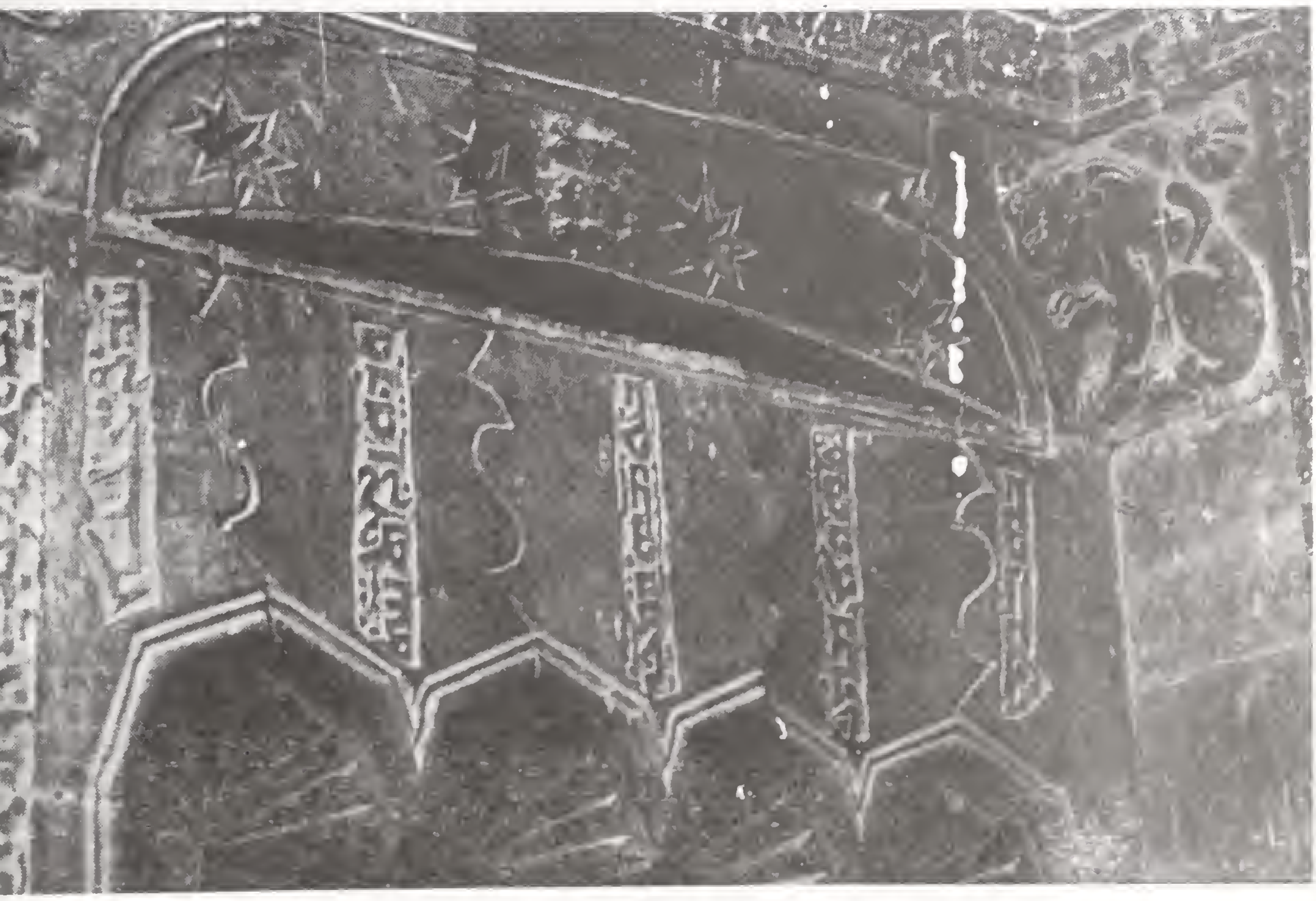

من ابواب كنيسة دير مار بهنام

ويوم صيد ، اذ كان بهنام ورفاقه وخدم في جوار المنطقة التي يسكنها متى ، اذا بايل لم يتمكن الصيادون منه ،وطارده حتى أعياهم الامر ، وكان المغيب قد دنا ، فاضطروا على المبيت في لحف الجبل • وفي هذا الليل ، تراءى ملاك الرب لبهنـــام وابلغه بان الله اصطفاه اناء مختارا . لذا عليه ان يقصـــد الناسك متى في الجبل • وكان ان قص بهنام الرؤيا على رفاقه في الصباح الباكر . فقال له احدهم ان الامر صدق . فقصدوا الجبل ، وتحدثوا الى الشيخ في امر الرؤيا . فشرع مار متـى يرشدهم الى بشرى الخلاص ، فاستنار عقل بهنام ورفاقـــه بهذه التعاليم السماوية • ولكي يتأكد بهنام من مصداقيـــة الكلام . سأل مار متى ان يقرنها بالعمل ، وان يشفي اختـــه المريضة • فقال مار متى : بالايمان يقوى المرء على كل شـــيء • فاجابه بهنام ورفاقه اننا لمؤمنون . ومضوا ليأتوا بســـارة فتشفى • وقد اخفى بهنام الامر على ابيه . بينما كشـــفه

لامه ، وتمكن من اخذ سارة لدى الشيخ متى ٠ وهذا ، بعد ان صلى ، ضرب الارض بعصاه ، فانفجرت عين مياه ، اغتسلت فيها سارة فشفيت ، بعد اشهارها الايمان بالله والمسيح ، فذهل الجميع ، وطلبوا العماد ، فعمدهم مار متى باسم الاب والابن والروح القدس ، وصارحهم بما سيلحق بهم من عذاب واضطهادات ٠

لم يعد الامر خفيا ، اذ اشهرت سارة ايمانها امام ابيها بعد انّ راها معافاة ٠ ولما مثل الاميران بهنام وسارة امام ابيهما الملك ووزرائه وقواده وحاشيته ، أجهرا ايمانهما المسيحي ، فاستشاط الوالد غيظا ٠ ونزولا عند الحاح الحاضرين امهلهما ليترويا في اعطاء الجواب الاخير ، لكنهما لم يحيدا عن قناعتهما قيد شعرة ولم تجد فيهما نفعا توسلات أمهما ، وكان موقفهما حاسما يوم عيد كانت تنحر فيه الذبائح اكراما للالهة وتقدم القرابين للاوثان . فرفضا الاشتراك ، ونالا غضب الملك ابيهما ، فامر بقتلهما ٠ غير انهما خرجا واجتمعا برفاقهما الاربعين مشجعين اياهم على الصمود ٠ فقيل للملك : ان ولديك يتآمران عليك مع اعوان لهما ، فامر باقتفاء اثرهما وقتلهم جميعا ٠ وقبل ان يقطع السياف راسيهما ، جثا بهنام وسارة وصليا ، وكذلك فعل الجميع ، ونالوا جميعا اكليل الشهادة ، بينما جاء صوت من السماء يعلن رضى الله عن هذا الفعل البطولي ، بينما انشقت الارض لكي تخفي في احشائها اجساد الشهداء الابرار ، وأصيب سنحاريب الملك بالهذيان والجنون ٠

وتستمر القصة فتقول ان ملاك الرب ظهر للملكة ، واعلمها بان زوجها سيشفى بشفاعة الشهداء ٠ فاخذت زوجها الى

مكان الاستشهاد ، وهناك ظهر لها بهنام ، واوعز اليهما باستدعاء مار متى ، فأتى مع بعض رهبانه ، وطرد الشيطان من الملك ، فامن هو وامراته ، وتعمدا . وسأل سنحاريب القديس متى ان يطلب مايشاء ، فساله بناء مصلى للرهبان • وشاء مار متى ورهبانه ان يبنوا هيكلا في مكان الاستشهاد ، الا ان الملك صرفه الى بناء كنيسة لرهبانه • وما لبثت هذه الكنيسة ان ضاقت بعدد الرهبان ، اذ اخذوا يتزايدون يوما بعد يوم • وقد ساعد الملك مار متى ورهبانه في تمهيد الطريق الموصل الى الدير •

ولما اراد الملك ان يبني هيكلا لاكرام الشهداء في موضع الاستشهاد ، سالت الملكة زوجها ان يوليها هذا الشرف • فظهر لها مار بهنام ، واشار عليها ان ترسل الى الدير فيأتي بعض الرهبان لئلا يمس رفات الشهداء غيرهم • فارسل مار نائبه أو وكيله مار ابراهيم مع راهبين اخرين من الاخوة، قبلتهم الملك بكل احترام ، جاءوا الى الموضع ، وتفرسوا في الهاوية ، فابصروا نورا مشعا وجسدي بهنام وسارة متميزين عن بقية الاجساد ، فابتنوا الجب ، ووضعوا اجساد الشهداء في مكان لائق بهم ، بينما وضعوا جسدي بهنام وسارة في رخام جميل في الجدار الشرقي من المبنى • واستأذن مار ابراهيم الملكة ، وقفل عائدا الى الدير ، بعد ان أخذ فضة وذهبا بنى بها دير في موضع معروف بـ (كوكياثا) • اما الرهبان الاخران فمكثا في مصلى الجب لاقامة الصلوات وتقديم العون للزوار الذين كانوا يقصدون هذا المكان المقدس ، وكان عدد الزائرين يتزايد ، والمعجزات لاتنقطع ، حتى قيض الله قيام شخص ، اسمه اسحق ، كان قاصدا بيت المقدس للتبرك

حط قرب مزار الشهيدين بهنام وساره ورفاقهما ، وكان له عبد ممسوس ، وتراءى له مار بهنام وقال له بان عبده سيشفى ، انما عليه ان يبني ديرا في الموضع . واذ شعر الراهبان بعزم اسحق ، ارسلا الى مار زكي ، رئيس الرهبان يومذاك ، فارسل اليهما نائبه مار ابراهيم ، واخبرت الملكة بنوايا اسحق ، فوعدت بتقديم اية مساعدة . وظهر لهم بهنام، واشار عليهم ان يبنوا الدير بعيدا عن الجب مقدار رمية حجر الى جهة الغرب ، فابتنوا المعبد ، والحقوا به بيوت سكن للمرضى ، وسورا يحيط بجمبع مرافق الابنية . ونقل رفات الشهيدين بهنام وسارة الى المعبد الجديد ، بينما تركت بقايا الشهداء الاخرين في الجب .

هذا هو مجمل قصة مار بهنام واخته سارة ورفاقهما الشهداء كما وردت في الاصل السرياني والترجمات والاختصارات العربية التي أشرنا اليها انفا .

ثانيا ـ الحدث التاريخي

اما الحدث فقد دونه تاريخيا مؤلف نجهل اسمه من مؤلفي القرن ١٢ـ١٣ ، من أهالي الرها ، يعرف تاريخه بكتاب (تاريخ الرهاوي المجهول) ، كان قد عثر عليه البطريرك افرام الثاني رحماني في اسطنبول سنة ١٨٩٩ ، ونشره في الشرفة في قسمين ، الاول سنة ١٩٠٤ ، والثاني سنة ١٩١١ ، ثم أخذ العلامة شابو على عاتقه نشر النص ، بالتعاون مع البطريرك افرام برصوم ، وقد كان بعد راهبا ، فنشر النص في جزئين سنة ١٩١٦ في جمهرة لوفان ، وتمكن شابو من نشر الترجمة اللاتينية للجزء الاول سنة ١٩٣٧ ، وقام الاب

البير ابونا بترجمة الجزء الثاني الى الفرنسية فنشرت سنة ١٩٧٤ مع تعليقات الاب فيي • ثم قام الاب البير بترجمة الجزء الثاني الى العربية، نشره في بغداد سنة ١٩٨٦ (١١)•

يهمنا من (تاريخ الرهاوي المجهول) مقطع صغير يخص مار بهنام، جاء في الجزء الاول، ص ١٥٥-١٥٦ من المخطوط، ص ١٥٦ من طبعة شابو، وص ١٢٣ - ١٢٤ من الترجمة اللاتينية، هو:

"وفي ايامه (يقصد يوليانس الامبراطور الجاحد ٣٦١-٣٦٣ م) ايضا هرب المتوحدون والرهبان المسيحيون من اديرتهم الى ارض (بلاد) الفرس لينجوا من شروره •

وفي هذا الزمان، هرب مار متى ما بلد (أرض) امد مع تلاميذه، وجا الى جبل الفاف، القريب من اثور ونينوى •

وفي هذا الزمان، استشهد مار بهنام الشهيد المظفر واخته ساره على يد سنحاريب ابيهما ملك اثور" (١٢) •

انها ثلاثة اخبار، لايشترط الترابط بينها، ما عدا انها واقعة كلها ايام حكم يوليانس المسمى بالجاحد في تاريخ الكنيسة، بسبب نكوصه عن المسيحية وشنه الاضطهاد على المسيحيين • ويكون استشهاد مار بهنام في السنوات ٣٦١ - ٣٦٣م، وكذلك بشان مار متى والرهبان وهروبهم من ارض واقعة تحت حكم الروم الى ارض واقعة تحت حكم الفرس تجنبا للاضطهاد • فما صحة هذا الخبر، او بالاحرى هذه الاخبار الثلاثة؟

لايختلف اثنان في امر يوليانس الجاحد وشنه الاضطهاد على المسيحية. اما بدايات الرهبانية والديارات في المشرق فتتضارب الاراء حولها • فمنهم من يرجع الامر الى (مار اوجين)، ومنهم من يشك في ذلك، وقد لخصها الاب فيي:

وقال بانتشار الرهبانية والاديرة عبر نصيبين وقردو وداسن حتى اعالي جبال حكاري ، دون التوقف لدى مار اوجين وتلاميذه فحسب ، فان مجموعة اخرى من رهبان ، نفوا ايام حكم فالنس (٣٦٤ـ٣٧٨م) وقصدوا جبل مقلوب (طورا دريشا) يذكرهم توما المرجي في كتاب (الرؤساء) ، كما بوسعنا ان نرجع الى الفترة عينها ، القرن الرابع للميلاد. ظهور الرهبان المضيفين ، أي الذين كانوا يعنون بدور الضيافة والمعابد التي أخذت تنتشر قرب المزارات ، ولاسيما في المواقع التي فيها اضرحة شهداء (مار تيريون) (١٣) ٠

وبينما نفهم بان حملة يشنها يوليانس الجاحد على المسيحية ، بوسعها ان تشتت الرهبان وتبعدهم عن اديرتهم. لانرى ضرورة ربط هذا الامر بخبر استشهاد مار بهنام ورفاقه ، الا لسبب اخر هو ان سابور الثاني ملك الفرس كان قد شن هو ايضا حملة عنيفة على المسيحيين ، لاسيما منذ سنة ٣٣٩ وحتى سنة ٣٧٩ ، وهو ما عرف بالاضطهاد الاربعيني ، راح ضحيته الوف الشهداء في شتى انحاء المملكة٠

وقد قام بدراسة الاضطهاد السابوري هذا الاستاذ فيسنر (١٤) ٠ اما قول (الرهاوي المجهول) ان الاستشهاد تم على يد سنحاريب ملك اثور ، فأمر فيه نظر وشك كبير أذ ان التقليد يريد ب (اثور) هنا مدينة (النمرود) ، أي كالح القديمة ، وقد ثبت من نتائج حفريات وتنقيبات المدرسة البريطانية للاثار التي اجرتها سنة ١٩٤٩ ان تل النمرود والمدينة لم يعودا مأهولين بعد القرن الثاني قبل الميلاد (١٥). أي بما لايقل على المائة والخمسين سنة قبل وقوع احداث القصة ٠

ونعود الى القصة لئلا يختلط الامر على القارىء ، علنا بعد تقديم اهم ركائز النقد التاريخي العامة والخاصة ، نتمكن من استنتاج مايمكن استنتاجه من صحة تاريخية بشان الحدث ٠

ثالثا ـ ركائز البحث في سير القديسين وأعمال الشهداء

ان سير القديسين واعمال الشهداء قديمة في تاريخ المسيحية ، كاعمال بولس وتقلا ، والاعمال المنحولة المنسوبة الى الرسل ، منها اعمال توما ، وتعليم ادي، واعمال ماري ، وهذه الاخيرة تخص كنيسة المشرق بشكل خاص ٠

يمكننا القول ان هذه السير والاعمال هي من جنس الاساطير والروايات ٠

والاساطير الدينية ليست وهما او خيالا ، انما هي تشخيص قوي ، وتجسيد افكار مجردة ، او شرح ظواهر طبيعية ٠ مادتها اذا القوى والافكار والظواهر ، باسلوب خاص له احكامه ٠

اما الحكايات فتواريخ مختلفة ، لاتمت بصلة الى اشخاص حقيقيين وامكنة وازمنة معينة ثابتة .

ولنلاحظ ان مانقوله هنا هو من باب الاصطلاح ، اذ لا تسعفنا المعجمات ، ولا تاريخ اللغات ، في التفريق بوضوح بين (الاسطورة) و (الحكاية) و (القصة) و (الرواية) وغيرها٠ ولنضف اليها : السرد ، التاريخ ، الحياة ، الواقع ٠ فلكل من هذه مدلولاتها ، وهي مدلولات ومفاهيم متشابكة ، قد تتقارب وتتباعد وفقا للاستعمال في الزمن والمكان ٠

ما يهمنا هنا هو التاكيد على ان الاسطورة ـ الرواية

تفترض واقعا تاريخيا ، يداخله خيال شعبي • وان هـــذا الجنس الادبي (الاساطير ـ الروايات) هو الذي يسود سير القديسين واعمال الشهداء ، وذلك بفضل الفاعل السري والجماعي الذي هو الشعب من جهة ، والاديب الكاتب من جهة ثانية • لذا فان سير القديسين واعمال الشهداء ، عادة ليست خرافات واباطيل ، بل "حقائق" مدونة باسلوب معين•

ونحن لو حللنا الامر بعمق ، لراينا الاسطورة ـ الرواية لاوعيا اساسه مادة تاريخية ، وفكرة معيوشة ، اي ايمانا حيا، لذا فهي ذاتية واقعية ، ولنقل "وجدانية" •

لنضرب مثالا على ذلك : غداة وقوع حادث مهم ، تتعدد الانطباعات والتشخيصات والاراء ، ويصعب الوصول الى سرد دقيق لما هو بالاساس معقد وملتبس ، كما يصعب استيعاب الامور بنظرة مجردة واحدة • واذ نشعر بحاجتنا الى تقرير أمين واكيد بشان الحدث الحياتي المهم، نواجه كل يوم عشرات الامثلة التي فيها من اختلاف وجهات النظر ما يجعلنا ان نطرح عشرات الاسئلة التوضيحية ، فيصعب التوصل الى التفاصيل ، ونمضي محاولين قراءة الاسباب الموجبة ، ونلجأ الى التعويض عن النقص في الخبر ، بامور من عندنا ، وقد نكون تحت تأثير معين ، فننسب الامر اليه ، ويغدو للعنصر الذاتي مكانة كبيرة في الاستنتاج • وتتضخم القضية حين تكون ذا علاقة بالكثيرين ، وليس بحدث فردي منعزل• ففي زمن يهتم الاكثرية بأمر ما ، لا بد للاديب ان يتأثر بماهو شائع ، وهذا ما نلقاه من شيوع سير القديسين واعمال الشهداء في القرون ٣ـ٥ م ، ثم في العصور الوسطى . وبديهي ان نلقى الاحداث الكبرى تخلد وتعم ، بحيث تسري على

العديد من الاحداث دون ما إهتمام كبير بالتدقيق عن مدى صحتها نسبة الى هذا الحدث او ذاك ، بحيث ان أمجادا كبيرة تظفر الاكاليل على هامات العظماء دون ان يكونوا قد اتوها فعلا ، كالاسكندر الكبير ، أو تنسب اليهم دون غيرهم من الناس غير المشاهير • ويتكالب الكثيرون في الاستفادة ، بشكل او باخر ، من عظمة العظماء ، فيجعلون صلة قائمة بينهم وبين العظيم ، فتحاول ، مثلا ، كل الكنائس ان تجعل نفسها رسولية ، اي من تأسيس احد الرسل ، لايعنيها في ذلك التاريخ ، ولا الجغرافية ، ولا الواقعية بكثير او قليل • ونرى الملك الفلاني نفسه يضطهد ، وبنفسه ، كل الشهداء ، وان خفف الكاتب الصيغة ، قال انه الوالي بنفسه • كما يلجأ الاديب الى شتى أنواع العذابات لتنويع الحدث وتفخيم الشهادة ، وكثيرا ما يلجأ الى القوة الالهية ، او بالاحرى قوة العجائب بشكل اقرب الى السحر منه الى الاية والعلامة • ولا بأس عليه ، فالمهم هو ضمير الشعب ، وما يهواه من قصص.

لذا بوسعنا ان نستنتج مايأتي : ثمة خطوط عريضة، واضحة الملامح ، يرسم بها الفنان لوحة اي شهيد كان ، ونمط اسلوب يكتب به أي اديب قصة أي قديس • انه تشخيص التجريد وتجسيده رمزيا • فبدلا من الفرد (وليكن قسطنطين الكبير) ، نلقى الكثيرين (الشهداء والقديسين في مثالنا) رمزا للنصر والعظمة (يدافعون عن الدين كقسطنطين) ،حتى تغدو السيرة رتيبة احيانا كثيرة • فانت اذا ما قرأت ، في يوم واحد ، عدة قصص قديسين وسيرة شهداء ، تلقى الافكار عينها ، والمشاعر نفسها ، والعذابات ذاتها تلحق بالشهداء وعين الخصال والفضائل والممارسات التقوية تنسب الى القديسين •

الا يذكرنا هذا بتأبين الناس ؟ كلهم يحملون الصفات الحميدة نفسها ، بحيث ان اي تأبين ينطبق على الكثيرين ٠٠ حتى انك تتوقع ان يقول الخطيب هذا الكلام او غيره ، قبل ان يقوله ، وحتى في حالة معرفتك للشخص الذي يتحدث عنه. انه اسلوب ادبي معروف وشائع لدى كل الشعوب وفي كل الازمنة ٠

لنضرب مثالا يفيدنا في بحثنا (قصة مار بهنام) ٠ موضوع (قتل التنين) ٠ فهي اسطورة سومرية ، عرفتها الشعوب القديمة ، حتى كرستنها المسيحية في قصة مار كوركيس ، وطبقها الفن على مار بهنام صاحب قصتنا (١٦) ٠

من حق الناقد ان يشك في صحة قصص تحمل خطوطا بينة متشابهة مع عناصر قصص اخرى معروفة ٠ مثال الشهيد الذي لاتقوى الوحوش على أكله ، أو القديس او الغرض الذي يقذف به الى البحر فلا يغرق ، بل يقذفه الحوت الى اليبس، أو صورة المسيح غير المصنوعة بالايدي تتقاذفها الاحداث والاهواء حتى تستقر في مكان أمين ، أو قصة الراقدين السبعة واساطير السبات العميق الطويل (١٧) ٠

ولعلنا من باب الاثارة والتوضيح نقدم قصة (الثلاثين من الفضة) ففيها ما يدلل على ما تخترعه مخيلة الكاتب ، والتقليد الشعبي ، وما يتطور عن ذلك من استزادة ٠ تقول القصة : ان والد ابراهيم الخليل هو الذي ضرب هذه النقود (الثلاثين من الفضة) ، وبها عينها اشترى ابراهيم قبرا ليدفن سارة ، وهي ذاتها ما اعطاه التجار لاولاد يعقوب ثمنا ليوسف الصديق ، وهي ما دفعه اخوة يوسف ثمنا للقمح الذي اشتروه من مصر ، وبها ذاتها ابتيعت الطيوب من اهالي سبأ

لتطييب جسد يعقوب بعد موته ، وقد اعادتها ملكة سبأ الى الملك سليمان مع هدايا اخرى ، ثم اشترى بها الملك سليمان طيوبا من بلاد العرب ، واعادها المجوس الى فلسطين اذ قدموها مع هداياهم الاخرى اكراما للطفل يسوع ، واضاعتها مريم العذراء في طريقها الى مصر مع يوسف ويسوع هربا من هيرودس ، واحتفظ بها احد الرعاة ، حتى يوم ابتلي بالبرص فقصد يسوع طلبا للشفاء ، وقدم الفضة الثلاثين هدية للهيكل ، واعطاها الكهنة ليهوذا ثمن تسليمه يسوع الى أيديهم ، ولما ردها يهوذا اليهم ، اعطوا نصفها الى الجند الذين حرسوا قبر يسوع ، واشتروا بالنصف الاخر حقل الدم ·

يبدو مما سبق ان الخيال قد لعب دورا فيه من الشطط الشيء الكثير ، اذ حاكت القريحة ، او القرائح ، قصصا خيالية من خلال اسماء المشاهير واحداث التاريخ المقدس ، مع ما في ذلك من تحذلق ومبالغات ، بل شعوذة ومتناقضات ، وذلك للاسباب التالية :

١ ـ رغبة الانسان في تقديم شرح للظواهر والحكايات · وتزداد هذه الرغبة لدى جماهير الشعب حتى انه يرضى بأي تعليل مادي حسي ، تماما كالاطفال ·

٢ ـ وسبب ذلك الاكبر : سيطرة الحواس على العقل ، اذ هذا ما يجذب الناس بشكل عفوي مباشر ، بل ومستحب ·

هذا ما يشرح لنا أسباب خلود العظماء في المواقع اكثر مما في الفكر والكتب · لذا كان تشخيص الموقع امرا مهما جدا ، بالنسبة للشهداء والقديسين · فنشأت المزارات وكان للحج اليها اكبر التأثير في تخليد اصحاب المقامات، وشيوع قصص فيها من الاسهاب والاطناب والاعاجيب

حولهم • وبديهي ايضا ان تبعث الاثار المصورة والكتابات والنقوش تخيلا اوسع •

لكننا لو جمعنا مادة القصص والحكايات بشكل جيد وأقمنا المقارنة بينها ، لوجدنا بانّ مخيلة الرواة ليست خصبة جدا ، كما قد نتصور للوهلة الاولى • وكذلك الامر بشأن الفنّ والفنانين ، لاسيما في مجال الفنون الشعبية ، دينية كانت ام لا •

٣ ـ وكثيرا ما تنشأ القصة من جهلنا الاصول والوقائع، فنحن لانعرف الاسم احيانا ، ولا الزمن ، ولا الموقع المكاني ، لذا نلجأ الى اختراع ما بوسعه ان يحبب الى الناس هذا الشهيد او ذاك القديس والولي والعظيم•

وقد يعترض البعض هنا فيقولون : ولكنه قد اجترح الاعاجيب • فنجيب : وهل يحتاج ذلك الى مكان وزمان وعلاماتً حسية مادية ؟

لذلك نرى القديس ، عادة ، شخصا يبشر به قبل مولده، وغالبا ما يحيط الملائكة به يوم ميلاده ، وتخضع له الطبيعة منذ اللحظات الاولى ، فتطيعه ، فلا خوف عليه من المخاطر ، ولا من الوحوش المفترسة طيلة حياته ، لان السماء هي معه، حتى ان الله يستجيب الى رغبات مختاريه دونما مبرر، اذ تنتصب عصاه وقد تتحول الى ثعبان ، وينشر ثوبه على شعاع من اشعة الشمس ، ويحيي العصافير وهي على النار تشوى ، او يتحدث اليها فتفهمه ، ولا يحتاج ليلا الى نور للقراءة والكتابة لان الضياء ينبعث من اصابعه،وقد يكتب برجله، ويحميه النسر من حر الشمس صيفا ، الى ما في ذلك من امور تبدو لاول وهلة خارقة ، بينما هي غريبة ، ومختلفة •

٤ ـ وثمه العنصر الجمالي في القصة • فحين يشاء القاص ايصال ذخائر شهيد ما الى الموقع المقصود او المزار حيث اكرامه ، يلجأ الى صندوق ذخائر من الخشب ، أو من الحجر ، وقد يجعل داخله صندوقا فضيا او ذهبيا او مطعما بالحجارة الكريمة • وحين يود القضاء على الشك ، يجعل الجنين يتكلم وهو مايزال في البطن • ولدعم رسولية كنيسة ما ، نضع على لسان يسوع نفسه التوصية بها ، فتأتي القصة استجابة لرغبة المسيح (كما في قصة ادي ـ ابجر) •

ونحن لو راجعنا اسفار العهد القديم ، لرأينا العديد من هذه العناصر والتركيبات ، وكذلك في تراث الحضارات القديمة •

لذا كان لنا ان نتساءل : هل عمل الرواية ـ القصة امين ام انه تلفيق ؟

والجواب : علينا ان نميز بين :

١ ـ راوية يروي ما رأى وسمع ولمس ، فهذا شاهد عيان وثقة.

٢ ـ مؤرخ مدقق وناقد ، يغربل المصادر ويقرأ الأحداث بعمق. ونحن نعرف بان مفهوم التاريخ قد عرف عبر العصور تطورا ملحوظا ، لكننا هنا نقصد علم التاريخ النقدي •

٣ ـ كاتب سيرة قديس او اعمال شهيد ، فهو واحد من مئات بل الوف المجهولين الذين وضعوا لنا قصصا جميلة ، عادة ، غرضها ديني بالدرجة الاولى • فليس من حقنا ان نطالب بتاريخ من لم يشأ ان يضع ويسجل تاريخا •

انها (السير والاعمال) أمثال واخبار واقوال ، تهدف الى وضع حقائق دينية ، ومثل اخلاقية في اجواء حسية ، ولاتبغي تقديم حقائق واقعية ثابتة •

لذا كان لزاما علينا ان نتساءل ، قبل كل شيء ، من أي صنف هي القصة او السيرة التي بين ايدينا ، وأي اسلوب استخدم كاتبها ، واضعين نصب اعيننا دوما بان هذا الكاتب هو بالدرجة الاولى فائدة القراء ، لذا فهي الاحداث المثيرة الانفعالية التي تهمه ، يسطرها باسلوب مشوق ٠

ونحن ان شئنا تشخيص ملامح اسلوبه الروائي ـ القصصي قلنا انه يضع القصة كلها تحت اسم شخص شهير ، وقد يكتبها بلسان تلميذ القديس ، أو واحد من المقربين الى الشهيد ، حتى لو لم يكن هذا الشخص موجودا فعلا ابان وقوع الاحداث ٠ فالتاريخ ، حسبه ، هو ما يحكى ويدون في الكتب ويقرأه الناس ٠

أما مصادره : فالتقليد المدون ، وقد يتوفق في ذلك ، اذ تسعفه التقارير او اليوميات او التواريخ الموثوقة او الكتابات الاثرية ، وقد لاتسعفه ، فلا يرتبك ، ولا يكتفي بالنزر القليل ، بل يلجأ الى التقليد الشفهي المتداول ، ينقل ذلك عن معاصرين أو عن القدامى ٠ وقد يعتمد التقليد السائد ، مستخدما هذه المصادر كلها بمعيار واحد ، لانه لايود كتابة تاريخ نقدي ، انما سيرة وقصة ورواية لفائدة الاخرين ، بحسب قابلياته واذواقه٠

ومن المعلوم انه لايكفي ان تضع امام شخص مصادر ، حتى لو كانت موثوقة جدا ، لكي يضع لك تاريخا بالمعنى العلمي ، اذ لابد للكاتب والمؤرخ من حس نقدي ، وروح علمية ، ونهج سليم ، لكي يبتعد عن الاسلوب القصصي والسرد الروائي في كتابة التاريخ ٠

ومن المفيد ان نذكر في باب السير والاعمال ما كان يخترعه الرواة حين يتعذر عليهم الوصول الى مصادر

تسعفهم في تدبيج السيرة والقصة ٠

فثمة مخطط عام بالنسبة الى الاضطهادات ، مثـــلا ٠ فالاضطهادات معروفة ٠ واساليبها كذلك ، لان الحاكـــم او الوالي يجب ان يكون شريرا ، بينما يكون الشهيد شجاعـــا لاجبانا ، والعذابات قاسية ، واساليبها وحشـــــية ، وللاستجوابات فيها دور كبير ٠ ويزيد الكاتب على المخطط العام امورا ، منها لجوؤه الى التضخيم والتفخيم ، وتعمـــيم حدث معين على الكثيرين والكل ، او حدث شخص ما علـى شخص اخر ، والاكثار من المداخلات ، سواء في تشـــابك الاحداث ام العناصر الرئيسة والثانوية في القصـــة ٠

ويمكننا تقسيم الروايات وفقا لموضوعاتها ٠ فهي اعمال، وسير حياة ٠ وقد تكون شعرية او نثرية ٠ وثمة شـــهداء وقديسون ثابتون تاريخيا ، بينما ثمة من لهم شواهد شاخصة، وثمة غيرهم اقرب الى الاختلاق الشعري او الفني ٠ واهـــم مبدأ في تصنيفهم : درجة النزاهة ومعيار التاريخية ، يتـأتى ذلك بالنسبة للشهداء خاصة ، من روايات شهود العيـــان، وتدوينات شهود ثقة ٠

ومهمة الناقد : تشخيص الجنس الادبي للسيرة والقصة وتدقيق الاحداث المذكورة فيها ، واعطائها الدرجـــة التي تستحقها من الوثوق والتاريخية والعلمية ، انـــما دون اي تلاعب بالنص الاصلي لها ، فللنص حرمته ، لايحق لنـــا ان ننقص منه حرفا او نزيد عليه ما نشاء ، انما واجبنا ان نقول للقارئ بانه قصة ، غايتها اذكاء الايمان ، ونشخص اسلوبها، معيار المصداقية فيها هو بالقدر الذي نستنتجه من دراســة النص ودقائقه على ضوء معطياتنا الجغرافية والتاريخيـــة

والعلمية الثابتة ، بينما درجة التضخيم والتفخيم هي ما نقدرها للقصة والسيرة والرواية (١٨) ٠

بعد هذه الركائز والايضاحات ، نأتي محاولين تطبيق علم النقد القصصي ـ الحياتي فيما يخص سير القديسين واعمال الشهداء ، على قصة استشهاد مار بهنام واخته سارة ورفاقهما الشـــــهداء ٠

رابعا ـ تحليل عناصر القصة على ضوء النقد العلمي

أهم التساؤلات المطروحة والمشروعة هي :

١ ـ هل ثمة مار بهنام وسارة والرفاق الشهداء ؟ هل وجـــدوا فعلا وحقا في التاريخ ؟

٢ ـ ما الدرجة التي نقدرها لصحة قصة مار بهنام من الناحية التاريخيـــــة ؟

٣ ـ هل المزار ـ الدير الذي على اسمه هو فعلا وحقا قديـــم، وعلى اسمه اصلا ؟

واضح بانّ الامور المطروحة هي متداخلة ، وقد ميزناها زيادة في ايضاح الامور ، ليس الا ٠

نجيب على الاول

ليس ما يحمل على انكار حقيقة بهنام وسارة ورفاقهمـــا الشهداء ، فالاضطهادات حدث تاريخي ثابت ، راح ضحيتـــها الوف الشهداء ، سواء في المملكة الرومانية ام في البــــلاد الخاضعة للملكة الفارسية ٠ وقد كان كاتب (قصة مار بهنام) ذكيا، فجمع بين الامرين،اذ جعل يوليانس الامبراطور الروماني هو الذي يسبب هرب الرهبان من الاطراف الشرقية للملكة

الرومانية (منطقة امد ـ ديار بكر) ، فيلجاؤون الى المملكة الفارسية (جبل مقلوب) ، بينما نسب استشهاد بهنام وسارة ورفاقهما الى مضطهد المسيحية الاكبر سابور الثاني • وليس من الضرورة القول بان استشهاد مار بهنام والرفاق تم ابان حكم يوليانس (٣٦١ـ٣٦٣م) ، بل ابان حكم سابور الثاني وفترة اضطهاده الاربعين خاصة (٣٣٩ـ٣٧٩ م) • ولا ندخل الان في التفاصيل الاخرى، بل نقول انه من المعقول والمقبول ان يستشهد عدة شهداء في الزمن والمكان تقريبا اللذين تريدهما القصة لمار بهنام وسارة ورفاقهما ، ومن الصعب التشكيك في صحة الحدث بسبب ماجاء في القصة من زيادات واضافات وتضخيم • لذا فانها سيرة واعمال ، اساسها واقع او حدث تاريخي ، وليست قصة مختلفة اي خرافة (١٩) •

ونجيب على الثاني :

ماسنورده هنا من تعليقات ، لايعني حتما اننا نتنكر لما جاء في القصة ، او انه من حقنا البت قطعيا بعدم صحتها جملة وتفصيلا ، انما واجبنا كمؤرخين وناقدين ان نضع علامات استفهام على كل العناصر التي نتصورها تركيبا ، وقد تكون كذلك ، او قد يكون بعضها قد حصل فعلا • فلا يظنن احد اننا نوجه الطعن للشهداء، فقد قلنا قبل قليل بحقيقة وجودهم،

ولانريد المساس بقدسية المشاعر التي تكونت لدى الكثيرين من جراء تشبعهم باجواء القصة وتفاصيلها ، انما نود تسليط الاضواء على العناصر والمفردات ، بروح علمية ، فناتي بدعم جديد وكبير لحقيقة مار بهنام ورفاقه ، ولديره الشاخص بشموخ •

أهم العناصر المثيرة الواردة في قصة مار بهنام ورفاقه، مما نعتبره اجناسا ادبية، أي من النوع القصصي، هي:

١ ـ الاسم: فان (بهنام) يعني (الاسم الجميل)، بالفارسية مع انه ابن "ملك اثور" ونحن في عهد الفرس الساسانيين ٠ ورغم ذلك قد يقول احدهم: لم لا؟

اما اسم (سارة) فتيمنا بسارة امراة أب الاباء ابراهيم، فهو اسم كتابي، بعيد عن اسم بهنام (الفارسي) واسم سنحاريب (الاشوري) ٠ أفليس من حقنا وضع علامة استفهام كبيرة؟ أليس هذا تركيبا مصطنعا؟

٢ ـ حالة بهنام وسارة: انهما ولدا ملك ٠ وهذا يصلح من باب التفخيم والتعظيم ٠ لكننا نتساءل: اي ملك؟ تجيب القصة: الملك سنحاريب، ملك (اثور)، وهي تقصد مدينة (النمرود) أي (كالح) الاشورية، احدى العواصم الاربعة التي ابتناها الاشوريون وبلغت المجد في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، وافل نجم الاشوريين منذ سقوط نينوى سنة ٦١٢ ق٠م ٠ فهل يعقل ان يظل حكم ملك اشوري، ولو صغير، كما اقترح بعضهم، بعد تسعة قرون تعاقبت خلالها ممالك دخيلة شتى؟ (١٩ ب) وقد راينا بان علم الاثار يرفض ان تكون مدينة (النمرود) مأهولة في زمن قصة مار بهنام ٠ ومعلوم بان ولدي ملك يستشهدان، يثيران اكثر من استشهاد شخصين مجهولين أو بسيطي الحسب والنسب ٠ اما اختيار (النمرود) فلقرب المدينة التاريخية الشهيرة من المزار (دير مار بهنام)، ولايحق لنا البحث عن (نمرود) اخرى لانها تبعدنا عن عناصر القصة الاخرى، وقد شاء التقليد ان يربط بين المزار ـ الدير والمدينة ـ الاثرية بنفق تحت الارض، الا ان

العلم لا يثبت صحة ذلك ٠

٣ ـ الشابة سارة مبتلاة بالجذام او بالبرص ، وهـذا عنصر اثارة . فان شابة جميلة تبتلى بمرض كان يصوره القدامى خبيثا وكريها ، لما يثير المشاعر ٠ كما ان شفاءها سيدعو الكثيرين الى قصد المكان طلبا في الشفاء من الامراض المختلفة ، ومعظمها اخف من مرض سارة ٠ اما تفجر عين المياه بعد ضربها من قبل مار متى بالعصا ، فاستذكار لما صنع موسى (الفصل ١٧ من سفر الخروج) ٠ والينابيع المقدسة جنس ادبي معروف في سير القديسين والاولياء ٠ وسيذكر ياقوت مرض الصرع والاستشفاء منه في الدير بقوله : «دير الجب ، دير في شرقي الموصل ٠٠ يقصده الناس لاجل الصرع فيبرأ منه بذلك كثير» (٢٠) ٠

٤ ـ الشابان ، هما ولدا ملك ، ورفاقهما الاربعون يهتدون على يد احد مشاهير الرهبان ، مار متى (الشيخ متى) ٠ كل هذا يضفي اهمية ووقارا على القصة ، كما يعطي في الوقت عينه صلات حميمة وعريقة بين الديرين (دير مار متى ومزار او دير مار بهنام) ، ويؤكد على منطقتي ديار بكر (آمد) وجبل الالفاف (الالوف) او جبل مقلوب ٠

اما العدد (٤٠) فمن الاعداد المقدسة المعروفة في الحضارات والتاريخ الديني فمن غير المستحب ان يضع الكاتب عدد رفاق الشهيدين بهنام وسارة ٣٦ او ٤٢ بدلا من ٤٠ ٠ كما انه من الجميل ان يضع مع الشهيدين رفاقا اخرين يستشهدون معهم متضامنين في الحياة والاهتداء والجهاد ٠ اما اعمال الشهداء الاربعين فعلينا ان نقراها في قصة اخرى تختلف عن قصة مار بهنام ورفاقه ، بل ثمة قصة اخرى تتناول شهداء

اربعين في الغرب (٢١)،ولنضف بان كتابات الاثر (دير مار بهنام) لاتذكر قط الاربعين شهيدا .

٥ ـ صيد الغزلان ومطاردة الابل من القصص المثيرة . نلقى لها جذورا في المنحوتات الاشورية ، ونجدها في قصص العديد من القديسين .

٦ ـ تعدد الرؤى والظهورات تاكيد على دور السماء. والاسلوب الرؤوي والجنس الادبي للظهورات معروفان لدى العلماء ، حتى في اسفار الكتاب المقدس بعهديه .

٧ ـ الصلاة المتكررة قبل الاقدام على العمل ، الحاح الكاتب على اهمية الصلاة في حياة المؤمنين ، وتشجيعا للحج الى المزار والمصلى ، واقامة الصلوات والشعائر الدينية بتواتر . وقد استمد الاديب كلمات صلوات كثيرة في قصته من الكتاب المقدس ، يكفينا ، مثلا ، مقارنة ظهور الملاك لبهنام بالظهور الى مار يوسف ، كما برؤية مار بولس . اما ارشاد مار متى لبهنام ورفاقه فمستمد من خلاصة التعليم المسيحي الذي كان سائدا في قرون متقدمة من المسيحية ، ورتبة العماد المعروفة في طقس الكنيسة السريانية مطبقة على عماد بهنام ورفاقه بشكل يكاد يكون حرفيا .

٨ ـ شجاعة بهنام وسارة ورفاقهما عنصر ضروري لتحفيز المؤمنين على الثبات في الايمان ، وهو جنس ادبي شائع جدا في اعمال الشهداء ، اذ لايصح ان يكون الشهيد جبانا . انه بطل .

٩ ـ الارض التي تبتلع الاجساد صورة جميلة يراد بها التاكيد على ان البشر لايستحقون هؤلاء الابطال القديسين ،

وهي مستقاة من الانجيل في حادثة صلب المسيح ، وقـــــد استخدمتها سير شهداء كثيرين ·

١٠ ـ دور الملك الام امتدادا لما في الاساطير القديمـــة، كما في اسطورة كلكامش ، واسطورة الخليقة ، ودور الالهة ـ الام في الحضارات الرافدية والفينيقية والمصرية والاغريقية · والغريب اننا نلقى الملكة ام بهنام ، تستلم زمام الامور اثنــاء مرض زوجها وكانها على راس دولة مستقلة ، بينما المفروض انها امارة يتحكم فيها اجنبي له ان يتصرف كما يشاء ·

١١ ـ الملكة تبني المزار ، والملك يبني الدير ، والتاجـــر يبني كنيسة مار بهنام ، هي اشارات مقصودة يراد بهـــا التأكيد على وجوب تقديم المساعدة المادية للمزار ـ الدير · وتطوع التاجر الغريب اسحق ببناء الكنيسة ، وهو في طريقه الى الاراضي المقدسة للحج ، يضفي على القصة نكهة خاصة· ان خبرا كهذا يرد في قصص اخرى ، كما في قصة الربـــان هرمزد وقصة يوحنا الديلمي · والبناء والمساعدات ، وقصد المزار من امكنة بعيدة ، معطيات تنسجم مع عادة الكنائس في تخصيص امكنة للضيافة ، ولاسيما للغرباء ، وذلك قـــرب الكنائس والمزارات والديارات ·

١٢ ـ العقاب اللاحق بالوالد ، الملك سنحاريب ، يتكـرر في العديد من قصص واعمال الشهداء · كذلك بشان نهايـــة الوالد وشفائه وتقديمه يد المساعدة للدير ·

هذه وغيرها من امور ، تحملنا على نقد القصة من الناحية التاريخية ، نقدا علميا ، منهجيا ، ومنطقيا ·

١٣ ـ نضيف الى ذلك اخطاء يقع فيها الكاتب ـ القاص ، اذ يجعل احداث القصة سنة ٦٦٣ يونانية ، وهذه تقابل سنة

٣٥٢ للميلاد ، فلا يصح ان تكون في عهد يوليانس الجاحد كما يريد ، لان هذا حكم مابين سنة ٣٦١ و ٣٦٣ م ٠ ولاتصح كذلك مبالغة الكاتب في اعطائه دورا كبيرا جدا للرهبان ، سواء من حيث العدد ، وسواء في مقاومة الاضطهاد ٠ ويقع الكاتب في تناقضات ، اذ نفهم منه تارة بان مار متى هو تلميذ مار اوجين ، ونفهم تارة اخرى بانه ناسك متوحد ، وتوحي القصة طورا اخر بان ثمة عدة رؤساء للرهبان في المنطقة وكانه لايعرف حقيقة الواقع ، فيحاول ان يرضي عدة اطراف ، راسما جملة احتمالات ٠ فماذا يعني كل هذا ؟

لايعني ان القصة مختلقة ، لا اصل لها ، وخرافة ٠ انما يعني بانها قصة متأخرة العهد ، نسبة الى الاحداث التاريخية. اي انها بعد القرن الرابع بفترة قد تكون طويلة ، كما سنرى وانها من عداد السير والاعمال والقصص الكثيرة التي حيكت حول القديسين والشهداء في ازمنة غدا الناس بحاجة الى امثال هذا الجنس الادبي من الروايات ٠ انها من نوع القصص التي تعتبر بطلها "اميرا ساحرا" ، كما سنرى عما قليل ٠ وسنحاول في الخلاصة ابداء راينا بشان الكاتب وزمن كتابة القصة ٠

ونجيب على الثالث :

لقد كنا واقعين في حرج كبير قبل اجراء الحفريات الاولية ، المجسات التي قامت بها المديرية العامة لاثار وتراث المنطقة الشمالية في تشرين الثاني ١٩٨٤٠ لان الاثار الشاخصة. سواء في الجب (الضريح) ، ام في الكنيسة ، انما ترجع الى سنة ١١٦٤ م كاقدم مالدينا من اثار ٠ ولا قيمة لكل الاقاويل

والتكهنات الاخرى . لذا كان علينا ان ندع الاثر الشاخص (دير مار بهنام بما فيه الكنيسة والجب) ، باحثين عن ادلة اقدم عهدا . فهل ترانا نستفيد من العثور على كنيسة في طرابلس تحمل اسم مار بهنام وترجع الى السنة ٩٦١م (٢٢). ربما ، لاننا نعرف من التاريخ بان كسرون الرهاوي ، الراهب والكاهن ، دفن في دير مار بهنام سنة ١١٣٩م ، وكان قد قضى فيه مدة من الزمن (٢٣) . وقد عثر في الموقع على طابوق يرجع الى العهد الساساني (٢٤) . ويذكر ياقوت دير مار بهنام باسم (دير الجب) (٢٥) ، كما يذكره القزويني (٢٦) . ومنذ القرن الثالث عشر للميلاد يغدو تاريخ الدير واضحا بما فيه الكفاية .

ولعلنا نثير هنا مسالة هي المؤشر الأساس للحل الاثري ـ التاريخي : بما ان المزار (الضريح ـ الجب) واقع في لحف تل اثري ، كان من الصعب بناية كنيسة ، متجهة الى الشرق كما هو نظام الكنائس الشرقية ، ملاصقة له ، اي للجب ، فاضطر القيمون على الدير بناية كنيسة "على رمية حجر" الى الغرب ، وباتجاه الشرق ، نسبة الى الضريح ـ الجب .

لكننا نصطدم هنا باعتراض كبير ، هو ان الكنيسة الحالية هي من تشييد سنة ١١٦٤ ، ثم من توسيع متاخر ، فهل القصة هي بعد القرن الثاني عشر ؟

جوابنا هنا : كلا . ان مجمل القرائن والاعتبارات تجعلنا نقول بكتابة القصة في حدود القرن السابع للميلاد (٧٢) . فثمة شيء قديم . انما ليس من المستبعد ان يطرأ على القصة اضافات في فترة لاحقة . فالامر وارد بشان قصص كثيرة ، نكتفي هنا بذكر مثل واحد هو القصة المعروفة ب (تعليم ادي) (٢٨) .

مار بهنام الفارس الشهيد

خامسا ـ "الامير الساحر"

قصة مار بهنا من نوع القصص التي تجعل من بطلها اميرا ، شابا ، ساحرا ، تحاك حوله احداث حياة فيها من البطولات ماتشد الناس وتخلد البطل ٠

فاسمه جميل ، لان بهنام يعني "الاسم الجميل" ، وهو اسم يرد في ديانة الفرس قديما ٠ وله اخت ، شابة ، جميلة ، سوف تشفى من مرضها فتغدو محط اعجاب ٠ وله رفاق شبان شجعان ٠

وقد حاول كاتب القصة ، وهو اديب جيد ، ان يقرب الشبه بين مار بهنام ومار كوركيس ٠ ولنذكر ما جاء على لسان البابا جيلا سيوس ، سنة ٤٩٥ ، بأن "اسماء هؤلاء الرجال (يقصد الشهداء القديسين امثال مار كوركيس) هم في موقع احترام لدى البشر ، بينما اعمالهم معروفة لدى الله

وحده" (٢٩) ٠ وكان البطريرك افرام برصوم قد نقل عـن العلامة ابن العبري (ت ١٢٨٦) في كتاب (الهدايات) قـول يعقوب الرهاوي (ت ٧٠٨) بان "قصة مار جرجس الشـهيد التي تورد على سبيل الرواية ، ملانة لجاجة باطلة وهذيانات واكاذيب لا يليق بالشهداء التفوه بها ، والمسيح الذي كللهم لم يتخل عنهم ليعقلوا ذلك او يدهمهم مثل هذا" (٣٠) ٠

واستوحى كاتب قصة مار بهنام رواية متاخرة عن قصة مار كوركيس ، وربما عن قصة مار قرداغ الشهيد لان قصة مار كوركيس عرفت انتشارا واسعا في العالم المسيحي منذ الازمنة القديمة ، بينما تحمل قصة مار بهنام عناصر اكثر متطـورة نسبة الى قصة مار قرداغ (٣١) ٠

وقصة مار بهنام "سريانية" الاصل ، لانها معروفـة بنصوص سريانية قديمة ، ولانها تؤسس الاهتـداء على "المعجزة" ، لذا فان مايسمى بالنقد الباطني يدعم "سريانيـة" او "مشرقية" الروحية التي بها سطر كاتب سيرة مار بهنـام رائعته الادبية٠ يقول مار بهنام لمار متى "اريد ان اتحقـق قولك بالعمل ، ان لي اختار مريضة ، مصابة بداء عضال ، وقد تعذر شفاؤها ، فان ابراها الله الذي انت تبشر به ، آمنـت من كل قلبي انه الاله الحق ولا اله سواه" (٣٢) ٠ وهذا جنس شائع في سير القديسين واعمال الشهداء المكتوبة من قبـل كتبة السريانية بشكل عـام ٠

ولا باس ان يربط القاص مابين "المعجزة الالهية" وعيـن الماء "العجائبية" ، فهي عين مياه معدنية تقع على بعد ثلاثـة ارباع الساعة سيرا من الدير على الاقدام باتجاه الشـمال الشرقي ، وتعرف ب "عين سارة" (٣٣) ٠ ومعلوم بان مياهـا

كهذه تصلح لامراض الجلد بالدرجة الاولى ، لذا كان مرض الجذام والبرص افضل اختيار من قبل كاتب القصة لاجراء الشفاء ·

وبطل القصة فارس ، بل مولع بالصيد ، وتقليد الصيد في المنطقة والبلاد عريق ، لاسيما في زمن الاشوريين . وقد شاء الكاتب ان يكون مار بهنام ابن ملك اشوري · والبطل شاب ، قوي ، شجاع ·

وسواء بسبب عناصر القصة المتعددة ، ام بسبب الشكلين اللذين يزينان من الجهة اليمنى والجهة اليسرى الباب الملوكي من كنيسة الدير ، ولا يفرق بينهما سوى ان الفارس الاول يطعن التنين ، فهو مار كوركيس ، بينما يمتطي الفارس الثاني صهوة جواده وقد اصطاد غزالا ، على ما يبدو ، علينا رؤية الشبه الذي اراده التقليد ، وكرسه الفن خاصة ، ما بين مار بهنام ومار كوركيس · وطغت صورة مار كوركيس على مخيلة الفنانين الذين عملوا في الدير ، فرسموا مار بهنام شبيها به في شكل يرجع الى نحو سنة ١١٦٤ م ، جعل الفنان فيه بيد مار بهنام صليبا يشق برمحه راس الشيطان ، وذلك على قطعة مرمرية جميلة تزين الحائط الايمن من قدس الاقداس ، داخل كنيسة الدير · وقصة مار كوركيس معروفة (٣٤) ·

ونمضي ابعد من هذا ، لنرى التداخل الحاصل بين مار بهنام و (الخضر) ، وهو امتداد للتشابك الحاصل بين مار كوركيس والخضر (٣٥) · وقد لقب دير مار بهنام ب (دير الخضر) ، وقيل (الخضر الياس) ، حتى ان الكتابة الايغورية الكائنة فوق قبة الضريح في الجب تقول صراحة :"ليحل سلام

خضر الياس ولي الله ويستقر على ..." . وقد كان في بغداد كنيسة على اسم خضر الياس يذكرها الرحالة تافرنييه (٣٦). ومعلوم بان للخضر شخصية ورسالة . ويعتقد المسلمون بان الخضر لايزال حيا ، فقد شوهد في عدة مناسبات ، وهو غير الياس . واختلفوا في تشخيصه ، فقال قوم انه نبي ، واخرون انه ملك ، وغيرهم انه رسول . وتعتقد به العامة ، من مسلمين ومسيحيين ، فينذرون له النذور ، ويباركون به الحلويات . ويخلط بعضهم بينه وبين نبي الله جرجيس (مار كوركيس)، كما الحنا . ويبدو ان (الخضر من اخضر والخضرة) ، فالخضر هو الاخضر على الدوام ، وهذا امتداد لرموز الخصوبة والازدهار ، ولما تتضمنه شجرة الحياة من افكار وابعاد ورموز (٣٧) .

هذا ما يجعل مار بهنام يحتل مكانة مرموقة بين الشهداء الابطال ، والاولياء الصالحين كما انه يذكرنا بدموزي في حضارات وادي الرافدين ، وباوزيريس في الحضارة المصرية، وادونيس في الحضارة الاغريقية .

ونظرا لصفات مار بهنام العجيبة ، يقصده الالوف سنويا للتبرك ، كما يقصدونه لطلب الشفاء أو لاتيان معجزة . وكانت النساء ، الى سنوات خلت يصوبن مناديلهن الى احد المسامير البارزة الموجودة قرب تمثاله الجبسي الى يمين الباب الملوكي من الكنيسة ، والمرتفع بعلو ٤٠ ، ٢م ، وهو شكل يوحي مرة اخرى بمار كوركيس اكثر مما بمار بهنام. وكانت العامة يدنون مغمضي الاعين الى حنية صليب كائنة الى اليمين من ضريح مار بهنام ورفاقه في الجب ، وبايديهم حجرة ان التصقت بالحائط الجصي الرطب . فالمراد حاصل ،

والا فان الزيارة لن تؤدي الامنية المنشودة • ومعلوم بـــــان عادات مثل هذه شائعة في معظم مزارات الشرق والغرب •

هكذا اراد الشعور الديني الشعبي المتنامي . الشهيد بهنام واخته الشهيدة ساره ورفاقهما الشهداء ابعاداً عجيبة تقرب سيرتهم من الاساطير • فتغنت الكنائس الشرقيــــة بمناقب بهنام ورفاقه ، وادرج اسمه في سفر الحـــــــياة (الديوطوفخين) بين جمهرة القديسين ، في طقوس وتقاويـــم (كلندار) الكنائس السريانية والقبطية والارمنية ، فراحـت تحتفل بعيده في العاشر من كانون الاول من كل سنة ، وذلك منذ اقــدم العصـــور •

وتحتفظ مكتبة الفاتيكان بمخطوط يرجع الى الســـنة ١٥٦٤ م ، ياتي فيه ذكر ١٤ قديسا من بين القديسين السريان العظام ، ويحتل مار بهنام المرتبة الثانية • وفي كنيسة ديـــر مار بهنام مخطوط كبير الحجم (٣٠٠ ص) ، يحتضن ماكتـب من صلوات وتفاريظ ومدائح عن هذا القديس • نقتطع منـــه ما يأتي :

"من تراه كفوءا ان يصف كما يجب مدائحك
ايها الشهيد الباسل مار بهنام الشريف المحاسن ،
ان خبرك يفوق وصف الواصفين ،
وقصتك تبهر السامعين ،
ربك وحده بوسعه ان يفي وصف خبرك العظيم العجيب ،
مبارك الذي اجزل مناقبك ، وكرم وعظم ذكراك" (٣٨) •

فلا عجب ان احتل مار بهنام واخته ورفاقهما مكانة مرموقة في القلوب ، وتقاطر الالوف سنويا لزيارة الضريح والكنيسة وطلب الشفاعة وقضاء سويعات بل اياما طيبة في ربوع الدير الجميـــل •

الخلاصـــة :

ثمة عناصر اربعة مهمة في كل قصة : الرواية ، البطل ، الموضوع ، والاسلوب • نضيف اليها : الاثر او الموقع ، ومخطوطات القصة • لنحاول تطبيق ذلك على (قصة مار بهنام)

يبدو الراوية كاتبا مؤمنا ، مطلعا على سير الشهداء والقديسين ، معجبا بالشهيد مار بهنام ورفاقه ، وتدل القرائن العديدة على انه راهب من رهبان دير مار متى ، يعرف نزاعات القرنين الخامس والسادس والجدالات اللاهوتية، وميله الى المذهب السرياني الغربي واضح المعالم كما يميل الى الغرب ، لذا يحاول ربط الغرب بالشرق : اي منطقة آمد (ديار بكر) بمنطقة جبل مقلوب (جبل الالفاف او الالوف) ، والمملكتين الفارسية والرومانية : من زاوية الاضطهادات على الاقل ويشدد على العلاقة مابين دير مار متى ومزار (دير) مار بهنام ، مكرسا الصلة بشكل رسمي وبنوع ابدي ، اذ ان البطلين الاولين في المكانين هما مرتبطان صميما بعلاقة مقدسة • ولعل كاتب القصة من القرن السابع الميلاد ، او قبل ذلك بقليل • في الصياغة الاولى للقصة •

البطل ، او الابطال (مار بهنام والرفاق) ، هو واحد ، وكثيرون ، من عداد الوف الشهداء الذين خضبوا تربة سهل نينوى (آشور) بدمائهم الزكية ، لاسيما ابان الاضطهادات الفارسية الدموية القاسية التي شنها سابور الثاني ، وذلك في الفترة ٣٣٩ــ٣٧٩م ، اي ابان الاضطهاد المعروف بالاربعيني وقد تكون السنة ٣٦٢م اكثر ملاءمة كسنة استشهاد مار بهنام ورفاقه • اعتمد الكاتب حقيقة استشهاد اكيد ، نسج حوله حكاية جميلة كتبرير لشهرة المزار ، واذكاء لايمان من يحجون اليه فللموقع اثره الكبير في تخليد هؤلاء الابطال •

امرا مهما لاينبغي اغفاله ، وهو ان استشهاد مار بهنام واخته سارة ورفاقهما يسبق الشقاق الذي حصل في صفوف كنيسة المشرق • لذا فان هؤلاء الشهداء هم من عداد مسيحيي كنيسة المشرق الواحدة ، سواء سميت فيما بعد بالكنيسة الكلدانية . ام السريانية . ام الاثورية . ام الارثودكسية •

والموضوع شيق ، فهو استشهاد في سبيل الحق والنور وشهادة للحب الاسمى ، يداخله جملة موضوعات اخرى ، كاضفاء هالة قدسية على المزار ، وتوثيق الصلة بين دير مار متى ومزار مار بهنام ، والاعلاء من شان الاديرة والحياة الرهبانية •

أما الاسلوب فقصصي روائي ادبي رفيع ، من نمط اعمال الشهداء التي كثرت عقيب الاضطهادات الجماعية بعد القرن الرابع . ولاسيما في القرون ٥ـ٧ م •

ولاتاتي قصة مار بهنام ضمن مجموعة السير والاعمال المنسوبة الى مار ماروثا اسقف ميافرقين . وهذا من مطلع القرن الخامس ، جاء بوفادة من قبل ملك الروم الى يزدجرد ملك الفرس ، وتمكن من عقد مجمع لكنيسة المشرق في عهد مار اسحق الجاثليق سنة ٤١٠ . يعتبر اول سنهودس رسمي لهذه الكنيسة • فالقصة اذا بعد هذا التاريخ • اما اقدم مخطوطة لها فترجع الى القرن ١٢م (٣٩).ويفيدنا يوحنا اسقف ماردين (١١٢٥ـ١١٦٥ م) بانه ليس لنا تاريخ عن مار بهنام ، بل تقليد شفهي . وهذا الاسقف ممن كانت لهم صلات وثيقة باديرة عديدة (٤٠) • وقد ذكرنا سابقا بان اقدم مصدر تاريخي يرد فيه خبر مار بهنام هو (تاريخ الرهاوي المجهول) من القرنين ١٢ـ١٣ م •

وكشفت التنقيبات الاخيرة (سنة ١٩٨٤) عن اثرية الدير القديمة ، فتبين انه يشتمل على عدة ادوار . اقدمها دور يرجع الى سنة الالف سنة قبل الميلاد · وليس من المستبعد ان تكون الكنيسة الاصلية الصغيرة ، او مصلى المزار ، في لحف التل ، شرقي الجب ، ونظرا لصغرها وعدم امكانية توسيعها لانحصارها بين الجب والتل الاثري القديم ، شيد القيمون على المزار ـ الدير سنة ١١٦٤ م ، كنيسة واسعة وجميلة في موقعها الحالي ، فكان هذا الاثر الخالد والكنز الفني الرائع · ثم جرى توسيع الكنيسة في اواخر القرن ١٣م.

اما حقيقة (الجب) ، فقد تكون كما ياتي : بعد استشهاد مار بهنام والقديسة سارة ورفاقهما ، القيت اجسادهم في بئر أو جب ، فنشات قبه او ضريح اكراما للشهداء الابطال ، وكان المصلى او المزار · ولما اشتهر امره ، اقيمت الكنيسة الاولى في لحف التل الاثري ، ثم اصبح المكان ديرا بفضل العلاقة التي توطدت بين المزار ودير مار متى ، وذلك منذ القرن السادس او السابع للميلاد · ثم شيدت الكنيسة الحالية في القرن الثاني عشر للميلاد ·

كل هذه الامور والعناصر ، مجتمعة ، تحملنا على الاخذ بحقيقة مار بهنام واخته سارة ورفاقهما الشهداء ، وبقبول نواة القصة الجميلة التي تبلورت بدافع الايمان ومن باب التعظيم والفخيم ، كما تدعونا الى وقفة أعجاب امام جمالية الاثر الخالد : دير مار بهنام ·

"لا اريد ان اراكم تبتغون رضى الناس ، بل رضى الله ، وهذا قد حصلتم عليه • لن اجد ظرفا كهذا لاذهب الى الله ، ولن تجدوا انتم عملا بخلد اسمكم افضل من السكينة • ان سكوتكم عما يختص بي يجعل مني كلمة الله • اما اذا أحببتم جسدي كثيرا ، فلم اكون الاصوتا عاديا •
اسألكم واحدة : ان تسمحوا لي ان اقدم لله اراقة دمي ، ما دام المذبح معدا بعد • وبعدئذ تجتمعون بالمحبة جوقا واحدا ، وتنشدون نشيدا لله الاب ، لانه تنازل واستقدم اسقف سوريا (انطاكية) من المشرق الى المغرب • حسن جدا ان انام بعيدا عن العالم لاقوم لله •

اكتفوا بان تسالوا لي القوة الداخلية والخارجية لاكون مسيحيا لابالكلام بل بالقلب ، لااسما فحسب ، بل فعلا ، استحق هذا الاسم • وعندما اغيب عن العالم يظهر أيماني بكل ضيائه •

انا اكتب الى جميع الكنائس ، وللجميع اقول انني اموت في سبيل الله بقلب منشرح ، اذا كنتم لاتمنعوني • استحلفكم بان توفروا لي انعطافا في غير اوانه • دعوني اصير طعاما للوحوش ، فاني بواسطتها اصل الى الله • انا حنطة لله ، تطحنني أنياب الحيوانات لاصير للمسيح خبزا من كل عيب لاطفوا بالاحرى هذه الحيوانات حتى تكون قبري ، ولا تدع شيئا يبقى من جسدي ، فلا اثقل على احد بدفني •

عندما يضمحل جسدي ، اصير تلميذا صادقا ليسوع المسيح • اسألوا المسيح ان يتنازل ويجعل مني ضحية لله بواسطة انياب الحيوانات • اني لا امركم كبطرس وبولس ، هما كانا رسولين ، وانا محكوم علي • هما كانا حرين ، وانا عبد • لكن الموت يحررني بيسوع المسيح الذي أقوم به حرا • اما الان فان قيودي تعلمني ان لاارغب شيئاً" •

(من رسالة اغناطيوس الانطاكي الى الرومانيين ، استشهد نحو سنة ١٠٧ ، للاب فيلب السمراني ، بيروت ١٩٦٦ ، ص ٥٠-٥١) •

شهداء الحق والحب ٤/٤

الشـــــهيد

خير ما نختتم به هذا البحث . والجزء الاول من تاريـــخ كنيسة المشرق ، كلمة في الشهادة والشهداء • فالشـــهادة أسمى قيمة يعبر بها المرء عن قناعته ، مبادئه ، اخلاقيتـــه ، حياته ، ووجوده كله ، والشهداء اكرم الناس •

ولفظة (شهيد) ، سواء باللغات المشرقية (الارامية ، العربية والخ) ، وسواء باليونانية ، وباللغات الاجنبية بالتالي ، مـن فعل (شهد ـ سهد ، و Martus - Martyr) بمعنى الشهادة تأكيدا على واقع وحدث ، وتوثيقا لحقيقة ومبدأ ، وما يتطلب ذلك من معاينة الشيء والتحقق منه • وشهد شهودا بمـعنى حضر حضورا ، وعاين معاينة • والشهيد لغة من لا يغيب شيء عن علمه • والشهادة ايضا بمعنى الاخبـار بالشيء ، والادلاء عنه ، واشهد واستشهد يعني الموت في سبيل اللـــــه • واستخدمت الكنيسة لفظة الشهيد والشهادة للدلالة علـى قناعة المؤمن ووثوقه من مبادئه وحقائق ايمانه ، وترجمتــه محبة المسيح في حياته بشكل دقيق ، والسلوك وفقا للايمان كحقيقة لاتقبل الشك والجدل ، وواقع حيــاتي يستحق ان يتجرد بسببه عن كل شيء ، ويفديه بحياته ودمه

وقد قال المسيح لرسله : "وتكونون لي شهودا" (اعمـال ١،٨). لكنه حذر تلاميذه ايضا بانهم سوف يلاقون الاضطهادات ويسلمون الى المحاكم (متى ١٠ ، ١٦ـ١٨/لوقا ٢١،١٢ـ١٣) ، انما عليهم ان يكونوا شهود الام المسيح وموته وقيامته . ولكي يتمكنوا من اتمام رسالتهم واداء الشهادة ، سوف يمنحـون قوة من العلى (لوقا ٢٤، ٤٦ـ٤٩) • وفهم الرسل رسالتهـم

هذه، واعلنوها صراحة، ودافعوا عنها بشجاعة (اعمال ٣، ١٥/ اعمال ١٠، ٣٩–٤٠) ·

وذاك الذي كان من البدء، وسمعوه، ورأوه، وتأملوه ولمسوه، كلمة الحياة التي تجلت. بها بشروا حياة ابدية. همهم ان يشاركهم في هذه الخبرة الايمانية العميقة جميع الناس (١ يوحنا ١، ١–٤) · ومنذ ذلك الحين، اي منذ ساعة آمنوا بالبشرى، لم يعد يقوون على الصمت. بل راحوا يحدثون بما رأوا وسمعوا (اعمال ٤، ٢٠)، فهم شهود حق (اعمال ٥، ٣٢)، ونار اكلة تلهب احشاءهم، فالحق هذا ليس حقائق نظرية فلسفية مجردة، بل تجسد اله في انسان. هو الطريق والحق والحياة، نور العالم، القيامة والحياة. لذا كان ايمانهم علاقة حب، وكان الاعلان عن الايمان شهادة حياة · وما أجمل ان تكون الحياة شهادة حق وحب ·

وبينما ميز التراث الغربي بين (شهيد) و (معترف)، معتبرا «معترفين» من تألموا في سبيل الايمان دون ان يسفكوا دماءهم، لم يفرق التقليد المشرقي بين اللفظتين، لان (الشهادة = سهدوثا) هي اعتراف واجهار (موديانوثا) بالايمان، حتى بذل الحياة في سبيله دونما تردد – وقد استخدم افراهاط ومار افرام واعمال الشهداء اللفظتين بنفس المعنى و(جمعة المعترفين) هي لاكرام الشهداء ر الشهيد شاهد حق وحب (ف · فان) ورتروي اناليكتا بولانديانا ٣٩، ١٩٢١، ص ٢٠–٤٩) ·

انما تقتضي الشهادة حمل الصليب، كما فعل المعلم والرب قبل التلاميذ. فان طريق المجد عبر الالم (يوحنا ١٥، ٢٠)، ودرب السعادة في التجرد والعري ونكران الذات.

فكان رسل المسيح من المضطهدين من اجله (اعمال ٥،٤١) ، والطوبى للمضطهدين من اجل البر (متى ٥،١٠) • ويعني هذا، انه لايمكن للمسيحي ان يكون مؤمنا حقا ، ومحبا بصدق ، ومتحدا بالمسيح اتحادا وثيقا ، الا اذا نالم ايضا معه . لان المسيحي كالمسيح مثاله وحياته ، في العالم وليس من العالم: لذا يبغضه العالم (يوحنا ١٧،١٤-١٥) ، فهو كلمة نور وحق، يشهد للنور، ولايرتضي الكل بالحق، ويتجنب بعضهم النور لئلا تفضح اعمالهم • ولايحق لتلميذ يسوع ان يقاوم الشرير، ولااستخدام القوة ، لذا كان الاستشهاد نتيجة لموقفه الصريح، موقف الايمان والنور ، وشهادة الحق والحياة • ولايكفي الموقف بالكلام ، كما لاتكفي افعال منعزلة مهما كانت صالحة وعظيمة ، بل ثمة ضرورة تضحية ذات ، وبذل سخي ، حتى سفك اخر قطرة دم في سبيل المبدأ العقائدي الوجودي ، وهياما بالحب الاعظم • لذا كان اسطيفانوس بكر الشهداء (اعمال ٦)، افتتح سلسلة اولئك الذين سيرتدون حلة بيضاء (رؤيا ٦، ١٦) ، فابتدأ تاريخ الشهادة والشهداء• وسوف يسطر الوف الشهداء صفحات ناصعة مشرقة في جبين التاريخ ، فهم قد مضوا الى الموت بشجاعة وفرح ، عالمين انهم يتمون في ذواتهم ما ينقص من الام المسيح ،في سبيل جسده الذي هو الكنيسة (قولسي ١،٢٤) • فالشهيد من يبذل ذاته حبا بالمسيح ، اذ انه بتحليه بالايمان الحق ، والرجاء الصالح ، والحب العميق ، يجد الطريق الى المسيح ، ويكونّ واياه وحدة مكينة تؤهله لكي يتمثل به في كل شيء ، بدا بالتجرد والعطاء ، والموت والقيامة والحياة • لذا فأن رجاء الشهيد في شوقه الى حياة خالدة يعاينها منذ الان بنور ايمانه • ويحياها في كنه حبه ، فيقوى على التنكر لكل ماهو فان ، وتقبل الصعاب والتعذيب

والالام والموت ، فهي حالة خلقية حياتية تتطلب تجردا تامـا، بحيث لا الدنيا وملاذها ، ولا العالم ومغرياته . ولا الاشخاص الاخرون ، حتى الاهل والاقـارب . والامـوال والمقتنيات والمناصب ، بوسعها ان تلهيه عن الهدف المنشود . بل انـه في جري وسعي مستمرين ، هو المناضل المجاهد . والبـطل المغوار ، يتخطى كل العراقيل . ولا يبالي بالمخاطر . ويقهـر كل الشرور ، شاهدا لايمانه ، معبرا عن حبه . بواقعية والتزام، بشهادة دونها شهادة الكلام والافعال الصالحة مهما سمت فالمطلوب شهادة بذل ذات ، وسفك دم • وتقديم قربـان متجدد درما على مذبح الحب الاعظم •

جماهير غفيرة من كل مكان . وكل الاجناس . وكل الاعمار، وكل الاوضاع . وفي كل العصور والازمنة،تتقد ممتشحة بنور الحق ، ومتدرعة بقوة الحب . نحو منقع العذاب والالم والموت. لايدفعها الى ذلك غرور او ادعاءات او مجد باطل ، بل حـق وحب ، معبرة هكذا عن نبل الشهادة . وواثقة بانها نعمـة كبرى هذه التي تحظى بها . الشهداء شهود شاهد الحـق وشهيد الحب ، يسوع المسيح •

ذخائر شهداء وقديسين

بيوت الشهداء

فلاعجب ان تعتز الجماعات المسيحية ، منذ اقدم الازمنة ، بهولاء الشهود الشهداء ، وتخصهم بموقع متميز في الكنائس، هو بيت الشهدا (بيت سهدى — Martyrium) وبيوم خاص هو يوم الذكرى او العيد (دوخرانا Commemortio) ، وتفرد لهم صلوات خاصة (قالي دسهدى) . وتسمي يــــوم استشهادهم يوم الولادة والميــــــلاد (Dies Natalis) فالشهيد يولد الى الحياة الابدية يوم تضحيته الاسمى ، وقــد جرى استعمال هذه العبارة منذ القرن الثاني ، وتبنــــتها التقاويم والكلندارات والسنكسارات ·

واكرام الشهداء تقليد قديم في الكنيسة ، يرجع الى القرون الاولى في كنيسة المشرق ايضا ، اذ تأتي كتابـــات مسيحية قديمة جدا لتؤكد الموقع المتميز للشهداء في التراث المسيحي العريق ، واعمال الشهداء مشحونة بعبارات تبجيل ومدائــح ثناء ولاباء الكنيسة الاوائل قصائد وخطب واقوال في تعظيــم الشهداء ·

ولدى تحدثنا عن الرها ورد ذكر مزار مار توما الرسول والشهيد فيها وذكر اضرحة شهداء اخرين ، وتردد خبـــر مزارات شهداء في اعمال الشهداء وسيرهم ، كما ذكـــرت ايجريا في رحلتها العديد من اضرحة الشهداء ، منها في الرهــا (وهي قد زارتها في نيسان ٣٨٤) ، وتحولت بعض المراقد الى اديرة وكنائس ، كدير قنى او دير مار ماري الرسول الشهيد، ودير مار بهنام واخته سارة ورفاقهما الشهداء ، ودير مــار ايثالاها الشماس الشهيد ، كنيسة سلطان ماهدوخـــت ، كنيسة مسكنته وغيرها من اماكن مقدسة · ومن اشـــهر

الشهداء الذين شيدت على اسمائهم كنائس ومزارات: مار توما الرسول شموني واولادها السبعة ، الشهيد كوركيس (مار جرجس) ، قرياقوس الطفل وامه يوليطي وغيرهم ٠

وقد يظن لاول وهلة ان المشرقيين لم يلتفتوا الى رفات الشهداء وذخائرهم ، لانهم لم يلحوا في تراثهم الكنسي على الصور والتماثيل ، بل استبعدوها تجنبا للشرك ، وتأثروا بعقلية التوارة ، مركزين على الروحانية الرمزية ، لكنهم رغم هذه الظاهرة ، أولوا اجساد الشهداء والقديسين ، وعظامهم ، وذخائرهم ، ورفاتهم ، الاحترام والاكرام اللائقين ٠ فكان يخصص في الكنائس المشرقية حنية خاصة تتوسط عادة بيت الشهداء ، وقد تتعدد الحنايا في الكنيسة الواحدة لتضم شيئا من بقايا الشهداء والقديسين ، وتوضع العظام او الذخائر في صناديق مرمرية او حجرية ، يكتب عليها عادة (مناواثا دقديشي ـ ذخائر القديسين) ، أو رفات الشهيد الفلاني ، مع طلب الصلاة والشفاعة ٠

ونعرف من القصيدة ٢٥ لنرسي الملفان (١) ان اكرام الشهداء واسع الانتشار في كنيسة المشرق، وكذلك من صلوات الشهداء (٢) ، ومن اعمال ماري (٣) ٠ وقد عثر في الكنيسة العليا من الكنيستين القديمتين في طيسفون على بقايا تمثال لرجل ، يعتقد انه المسيح أو احد القديسين ، وقد فقد رأسه مع الاسف (٤) ٠ ويؤكد الحسن بن البهلول بان المشرقيين كانوا يصورون رسم العذراء مريم (٥) ٠ وشهيرة هي القصة التي يوردها ابن جلجل والقفطي وابن العبري ، ومفادها ان حنين بن اسحق الطبيب والمترجم الكبير يبصق على ايقونة مقدسة فيحرمه

جاثليق كنيسة المشرق (٦) · ونستدل على وجود صور للعذراء من حياة مكيخا جاثليق كنيسة المشرق (١٠٩٢-١١١٠) (٧) ، وثمه مئات المخطوطات السريانية الشرقية مزينة بصور تمثل مشاهد من حياة المسيح·

وتقول صلاة الاحد الاول من تقديس الكنيسة ماترجمته: "كنيستك ، يامخلصنا ، تحمل كنزا وغنى سماويا ، تجد الملجأ والامل بالاسرار والرموز التي سلمتها لها ، وهي : كتاب بشارتك العظيم ، عود صليبك المسجود وصورة (ايقونة) ناسوتك البهي . هذه تعظم اسرار خلاصها" (٩) · وبوسعنا الاكثار من الامثلة التي تدل على الاحترام الذي به احاطت كنيسة المشرق منذ اقدم العصور ابطالها الشهداء . رواد الايمانَ الملتزم (١٠) ·

بالموت نجعل حبنا كاملا

الردة : مبارك من عظم ذكر شهداءه ها هنا وفي السماء

أبيات : وضع يسوع في كل مكان شهود صلبه ، وفي كل موضع غرس راية صليبه.اشرق شمس كرازته على الارض كلها ، باشعتها بدد الظلمات من على الارض.القى شباك تعليمه في خضم بحر البشر ، اصطاد الامم كلها وثواتها.اقتبل البشر بشراه بكل قلوبهم ، حبا به احتملوا كل العذابات والاساءات.بسببه اسلم الاخ اخاه الى الموت ، بحيث لم يبق بيت واحد خلوا من الانقسام ٠٠ فقد علمنا بصراحة قائلا :

لاتظنوا اني جئت لالقي سلاما على الارض ، لم آت لاحمل السلام ، بل الحرب جئت ابشر الناس برسالة جديدة ، من يطيعني ويقبلني يكون مبغضا من يعترف بي ويحفظ كلامي يتنكر لابيه ، من يقبلني ويؤمن بي يترك امه يتنكر لجميع افراد عائلته وينكرونه هم ايضا ، يصاب جسده ليل نهار من اجل العالم يحمل صليبه على حقويه ويخرج بصحبتي ، يبغض ذويه وما حواليه ويتعلق بي،وان كان غنيا يحتقر الغنى ويصبح فقيرا ، اذ يتجرد كليا يستحق ان يكون تلميذا لي،ان كان عالما ودنا من بساطة تعليمي ، عليه ان يهجر حكمة هذا الدهر ويأتي الي،ان كان مقتدرا راغبا في كنف مقدرتي ، عليه ان يتتلمذ لي بتواضع يليق بربوبيتي فقد أتيت فاتحا الباب الضيق للناس ، انه ضيق جدا،وليس من السهل الدخول فيه.ليس كل من يدعي انه تلميذي يستطيع ان يكمل الوصية التي اطالب بها ٠٠

هذا هو الزرع الذي زرعه ربنا في قلوب الناس ، وقبله الشهداء بحب يلائم تعليمه،فهم اذ كانوا احياء ماتوا عن هذا الدهر ، وعاشوا

للمسيح ، لا للعالم لم يسحرهم الغنى ولا خيور هذا العالم ، لم يصدهم المجتمع ولا ذووهم.رأوا في موت يسوع سبب حياتنا ، فاستمدوا منه قوة مكنتهم من احتقار اي موت.رأوه مسمرا في اعلى الجلجلة من اجل خلاصنا، فدفعوا بثمن حياتهم ثمن ماتعاقدوا عليه.احتمل الشهداء الام الموت ولم يهابوا ، ماتوا مثل يسوع عن العالم لكي يحيوا معه.موت يسوع صير الموت رقادا ، بقيامته قضى عليه والغى بطشه موت يسوع منح القوة للكائنات الجسدية ، مجدوا به وبقوته احتقروا بأس الموت ورذلوه. صرخ الشهداء بهذا كله في وجه المضطهدين : "نحن نؤمن بموت يسوع وقيامته.نعترف بانه مات حقا وقام حقا ، وبان الرب العذب لن يفصلنا عن ربوبيته.عاينا قيامته من القبر بمجد عظيم ، لن نستبدله قط بسيد اخر يكون هو الحقيقي.ان كنتم تشكون بهذا ، ايها المضطهدون ، فانا نقرن الفعل بالشهادة ، ان شئتم ذلك،اذ ليس بالكلام وحده نعترف بربوبية يسوع ، بل انا للتألم معه كل الالام مستعدون لا بالكلام وحده نقربه ، بل بالموت نجعل حبنا كلاما من اجله .

ليس بوسع السيف ان يبتر حبنا ليسوع ، ولايقوى اي تعذيب على زعزعة ايماننا هذا ماقاله الابطال امام المضطهدين ولم يقلقوا ، لم يضعفوا امام ظالمي العدل احتمل الشهداء الموت الجسدي بأمل الحياة ، ذكراهم حية الى الابد .

(القصيدة ـ الميمر ٢٥ لنرسي الملفان ، + ٥٠٤ ، طبعةمنكنا ، ج٢، ص ٤٦ـ٥٥)

ونختم بسؤال عفوي يتبادر الى الذهن حين ننصرف الى التعمق في ظاهرة الشهادة والشهداء ، هو : أمن المحتوم على الانسان والمجتمعات والاديان والتشكيلات الفكرية والادبية والفنية وغيرها ان تمر عبر الالام لكي تبلغ الكشف عن هويتها وايضاح حقيقة مبادئها ومساراتها ؟

جوابنا بالتأكيد : نعم • لابمعنى المحتوم والمكتوم والمقدر، بل لانه سر الحياة البشرية ، تؤيده خبرة التاريخ منذ اقدم العصور • فالفرح الانساني ثمرة جهد ونضال • والبناء الانساني نتيجة عمل وتعب وابداع • ومسالك الحق الانساني متشعبة ، وعرة ، تقتضي المثابرة والسعي والاستزادة • ومسارات الحب البشري ذات ابعاد ومستلزمات تريد وضوحا وعمقا ، والتزاما • وهذه كلها دروب الام ، وعلى كل من يريد العلى ان يحمل صليبه ويمضي صعدا مرفوع الراس ، تسنده قناعة راسخة ، ويشده هدف اسمى ، ويحتضنه تعاون جماعي،يجعل الواحد جزءا في الكل ، ولكل واحد من الاجزاء المتعددة شخصيته ومسؤوليته ء فالجميع اعضاء في الجسد الواحد ، وروح الانبعاث والمجد والنصر حال في جسد هذه بنيته وقوامه ، عليه ان يبدع اسمى الروائع •

وقد جسدت المسيحية هذه الحقيقة بأجلى وجه ، واعظم قدر ، واجمل حياة ، فوسمت البشرية وتاريخها بسمات خالدة ، ونفحت في الحضارات المتعاقبة روحية متميزة بحيث كان الحديث عن "حضارة مسيحية" ، و "دول مسيحية" ، دون ان يعني ذلك الخلط بين الاسس والعمران ، والمبادىء والتطبيق ، والروحية والتجسيد • وسوف تتعكر التيارات النقية وتتبدد الاشعة النيرة ، دون ان تتلاشى وتموت ، لان

الكنيسة ، كالحقيقة ، تجدد شبابها كل يوم ، وهي والخلود على موعد دائم ٠

حنية ذخائر قديسين

اهم مراجع البحث الاول ١/١

١ ـ العراق في التاريخ ، بغداد ١٩٨٣ ٠

٢ ـ حضارة العراق ، ١٣ جزءا ، بغداد ١٩٨٦ ٠

٣ ـ جورج رو ، العراق القديم ، ترجمة حسين علوان حسين ، بغداد ١٩٨٤ ٠والاصـــل الانكليـــزي ٠

٤ ـ د٠ سامي سعيد الاحمد ، العراق القديم ، جزءان ، بغداد ١٩٧٨ و

٥ ـ مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين ، بغداد ١٩٨٦٠

٦ ـ طه باقر ، مقدمة في ادب العراق القديم ، بغداد ١٩٧٦ ٠

٧ ـ اندريه بارو ، سومر ، ترجمة د٠ عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ، بغداد ١٩٧٨ ٠ والاصل الفرنسي٠

٨ ـ اندريه بارو ، اشور ، ترجمة د٠ عيسى سلمان طه التكريتي ، بغداد،والاصل الفرنسي٠

٩ ـ هاري ساكز ، عظمة بابل ، ترجمة د٠ عامر سليمان ابراهيم ، بغداد ١٩٧٩ ٠

١٠ ـ جورج كونتينو ، الحياة اليومية في بلاد بابل واشور ، ترجمة سليم طه التريتي وبرهان عبدالتكريتي، بغداد ١٩٧٩ ٠

١١ ـ سيتون لويد ، اثار بلاد الرافدين، ترجمة سامي سعيد الاحمد ، بغداد١٩٨٠ ٠

١٢ ـ مرغريث روثن ، علوم البابليين ، ترجمة د٠ يوسف حبي ، بغداد ١٩٨٠ ٠

١٣ ـ د٠ يوسف حبي ، الانسان في ادب وادي الرافدين ، بغداد ١٩٨٠ ٠

14 - Iraq . Mésopotamie , Encyclopedia Brittanica , ed. 1966.

15 - 'Irak , Encyclopedie de l'Islam , nouvelle edition .

16 - Mésoptoamie , Dictionnaire de la Bible , Suppl. V, Paris 1957, 1103 - 1165 , par R. Follet .

17 - Mésopotamie , Dictionnaire d'Histoire et de Geographie , par M.V. Bouillet ,

18 - Ancient Near Eastern Texts relating to the Oid Testament , ed. Pritchard , Princenton 19955 .

19 - L. Wolley , Mésopotamie et Asie Antérieure , Paris 1961.

20 - Les Religions du Proche - Orient , par R. Labat , A. Caquot , M. Sznycer et M. Vieydra , Paris 1970.

اهم مراجع البحث ١/٢

١ ـ مختصر المختصر في تواريخ الكنيسة ، الخـــــوري يوسف داود (المطران أقليمس) ، الموصل ١٨٧٧ ٠

٢ ـ لوحات من تاريخ الكنيسة ، الاب متوديوس زهيراتي ، حلب ، جزءان ٠

٣ ـ البطريرك أفرام برصوم ، الدرر النفسية في مختصر تاريخ الكنيسة ، حمص ١٩٤٠ ٠

٤ ـ تاريخ الكنيسة ، الجمعية الكاثوليكية للمدارس المصرية ، مصر ١٩٦١ ٠

٥ ـ المنسنيور أنطون الفرغالي ، المجمل في تاريخ الكنيسة ، القدس ١٩٦١ ٠

٦ ـ الابوان ميشيل يتيم وأغناطيوس ديك ، تاريخ الكنيسة الشرقية وأهم أحداث الكنيسة الغربية ، حلب ١٩٦٣ ٠

٧ ـ م٠ يقاريني ، ترجمة الاب ج٠ عقيقي اليسوعي ، تاريخ الكنيسة ، رسالـــة الصليب ، المعادي بمصر ١٩٦٦ ٠

٨ ـ الاب أوغران، فجر الكنيسة، تعريب الاب البير ابونا، الموصل ١٩٦١ (سلسلة كلام الله ٣)٠

٩ ـ سيلفستر شولر ، الكنيسة قبل الاسلام ، ترجمة المحامي فؤاد ابو ريحان ، باريس ١٩٦٨٠

١٠ ـ دانيال روبس، يسوع في زمانه ، ترجمة (المطران) حبيب باشا، حريصا ١٩٦٩ ٠

١١ ـ الياس نجمة ، يسوع المسيح ، مجلة المسرة ، حريصا ٠

١٢ ـ جاك جوميير وسامي اليافي ، المسيح ابن مريم ، بيروت ١٩٦٦ ٠

١٣ ـ الاب لاكرانج ، انجيل يسوع المسيح ، ترجمة الاب أوغسطين مرمرجي، جونيه ١٩٢٨٠

١٤ ـ جرجس الماrديني ، حياة يسوع المسيح ، بيروت ١٩٦٠ ٠

١٥ ـ الاب بولس الياس ، يسوع المسيح ، بيروت ١٩٥٩ و ١٩٦٧ ، انجيل المسيح الفادي، بيروت ١٩٧١ ٠

١٦ ـ الاب ديلي ، انا هو الطريق والحق والحياة ، تعريب جرجس مارديني ، بيروت ١٩٦٤٠

١٧ ـ الاب جبرائيل فرح ، يسوع في التاريخ ، حرنصا ١٩٧٦ ٠

١٨ ـ الاب عبد السلام حلوه ، هل كان يسوع سياسيا ؟ ، بغداد ١٩٨٢ ٠

١٩ ـ الاب بطرس حداد ، البشرى السارة ، بغداد ١٩٧٥ ٠

٢٠ ـ اني جوبير ، المسيحيون الاولون ، ترجمة الاب البير ابونا ، بغداد ١٩٨٣ ٠

٢١ ـ اتيين شربنتييه ، دليل الى قراءة الكتاب المقدس ، ترجمة الاب صبحي حمودي ، بيروت ١٩٨٣ ٠

٢٢ ـ افرام سقط الدومنيكي ، دليلك الى قراءة العهد الجديد ، بغداد ١٩٨٧ ٠

23 - Herbert Mühlen , Una Mystica Persona , Citta Nuova Editrice 1968.

24 - Nouvelle Histoire de I'Eglise , par Jean Danielou et Henri Marrou, Ed. du Seuil , Paris 1963 , 5 voll .

25 - C. Kirch , Enchiridion Fontium Historiae Ecclesiasticae Antiquae , ed . Herder 1956.

26 - Ludwig Hertling , Storia della Chiesa , Citta Nuova 1981.
27 - Pier Cesare Bori , La Chiesa Primitiva , Brescia 1977 .
28 - Belarmino Bagatti , Alle origini della Chiesa , ed. Vaticana , 2 vol ., Roma 1982 .

اهم مراجع البحث ٢/٢ انتشار المسيحية في الشرق

١ ـ المطران أدي شير ، تاريخ كلدو واثور ، جـ ٢، بيروت ١٩١٣ ، ص ١ـ٨٠.

٢ ـ القس بطرس نصري ، كتاب ذخيرة الاذهان ، جـ١ ، الموصل ١٩٠٥ ، ص ٢٧ـ٤٤،وجـ ٢، الموصل ١٩١٣ ، ص ٢٤١ـ٢٥٩ .

٣ ـ رفائيل بابو اسحق ، تاريخ نصارى العراق ، بغداد ١٩٤٨ ، ص ١ـ٤

٤ ـ الاب البير ابونا ، تاريخ الكنيسة الشرقية ، جـ١ ، ط٢ بغداد ١٩٨٥ ص٧ـ٢٣.

5 - Labourt J., Le christianisme dans l'empire perse sous la dynattie sassanide , Paris 1904 , p. 9-17 .

6 - Tisserant E., Nestorienne (Eglise) , DTC, XI , 1,1931,157- - 163 .

7 - Ortiz de Urbina , Le origini del cristianesimo ad Edessa, Gregorianum 15 (1934) , 82-91 .

8 - Ir., Patrologia Syriaca , Roma 1965, P. 15-16 .

9 - J.M. Fiey , Jalons pour une histoire de l'Eglise en Iraq, CSCO 310, Subs t. 36, Louvain 1970, P.32-44.

10 - E. Peretto , II problema degli inizi del cristianesimo in Siria , Augustinianlm 19 (1979) , p. 197-214 .

11 - P. Kaverau , Ostkirchengeschichte . I Das Christentum in Asien und Afrika ... , CSCO 451, Subs. 70, Louvain 1983 , p. 5-15.

اهم مراجع (اعمال توما) ٣/٢

١ ـ قصة مار توما الرسول (اعمال توما) ، بالسريانية ، طبعة الاب بولس بيجان،سـير الشهداء والقديسين (شربي دسهدي وذقديشي) ، جـ٣، باريس ١٨٩٢ (هيلدسهايم ١٩٦٨) ، ص١ـ١٧٥ .

٢ ـ الاب فرنسيس يوسف المخلصي ، تلاميذ المسيح ، بغداد ١٩٨٧ ، القديس توما ، ص ١٥٣ـ١٩٧ .

3 - A. Smith Lewis , Acta Mythologica Apostolorum, Horae Semiticae , London 1904 , II , IV (Syriace).

4 - R.A. Lipsius - M. Bonnet , Acta Apostolorum Apocrypha, Lipsiae 1905 (graece) .

5 - J.C. Tsilo, Acta Sancti Thomae Apostoli , Lipsiae 1823 (graece); M. Bonnet , op. cit., p 96-610 (latine)

6 - F.A.D. Cruz, St Thomas the Apostle in India , Madras 1927 .

7 - A.F.J. Klijn , The Acts of Thomas , Leiden 1962

8 - P.J. Podipara, The Thomas Christians , Bombay 1971, P. 15-26

9 - J.N. Farquhar , G. Garitte , The Apostle Thomas in India according to ehe Acts of Thomas , ed. J. Vellian , Kottayam 1972 .

10 - H. Th. Poirier , L' Hymne de la perle des Actes de Thomas , Louvain - La - Neuve 1981 .

ونظن بان بواربيه يبالغ كثيرا في التأكيد على طريق مار توما عبر مصر ، وذلك من خلال الجنس الادبي الكتابي الذي يعقده بين نشيد اللؤلؤة وأعمال توما .

اهم مراجع (تعليم ادي) ٢/٤

١ ـ (المطران ادى شير) ، كتاب سيرة اشهر شهداء المشرق ، جـ٢ ، الموصل ١٩٠٦،ص٨ـ١٢٠

٢ ـ شهداء المشرق لادي شير ، جـ٢، ص١٣ـ١٤ (مار أجي الشهيد) ، والنص السرياني في : سير الشهداء والقديسين للاب بيجاز ، جـ١، ص ٥١ـ٥٢ ، هـ٢ ٠

٣ ـ الاب البير ابونا ، شهداء المشرق ، جـ١ ، بغداد ١٩٨٥، ص١١ـ١٤ ٠

4 - G. Phillips, The Doctrine of Addai , the Apostle , London 1876 .

5 - L.J. Tixeront, Les origines de l'Eglise d'Edesse la légende d'Abgar , Paris 1888 .

6 - J.P. Martin , Les origines de l'Eglise d'Edesse et des Eglises Syriennes , Paris 1889.

7 - W.A. Wigram , Introduction to the History of the Assyrian Chruch , London 1910 .

8 - R. Duval , Histoire politique , religieuse et littéraire d'Edesse Jusqu'a la première croisade , Paris 1892.

9 - F.G. Burkitt , Early Christianity outside the Rrman Empire , Cambrirge 1904.

10 - H. Compertz , Hat es jemals in Edessa christlische konige gegeben, Archaol. Epigı. Mitteil. aus Osterreich, 19 (1896) .

11 - A. von Gueschmidt , Untersuchungen uber die Geschichte des Konivsreicss Osrhoene , Memoires de l'Acad . de S., Petersbourg 1887 .

12 - R. A. Lipsius , Die Edessenische Abgar-Sage , Braunschwig 1880 .

13 - H. Leclercq, Edesse , DACL, IV , 2058-2110.

14 - J. Habbi , Les origines du Christianihme en Osrhoène et en Mésopotamie, Dissertation de Théologie , Univ. Urb. de Prop. Fide, Rome 1961 (pro ms .) .

15 - J.B. Segal , Edessa , The Blessed City ,Oxford 1970 .

16 - The Teaching of Addai , transl. by George Howard , 1981 (U.S.A.)

17 - Eusebius Ca esarensis , Historia Ecclesiastica, PG .

١٨ - يوسابيوس القيصري ، تاريخ الكنيسة ، ترجمة القمص مرقس داود ، مكتبة المحبـــة ، القاهرة ١٩٧٩ .

اهم مراجع (اعمال ماري) ٢/٥

١ ـ سير الشهداء والقديسين للاب بيجان ، جـ١، باريس ١٨٩٠ ، ص٤٥ـ٩٤.
٢ ـ شهداء المشرق لادي شير جـ١، الموصل ١٩٠٦ ، ص ١٤ـ٤١ .
٣ ـ شهداء المشرق للاب البير ابونا ، جـ١ ، ص١٥ـ٣٥ .

4 - J.B. Abbeloos , Acta Sancti Maris , Analecta Bollandiana IV 61885) , 43-138.

5 - S.E. Assemani , Acta Sanctorum Martyrum Orientalium et Occidentalium , 2 vol., Romae 1748.

6 - G. Hofmann , Ausuge aus syrischen Akten persischer Martyrer , Leipzig 1880 .

7 - O. Braun, Ausgewalte Akten persischer Martyrer , BKV 2,22, Kempten - Munchen 1915.

8 - A. Smith Lewis , The Mythological Acts of the Apostles, Horae Semiticae , Cambridge 1904 .

9 - W. Cureton, Ancient Syriac Documents , London 1864 .

10 - R.A. Lipsius , Die Apokryphen Apostelgeschichten und Apostellegenden, Braunscsweig , 2 t., 1883, 1887 .

11 - C. Tischandorf , Acta Apostolorum Apocrypha , 1851.

12 - R.A. Lipsius , M. Bonnet , Acta Apostolorum Apocrypha, Leipzig, Mendelssohn 1891 , 1898 , 1903 .

اهم مراجع (تاريخ اربيل ٦/٢)

١ – مشيحا زخا ، تاريخ كنيسة اربيل ، طبعة الفونس منكنا ، الموصل ١٩٠٧(نص سرياني شرقي وترجمة فرنسية) .

٢ – بيتر كافيراو ، تاريخ اربيل ، لوفان ١٩٨٥ (نص المخطوطة البرلينية ، ترجمة المانية).

٣ – المطران بطرس عزيز ، ترجمة عربية لتاريخ اربيل ، مجلة النجم ١ (١٩٢٩) ، ٣٤٥–٣٥١، ٤٠٠–٤٠٥ ، ٤٦٣–٤٦٦ ، ٤٩٣–٥٠٠ ، ٥٤٧–٥٥٣ ، والسنة ٢ (١٩٣٠) ، ٥٦–٦١ ، ١٩٧–٢٠٣ ، ٤١١–٤١٧ ، والسنة ٣ (١٩٣١) ، ٦١–٦٨ ، ١٩٩–٢٠٣ .

٤ – يوسف حبي ، التواريخ السريانية ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، الهيئة السريانية ٦ (١٩٨١–١٩٨٢) ، ص٤٢–٤٣ .

5 - Mingana , Histoire de l'Eglise d'Adiabene de Mšiha-Zkha, Sources Syriaques , I, Mossoul 1907 .

6 - E. Sachau , Die Chronik von Arbela, Berlin 1915 .

7 - F. Zorell , Chronica Ecclesiae Arbelensis ex Idiomate Syriaco in Latinum vertit , Or Chr 8,4,31, Romae 1927, 143-204 .

8 - G. Messina , La Cronaca di Arbela , La Civilta Catt . 83 (1932) , vol. III, p. 362-376 .

9 - I. Ortiz de Ubbina, Intorno al valore della Cronaca di Arbela , OCP, vol. II (1936) , P. 5-32.

10 - P. Peeters, Le 'Passionnaire d'Adiabène , Aoal. Boll. , XLIII , fasc . III-IV (1925) , P. 261-325 .

11 - H. Diekmann , Das Zeugnis der Chronik von Arbela fur den monarchischen Episkopae , Theologie und Glaube 17 (1925), p. 65-73.

12 - Id., La Chronique d'Arbele , Nouvelle Revue Théologique 53 (1926) , P. 511-518.

13 - Id., De idea successionis in Chronica ecclesiae Arbelensis , Gregorianum 8 (1927) , p. 100 - 105 .

14 - J.B. Umberg, Die Sakramente in der Chronik von Arbela , Zeit . f. Katholische Theologie 49 (Innsbruck 1925) ., p. 497-515.

15 - J.M. Fiey , Autour de la date de la Chronique d'Arbèle, OS XII (1967) , p. 266-302.

16 - P.Kawerau , Die Chronik von Arbela , tex . CSCO 467, SS 199, allem.: CSCO 468, SS 200, Louvain 1985 .

وقد قام كافيراو بعملية تقريب بين الربان يشوعزخا مؤلف (تاريخ اربيـــــل) ويشوعزخا معاصر ايشوعيب ، معتمدا المرجي (الباب ١ ، الفصل ٢٣) ، إذ يتحدث عن السنة الخامسة لكسرى الثاني ، أي السنه ٥٩٥م ، فهو قريب بذلك من مشيحازخا الواردولدى الصوباوي (فهرس المؤلفين) ، وهو راهب من دير ازلا ، اسس هـــــو والراهب ابراهيم ديرا في داسن ، لذا يصح اعتماد كتابه كمصدر موثوق ، لكننـــا نظل على راينا بوجوب اتخاذ موقف متحفظ دون التنكر للنص كليا .

١ ـ التاريخ الكنسي لاوسابيوس ، الكتاب ٢ ، الفصل ١ .

٢ ـ أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل لماري بن سليمان ، طبعة جيسموندي ، رومية ١٨٩٩ ، ومكتبة المثنى ببغداد ، بالاوفسيت ـ مجدل ماري ، ص ٢ .

٣ ـ مخطوطة الفاتيكان ، عربي ١٥٧، من القرن ١٣ ، مجموعة القوانين لايليا الجوهري .

٤ ـ المكتبة الشرقية للسمعاني ، ج ٢ ، ص ٤٨٦ . وترجع المخطوطة الى سنة ١٥٣١ .

J.S. Assemani , Bibliotheca Orientalis Clementino - Vaticana, 3 vol., Romae 1719-1728 (Hildesheim , Olms 1975).

٥ ـ تاريخ اربيل ، طبعة كافيرا، النص ، ص ٢.

6 - W.Cureton , Ancient Syeriac Documenes , (Oriental Press, Amsterdam 1967) .

٧ ـ التاريخ الكنسي لسوزومين ، الفصل ٨ (الباترولوجيا اليونانية، المجلد ٦٧).

٨ ـ علة تأسيس المدارس لبرحذبشبا الحلواني (وليس عربايا) ، طبعة ادي شير ، الباترولوجيا الشرقية ٤ ، باريس ١٩٠٧ ، ص ٦٨

Barhadbsabba 'Arbaya , Cause de la fondation des Ecoles , PO, IV , Paris 1907.

٩ ـ المجامع الشرقية (السنهادوسات) ، ص ٥٨١

Synodicon Orientale, ed. J.B. Chabot, Paris 1902

١٠ ـ قصة يهبالاها والربان صوما ، ص ١٣٥

Histoire du Patriarche Jabalaha III et du moine Rabban Cauma, ed, P. BedJan, Paris 1895.

١١ ـ مجموعة القوانين المجمعية ، طبعة ماي ، ص٨

Collectio Canonun Synodicorum, ed. A. Mai, SVNC, t.X, Romae 1838 ('Abdiso' Sobensis)

١٢ ـ مجدل ماري ، ص ١٤

١٣ ـ مجموعة القوانين المجمعية للصوباوي ، ص ٧

١٤ ـ جميل ، العلاقات ، ص١٤٥

S. Giamil , Genuinae Relationes inter Sedem Apostolicam et Assyriorum Orientalium seu Chaldaeorum Ecclesiam, Romae 1902 .

15 - Chronicum Anonymum, ed. I. Guidi, tex. ser et trad lat., CSCO, Chronica Minora I, Louvain 1903.

16 - Abercius Hieroplitanus, Epitaphium, Enchridion Fontium Historiae Ecclesiasticae Antiquae (EFHEA) , Herder 1956, p. 92-95 .

١٧ - ترتليانس في كتابه ضد اليهود

وينقل اوسابيوس شهادة ديونيسيوس ، التاريخ ، ٥،١

١٨ - رحلة ايجريا ، الفصل ١٩ :

Egérie , Journal de Voyage , ed. P. Maraval, Sources Chrétiennes 296, Paris 1982 ;

١٩ - التاريخ الكنسي لسقراط، ٤، ١٨٠ التاريخ الكنسي لسوزومين ، ٦، ١ و ١٨ ٠

٢٠ - أنظر الهامش ٥ ٠

٢١ - مجدل ماري ، ص١-٢ ٠

٢٢ - أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل ، تاليف عمرو بن متى ، طبعة جيسموندي، رومية ١٨٩٦ ، - مجدل عمرو -صليبا ، ص١-٢ (مكتبة المثنى - بغداد) ٠

مراجع وهوامش (اقدم كنائس العراق) ٨/٢

١ ـ أحيل القارىء بشأن بدايات المسيحية في ديار المشرق الى بحث كنت قد دبجته منذ عـام ١٩٦١-١٩٦٢ كاطروحة للماجستير في اللاهوت ، قدمته الى الجامعة الاوربانية في رومـا، باللغة الفرنسية . مايزال مخطوطا . وعنوان البحث اعلاه :

Les origines du Christianisme en Osrhoène et en Mésopotamie, Dissertation de Théologie. Roma 1961.

٢ ـ بشأن الرها (اذيسا ـ اورفا) أنظر :

R. Duval, Histoire politique, réligieuse et littéraire d'Edesse jusqu'a la première croisade, Paris 1892. J.B. Segal, Edessa The Elessed City), Oxford 1970 .

3 - J.M. Fiey, Autour de la date la Chronique d'Arbèles , dans: OS XII (1967) , p. 266-302 .

Peter kawerau Die Chronik von Arbela, CSCO , vol 467-468 , SS 199-200, Louvain 1985 .

٤ ـ تاريخ الرها ، وضعه شخص نجهل اسمه ، اذ وصلنا مبتورا . نشره كويدي ورجح انـه تجميع نصوص تم في القرن السادس للميلاد، انظر :

Chronica Minora . I, CSCO 1/1, p. 15-39 , trad. 2/2, p 13-32, ed. I. Guidi.

٥ ـ بشأن (تعليم ادي) راجع بحثنا في الهامش ١ ، واخر طبعة للتعليم مع ترجمة انكليزية : وانظر اعمال ماري طبعة الاب بولس بيجان ، ج ١، ص ٤٥-٩٤ : وفيها فصول عن ادي .

The Teaching of Addai, translt. by Geogre Howard, 1981 (U.S.A.)

٦ ـ طبعة هوارد : ص ٦٤-٦٥ وراجع قاموس ابن البهلول ، طبعة دفال .

٧ ـ تعليم ادي . ص ٦٦-٦٧ .

٨ ـ تعليم ادي ص ١٠٤ . وطبعة بيجان ، جـ١ : ص ٥٢ .

٩ ـ ص ٧٠-٧١ .

١٠ ـ ص ٧٢-٧٣ .

١١ ـ ص٧٤-٧٥ .

١٢ ـ ص٧٤-٧٥ .

١٣ ـ ص٨٠-٨١ .

١٤ ـ طبعها الاب بيجان ، جـ١ من سير الشهداء والقديسين: ١٨٩٠، ص٤٥-٩٥ : وكان ابيلوس قد طبعها في لوفـان عام ١٨٨٥ .

١٥ ـ طبعة بيجان ص٥١ ٠
١٦ ـ ص٥٥،٥٣٠
١٧ ـ ص٧٩٠
١٨ ـ ص٨٥ ٠
١٩ ـ ص٨٦٠
٢٠ ـ ص٩١٠
٢١ ـ مجدل ماري بن سليمان ، او اخبار فطاركة كرسي المشرق ، طبعة جيسموندي رومية ١٨٩٩ ص٣ ٠
٢٢ ـ مجدل ماري ٢٠
٢٣ ـ مجدل ماري ص٣ ٠
٢٤ ـ مجدل ماري ص٤٠
٢٥ ـ مجدل ماري ص٤٠
٢٦ ـ التاريخ السعردي نشره المطران ادي شير في الباترولوجيا الشرقية جـ١: ص ١٠ـ٠١١
٢٧ ـ استفدنا من المعلومات الواردة في (المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام) للدكتور جواد علي لاسيما الجزء الثاني ٠ أما بشأن ديمتريانوس فانظر بحث بيترس :

P. Peeters, S. Demetrianus eveque d'Antioche, dans Antioche , dans Analecta Bollandiana , Louvain 1924, p, 288-314 .

٢٨ ـ التاريخ السعردي جـ١ ، ص١٢٠
٢٩ ـ بشأن توحيد كنيسة المشرق في عهد الجاثليق فافا والمسيحيين المشرقيين في القرون الاولى : أنظر المطران ادي شير كلدو واثور جـ٢ ، ص ٥٢ـ٠٥٧

J. Labourt, Le christianisme dans I'empire perse sous la dynastie sassanide , Paris 1904, p. 18-28.
J.M. Fiey, Jalons pour une histoire dune Eglise en Iraq. CSCO 310, Subs . 36 Louvain 1970, p. 72-75.

٣٠ ـ كلدو واثور ص ٣٣ـ٣٩ : لابور ص ٢٨ـ٣١ ٠

A. Voobus History of Ascetism in the Syrian Orient, 2 vol. CSCO , vol. 184, 197 , subs. 14;17, 1958-1960.

٣١ ـ كلدو واثور جـ ٢،ص ٠٣٥

٣٢ ـ فيي، ركائز ، ص١٠٤٠
٣٣ ـ التاريخ السعردي جـ١ ، ص ١٩٥ ، مجدل ماري ، ص ٢٧ اشهر شهداء المشرق طبعة المطران ادى شير ، جـ ، ص ٢٧٦ـ٢٧٧ ٠
٣٣ ـ التاريخ السعردي ، جـ١ ، ص ٠٢٥

٣٣ ـ كلدو واثور ، ج ٢ ، ص ٣٢ـ٣٥ ، محمد سعيد الطريحي ، الديارات والامكنة النصرانية في الكوفة وضواحيها ، بيروت ١٩٨١ ·

٣٤ ـ د· صالح احمد العلي ،المدائن ، مجلة سومر ١٩٦٧، ص ٤٧ـ٦٥·

٣٥ ـ بالاضافة الى المراجع المذكورة في البحث السابق · انظر البحث التالي ومصادره :

J.M. Fiey, Topography of al - Madaini , in Sumer 1967, p.3O 38 .

٣٦ ـ اضافة الى البحثين السابقين ، انظر :

J.M. Fiey, Topographie chrétienne de Mahoze , dans OS XII (1967), p. 387-420.

G. Gullini , Un contributo alla storia dell, Urbanistica: Seleucia sul Tigri, Mesopotamia II (1967) , p. 135-163.

٣٧ ـ مجدل ماري ص٥ ·

٣٨ ـ أنظر بشأن تاريخ تيوفانس الاباء اليونان المجلد ١٠٨ ، ٦٦٧ـ٦٦٨ ، وبشأن غريغوريوس النزينزي الاباء اليونان المجلد ٣٥، ٦٧٥ـ٦٧٦ ، وبشأن اميانوس مرسيللينوس ، فصل ٥ـ٦ من كتاب الاخبار باللاتينية ٢

٣٩ ـ بشأن (الرومية) انظر بحث الاب فيي ,هامش ٣٥) ، ص ٢٥ـ٢٨ ·

٤٠ ـ بشأن اسبانير ، المرجع السابق ص ٢٨ـ٣٠ ·

٤١ ـ المرجع السابق ص٣٢ ·

٤٢ ـ معجم البلدان ج ٥، ص ٧٤·

٤٣ ـ العلي ص ٤٨·

٤٤ ـ مجدل ماري ص٣ـ٤ ·

٤٥ ـ تاريخ بغداد للخطيب ج١ ، ص ١٢٨ ·

٤٦ ـ تاريخ الطبري ج١ ، ص ٨١٩·

47 - O. Reuther, The German Erpedition at Ctesiphon , in Antiquity III (1929) , P. 434 — 451 ; Die Ausgrabungen der Deutsche Ktesiphon Expedition im Winter 1928 L 1929 (Berlin 1930) , P. 1—38 ; K. Kuhnel — O. Wachtsmuth , Die Ktesiphon Expedition , Winter 1931—1932 , with English summary by M.S. Dimand (Berlin 1933) , p.1-35

٤٨ ـ فيي ، طوبوغرافية المدائن ، ص ٣ـ٣٨·

٤٩ ـ فيي ، طوبوغرافية ماحوزا ، ص ٣٩٧ـ٤٢٠ ·

50 - Synodicon Orientale , ed, J.B. Chabot, Paris 1962, P. 265, 266, 293, 313, 457, 459, 480.

٥١ ـ مجدل ماري ص٤٠

٥٢ ـ التاريخ السعردي جـ١، ص ٢١٥ • مجدل عمرو ـ صليبا ص ٢٧•

٥٣ ـ مجدل عمرو ـ صليبا ص ١٠٣ •

٥٤ ـ اضافة الى مراجع الهامش ٤٧ ، أنظر :

G. Gullini, First Preliminary Report of Excavations at Seleucia and Ctesiphon , in Mesopotamia (1966), p. 34.

55 - Ugo Monneret de Villard, Le Chiese della Mesopotamia, Roma 1940, p. 9-10.

٥٦ ـ افادني بهذه الملاحظة الاصدقاء في المؤسسة العامة للاثار والتراث •

٥٧ ـ يوسف رزق الله غنيمة الحيرة المدينة والمملكة العربية بغداد ١٩٣٦ص ٤٨ـ٥٣ ، وتصحيح ماجاء كذلك في كتاب الطريحي (هامش ٣٣ جـ) •

٥٨ ـ دي فيلار، ص ٦٤ـ٦٥ ، والشكل ٦٢•

٥٩ ـ شريف يوسف ، تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور بغداد ١٩٨٢ •

٦٠ ـ السنهادوسات (ط شابو) ص ٢٦ـ٢٧ •

٦١ ـ السنهادوسات ص ٢٧•

٦٢ ـ كتاب الرؤساء لتوما المرجي طبعة المستر بدج لندن ١٨٩٣ جـ١ ص ١ـ٤ و جـ٢ ص٤٣١• واعاد ذلك القس (المطران) سليمان الصائغ في مجلة النجم ١٩٣٤، ص ٥٧ ثم الاب البير أبونا في ترجمته العربية لكتاب الرؤساء ص ٢٤٣ •

63 - Expositio Officiorum, ed. Connolly, CSCO vol. 71, syr. 28 (1913) , trad ., syr. 37 (1915) .

٦٤ ـ القس (المطران) سليمان الصائغ ، كوخي المدائن لمحة في ريازة الكنائس وهندامها عند المشارقة النجم ١٩٣٤ ، ص ٥٤ـ٥٨ •

٦٥ ـ بيث ارامايي بمعنى الدراق ، القسم الاوسط ومنه خاصة ، مدلول كنسي ، وفقا لتقسيم أبرشيات كنيسة المشرق كما جرى أستعمال ذلك في المصادر السريانية والكنسية •

٦٦ ـ بشأن دير بيث عابي ، أنظر مجلة (بين النهرين) السنة ٩ (١٩٨١) ، ص ٢٢٥ـ٢٣٤، وشكل المخطط وارد لدى بدج والصائغ وابونا (انظر الهامش ٦٢) •

٦٧ ـ بشأن كتاب الرؤساء للمرجي ، انظر بحثنا : التواريخ السريانية ، مجلة المجمع العلمي العراقي ـ هيئة اللغة السريانية ، المجلد ٦ (١٩٨١ ـ ١٩٨٢) ، ص ٥٢ ، وراجع الهامش٦٢•

٦٨ ـ عرض الطقوس الكنسية او كتاب الخدم الكنسية (ألهامش ٦٣) ، جـ١ ، ص ١٩٥ـ١٩٧• أما عنوان بحث الشماس عزيز بطرس فمنشور في مجلة (النور) البغدادية ، السنة ٢(١٩٥١) ص ٤٢٠ـ٤٢٢ •

٦٩ ـ لقد أجريت بعض التعديلات على التسميات والمصطلحات الكنسية ، محاولا جعلها عربية فصيحة ، ومستخدما شيئا مما كانت قد درسته لجنة اللغة والتراث في هيئة اللغة السريانية من المجمع العلمي العراقي ، لذا اقتضى التنويه دفعا للالتباس •

٧٠ ـ أنظر كتابي :الدير الاعلى وكنيسة الطاهرة الموصل ١٩٦٦ •

٧١ ـ أنظر بحثي : كنيسة مسكنته في الموصل (مجلة بين النهرين ٥ (١٩٧٧) ، ص١٧٧ـ١٩٨•

72 - H.W. Cordington, The Chaldean Liturgy , in the Eastern Churches Quarterly , 1973 , p. 79-202.

٧٣ ـ بشأن كتاب دي فيلار، انظر هامش ٥٥

74 - G.P. Badger The Nestorians and their Rituals London 1852, p. 226-227 .

75 - Rice D. Talbot, The Oxford excavation at Hira, in Antiquity, sept. 1932, p. 276-291 , in Ars Islamica, vol I, 1934, p. 51-73

٧٦ ـ راجـع :

Fr. Sarre — E. Herzfeld, Archaologische Reise in Euphrat und Tigris — Gebiet , Belin 1911 — 1920 .

Conrad Preussner Nordmesopotamische Baudenknaler altchristlisher und islamischer Zeit, Leipzig 1911 .

والكتاب الاخير مترجم الى العربية بعنوان : المباني الاثرية في شمال بلاد الرافـــدين في العصور المسيحية القديمة والاسلامية ، ترجمة د. علي يحيى منصور بغداد ١٩٨١.امـا اشهر السياح الذين تركوا لنا معلومات مفيدة بشأن زيارة الكنائس والمباني القديمـة فهم : بريكينس ، بدج ، بيتر مان ، ويكرام . باخمان وغيرهم .

77 - J.M. Fiey , Mossoul chrétienne , Beyrouth 1959 p. 65 s

78 - J. Dauvillier, L' Archéologie des anciennes eglises de rite chaldéen , dans Parole de l'Orient, VI—VII (1975 — 1976), p. 357—386.

79 - Francis Alichoran, Missel chaldéen Paris 1982, p. 26—27.

80 - Jean — Marie Merigoux , Les Chretiens de Mossoul et leurs Eglises pendant la période ottomane de 1516—1815, Mossoul — Ninive 1983 (pro ms.) .

٨١ ـ الاب د. جاك اسحق القداس الكلداني بغداد ١٩٨٢ ص ٤٣ـ٤٨ .

٨٢ ـ الاب د. يوسف حبي ، كنائس الموصل : بغداد ١٩٨٠ ص ٣٢ـ٣٣.

٨٣ ـ فيي ، الموصل ص٨٥ـ٩٠ .

J.M. Fiey, De la Construction de l'église syrienne occidentale d'après yahya ibn Ğarir , LM 82 (1969), p.357-362

٨٤ ـ فيي ، الموصل ص٩٢، هـ٢و٣

٨٥ ـ فليست مجامع اليهود هي القاعدة في ريازة الكنائس المشرقية ، الابمعنى الاقتباس المباشر، لان كنيسة المشرق قلدت ما كان قائما لاسيما ماهو بعيد عن اثار الوثنية ٠ اما الاصول العريقة الصحيحة فنلقاها في فن عمارة وادي الرافدين ٠ لذا ينبغي تصحيح مادرج عليه الباحثون، ونبه اليه دي فيلار منذ سنوات (الهامش ٥٥)٠

٨٦ ـ أنظر شكل هيكل بابل ، كتاب دي فيلار الرقم ١٥٠

٨٧ ـ أنظر الشكل ٢٠ من كتاب دي فيلار وهامش ٥ ص ٢٠٠

٨٨ ـ دي فيلار ص ٢٥٠

٨٩ ـ أنظر الهامش ١ ص ٢٠ من كتاب دي فيلار ٠

٩٠ ـ الشكل ٦ من كتاب دي فيلار ٠

٩١ ـ قارن مخطط كنيسة كوخي بمخطط قصر سرفيستان ٠

٩٢ ـ راجع الهامشين ٤و٥ ص ٢٨ من كتاب دي فيلار ٠

٩٣ ـ تاريخ فن العمارة العراقية لشريف يوسف ص ٢٠ ٠

٩٤ ـ تاريخ فن العمارة العراقية ص ٢٠ـ٢١ ٠

٩٥ ـ تاريخ فن العمارة العراقية ص ٨٤ـ٨٥٠

٩٦ ـ المخطط رقم ١٥ ص ٩٣ من كتاب شريف يوسف والمخطط ١٧ص٩٥ ما الكتاب عينه٠

اهم مراجع وهوامش (مملكة الرها) ١/٣

١ ـ أهم مرجع نعتمده في هذه الفقرة هو :

Edessa 'The Blessed City', by J.B. Segal, Oxford, At the Clarendon Press 1970.

٢ ـ الاناشيد النصيبينية لمار افرام ، طبعة ادموند بيك

Crmina Nisibena, ed. E. Beck, CSCO 218, 240, SS 92, 102, Louvain 1961-1963.

3 - Rubens Duval, Historie politique, réligieuse et littéraire d'Edesse jusqu'a la première croisade, Paris 1892.

٤ ـ نعتمد هنا طبعةِ كويدي لدى ذكرنا (تاريخ الرها)

Chronicum Edessenum (Anonymum), in: Chronica Minora CSCO 1,1, Louvain 1955.

٥ ـ التاريخ الكنسي لاوسابيوس القيصري ، الفصل ١٣ من الكتاب الاول.

٦ ـ بشأن رحلة ايجريا ، انظر طبعة مارافال

Egérie, Journal de Voyage (Itineraire) et Lettre sur la Bse Egérie, Intr., tex. crit., trad, Notes, Index et Cartes, par Pierre Maraval, SC 296, Paria 1982.

٧ ـ وخطأ يقول ب. ارسمانيس ، في (سقوط الدولة الاشورية) ، ص ٤٧، أنها عسروإينا من عسر أي عشرة .

8 - S. Ephraem S., Commentarii in Genesim et in Exodum, ed. Assemani, Op. Syr. I, 1—115; ed R M Tonneau, CSCO, SS 71, Louvain 1955.

٩ ـ انظر مايشبه ذلك لدى الطبري في تاريخ الامم والملوك : جـ١ .

١٠ ـ تاريخ يعقوب الرهاوي (÷ ٧٠٨) ، تحقيق وترجمة لاتينيه لبروكس ، ضمن (تواريخ سريانية صغيره) ، جـ٢، لوفان ١٩٥٥ ، ونقل وتحقيق يوسف حبي بعنوان ، تواريخ سريانيه : مطبوعات ، المجمع العلمي العراقي ـ الهيئه السريانية ، بغداد ١٩٨٢ .

ومن المفيد أن ننقل نص الرهاوي الذي وضعنا له عنوان (مملكه الرهاويين).
"اما في بلاد مابين النهرين المسماة اوسروهيني ، فمنذ السنه ١٩٨٠ بحساب اليونانيين ، وقبل أن تبطل مملكة اليونان التي قامت في سوريا ٤٠ سنة ، اذ ملك على الاسكندرية

بطليموس أورغا طيس السابع على الاجيديين ، وانطيوخس سيديطس (سيداتس) على سوريا ، وشمعون اخو يوناثان على اليهودية ، وضعف جنس الذين كانوا يدعـــون في الرها سوريين - مقدونيين : ممن نزلوا مع الاسكندر الكبير من اديسا (التي في مقدونية، وبنوا الرها واسموها اديسا على اسم مدينتهم ، اذ لم يكن أحد من قوم اليونانيين ينهض لصون كرامة مملكة اليونانيين في سوريا ، لذا قوي الشعب الذي كان منذ زمن معتبرا أنــه من جنس ارمني ، وانكروا الاحترام على الفرثيين ، واقاموا من بينهم ملكا في الرهــا شخصا اسمه ابجر ، رجلا قويا ، شجاعا ، محنكا في شؤون الحرب، تسلط هو وبنـوه من بعده حتى تخوم بابل مدة ٣٨٠ سنة ، من سنة ١٨٠ لليونان وحتى سنة ٥٦٠ للحســاب المذكور ، وتسلط هؤلاء الملوك في الرها على بلاد الارمن أيضا ، حتى اقام لهم هـولاء ملكا من بينهم ، ودعي العديد منهم باسم ابجر ، لانهم كانوا يكنون الحب لابجر الكبيــر والاول . وخضع هولاء الرهاويون وملوكهم تحت حكم الرومان منذ سنة ٤٧٧ بحســاب اليونانيين ، وذلك من السنة السابعة للوقيوس ملك الروم وحتى محاربته الفرثيين وانتصاره عليهم واخضاعهم، وامسوا بلا ملك . وبطلت مملكتهم بكاملها في السنة الخامسة لفيلبيس ملك الروم سنة ٥٦٠ من حساب اليونان ، وانتزعت منهم المملكة ايام ابجر سوروس حين طرده الرومانيون لانه حاول التمرد عليهم ، فجعله اوريليانوس بن حبسي رئيسا بـدلا من ملك وفرض عليهم جزية الخضوع ، وبطلت هكذا مملكة الرها " (ص١٤٠-١٤١) ينبغي تصحيح بعض ماجاء على لسان الرهاوي على ضوء مبحثنا هذا ، وتخفيف ماذكره عــن الارمــن .

11 - Lucianus , De Dea Syra, 14, 15.

12 - H.J.W. Drijvers, Cults anl Beliefs at Edessa, Leiden 1980, P. 79—80.

١٣ - حملة العشرة الاف (كتاب الاناباسيس) للمؤرخ الاغريقي زينوفون (كزينيـفون) ، ترجمة يعقوب افرام منصور ، الموصل ١٩٨٥ .

١٤ - يذكر ذلك ميخائيل الكبير في تاريخه السرياني ، نقلا عن أوسابيوس . انظر طبـعة تاريخ ميخائيل الكبير

Chronique de Michel le Syrien , ed. J. - B, Chabot, Paris 1900—1910 .

١٥ - يذكر ابن العبري ذلك في تاريخه السرياني (المدني) ، كما في (تاريخ مختصر الدول) طبعة الاب انطون صالحاني اليسوعي ، بيروت ١٩٥٨ ، ص ١٢.

١٦ - هكذا المطران السرياني باسيليوس برشامونا صديق زنكي الذي دخل الرها في القرن١٢م.

١٧ - انظر المعجم الاشوري طبعة شيكاغو CAD ، والمعجم السرياني لباين سميث .

١٨ - حتى قال أحدهم أن الاسم متأت من اسطورة اورفيوس اليونانية ، لكنه راى مرفوض لان تسمية الرها باورفا لاتسبق عصر الاتراك .

19 - (Plinius, Hiseoria Naturalis, (Callirhoe, Megdonia)

20 - Zkirtos, Scirtos — Gullab.

21 - Procopius, De Aedificio, 2,7.

وانظر (تاريخ الرها) رقم ، ١، ١١، ٥٢، ٩٠، ص ٣-٤ ، ٧ -٩ طبعة كويدى ٠

٢٢ - أو سلخة أم نمرود ، أوسلوق نسبة الى سلوقس ٠

٢٣ - الرها لسيكال ، ص ٠١١

24 - Tacitus, Annales, ed. E. Koestermann, 1965.

Antoninus Pius

٢٥ - مذكرات انطونينوس بيوس

٢٦ - اذ أقيمت على شرفه احتفالات شبيهة بما فعل نيرون احتفاء بتيريدات الارمني عام٠٦٦

٢٧ - تاريخ الرها ، رقم

٢٨ - سيكال ، ص١٥ ،الهامش ٣

٢٩ - كما في تاريخ يعقوب الرهاوي ، أنظر الهامش ٠١٠

٣٠ - "طيايي" ، جمع "طيايا" ، بالسريانية ، والارامية ، نسبة الى قبيلة طي، وعمت التسمية منذ الازمنة القديمة على جميع العرب البدو٠

31 - Julius Africanus, Fragments, ed. J.R. Vieillefonl. London 1932.

٣٢ - كتاب شرائع البلدان طبعة فرانسوا نو

Bardesane l'astologue, Le Livre des lois des pays, ed. F. Nau, Paris 1899.

٣٣ - رحلة ايجريا ، انظر الهامش ٠٦

٣٤ - تاريخ الرها طبعة كويدي، خبر الفيضان ٠ ورحلة ايجريا ، ووصفها زيارتها للرها ٠

٣٥ - سيكال ، ص ١٥-٢٣ ٠

اهم مراجع وهوامش الرها (مملكة مسيحية) ٣/٢

١ ـ بشان الترجمات السريانية للكتاب المقدس ، انظر : دفال ، الادب السرياني ، واشتغالات ارثر فوبس ، وسياتي ذكر قسم منها فيما يلي ، وبطرس يوسف ، التراجم السريانية للكتاب المقدس ، مجلة (اللقاء) ، بيروت ـ لبنان ، السنة ١، العدد ٢ـ٣، ص ٥٣ـ٦١.

R. Duval, La Littérature syriaque, 3 ed., Paris 1907, P. 25 - 53.

٢ ـ رحلة ايجريا ، طبعة مارافال (الهامش ٦ من الفقرة ٣/١) . وانظر

Egeria, Pellgrinagiio in Terra Santa , a cura di Paolo Siniscalco e Lella Scarampi, Roma 1985.

٣ ـ تاريخ الرها ، طبعة كويدي ، الارقام ١، ١٢، ١٤، ١٦، ٢٩ ص ٣ـ٥ .

٤ ـ تاريخ الرها ، رقم ٣٨، ص٥.

٥ ـ الرها لسيكال ، ص ١٧٥ .

6 - Julius Africanus, Chronographia , 53 ('Pius') .

٧ ـ تاريخ الرها ، رقم٥ ، ص ٤.

٨ ـ وثمه ربط بين مدن اخرى في بلاد مابين النهرين ، انما الجمع بين الرها ونصيبين واقع اكيد دعمته ظاهرة المسيحية والمدرسة ، كما سنرى .

9 - H. Th. Poirier , L'Hymne de la perle des Actes de Thomas, Louvain-La Neuve 1981 .

١٠ ـ تاريخ الرها ، رقم

١١ ـ بشان مار افرام ومدينة الرها انظر بحثي في ملف بين النهرين ١، بين النهرين ، السنة ١١١١٦، العدد ٦١ (١٩٨٨) .

١٢ ـ بشان تاريخ ميخائيل الكبير ، نحيل الى طبعة شابو . وبشان (اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والاداب السريانية) للبطريرك افرام برصوم ، نحيل الى الطبعة الثالثة ، بغداد ١٩٧٦.

١٣ ـ بشان هذه البدع والهرطقات وغيرها مما سيرد في هذه المباحث ، نحيل الى :
اما عن برديصان فسنتحدث بشكل مركز في فقرة خاصة .

Chanoine Cristiani, Brève Histoire des Hérésies , (Je sais-Je crois) , Paris (Fayard) 1965 ;
The Oxford Dictionary of the Christian Church, ed. by F.L. Cross, 2ed . by F L Cross and E A Livingstone , Oxford University Press 1983 = ODCC.

اما عن برديصان فسنتحدث بشكل مركز في فقرة خاصة .

اهم مراجع وهوامش (الرها مركز حضارة) ٣/٣

١ بشأن الكتابات الرهاوية وغيرها من كتابات سريانية قديمة ، انظر

J. Friedrich , Corpus Inscriptionum Semiticarum, Paris 1880-1893 : I

Id., Repertoire d'Epigraphie semitique , Paris 1900-1905;

H. Pognon , Inscriptions sémitiques le la Syrie de Mésopotamie et de la région de Mossoul , Paris 1907 ;

J.B. Segal, Some Syriac Inscriptions of the 2nd-3rd Century , Bsoas 16 (1954) , p. 13-37;

E. Jenni , Die altserische Inchriften, 1-3 Jah., Theol. Zeit 21 (1965) , p. 371-385;

J. Pirenne, Aux origines de la graphie syriaque, Syria 40 (1963), p. 101-137.

F. Vattioni , Preliminari alle iscrizioni aramaiche, Augustinianum IX (1969) , p. 305-361;

J.H. Hospers, A basic bibliography of the study of the Semitic languages, 2 vol., Leiden (E.J. Brill) 1973-4 : vol I.n. XII : Syriac, be H.J.W Drijvers , 283-288, Aramaic, Id. ,, 290-335.

2 - W. Cureton, Spicilegium Syriacum , Lomdom 1855, p. 43-48.

٣ ـ الرها لسيكال ، ص

٤ ـ فولوس غبريال وكميل افرام البستاني ، الاداب السريانية ، بيروت ١٩٦٥، ص٥٠ـ٥١.

٥ ـ أنظر الهامش ٢ . وانظر ترجمة الخطاب العربية في (تاريخ الادب السرياني) لمؤلفيه مراد كامل ، محمد حمدي البكري ، زاكيه محمد رشدى ، القاهرة ١٩٧٤، ص٤١ـ٤٨.

6 - Schulthess, ZDMG 51 (1897) , p. 365 - 391.

٧ ـ كيورتون ، ص ٢٢ـ٣٥.

8 - E. Renan, Spic. Solemn. II J B Pitra, P XXXVII - LVI, trad. lat; B. Welte , ThQ 44 (1862), P. 384-410, trad germ

٩ ـ تحدثنا عن مضمون هذه الوثائق لدى تطرقنا الى (تعليم أدي) ، ووصف ايجريا مدينة الرها عام ٣٨٤ . واقرا مايقوله ابن العبري في تاريخ مختصر الدول ، ص ٦٦ـ٦٧، بشأن وفادة الملك ابجر الى المسيح في السنة ١٩ من ملك طيباريوس ، أي سنة ٣٤٢ يو (٣١م) حسبه.

10 - C. Brockelmann, Geschichte ler Syrischen Literatur , Berlin 1905, p. 21; Id., Die syrische und die christlich -

- arabische Litteratur , in Geschichte der christlischen Litteraturen des Orients , Leipdig 1909, p. 10 s.

١١ - بشأن (تاريخ الرها) انظر : يوسف حبي التواريخ السريانية ، مجلة المجمع العلمي العراقي - الهيئة السريانية ، ٦ (١٩٨١ - ١٩٨٢) ، ص ٦٧-٦٨، والطبعات

J.S. Assemani, BO,I,P. 388-417; L Hallier , Texte und **Untersuchungen** 9, 1 (1892); I. Guidi , Chronica Minora I, CSCO , 1/1,, P. 1-13 tex. syr.; 2/2, p 1-11, trad lat ; **angl** : Juornal of sacred Literature 5 (1965), p. 28-45 ; russ. : N. Pigulevskaea, Palestinskij Sbornik 4 (1967) , p. 79-96.

١٢ - الترجمة العربية لخبر الفيضان الوارد في (تاريخ الرها) : كامل - البكرى - رشدي، تاريخ الادب السرياني ، ص ٣٨-٤٠.

- التاريخ الكنسي لاوسابيوس ، الكتاب ٤ ، الفصل ٢٩

13 - Hieronymus, De viris illustris, ed. E. C. Richardson , Leipzig 1896 (PG XX - XXX) , p. 29.

14 - L. Leloir, Le Commentaire de S. Ephrem sur le Diatessaron, fragm. syr. cum vers. lat , Dublin 1963; Id, Le temoignage d'Ephrem sur le Diatessaron, CSCO, Subs. 19, Louvain 1962.

15 - P.A. Ciasca, Tatiani Evangeliorum harmoniae arabice, Romae 1888; 2 ed., 1934; A.S. Marmardji , Diatessaron le Tatien , Texte arabe, Beyrouth 1935.

الاب ١٠س٠ مرمرجي الدومنكي، الدياطسرون ، اي الرباعي ، وهو الانجيل الذي جمعه ططيانس من المبشرين الاربعة ، يحوي نصه العربي مصححا مستخرجا الى الفرنسية ، معارضا بالترجمات السريانية القديمة ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٣٥ .

١٦ - بشأن الترجمات السريانية للكتاب المقدس انظر الهامش ١من ٢/٣ ، واضف بالنسبة للانجيل

W. Cureton, Remains of a very ancient recension of the four gospels in Syriac hitherto unknown in Europe , London 1858; W. Wright, Fragments of the Curetonian Gospels , London 1872; R.L. Benslee-J-R. Harris - F Burkitt, The four Gospels in syriac trascribed from the sinaitic palimsest, Cambridge 1894; A. Smith Lewis, Some pages ..., London-Cambridge 1896 ; Id., The old Syriac Gospels..., London 1910; H. Hjelt, Syrus Sinaticus Helsing fors 1930.

17 - Arthur Vööbus, Neue Ergebnisse in der Erforschung der Geschichte der Evangelientexte im Syrischen, Pinneberg 1948; The Old Syriac Version in a new Light and urgent Tasks in textual Criticism of the NT Apophoreta Tartuensia, Stockholm 1949; Id., Neue Angaben uber die textgsschichtlichen Zustande in Edessa in den Jahren 326-340, Stockholm 1951 .

18 - P. Yousif, II patrimanio greco secondo Taziano, in L'Eredita Classica nelle Lingue orientali, Enciclop. Ital. 1986, p. 73-95.

بطرس يوسف ، ططيانس، مجلة المجمع العلمي العراقي – الهيئة السريانية ٣(١٩٧٧) ، ص ١٤٧–١٦٤

١٩ – بالايطالية وبالفرنسية اما بالعربيـة

فقد قام بالمحاولة باعتماد الطبعة الايطالية الاب

20 - Van Puevalde , DBS, 6 (1960), p. 855

22 - L. Leloir, Le Diatessaron de Tatien, OS 1 (1956) , p.1-45.

23 - A. Baumstark , Die Evangelienzitate Novatians und das Diatessaron, OC 3,5 (1930) , p. 1-14; Id., Das giechische Diatessaron Fragment von Dura-Europos, OC 3,10 (1935) P. 244-251.

24 - S. Lyonnet, Les origines de la version arménienne et le Diatessaron, Rome 1950; G. Messina, Diatessaron Persiano, Roma (Biblia et Orientalia) 1951; A.J.B Higgins, The Persian anl Arabic Gospel Harmonies, Studia Evangel ., Berlin 1959, p. 793-811

25 - C.H. Kraeling, A Greek Fragment of Tatian's Diatessaron from Dura, London 1935; P. Lagrange, Critique textuelle, II, Paris 1935 ; Id., Rev. Bibl 44 (1935), p 326-327; C. Peeters, Das Diatessaron Tatians, OCA 123 , Roma 1939 .

26 - A. Voobus, Studies in the History of the Gospel Text in Syriac, CSCO 128 . Subs, 3, Louvain 1951, p.1.

27 - Voobus , Studies..., p. 17-18.

28 - **F.C. Burkitt, Early Christianity outside the** Roman Empire , Cambridge 1902 .

٢٩ ـ عرف الحوار الى (اليونانيين) عدة طبعات وترجمات ، منذ انتشار الطبعة وحتى اليوم، بحيث بلغت ٢٦ طبعة وترجمة ، اقدمها في زوريخ سنة ١٥٤٦ ، واخرها في اكسفورد سنة ٢٩٨٢ . انظر

P. Ubaldi, Taziano, Discorso ai Gheci, Torino 1921; P. Yousif, Il patrimonio culturale greco secondo Taziano, p. 76.

30 - Han J.V. Drijvers, East of Antioch, Variorum Publications, **London 1983** .

31 - Iraeneus, Adv. Haeres., 228; Barde, DTC, 15, 1943, p **59-66** .

32 - A. Voobus , Early versions of the NT Manuscripts Studies, ETSE, Stockholm 1954.

33 - L. Leloir, Le temoignage d'Ephrem sur le Diatessaron . CSCO , Subs. 19, Louvain 1962, p. 50, 126-127

34 - Porphyrius, De Abstinentia, IV , 417.

٣٥ـ يقول(تاريخ الرها)انه ولد في ١١ تموز ١٥٤، بينما جاء في (تاريخ ايليا برشينايا) انه ولد في ١١ تموز سنة ٤٤٥ يو (١٣٤م) (ترجمة يوسف حبي، بغداد ١٩٧٥ ، ص٩١) ، وذكر ميخائيل الكبير انه ولد سنة ١٦٤ (التاريخ طبعة شابو) ، وابن العبري سنة ١٥٤، (التاريخ الكنسي طبعة ابلوس ولامي) .

36 - Epiphanius, Haers., 56, 1.

37 - Th. Bar Qoni, Liber Scholiorum ed. A Scher, CSCO, Ser 2, 65-66, **Paris 1910-1912** .

٣٨ ـ الفهرست لابن النديم ، تحقيق رضا ـ تجدد ، ص ٤٠٢.

٣٩ ـ المسعودي ، التنبيه والاشراف ، الشهرستاني، الملل والنحل

40 - Cfr W. Wright , A Short History of Syriac Literature , London 1894 (Amsterdam , Philo Press, 1966), p. 28-30 ; R. Duval, La Littérature syriaque, 3 ed., Paris 1970, p. 235-240 A. Baumstark, Geschichte der syrischen Literatur, Bonn 1922, p. 12-14 ; I. Ortiz de Urbina, Patrologia Syriaca , 2

ed., Romae 1965, p. 42-43; H.J W Drijvers , Bardaisan of Edessa ; Assen 1966.

٤١ ـ التاريخ الكنسي لاوسابيوس ، ٣٠،٤

٤٢ ـ الفهرست لابن النديم ، ص٤٠٢

٤٣ ـ الباترولوجيا السريانية ٢٤،١، ص ٦١١

٤٤ ـ تاريخ مختصر الدول لابن العبري ، ص ١٢٥

٤٥ ـ التاريخ الارمني لموسى الخوريني ٦٦،٢

٤٦ ـ درايفرز، برديصان ، ص ١ـ٩، وانظر يوسف رزق الله غنيمة برديصان والبريصانية، المشرق ١٢ (١٩٢٠) ، ثم بصورة مستقلة ، بيروت ١٩٢٠ .

47 - Eusebies Caesarensis , Praeparatio Evangelica; Clemens Alex., Recognitiones; Diodorum Tars., De Phato.

48 - Hiernoymus , De Viris illustribus, c. 32;

49 - Theodoretus Cyrus, Haeretis. Fab. Comp., I, 22

50 - Caesarius, Quaestiones, C. 47,48.

51 - Aercius, Dialogus ad Euxianum .

52 - Epiphanius, Panarion , 50.

٥٣ ـ التاريخ الكنسي لاوسابيوس ،٣٠،٤

ـ الفهرست لابن النديم ، ص ٤٠٢

٥٤ ـ تاريخ برحذبشبا عربايا ، الباترولوجيا الشرقية ٢٣ ، باريس ١٩٣٢ ، ص ١٩١

55 - O. Braun, Mozes bar Kapha und sein Buch von der Seele, Freiburg 1891.

٥٦ ـ أنظر مقارنة النص لدى درايفرز ، برديصان ، ص ٩٨ـ١٠٤ ، وموسى بن كيفا ، طبعة نو ، الباترولوجيا السريانية ٢،١ ص ٥١٣.

٥٧ ـ يوانيس الداري ، طبعة بومشترك ، مجلة الشرق المسيحي تسلسل ١٩٣٣،٨،٣ ص ٦٦ـ٧١ ، تيودور برقوني ، طبعة بونيون ، كتابات مندانية . باريس ١٨٩٨، ص ١٢٣.

٥٨ ـ تاريخ ميخائيل الكبير ، ٢،١ ، ص ١١٠ و ١٨٤ ، وقد ورد ذكر ابن العبري .

59 - Ephrem, Hymii 56 contra Haereses, ed. E. Beck, CSCO, SS 76-77, Louvain 1957.

60 - Ephrem, Contra Haereses ad Hypatium et Contra Haerese ad Domnun , ed. C.W. Mitchell - A A Bevan - F C Burkitt, S. Ephrem's prose refutations of Mani, Marcion and Bardaisan, 2 vol., London 1912, 1921.

61 - Ephrem, Carmina Nisibena, ed. G. Bickell, Lipsiae 1866;

ed. E. Beck, CSCO, SS 92, Louvain 1961.

62 - I. Rahmani, Studia Syriaca I, Sharfeh, Liban 1904; A.S. Dungan Jones, A Homily of St . Ephrem, JTHS, V, 1904, p. 546-552 .

63 - A.F J Klijn, The apocryphal correspondence between Paul and the Corinthians, Vig. Chr., XVII, 1963), p 2-23;

64 - J.J. Overbeck, S Ephraemi Syri, Rabulae episcopi Edesseni, Balaei aliorumque opera selecta, Oxford 1865.

65 - H.J.W. Drijvers, Rechtglaubigkeit und Ketzerei im altesten syrischen Christentum , Semosium Syriacum 1972, , Roma 1974, p. 305.

٦٦ – يوسف حبي ، الانسان في أدب وادي الرافدين ، بغداد (الموسوعة الصغيرة ٨٣)، ١٩٨٠

٦٧ – درايفرز ، برديصان ، ص ٢١٣.

٦٨ – سوزومين التاريخ الكنسي، ٣، ١٦، تيودوربطس ، التاريخ الكنسي ٤، ٢٦

٦٩ – رايت ٢٩ ، دفال ١٢، بومشترك ١٤، كامل – البكري – رشدي ٨١، ابونا (ادب اللغة الارامية) ٦٣–٦٤ .

٧٠ – درايفرز ، برديصان ، ص ٥٧–٨١

٧١ – بومشترك ٢٩، اوربينا ٨٥.

٧٢ بشان حياة مار افرام امهات كتب تاريخ الادب السرياني (السمعاني ، رايت ، دفال ، بومشترك ، شابو ، بولس السمعاني، البطريرك برصوم، كامل – البكري– رشدي ، اوربينا ابونا ، فولوس غبريال وكميل افرام البستاني وغيرهم) ، والبطريرك زكا عيواص ، بغداد ١٩٧٤ ، وطبعة ثانية ، دمشق ١٩٨٤ ، وكتاب مهرجان افرام حنين بغداد ١٩٧٤، ولاسيما

XVIe Centenaire de Saint Sphrem (373-1973) , Celebre a I' Universite Saint - Esprit de Kaslik 15-21 Octobre 1973, Parole de I,Orient IV, 1-2 (1973). Cfr surtout: Dom B. Outtier, Saint Ephrem d'après ses biographies et ses oeuvres , p. 11-33.

٧٣ – قول (ميمرا) يعقوب السروجي في مدح مار افرام ، طبعة بيجان، سير الشهداء والقديسين جـ٢ ، ص ٦٦٥–٦٧٩.

٧٤ – هيرونيمس ، في الرجال المشاهير ، ٢٢٥، والمراجع اعلاه .

٧٥ – وقال فوتيوس (٨٢٨–٨٩١) ان افرام ، بالاضافة الى قصائده ، خلف اكثر من الف خطبة وموعظة .

٧٦ – مهرجان افرام – حنين ، ص ١٤ للمطران اندراوس صنا .

٧٧ – مختارات من أناشيد مار افرام للاب يوحنا يشوع الخوري والاستاذ عبد المسيح قره باشي ، بيروت ١٩٧٣ (ذكرى مار افرام المئوية السادسة عشرة) ، ص ٢٦–٣٢.

٧٨ ـ الخورفسقفوس برصوم يوسف ايوب ، تاثير مار افرام في الاداب ، حلب ١٩٧٤ ، والبطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث ، أعجوبة الزمان او مار افرام نبي السريان العطشانة ، لبنان ، ١٩٧٤ ٠

اهم مراجع وهوامش (مدرسة الرها) ٣/٤

1 - J.-B. Chabot, L'Ecole de Nisibe, som Histoire, som Histoire, ses Statuts , JA, serie IX, t.8 (1896), p. 43-93 ; E·R· Hayes L'Ecole d'Edesse, Paris 1930; A. Vöōbus, History of the School of Nisibis , CSCO 266, Subs. 26, Lovain 1965; R. Macina, L'homme a'l'école de Dieu , D'Antioche a'Nisibe POC 1979, P. 86-124 , 623-301 ; J. Leclerc , Edesse , DACL, col. 2093-2095; id. L'Ecole de Nisibe, DAL, XII, Paris 1935, A. pan Roy, L'Ecole d'Edesse, DHGE 14, 1960, 1430-1432.

المطران أدي شير ، مدرسة نصيبين الشهيرة ، بيروت ١٩٠٥)وفي مجلة قالا سوريايا، العدد ٣٢-٣٣ ، السنة ١٩٨٢-١٩٨٤(.

٢ - بشأن مدارس بلاد مابين النهرين والعراق القديمة أنظر
كوركيس عواد - خزائن الكتب القديمة ، بغداد ١٩٤٨،
روفائيل بابو اسحق، مدارس العراق قبل الاسلام ، بغداد ١٩٥٥،

J. Bidez, , Les écoles chaldéennes sous Alexandre et les Séleucides, Annaire de I'Inst, de philologie et d'hist. or., III (19.5), Bruxelles, P. 41-89: C·J· Gadd, Teachers and Students in the ollest Sshools , Universite of London 1956; H·I· Marrou, Histoire de l'éducation dans l'Antiquite, Paris 1965; Y. Eche , Les bibliotheques arabes publiques et sémipubliques en Mésopotamie , en Syrie et en Egypte au Moyen Age, Damas 1967.

3 - Theodrus Anagnostos , Hist· Eccl·, col· 185·

٤ - دوبس ، مدرسة نصيبين ، ص ٨-٩.

٥ - علة تأسيس المدارس لبرحذبشبا الحلواني (نشرة أدي شير باسم برحذبشبا عربايا في البابرولوجيا الشرقية ٤،٤، باريس ١٩٠٧) ، ص ٣٨١ .

٦ - فوبس ، مدرسة نصيبين ، ص ١٦.

٧ - مجموعة القوانين المجمعية لعبد يشوع الصوباوي (طبعة ماي ١٨٢٨) ، ص ٣٠٦ .

٨ - فهرس المؤلفين لعبد يشوع الصوباوي ، تحقيق وترجمة يوسف حبي ، بغداد ١٩٨٦، رقم ٦٢-٦٥ ، الاسطر ٥٢١-٥٢٨.

٩ - يوسف حبي ، الفلسفة السريانية ، مجلة المجمع العلمي العراقي - الهيئة السريانية ٨ (١٩٨٤) ، ص ١٤-١٧ ، حبي، المراكز السريانية الثقافية ، ٩(١٩٨٥) ، ص ٢٩.

10 - J·G· Hoffmann, De Hermeneuticis apud Syces Aristatcleis, Lipsiae 1869, 2 ed·, 1873; A· Van Hoenacker , Le traité du 'philosophe syrien Probus sur les Premiers Aialytiques d'Aristote, JA, juillet - aout 1900, P.70; Albino Nagy, Una versione siriaca inedita degli Analitici di Aristotele; Khalil Georr, Les Catégories d'Aristote dans leurs versions syro - arabes , Beyrouth 1948.

١١ - لايساغوجي فروريوس ترحمتان سريانيتان ، نشر بومنسترك ترجمه اثناسيوس البلدى

A.Baumstark , Aristoteles bei den Serern von V. - VIII· Jahrhundert , Syrisch - Arabisce Biographien des Aristolteles. Syrische Commentare zur Isagoge des Porphyrios , Leipzig 1900.

١٢ - يقوم الاستاذ الصديق سبستيان بروك بنشر الترجمة الاقدم للايساغوجي، المنسوبة الى سرجيس الراسعني (÷ ٥٣٦) ، في مجلة المجمع العلمي العراقي - الهيئة السريانية، المجلد ١٢ (١٩٨٨) ٠

١٣ - أنظر من انطاكية الى نصيبين لماسينا ، الهامش١ . وانظر دي لاسي اوليرى ، علوم اليونان وسبل أنتقالها الى العرب ، ترجمة وهيب كامل ، القاهره ١٩٦٢ (وترجمه أخرى ، بغداد ١٩٥٨) ، ص ٠٩

14 - R·C· Chesnut, Tree Monophysite Christologies, Severus of Antioch, Philoxenus of Mabbug, anl Jacob of Sarug, Oxford 1976.

15 - A. de Halleux , Mar Ephrem Theologien, Parole de L'Orient, , IV, 1-2 (1973), p. 53-54.

١٦ - بشأن قوانين مدرسه الرها - نصيبين ، أنظر الفقرة الخاصة بذلك٠

17 - T. Jansma, Hexameron, p. 130-50.

١٨ - فوبس ، مدرسه نصيبين ،ص٩

١٩ - برحذبشبا في علة تاسيس المدارس ، ص ٣٨٦، والسروجي في ميمره طبعة بيحان٠

٢٠ - تاريخ الرها طبعه كويدي ، ص٨ ، وذلك سنه ٨٠٠يو / ٤٨٩م

٢١ - كتاب النحله لسليمان البصرى ، طبعه السر والبس بدج ، اكسفورد ١٨٨٦، ص ٣٧٠ وبشأن نصيبين أنظر

T.Hermann, Die Schule von Nisibis vom 5. bis 7· Jahrhundert, Zntw, xxv (1926); E. Honigmann, Nasibin, EI, III , 1936 ; P. Kruger, Nisibis LTHK, VII , Freiburg i. B.

1962; H. Engberding, Nisibis, LthK , VII, Freiburg i·B·, 1962; J· - M· Fiey, Nisibe, Métropole syriaque orientale et ses suffrangants des origines à nos jours , CSCO 388, Subs, 54, Louvain 1977.

22 - R. Dussaud, Topographie historique le la Syrie antique et médievale . Paris 1927, p. 490-499; R·T· O'Callaghan, Aram Nahrain , Rome 1949, passim.

٢٣ ـ الخوري اسحق ارملة ، المشرق سنة ١٩١٣ ، ص ٨٥١

٢٤ ـ تاريخ ايليا برشينايا ، ص ١٠٣

٢٥ ـ فيي ، نصيبين (الهامش ٢١)

٢٦ ـ تاريخ يشوع العمودي ، طبعة ويليم رايت ، كمبردج ١٨٨٢ ، ص٧

٢٧ ـ برحذبشبا عربايا ، التاريخ ، طبعة ادي شير ، الباترولوجيا الشرقية ، ص ١٠٩

٢٨ ـ فوبس ، مدرسة نصيبين ، ص ٣٣ـ٥٦

٢٩ ـ علة تأسيس المدارس لبرحذبشيا الحلواني ، ص ٧١ـ٧٢

٣٠ ـ التاريخ السعردي ، طبعة أدي شير ، الباترولوجيا الشرقية ٢، ص ٤٤ـ٤٥ ، والتاريخ لبرحذبشبا عربايا ، ص ١٢٣

31 - A. Voobus , Syriac and Arabic Documents , ETSE XI , Stokholm 1960 , p. 24-33.

32 - Acea Conciliorum Oecumenicorum, ed. E. Schwartz , Berlin - Lipsiae 1914 s., II, III, p. 39; Andreas Samosatenus Epistola, ed. J·P· Migne, PG LXXXIV, P· 32·

33 - Andreas, Epistola, p. 49.

34 - Anlreas, Epistola , p. 26.

35 - G. Blum, Rabbula von Edessa, CSCO 300, Subs. 34 , Louvain 1969.

٣٦ ـ تاريخ الرها ، ص ٨٠

37 - S. Gero, Barsauma of Nisibis and persian Christianity in the fifth Century , CSCO 426, Subs. 63, Louvain 1981, p. 25-59.

38 - Akten der Ephesibischen Synode vom Jahre 449, ed. J. Flemming , Abh. GWG NF XV, Berlin 1917, p. 15 s.

٣٩ ـ فوبس ، مدرسه نصيبين ، ص ٣٣ـ٣٦٠

٤٠ ـ أدي شير ، مدرسة نصيبين ، ص ٨٠

41 - Homélie de Narses (Narsai) sur les trois docteurs nestoriens, ed. J. Martin, JA, ser. IX, t. XIV, 1899, p. 515.

٤٢ ـ التاريخ السعردي ، ٢، ص ٦٠٨.

٤٣ ـ علة تأسيس المدارس لبرحذبشبا ، ص ٣٨٦.

٤٤ ـ التاريخ لبرحذبشبا عربايا ،ص ٦٠٧و٦٠٩.

٤٥ ـ التاريخ لبرحذبشبا ، ص ٥٩٠.

٤٦ ـ التاريخ لبرحذبشبا ، ص ٥٩٦.

٤٧ ـ علة تأسيس المدارس لبرحذبشبا الحلواني ، ص ٣٨٢.

٤٨ ـ أدي شير ، مدرسة نصيبين ، ص ٨.

٤٩ ـ فوبس ، مدرسة نصيبين ، ص ٦٣.

٥٠ ـ حياة سويريوس . ص ٢١٧، وتاريخ زكريا الفصيح ، ص ١١.

٥١ ـ فهرس المؤلفين للصوباوي ، رقم ٥٥، الاسطر ٤٣٣ـ٤٤٨.

٥٢ ـ التاريخ لبرحذبشبا ٢ ، ص ٦١٢ ، ويقول ان بناءه على عدد ايام السنة أي ٣٦٥.

٥٣ ـ علة تأسيس المدارس لبرحذبشبا ، ص ٣٨٦، ويقول ان ميامره نحو ٣٠٠.

٥٤ ـ راجع الاب سرهد جموء بين النهرين ١(١٩٧٣) ، العدد ٣، ص ٣٠٣ـ٣١٥

55 - A. Vööbus , The Statutess of the School of Nisibis, ETSE 12, Stokholm 1962, p. 52.

56 - Voobus , The Statutes ..., p. 58.

57 - I. Guidi, Gli statuti della scuola di Nisibi , GSAI, IV , Roma 1890; Vööbus, Syriac and Arabic Documents ,.

58 - Ibn at - Taiyyib, Fiqh al - Nasraniyya , ed. W. Hoerbach — O. Spies, CSCO, Ser. Ar., Louvain 1957; Collectio Canonum Synodicorum (Nomocanon) 'Abdišo' Sob, ed. A. Mai, SVNC, X, Romae 1838.

59 - Macina, L'homme a'l'Ecole de Dieu, D'Antiochea Nisibe.

٦٠ ـ التاريخ لبرحذبشبا عربايا ، ٢، ص ٦٢٠.

٦١ ـ فوبس ، مدرسة نصيبين ، ص ١٢٦ـ١٣٣.

٦٢ ـ التاريخ السعردي ، ٧، ص ١٢٦ ، مجدل ماري ، ص٤٠.

٦٣ ـ أنظر : فهرس المؤلفين للصوباوي ، ترجمه يوسف حبي ، الهامش ٨٢، ص ١٩٧.

٦٤ ـ علة تأسيس المدارس لبرحذبشبا الحلواني ، ص ٣٨٧.

٦٥ ـ فوبس ، مدرسة نصيبين ، ص ١٢٦.

٦٦ ـ فهرس المؤلفين للصوباوي ، رقم ٩٥، الاسطر ٧١٣ـ٧١٨.

٦٧ ـ التاريخ السعردي : ٢، ص ٣٤ـ٣٥، و٧، ص ١٢٦ ومجدل ماري، ص ٤٦.

٦٨ ـ مجدل مارى ، ص ٤٤ ، بينما يقول (تاريخ اربيل) انه صديقه ،رقم ٢٠ (طبعة كاغيرا)

٦٩ ـ التاريخ لبرحذبشبا عربايا ، ٢، ص ٦١٦ فما بعدها.

٧٠ ـ تاريخ اربيل ، رقم ٢٠.

٧١ ـ انما لانستطيع ان نبت فيما اذا كان ايشو عدد يقصد أبراهيم بما يضع على لسان "الربن" اذ لعله يريد جبرائيل القطري ، كما يقول ناشر ايشوعدد

C. Van den Ende, Commentaire d' Iso'lad de merv sur l'Ancien Testament, CSCO 328-329 , 146-147, Louvain 1972.

٧٢ ـ تاريخ برحذبشبا ،٢. ص ٦٢٠.

٧٣ ـ تاريخ برحذبشبا ،٢، ص ٦٢٠ـ٦٢١.

٧٤ ـ تاريخ برحذبشبا ،٢، ص ٦٢٣، مصباح الظلمة لابي البركات ، ص ٦٥٢.

٧٥ ـ تاريخ اربيل ، رقم ٢٠.

٧٦ ـ فوبس ، مدرسة نصيبين ، ص ١٥٥ـ١٦٠.

٧٧ ـ المجامع الشرقية (السنهادوسات) ، طبعة شابو ص ٣٢ فما بعدها.

٧٨ ـ علة تأسيس المدارس لبرحذبشبا ، ٤ ، ص ٣٨٨.

٧٩ ـ علة تأسيس المدارس لبرحذبشبا ،٤، ص ٣٨٨.

٨٠ ـ علة تأسيس المدارس لبرحذبشبا ، ٤، ص ٢٨٨.

٨١ ـ التاريخ لبرحذبشبا عربايا ،٢ ص ٦٣٠.

٨٢ ـ فهرس المؤلفين للصوباوي ، رقم ٥٨، الاسطر ٤٦١ـ٤٧٦.

٨٣ ـ علة تأسيس المدارس لبرحذبشبا ،٤، ص ٣٨٨ ، التاريخ السعردي ،٧، ص ١١٦.

٨٤ ـ شروح ايشوعدد المروزي ، جمهرة لوفان ١٩٥٨، ٢، ص ٣٠و٤٨.

٨٥ ـ مخطوطة بورجيا ، سرياني ٧٨ (الفاتيكان) ، الاوراق ٤٧ـ٤٨ب.

٨٦ ـ علة تأسيس المدارس لبرحذبشبا ، ص ٣٨٨ ، فهرس المؤلفين للصوباوي ، رقم ٥٨، التاريخ السعردي ،٧ ص ١١٦.

٨٧ ـ فهرس المؤلفين للصوباوي ، رقم ٥٨، التاريخ السعردي ص ١١٦.

٨٨ ـ علة تأسيس المدارس ، ص ٣٨٨.

٨٩ ـ علة تاسيس المدارس ، ص ٣٨٨.

٩٠ ـ فهرس المؤلفين للصوباوي ، رقم ٥٨.

٩١ ـ التاريخ السعردي ، ص ١١٦ ، مخطوطة برلين ٨٠٣، الورقة ١١٨ب.

٩٢ ـ التاريخ السعردي ، ٧، ص ١٨٥.

٩٣ ـ بومشترك ، تاريخ الادب السرياني ، ص ١١٦.اور تيزدي اوربينا ، الباترولوجيا السريانية ، ص ١١٥.

٩٤ ـ فوبس ، مدرسة نصيبين ، ص ٢٢٢.

اهم مراجع وهوامش (اساتذة اخرون) ٣/٥

١ ـ التاريخ السعردي، ٢، ص٢٠.

٢ ـ المجامع المشرقية (السنهادوسات) ، طبعة شابو ، ص ٥٣ـ٦٠.

٣ ـ برحذبشا الحلواني ، ص ٦٧، التاريخ السعردي ٢، ص ٢٤ـ٢٥ ، التاريخ الكنسي لابن العبري ، ٢، ص ٥٣.

٤ ـ كما وهم دفال ، الاب السرياني ، ص ٣٤٥ـ٣٤٦ .

٥ ـ مجدل ماري، ص ٥٠و٥٢ ، التاريخ السعردي ، ٧ ص ١٧٠.

٦ ـ الطوبوغرافيا المسيحية لقوزما ، ٢،٢

Cosmas Indicopleustes, Topographie Chrétienne, SC 141, par Wanda Wolska-Conus , Paris 1968, 2,2.

٧ ـ مقدمة فاندا فولسكا ـ كونو في الطوبوغرافيا المسيحية (الهامش السابق) ، ص٣٩ـ٤٠.

٨ ـ الطوبوغرافيا المسيحية ،٢،٢.

٩ ـ فهرس المؤلفين الصوباوي، رقم ٦٧، الاسطر ٥٣٣ـ٥٣٨.

١٠ ـ فهرس المؤلفين للصوباوي ، سطر ٣٠٥ـ٣٠٦.

١١ ـ مخطوطة منكنا ، سرياني ١٩٥، الاوراق ٢٥ـ٤٤ ظ

١٢ ـ فهرس المؤلفين للصوباوي ، رقم ٦٠، الاسطر ٤٨٥ـ٥٠٠ ، المجامع المشرقية، ط شابو، ص ٦٨ـ٩٥ و ٥٤٠ وما بعدها .

١٣ ـ فهرس المؤلفين للصوباوي ، رقم ٦٦، الاسطر ٥٢٩ـ٥٣٢ .

١٤ ـ مجدل ماري ، ص ٤٥ .

١٥ ـ التاريخ الكنسي لابن العبري، ٢، ص٧٧.

١٦ ـ فوبس ، مدرسة نصيبين ، ص ٢٣.

١٧ ـ فوبس ، مدرسة نصيبين ، ص ١٦٠ـ١٦١.

١٨ ـ ابونا ، أدب اللغة الارامية ، ص ١٥٨.

١٩ ـ مخطوطة البطريركية الكلدانية رقم ٣٥، مخطوط برلين ٨٩، سانو ٣٣٦، ومخطوط لندن ١٤٦٥٨ و ١٤٦٢٠، نشره ميركس ، ص ٥٠ـ٧٢ (فن النحو لدى السريان).

٢٠ ـ تاريخ اربيل ، رقم ٢٠.

٢١ ـ المجامع المشرقية ، ص ١٠٨.

٢٢ ـ المجامع المشرقية ، ص ٢٢١.

٢٣ ـ الباترولوجيا اللاتينية ١١،٦٨.

٢٤ ـ فوبس ، مدرسة نصيبين ، ص ١٧١ ـ ١٧٢.

25 - J·P· Land, De partibus divinae legis, Instituta reguaria, London 1875.

٢٦ ـ فهرس المؤلفين ، رقم ٦٩، الاسطر ٥٤١ـ٥٤٤.

٢٧ ـ مخطوط منكنا ، سرياني ١٩٥، ألورقة ٧٢ظ.

٢٨ ـ فهرس المؤلفين ، رقم ١٠٠ ، سطر ٧٣٩ـ٧٤٠.

٢٩ ـ التاريخ السعردي ،٢، ص ٧٨.

٣٠ ـ ويليم مكمبر ، فهرس ، ص ١٩٩.
٣١ ـ مخطوط منكنا ، سرياني ١٩٥ ، الورقة ١٣٧ظ.
٣٢ ـ التاريخ السعردي ،٧، ص ١٥٨، مجدل ماري ، ص٥٠.
٣٣ ـ التاريخ السعردي،٧، ص ١٨٧و١٩٢.
٣٤ ـ فهرس المؤلفين للصوباوي ، تحقيق يوسف حبي ، الهامش ٣٦، ص ١٨٠.
٣٥ ـ كما يقول ايشوعياب بن ملكون ، مخطوط كركوك ٤٥ فوستي ، الفاتيكان، سرياني ١٦١٦، وكذلك ابن زوعبي في كتابه في النحو .
٣٦ ـ التاريخ السعردي،٧، ص ١٥٦ و ١٥٧ ، مجدل ماري ، ص ٥٠.
٣٧ ـ فوبس ، قوانين مدرسة نصيبين ، ص ٨٨
٣٨ ـ التاريخ السعردي، ٢، ص ١١٨، مجدل ماري ، ص ٥٥ ، علة تأسيس المدارس لبرحذبشبا الحلواني ، ص ٣٨٩ـ٣٩٩.
٣٩ ـ علة تأسيس المدارس لبرحذبشبا ، ص ٣٨٩ـ٣٩٠.
٤٠ ـ فهرس المؤلفين للصوباوي ، رقم ٧٦.
٤١ ـ مجدل عمرو ـ صليبا ، ص ٤٩، التاريخ السعردي ، ١٣،ص٤٣٩.
٤٢ ـ المجامع المشرقية ،ص ١٣٦ .
٤٣ ـ مجدل عمرو ـ صليبا ، ص ٤٩.
٤٤ ـ فهرس المؤلفين ، رقم ١٦٠.
٤٥ ـ علة تأسيس المدارس لبرحذبشبا ، ص ٣٩٠، التاريخ السعردي ،٧، ص ١٩٤، مجدل ماري ، ص ٥٤.
٤٦ ـ الديورة لايشوعدناح ، ترجمة (البطريرك) بولس شيخو ، رقم ٤٢.
٤٧ ـ علة تأسيس المدارس لبرحذبشبا . ص ٣٩٠ـ٣٩٢.
٤٨ ـ التاريخ السعردي ، ٧، ص ١٨٧ـ١٩٣.
٤٩ ـ مجدل ماري ، ص٥٤ . بينما يقول التاريخ السعردي انهم ٣٠٠. ومختصر القوانين ٥٠٠ ادى شير ، مدرسة نصيبين ، ص ٢٩.

50 - Babai, De Unione ., ed. A. Vaschalde, CSCO 79, Syr 34, Louvain 1915.

٥١ ـ المجامع المشرقية ، ص ١٣٠ـ١٦٥.

52 - Išo'yahb II patriarcha, Liber Epistolarum, ed. R. Duval, CSCO 11 , Syr. II, Louvain 1904.

٥٣ ـ المجامع المشرقية ، ص٢٠٧،٢١٤.
٥٤ ـ المجامع المشرقية ، ص ٥٦٢ فما بعدها.
٥٥ ـ التاريخ السعردي ، ص٥٠٧ـ٥١٣.
٥٦ ـ مجموعة القوانين المجمعية لعبديشوع الصوباوي، المقال ٩، الفصل٥.
٥٧ ـ المجامع المشرقية ، ص ٥٦٢ فما بعدها .
٥٨ ـ التاريخ السعردي ، ص ١٨٩ـ١٩٢.
٥٩ ـ الديورة لايشوعدناح ، رقم ٥٦.
٦٠ ـ المجامع المشرقية، ص ١٩٦ـ٢٠٠.
٦١ ـ التاريخ السعردي ، ص ١٥٤ـ١٨٦.

٦٢ ـ الديورة لايشوعدناح ، رقم ٦٧.

٦٣ ـ فهرس المؤلفين للصوباوي ، رقم ١٦١ ، الاسطر ٩٨٥-٩٨٨.

٦٤ ـ تاريخ دير الربان هرمزد من السنة ١٨٠٨ الى ١٨٦٢ تاليف الانبا اليشع، وذلك نقلا عن كتاب قديم: ادي شير ، مدرسة نصيبين ، ص ٣٣-٣٤.

٦٥ ـ فوبس ، قوانين مدرسة نصيبين ، ص ١٠٥.

٦٧ ـ فهرس المؤلفين للصوباوي ، رقم ٦١، الاسطر ٥٠١-٥١٦.

٦٨ ـ التاريخ لبرحذبشبا عربايا ، ٢، ص ٤٩٥. (٦٨) ـ التاريخ السعردي ،١٣،ص٥١١.

٦٩ ـ الديورة لايشوعدناح ، رقم ٢١، التاريخ السعردي ،١٣، ص ٥٣٥.

٧١ ـ رسائل ايشوعياب الثالث ، ص ١٣٣.

٧٢ ـ فهرس المؤلفين للصوباوي ، رقم ٧٥.

٧٣ ـ مجدل عمرو ـ صليبا ، ص ٥٣.

74 - Louis Sako, Lettre christologique du Patriarche Syro — Oriental Išo'yahb II de Ǧdala (628-646), Rome 1983.

75 - A. de Halleux , Martyrius (Sahdona), Oeuvres spirituelles, CSCO 200, 201, 214, 215, 252, 253, 254,255, Syr 86, 78, 90, 91, 110, 111, 112, 113, Louvain 1960, 1961, 1965.

٧٦ ـ كتاب الرؤساء لتوما المرجيء ، ترجمة الاب البير ابونا ، الموصل ١٩٦٦، ص ٥٠-٥١.

٧٧ ـ التاريخ السعردي ، ١٣ ، ص ٥٢٨-٥٢٩.

٧٨ ـ فهرس المؤلفين للصوباوي ، رقم ٧٠، الاسطر ٥٤٥-٥٦٤.

٧٩ ـ كتاب الرؤساء لتوما المرجي ، ص ٥٢.

٨٠ ـ التاريخ السعردي، ١٣، ص ٥٣٢-٥٣٤.

81 - V. Grumel, Un theologien nestorien: Babai le Grand , EO 22 (1932), p. 153-181 ; L. Abramowski, Die Christologie Babais des Grossen, OCA 197 (1974), p. 219-245; Id., Babi ler Grosse christologische Probleme und ihre Losungen, OCP 41 (1975), p. 289-243; G. Cediath , The Christology of Mar Babai the Great , OIRS 49, Kottayam 1982.

82 - Homiliae selectae Mar Jacobi Sarugensis , ed. P. Bedjan, 5 vol . Paris-Leipzig 1905?1910; Iacobi S. epistulae , CSCO 110, Syr 57, Louvair 1937; Lund 1939; p.Zingerle , Monum. Syr. I, p. 91-96; M. Albert , T. Jansma, P. Kruger etc.

٨٣ ـ الاب بهنام سوني بين النهرين ٨ (١٩٨٠) ، العدد ٣٠، ص ١٦٧-١٨٦.

٨٤ ـ اللؤلؤ المنثور للبطريرك برصوم ، ص ٢١٠-٢١١.

٨٥ ـ اللؤلؤ المنثور ، ص ٢١١-٢١٢ ، اورتيزدى اوربينا ، ص ١٠٠-١٠٢.

٨٦ ـ اللؤلؤ المنثور ص ٢١٦-٢١٧ ، اورتيزدى اوربينا ، ص ١٠٣-١٠٤ ، وانظر

F.S. Marsch , The Book which is called the Book of the **Holy Hierotheos which Extract from the Prologomena and Commentary of Theodosios of Antioch , Leylen 1886.

٨٧ ـ اللؤلؤ المنثور ، ص ٢٢٦ـ٢٣٣ ، اورتيزدى اووبينا ، ص ١٥٧ـ١٦١.
٨٨ ـ يوسف حبي ، يعقوب الرهاوي وكتابه الايام الستة ، مجلةالمجمع العلمي العراقي ـ الهيئة السريانية ، العدد ١٢ (قيد الطبع) ، وفيه بيبلو غرافيا شاملة عنه .
٨٩ ـ يوسف حبي ، أيوب الابرش الرهاوي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ٣٤ (١٩٨٣) ، جـ٢ ، ص ١٢٤ـ١٤٢ . وانظر طبعة كتاب الكنوز (كثابا دسيماثا)

Book of Treasures by Job of Edessa, Syriac Text eedited **and eranllated** with a critical apparatus by A. Mingana, Cambridge 1935.

اهم مراجع وهوامش (الاضطهادات) ١/٤

١ - كنت قد نشرت بحثا في بين النهرين ٩ (١٩٨١) ، العدد ٣٣، ص ٣-١٦، بعنوان (الاضطهادات الفارسية) ، اعتمده هنا بنوع خاص ، وقد اجريت اضافات وتعديلات مهمة عليه .

٢ - أهم المراجع عن الاضطهادات الفارسية ، اضافة الى لابور ، ادى شير، هوفمان فيي واخرين ، انظر خاصة

M· -L· Chammont, 'Les Sassanides et la christianisation de l'Empire iranien au IIIe siècle de notre ère, Revue de l'historie des Religions 2(1964) , p. 165-202; G. Wiessner, Untersuchungen zur Syrischen Literaturgeschichte I : Zur Martyruberlieferung aus der Christenverfolgung Schapuis II , AAWG III, 67, Gottingen 1967; A. Bugnini, La Chiesa in Iran, Roma 1981, p. 43-54.

A. Fracassini, L'Impero eil Cristianesimo da Nerone a Costantion, Perugia 1913; p. Allard, Storia critica delle persecuzioni, 5 vol., Firenze 1923-1928; A. Manaresi, L'Impero Romano e il Cristianesimo, Torino 1941; A.Erhail, La Chiesa dei Martiri, Firenze 1946; Daniel-Rops, L'Eglise des Apôtres et des Martyrs , Paris 1948; H.Gregoire, Les persécutions dans l'Empire romain, Bruxlles 1951; V. Monachino, II fondamento giuridico delle persecuzioni nei primi due secoli, La Scuola Cattolica LXXXI (1953); ristampa , Roma 1955; I. Morcau, La persécution du Christianisme dans l'Empire romain, Paris 1956; P. Brezzi, Dalle persecuzioni alla pace di Costantion, Roma 1960 ; A. Amore, Persecuzioni Romane , Dizionario Storico Religioso, Roma 1966, p. 745-747 (Bibliografia); C. Lepelly, L'Empire romain et le Christianisme, Flammarion 1969.

اهم مراجع وهوامش (الاضطهاد الفارسية) ٢/٤

1 - J. Labourt, Le Christianisme dans l'Empire perse, p. 3-5 A. Christensen, L' Iran sous les Sassanides, Copenhague — Paris 1938; A.T. Olmstead, History of Persian Empire, 1938; Chaumont, Bugnini etc.

2 - J. -M ! Fiey, Jalons ..., p. 47; Jacob Neusner , A History of the Jews in Babylonia, Leiden (Brill), I (1965) , II (1966), III (1968).

٣ ـ لابور ، ص ٧ـ٩ ، ادى شير ، كلدو واثور . جـ١ ص ٢٨ـ٢٩. وقد اسهب المطران سليمان صائغ في وصف دور رئيس الجالوت واليهود وتحريكهم قضية اضطهاد المسيحيين، وذلك باسلوب روائي في روايته (يزداندوخت ، الشريعة الاربلية ، ط١ الموصل ١٩٣٤، و ط٢. الموصل ١٩٥٣) . والصائغ متأثر في هذا بتاريخ اربيل . الذي نسبه الفونس منكنا الى مشيحا زخا ونشره في الموصل سنة ١٩٠٧ . وانظر طبعة كافيراو سنة ١٩٨٣. وينوه الطبري ايضا الى مثل ذلك ، انظر طبعة نولدكه ، ص ٢٦٨. وقد قام البطريرك يعقوب الثالث بجمع عبارات تظهر الموقف العدائي لليهود تجاه المسيحيين في القرون الاولى للميلاد من خلال اعمال الشهداء الحميريين العرب . دمشق ١٩٦٦. ص ١٢٠ـ١٢١ أنما يجب أن لاننسى بان كتابة هذه الاعمال تمت بعد أستفحال العداوة بين المسيحيين واليهود . انظر فيي ، ص ٤٨.

٤ ـ نحيل القارى الى الموسوعة التي صدرت بعنوان الصراع العربي الفارسي ، بغداد ١٩٨٤،

٥ ـ أنظر لابور ، ص ٥٦ فما بعدها ، كلدو واثور لادى شير ، ص ٢٥ـ٢٩ ، القس بطرس نصري ، كتاب ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان ،جـ ، الموصل ١٩٠٥، ص ٧٥ فما بعدها ، الاب البير أبونا ، تاريخ الكنيسة الشرقية ، الموصل ١٩٧٣، ص٣٧، فيي ، ص ٨٥. وثمة رسالة لقسطنطين الملك الى سابور . وانظر

P. Haddad , Persecuzioni Persiane , Dizionario Storico Religioso, Roma 1966.P. 740-741; L. Sako, Le role de la Hierarchie syriaque orientale dans les rapports diplomatiques entre la Perse et Byzance aux Ve-VIIe siècles, Paris 1986, p. 7-20; Eusebius Caes., Vita Constantini, 4, 8,9; PG 20, 1167-1168 .

٦ ـ أنظر لابور ، ص ١ـ٥ ، كرستنسن ، ايران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب القاهرة ١٩٥٧ ، عدة مواضع .

٧ ـ علي الشوك ، الاساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة ، لندن ١٩٨٧ وانظر:

ANET, ed. Pritchard

٨ – يوميات نابونيد ، ٣، سطر ٢٤. وأنظر سفر عزرا ١، ٢–٤، و ٤، ١١–٥ ١٢.
٩ – انظر على سبيل المثال

Ashel Grant, The Nestorians or the lost Tribes, London 1841.

10 - Chronique d'Arbèle, ed. A. Mingana; Die Chronik von Arbela , ed. P. Kawerau.

11 - H.Ch. Puech, Le manichéisme. Son fondateur, Sa doctrine , Paris 1949.

12 - M. Sprengling, Third Century Iran. Sapor an Kartir , Chicago 1953; A. Maricq, Res GestaeDivi Saporis Syria XXXV , 1958.

١٣ – الطبري ، طبعه دي كويي ، ١، ص ٨٣٠.

14 - Lactantius , De mort. peresecut., V, 3-6.

١٥ – التاريخ السعردي ، ٤، ص ٢٠٠–٢٢١.

16 - P. Peeters, Demetrianus, évêque d'Antioche , AB 42 (1924) , p. 2881314; Id., Acta Sancotrum, Ñov. IV (1925), p. 384-391 . ffi ffi

17 - Chaumont, Les Sassanides et la Christianisation, p.183.

١٨ – التاريخ السعردي ، ٤ ، ص ٢٣٧.
١٩ – كريستنسن ، ص ٢٩٣.
٢٠ – أنظر مثلا قصة عبدا شهداء المشرق لادي شير ، ج٢، ص ٢٧٦–٢٧٧.
٢١ – راجع مجمل هذه الاراء لدى ادى شير . كلدو واثور ، ٢ ص ١٥، وانظر حداد، فيي . بونييني.
٢٢ – فيي ، ص ٥٠–٥١.

23 - Paola Schinaja, A Coin Hoard from Coche , Mesopotamia II (1967 Torino), p. 105-133, fig. 192-283.

وانظر فيي ، ص ٥١ ، كلدو واثور ،٢، ص ٢٥.
٢٤ – التاريخ الكنسي ليوحنا الافسسي ، وتاريخ ارمينية لاليشاع ، أنظر ثومون ، ص ١٨٣–١٨٤.
٢٥ – بشأن نفوذ الطبقة الكهنوتية المجوسية وسيطرتها على شؤون المملكة ، انظر لابور ، ص ٥–٦ ، كريستنسن ، هـ٢.
٢٦ – التاريخ السعردي ،١، ص ١٤٢–١٤٥، ويستقي صاحب التاريخ السعردي معلوماته من تاريخ دانيال بن مريم المفقود . انظر التواريخ السريانية ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، الهيئة السريانية ، ٦(١٩٨١–١٩٨٢) ، ص ٥٠.

٢٧ ـ التاريخ السعردي ، ٤، ص ٢٢٥ـ٢٢٧ ، كلدو واثور ، ص ٢٢ـ٣٤ .
٢٨ ـ التاريخ السعردي ، ١، ص٢٧ ،شومون، ص ١٨٩ـ١٩٠ ، فيي ص ٥٤.

29 - F. Nau, Resume de monographies syriaques, X, ROC, XX (1917), P. 23-24.

٣٠ ـ كلدو واثور ، ص ٦٠، شومون .
٣١ ـ بشأن الاضطهاد الاربعيني ، انظر اهم المصادر التي جمعت (اعمال الشهداء) لاسيما الذين سقطوا ضحية الاضطهادات الفارسية في القرون الاولى للميلاد

S.E. Assemani, Acta Sanctorum Martyrum Orientalium et Occidentalium, 2 vol., Romae 1748; P. Bedjan, Acta Martyrum et Sanctorum, 7 vol., (syriace), Paris 1890 -- -- 1897 , repr. anast., Georg Olms Verl., Hildesheim 1968; G. Hoffmann, Auszuge aus syrischen Akten persischer Martyrer Leipzig 1880; O. Braun, Ausgewahlte Akten persischer Martyrer , BKV, 2,22, Kempte-Munchen 1915; Varii, Analecta Bollandiana, Paris, Bruxelles, 1882 s.

٣٢ ـ رسالة قسطنطين ، راجع الهامش ٥، وانظر : حداد ، ص ٧٤٠.
٣٣ ـ اضافة الى ما جاء في الهامش ٣١ ، انظر كلدو واثور ،٢، ص ٦٠ـ٩٣، وانظر

J.M. Fiey, Vers la réhabilitation de l'Histoire de karka d'bet sloh, AB 82 (1964), fasc. 1-2, p. 189-222.

٣٤ ـ كلدو واثور :٢، ص ٦١ـ٦٤.
٣٥ ـ سير الشهداء والقديسين ، طبعة بيجان ،٢، ص ١٣١ـ٢٠٧ ، شهداء المشرق ، طبعة أدي شير ، ١: ص ١٩٣ـ٢٣٤ ، التاريخ السعردي ، ١، ص ٨٦ـ٩٥.
٣٦ ـ كلدو واثور ، ٢، ص ٦٥ـ٦٦ ، وانظر خاصة

M. Kmosko, S. Simeon Bar Sabba'e , PS, I, II, Paris 1907. p. 715-959.

٣٧ ـ شهداء المشرق لادي شير ، ١ ، ص ١٩٨ـ٢٠٠.
٣٨ ـ سير الشهداء والقديسين : طبعة بيجان ، جـ٢، ابونا ، شهداء المشرق ، ص٨٣فما بعدها
٣٩ ـ كلدو واثور ، ص ٩٨.
٤٠ ـ الطبري ، طبعة نولدكه ،ص ٧٤، والهامش ٣.

١ - كتاب اللؤلؤ النضيد في تاريخ دير مار بهنام الشهيد ، وجولة في كنيسته الاثرية مع وصف اثارها واذاعة رسومها ، وهو صفحة لامعة من أروع صفحات الاثار المسيحية التاريخية في الديار الشرقية : وضعه الخوري أفرام عبدال - رئيس دير مار بهنام الشهيد سنة ١٩٥١. طبع بمطبعة الاتحاد الجديدة ، الموصل ، ٢٥٥ ص .

2 - J· M. Fiey, Assyrie chrétienne , II, Impr. Cath·, Beyrouth 1965, P· 565-609·

3 - Hiplopthe Delehaye , Les légendes hagioraphiques , 3eme edition, Eruxelles 1927; reprod· 1955/1973; Clr· R·Aigrain L'hagiograhie, Ses sources , ses méthodes, son histoire, Poitiers 1953·

٤ - سير الشهداء والقديسين (شربي دسهدي وذقديشي) ، طبعة الاب بولس بيجان، المجلد الثاني ، باريس ١٨٩١ ، ص ٣٩٧-٤٤٢. وقد طبع بالاوفسيت تصويريا

Acta Martyrum et Sanctorum syriace, ed· P· Bedjan, t· II, Paris 1891; repr· Georg Olms Verlagsbuchandlung, Hidesheim 1968.

٥ - سيرة أشهر شهداء المشرق المطران ادى شير : المجلد الاول ، الموصل ١٩٠٦ ، ص ٢٩١-٣٠٦.

٦ - حياة الاميرين المعظمين بهنام واخته سارة الشهيدين ، تاليف الخوري افرام عبدال، الموصل ١٩٤٩، ٦٦ص .

٧ - حياة الاميرين المعظمين بهنام واخته سارة الشهيدين ، تاليف المرحوم الخوري افرام عبدال ، بغداد ، مطبعة شفيق ، ١٩٨٣ ، ٦٤ص.

٨ - الاب البير أبونا ، شهداء المشرق ، الجزء الاول ، بغداد ١٩٨٥، ص ١٨١-١٩٨.

9 - G. Hoffmann, Auzuge aus syrischen Akten persischer Martyrer , dans Abhandlungen f.d. Kunde d. Morgenl-andes, VII , III part., 1880; Cfr. Mgr Ignace Rahmani , in: Documents d'Orient (al'Aṭar as šarqiya, III/1928, février, arabe, p. 37-44; francais, p. 8-14;
Chan. Van Lantschott, Behnam et Sarah, in : DHGE , VII51934, col. 477.

١٠ - في كتاب : تقديس السنة المسيحية بقراءة سيرة القديسين اليومية لتنزه الانفس الروحية في روضة الكنيسة الكاثوليكية ، المجلد الثاني، الموصل ١٨٩١ (دير الاباء الدومنيكيين) ، ص ٧٧٧-٧٨٠.

١١ – كتب هذا قبل صدور ترجمة الاب البير أبونا للجزء الثاني من (تاريخ الرهـــاوي المجهول) ، بغداد ١٩٨٦. أما النص الخاص بمار بهنام فهو في الجزء الاول من التاريخ. انظر الهامش ١٢ .

12 - Chron:ccn ad annum Ch:isti 1234 pertinens. Tex. sps ., ed· 1920-1916, trad. lat· I·B· Chabot, 1973 Louvain, CSCO 81, syr. 36.

13 - Cfr. J.M. Fiey Jalons pour une histoire de l'Eglise en Iraq, CSCO 310, subs. 36, Louvain 1970. Chap. V: Monachisme , p. 100-112.

14 - G· Wissner, Zur Martyrerüberliferung aus der Christ-e:neiiclgung Schapurs II , Cottingen 1967.

15 - The Hellenistic Settlement , by David & Joan Oates , in Iraq XX/ 1958 , p. 136; Nimrud 1957.

١٦ – انظر يوسف حبي ، أسطورة التنين السومرية واثرها في الحضارات العالمية ، مجلة سومر المجلد ٤١ : جـ ١–٢، ص ١٦٩–١٧٥.

١٧ – راجع يوسف حبي، أهل الكهف في التاريخ ، مجلة التراث الشعبي ، السنة ١٥ (١٩٨٤) العددان ٣–٤ ، ص ٦٣–٧٢.

١٨ – راجع الهامش ٣. وانظر نظرية الانواع الادبية للاب فنسيت ، ترجمة الدكتور حسن عون . د. عباس مصطفى الصالحي ، فن المقامة بين الاصالة العربية والتطور القصصي: الموسوعة الصغيرة ١٤٧ ، بغداد ١٩٨٤. د. قيس النوري ، الاساطير وعلم الاجناس ، الموصل ١٩٨١.

١٩ – بشأن الاضطهادات راجع الهامش ١٤، والفصل الرابع من كتاب الاب فيي (كـــما في الهامش ١٣) ، والبحث السابق الاضطهادات الفارسية .

١٩ – ب – هذا مادفع احدهم الى تغيير اسم والد بهنام من سنحاريب الى سابور: فيي ، جـ٢ ، ص ٥٦٩.

٢٠ – معجم البلدان لياقوت ، ط دار احياء التراث العربي ، بيروت جـ٢، ص ٥٠٣.

٢١ – انظر: سير الشهداء والقديسين ، طبعة بيجان (بالسريانية) ، **جـ٢ ، ص ٣٢٥–٣٤٧**، وثمة أعمال الشهداء الاربعين في سباسطية ، نفس المصـــدر ، جـ٢ ، ص ٣٥٥–٣٧٥. وياي خبر الشهداء الاربعين المشارقة في أثور الشرق لادي شير ، جـ١، ص ٣٥٧–٣٦٨.

٢٢ – تاريخ ابن العبري ، النص السرياني : ص ١٨٤. انظر الرحماني (الهامش ٩). وقبل هذا التاريخ بسنوات ، نلقى أول من تسمى باسم مار بهنام ، هو بهنام جد والد الطبيب أبي الخير الحسن بن سوار بن بابا بن بهنام المعروف بابن الخمار ، المولود في بغداد سنة ٩٤٢م ، فيكون بهنام هذا من القرن ٩م . وثمة كنائس كثيرة ، واديرة عديـــدة : وأشخاص لايحصى عددهم على أسم مار بهنام ، بعد التواريخ المذكورة . انظر **اللؤلؤ** النضيد ، ص ٤٠–٥٢.

٢٣ – فيي ، جـ٢ من اشور المسيحية ، ص ٥٨٣ (الهامش ٢)

24 - Jones, Topography of Nıniveh, p. 370.

٢٥ ـ كما في الهامش ٢٠ ، اما في طبعة فسنفيلد ، جـ٢، ص ٦٥١.

٢٦ ـ كتاب اثار البلاد واخبار العباد ، ط فسنفيلد سنة ١٨٤٨،ص ٢٤٧.

٢٧ ـ كلدو واثور للمطران ادي شير ، جـ٢ ، بيروت ١٩١٣ ، ص ٩٣، اللؤلؤ المنثور للبطريرك افرام برصوم ، ط٣ ، بغداد ١٩٧٦ ، ص ١٣٩، كتاب اللؤلؤ النضيد للخوري افرام عبدال ، ص ١٩ـ٢٠.

٢٨ ـ راجع بحثي : اقدم كنائس العراق.

٢٩ انظر فيي ، جـ٢ ، ص ٥٦٨.

٣٠ ـ اللؤلؤ المنثور للبطريرك برصوم ، ص ١٤٠ ، الهامش ١.

٣١ ـ بالنسبة الى مار قرداغ انظر قصته : سير الشهداء والقديسين ، ط بيجان ،جـ ٢ ، ص ٤٤٢ـ٥٠٦، وشهداء المشرق لادي شير ، جـ١ ، ص٣١١ـ٣٤٥. اما بالنسبة لمار كوركيس، فانظر الهامش ٣٤ . وقد يكون من المفيد إلقاء نظرة على قصة سارة اخت مار زينا ومقارنة أوجه الشبه التي بين سارة بهنام وسارة زينا (فيي ، جـ٢ . ص ٦١٣ـ٦١٤.

٣٢ ـ حياة الاميرين الشقيقين بهنام وسارة الشهيدين : ط ١٩٨٣، ص ١٣.

33 - C.P. Nicolesco, Gisements petroloferes de l'Irak Paris 1933, p. 109-110 .

٣٤ ـ انظر يوسف حبي، دير مار كوركيس ، بغداد ١٩٧٧.

٣٥ ـ لويس شيخو ، مجلة المشرق ، السنة ١٩٠٣ ، ص ٣٨٥ـ٣٩٩.

٣٦ ـ اللؤلؤ النضيد ، ص ١٧٤ـ١٧٥ . وبهذا الاسم يذكره : كونراد برويسر ، المباني الاثرية في شمال بلاد الرافدين ، ترجمة د. علي يحيى منصور ، بغداد ١٩٨١، ص١٩ـ٣٠.

Uogo Monneret de Villard, Les Chiese della Mesopotamia, Roma 1940, OCA 128, p. 81-82.

٣٧ ـ فيي ، جـ٢ ، ص ٥٧٦ـ٥٧٧، وانظر : يوسف حبي،شجرة الحياة عبر العصور ، مجلة التراث الشعبي ، السنة ١١ (١٩٨٠) ، العدد ١٠، ص ٦٩ـ٨٨.

٣٨ ـ اللؤلؤ النضيد ، ص ٣٢ـ٣٧.

٣٩ ـ محفوظة في بطريركية الكلدان ، فهرس بيداويد رقم ٢١١.

٤٠ ـ المكتبة الشرقية للسمعاني ، جـ٢ ، ص ٢٢٢ـ٢٢٣، فيي ، جـ٢ ص ٥٦٧.

اهم مراجع وهوامش (شهداء الحق والحب) ٤/٤

١ ـ قصائد (ميامر) نرسي ، طبعة منكنا ، الموصل ١٩٠٧، جـ٢ ، ص ٤٦ـ٥٥ . أنظر المقتطفات من هذه القصيدة الرائعة في النص الملحق بعد قليل .

٢ ـ أنظر التراتيل والاناشيد المخصصة للشهداء كل صباح ومساء في كتاب الصلوات الطقسية لكنيسة المشرق ، الكلدانية-الاثورية ، طبعة بيجان ، وطبعة روما بالاوفسيت، وتدور أهم الانكار حول محبتهم للمسيح ، وتضحيتهم بدمائهم من اجله، فهم كالتجار ، واللالىء ، والارض العطشى ، والاختان، يستحقون أن نعيد ذكراهم ، ونجل عظامهم وأجسادهم بالاحترام والتعظيم ، لانها كنوز مقدسة ، واذ تغرب الشمس ، تشع الانوار من عظامهم ، والطوبى لهم لانهم أخزوا الشرير ، وسحقوا شوكة الموت ، بفضل قوة الروح ، رفعوا صواتهم عاليا وأنكروا السجود الا لله ، وماتوا كل يوم ، فهم ذبائح بل قرابين لعظيم الاحبار ، لذا فان اكاليلهم في السماء ، وقد ورثوا الحياة ، وملكوتا لم تره عين ولم تسمع به اذن . صلواتهم مستجابة ، وطلب شفاعتهم من أجل الامن والسلام فصلاتهم سور ، وذكراهم على المذبح المقدس الى الابد .

٣ ـ اعمال ماري ، طبعه بيجان ، جـ ، من سير الشهداء والقديسين ص ٥١ـ٥٢

4. - O. Reuther, Die Ausgrabungen der deutschen ktesiphon — Expedition im Winter 1928-1929, Berlin, p.6, 12.

٥ ـ أنظر لفظة (بركي داون ـ [illegible]) في معجم ابن البهلول ، طبعة روبنس دفال، باريس ١٨٨٦ـ١٩٠٣، ص ١٦٢٦.

٦ ـ أنظر : يوسف حبي ، حنين بن اسحق ، بغداد ١٩٧٤ ، ص ٣٧ـ٣٨،وراجع طبقات الاطباء والحكماء لابن جلجل ، ص ٦٩ـ٧٠، تتمة صوان الحكمة للبيهقي ، ص ٣ـ٤ ، تاريخ الحكماء للقفطي، ص ١٧٢ : تاريخ مختصر الدول لابن العبري ، ص ٢٥٢.

٧ ـ مجدل ماري ، ص ١٤١.

8 - J. Leroy, Les manuscrits syriaques à peintures, 2 vol., Paris 1964.

٨ ـ كتاب الصلوات الطقسية (الحوذرا) ، طبعة بيجان ، جـ٣، ص ٣٩١.

١٠ ـ أنظر : كتاب الحبريات ، طقس كنيسة المشرق (الكلدانية ، الاثورية) ، طبعة روما ١٩٣٨، ص ٢٣٢ ، مجموعة القوانين المجمعية لعبد يشوع الصوباوي ، طبعة ماي ، ص٨٥ كتاب شرح القتوس ، طبعة كونولي ، ص ١٦١. وانظر بشان اكرام الشهداء في كنيسة المشرق وحفظ الذخائر واستعمال الصور

E. Delly , Le culte des Saintes Images dans l'Eglise Syrienne - Orientale, OC I (1956), p. 291-296; J. Davillier, temoignages Littéraires et archéologiques sur la présence et sur le culte des images dans l'ancienne Eglise chaldéenne, OS I (1956), p. 297-304 ; A. Graber , Martyhium. Recherches sur le culte des réliques et l'art chrétien antique, 2 vol., 1946, Album 1943.

محتوى الكتاب (الجزء الاول)

مقدمـــة
المخطط العام
ملاحظات اوليـة
المبحث الاول : بلاد مابين النهرين ، البيئة الطبيعية لكنيسة المشـــرق
جغرافية البلاد
(نصوص) : جنة عدن والفردوس الارضي : من الاساطير السومرية ، من التوراة
حضارة وادي الرافدين
(نص) : هو الذي رأى .. من ملحمة كلكامش ، ملحمة الخليقـــة
تسمية كنيسة المشرق
المبحث الثاني : الفجر الجميل
كنيسة المسيح
(نصوص) : من العهد الجديد ، تعليم الرسل ، التقليد الرسولي ،
الدرجات المقدسة والخدم الكهنوتية
انتشار المسيحية في بلاد المشرق:
طرح القضية
أسباب الشك في التقليد
أولا ـ اعمال توما :
المخطوطات والطبعات والدراسات
فحوى النص أو قصة الاعمال
الشكوك والاعتراضات
مقارنة الاعمال بتقاليد وشواهد اخرى

ثانيا ـ تعليم أدي:

المخطوطات والطبعات والدراسات

فحوى النص أو قصة التعليم (نص: رواية اوسابيوس)

الشكوك والاعتراضات

مقارنة التعليم بالمعطيات الرهاوية الاخرى

ثالثا ـ أعمال ماري :

المخطوطات والطبعات والدراسات

فحوى النص

الشكوك والاعتراضات

مقارنة الاعمال بنصوص تاريخية قديمة

رابعا ـ تاريخ اربيل المنسوب الى مشيحا زخا:

شواهد تؤيد انتشار المسيحية في ديار المشرق:

١ ـ اشارات وافتراضات

٢ ـ شواهد وادلة

اقدم كنائس العراق

المبحث الثالث : الرها مملكة ومدينة

تمهيـــد

اولا ـ مملكة الرها :

التسمية

اصل المدينة

موقعهـــا

في التاريخ القديم

مدينة الملوك

قائمة ملوك الرها ـ اديسا

وضع المملكة اداريا واقتصاديا وثقافيا
أول مملكة مسيحية في العالم
الرها عام ٣٨٤م
مسيحية الرها قبل القرن الرابع
ثانيا ــ الرها مركز حضارة
تمهيـــد
كتابات المدافن
خطاب مارا بن سرابيون
رهاوي يمتدح القيصر انطونينوس
كتابات ملوك الرها وتاريخ الرها (نص : خبـــر
الفيضان سنة ٢٠١م)
ططيانس والدياطسرون
برديصان والديصانية
هرمونيوس
عـــويذا
اسوانـــــا
مار افرام (نصوص: مدح ابراهيم اسقف نصيبين
حوار بين الموت والشيطان ، الكنارة)
ثالثا ــ مدرسة الرها ــ نصيبين
مدرسة الرهـــا
منهجية مدرسة الرها ــ نصيبين
نصيبين
مدرسة نصيبين
ربولا ــ اسقف الرهـــا
هيبا المعلم والاسقف
من الرها الى نصيبين

نرسي الملفان
قوانين مدرسة نصيبين
اليشع بن قوزبايي
ابراهيم ربن
يوحنا ربن
اساتذة آخرون :
آقاق
معنا
توما الرهاوي
مار آبا
يوسف الاحوازي
بولس النصيبيني وبولس البصري
قيورا
ايشاي
راميشوع
نرسي
ايشوعياب الارزني
ابراهيم النصيبيني
حنانا الحديابي
تلاميذ حنانا :
سهدونا (مرطوريس)
بابي الكبير
يعقوب السروجي
صموئيل الرهاوي
اسحق الرهاوي الانطاكي

اسطيفان بن صوديلي
فيلوكسينوس المنبجي (اخسنايا)
يعقوب الرِهاوي
اسهام مدرسة الرها ـ نصيبين ي الحركة الفكرية
المبحث الرابع: شهداء النور
تمهيـــد
أولا ـ الاضطهادات عامة والاضطهادات الرومانية
عرض القضية
أسباب الاضطهادات عامة
حياة المسيحيين تزعج الاخرين
أسباب الاضطهادات الرومانية
(نصوص) : المسيحي روح في جسد (الرسالة الى ديونيتس) ، تقرير بلينيوس الصغير : مرسوم ترايانس .
الاضطهادات الرومانية
(نص) : اعمال قنصلية رومانية ، استشهاد شهداء في قرطاج عام ١٩٨٠
ثانيا ـ الاضطهادات الفارسية
اسباب الاضطهادات الفارسية
العلاقات الفارسية المسيحية في القرون الاولى
الاضطهادات الفارسية
الاضطهاد الاربعيني
(نصوص) : جهاد شمعون برصباعي ورفاقـــه الشهداء ، تاريخ كرخ سلوخ
اضطهادات اخرى (نص : تاريخ كرخ سلوخ)

ثالثا ــ مار بهنام بين الحدث والقصة (ركائز البحث في
سير القديسين واعمال الشهداء)
تمهيــــد
القصـــة
الحدث التاريخي
ركائز البحث في سير القديسين واعمال الشهداء
تحليل عناصر القصة على ضوء النقد العلمي
"الامير الساحــر"
خلاصــــة
رابعا ــ شهداء الحق والحب
الشـــهيد
بيوت الشهداء
(نصوص) : حنطة لله لاغناطيوس الانطاكي ،
بالموت نجعل حبنا كلاما لنرسي الملفان
فهرس الاعلام
محتوى الكتاب (الجزء الاول)
ويليه الجزء الثاني كنيسة المشرق جماعة خدمــه

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
٤١١ لسنة ١٩٨٩

كنيسة المشرق

الاب الدكتور / يوسف حبي

بغداد ١٩٨٩

١